بثينــة بن حسين

الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة



كلية الآداب والعلوم الانسانية بسوسة

العنوان : الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة

تأليف : بثينة بن حسين

الطبعة : الأولى

المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية

شارع فرحات حشّاد – رادس 2098

الهاتف : 71434211

الفاكس : 71434243

نشر كليّة الآداب والعلوم الانسانية بسوسة

الهاتف : 73301800

الفاكس : 73301903

ISBN : 978-9973-962-18-8

صورة الغلاف : الواجهة الرئيسيّة لقصر المشتى – متحف برلين (شكري الخالص للأستاذ خالد كشير على مدّي بهذه الصورة)

أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط أُنجزت تحت إشراف الأستاذ الدكتور هشام جعيّط بجامعة تونس الأولى وتمّت مناقشتها في شهر جوان من سنة 1997 وتكوّنت اللجنة من الأستاذ راضي دغفوس رئيسا والأستاذ هشام جعيّط مشرفا، والأستاذة منيرة شابوتو-الرمادي والأستاذ محمد حسن عضوين. وتحصّلت عليها المترشّحة بملاحظة مشرف جدا.

إهداء وشكر

إلى روح جدّتي "إن الحبل بتكراره في الصخرة الصمّاء قد أثّرَ"

إلى أبي وأمّي الاعتراف بالجميل قد أُثِر

إلى سلمى نورا في حياتي مؤثّرا

إلى خالي أحمد باعث الأمل والأَثَرَة

إلى ابنيَّ هشام والطيّب مستقبلا مثمرا.

شكري الجزيل إلى أستاذي الفاضل هشام جعيّط

مشرفا ومنيرا للسبيل،

وإلى أصدقائي وزملائي عرفانا وتقديرا واحتراما.

تقديـــم

هذا الكتاب يتناول تاريخ القسم الأوفر من الدولة الأمويّة من وجهة المؤسّسات والمقوّمات الإيديولوجيّة للحكم. فالموضوع متّسع جدّا كما هو بيّن لأنّ المؤسّسات تنطبق على ما هو في المركز وما هو في الجهات والأمصار، وهي متكاثرة وتمتدّ على فضاء كبير في المعمورة، من حدود الصين إلى البيريني في أوروبّا. ذلك أنّ دار الإسلام في العهد الأموي وصلت إلى درجة من الاتّساع لم تصله من قبل ولن تصله من بعد، لا في عهد الراشدين ولا في عهد العبّاسيين، فالأمويّون كانوا أكبر أباطرة العهد الوسيط في العالم، إذ لم يصل لا الرومان ولا الصينيّون إلى التحكّم في فضاء ممتدّ مثل هذا، مع مركزيّة في الحكم كبيرة. ثمّ إنّهم توسّعوا كثيرا في الفتوحات، فاقحموا في مجال دار الإسلام آسيا الوسطى - ما وراء النهر - والسّند وشمال الهند وكلّ المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس. فهم غازون وفاتحون لا ينون في عمليّات الجهاد إمّا فتحا وإمّا حفاظا على المجال الإسلامي، هذا المجال الذي تفتّت منذ انتصب العبّاسيّون على سدّة الحكم. من هنا أهميّة التأطير المؤسّساتي سواء في المركز أم الجهات وأهميّة مقوّمات والسلطة، كلّ هذا الذي درسته بثينة بن حسين بكلّ دقّة وكلّ تفصيل. فالكتاب الذي بأيدي القارئ كتاب علمي، عمل تاريخيّ جليل، تطلّب مجهودا كبيرا في قراءة المصادر وتتبّعها عن كثب. وهذه المصادر متكاثرة ووجب الاطّلاع عليها على كثرتها حيث وجب تقصّي ما تقوله في أغلب الوقت بالتلميح أو الإشارة حول هذه المؤسّسة أو تلك داخل طيّات الأخبار السياسيّة والصراعات الدينيّة - السياسيّة. هنا عمل المؤرّخ يكمن في استخراج مادتّه من بحر تاريخ الأحداث، وهو عمل يتطلّب نباهة وجهدا واطّلاعا كبيرا. هذا هو البحث التاريخي الحديث.

وحقيقة الأمر أنّ لا الاستشراق ولا دراسات العرب المعاصرين لم يقوما بمثل هذا العمل الاستقصائي والمدقّق في آن. فقد انكبّ يوليوس فلهاوزن منذ أكثر من قرن على رسم لوحة رائعة للدولة الأمويّة مازالت إلى الآن هي المرجع ثمّ تلاه من بعد ثلثي القرن المرحوم عبد الحيّ شعبان الذي قام بالكشف وتحليل دقيق للصراعات القبليّة ورهاناتها كما لجذور الدعوة العباسيّة في خراسان. لكنّ الدراسات حديثة العهد منّا لا تفي بالحاجة، فهي معمّمة وسطحيّة.

إنّ تاريخ الدولة الأمويّة يتّجه في نفس الوقت إلى القارئ المثقّف المتشوّف للاطّلاع على ماضي الإسلام وتاريخه وإلى إثراء المعرفة التاريخيّة ذات الطابع العلمي الأكاديمي وهي مكتسبة لبعد عالمي، ومن الضروري إثراء المشاركة العربيّة في هذا الميدان.

لقد ذكرت الكاتبة أنّ النظرة إلى الدولة الأمويّة أساء إليها العبّاسيّون وبالخصوص الفكر الشيعي المنبثّ في المجتمعات الإسلاميّة، والفكر عامّة. فالتراث يميل إلى اعتبار الأمويّين ملوكا دنيويّين ضعيفي الوازع الإسلامي، ويقارن تاريخهم بتاريخ الخلفاء الراشدين وما يكون قد اتّسم به من عدالة وورع وحسّ إسلامي. أمّا الفكر الشيعي الذي دخل في كلّ الضمير الإسلامي، فيميل إلى اعتبار الأمويّين مغتصبين للحكم، افتكّوه من عليّ وأبنائه وآل البيت عامّة.

إنّ كلّ هذا يعني أنّ الضمير الإسلامي كان ولا يزال إلى الآن متحسّسا لهذا الموضوع الذي كان له الأهميّة القصوى في مجرى التاريخ الواقعي من ثورات شيعيّة في القرن الأوّل وثورات خارجيّة وإطاحة بالدولة الأمويّة في 132 هـ من طرف الهاشميين وتكوين ممالك في القرنين الثاني والثالث وتكاثر المذاهب السياسيّة — الدينيّة وانفتاح على الأعاجم وغير ذلك. لكنّ الفرق واضح بين نظرة المؤرّخ وكلّها وصف وتفكيك وتحليل للواقع، والنظرة التّقييميّة الملتزمة لمؤسّسي المذاهب والدول، فالمؤرّخ يريد أن يفهم وهو يفهم فعلا أنّ النظام الأموي نظام امبراطوري خرج من الفتوحات الأولى ووسّعها، وهو بالتالي منبثق من وجود العرب كفاتحين وغزاة مستقرّين في الشام والعراق ومصر وخراسان والمغرب. فالدولة دولتهم قبل كلّ حساب وهي تسوسهم وترعاهم. هي دولة عربيّة أساسا، العرب مازالوا قائمين في أطرهم القبليّة، إنّما موحّدون بالإسلام وخاضعون للدولة وللخليفة، كما كان شأن الرومان أيّام الجمهوريّة والامبراطوريّة الأولى. ولئن تمادى الأمويّون على المؤسّسات الحربيّة والماليّة التي استنبطها عمر، فلقد قاموا بتطويرها وإكسابها أكثر نجاعة. ولم يكن من الهيّن سياسة هذه الفئات العربيّة المقاتلة المحاربة ولا تجاوز الصراعات على الحكم وإخماد الثورات. وإلى حدّ كبير، كان النظام الأسروي ضروريّا للاستقرار والملوكيّة كذلك إلاّ أنّها لم تكن ملوكيّة دمويّة مطلقة كما صار عليه الأمر فيما بعد. وقد كتب على الدولة الأمويّة الزّوال في أقلّ من قرن، لكنّ الدولة العبّاسيّة هي أيضا لم يتجاوز وجودها الفعلي القرن أيضا، فقد بدأت في الانحلال بعد مقتل المتوكّل وبقي الخليفة اسميّا كمرجع دينيّ يُكسب الشرعيّة للسلطنات المتتابعة إلى حدود غزو المغول لبغداد (1258 م).

إنّ هذا العمل يبعث إذن على التأمّل في مصائر دول الإسلام عبر تحليلات علميّة دقيقة وشيّقة ومن وراء مجهود كبير لا يسعنا إلاّ أن نحيّيه ونسدي إلى مؤلّفته جميل الشكر.

هشام جعيّط

المقدّمـــة

إنّ دراسة هذا الموضوع تخلّلتها صعوبات عديدة أهمّها معاداة المصادر للأمويّين. فقد تولّى العبّاسيّون الحكم فعتّموا دور الخلفاء الأمويّين في صنع التاريخ الإسلامي وشوّهوا صورتهم على أساس أن الأمويّين قتلوا الحسين بن علي حفيد الرسول وضربوا الكعبة بالمنجنيق وقتلوا الشيعة. وكانت أغلب المصادر موالية لهذه النظرة ماعدا بعض المصادر التقليدية كالطبري والبلاذري.

فقد مثّل الطبري (224 هـ-310هـ) قمّة ما وصلت إليه كتابة التاريخ عند العرب في فترة التكوين" [1].

وقد اتّبع الطبري الطابع الإخباري الذي مكّننا من الاطلاع على كل خصائص الدولة الأمويّة بما فيها السياسي [2] والاجتماعي والاقتصادي لتاريخ الرسل والملوك على مؤرخين موثوق فيهم عاشوا الأحداث التي نقلوها عن الفترة الأمويّة.

تأثّر الطبري في كتابته للتاريخ بدراسته وثقافته كمحدّث وفقيه. وعلى هذا الأساس، اتّبع الطبري طريقة الإسناد، فاعتمد شهود عيان أو إخباريّين معاصرين للدولة الأمويّة وأخذ عنهم.

ومن أهم هؤلاء الإخباريّين أبو مخنف (ت 157 هـ-774م). وهو إخباري كوفي درس الأنساب وكتب عن الردّة وعن فتوح الشام والعراق والشورى وصفين وعن الحوادث التالية في العراق حتى نهاية العصر الأموي.

استعمل أبو مخنف الإسناد "بشيء من التسامح" معتمدا على الروايات العائليّة خاصّة روايات قبيلة الأزد. ويورد أبو مخنف عادة الصورة العراقيّة (الكوفيّة) للأحداث. فهو أميل للعراق منه إلى الشام. كما أنه أميل للعلويّين منه للأمويّين."لكن أخباره ليست متخرّبة" [3]. وينطبق هذا الحكم على إخباري كوفي ثان اعتمده الطبري وهو عوانة بن الحكم (ت 147 هـ/764م).

---

1) عبد العزيز الدوري، **بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب**، بيروت د.ت، ص55.

Djait (H), **La Grande Discorde**, Paris 1989, pp 165 – 179.

2) عبد العزيز الدوري، **مرجع مذكور**، ص 55.

3) عبد العزيز الدوري، **مرجع مذكور**، ص35.

كتب عوانة "سيرة معاوية وبني أميّة". ولعلّه استقى معلوماته من قبيلة كلب الموالية للأمويّين وهو بذلك يقدم الرواية الأمويّة للأحداث التي تقابل الرواية العراقيّة. لكنّه لم يقتصر على ذلك بل أدرج الروايات العراقيّة والمدنيّة التي تعكس آراء جماعات مضادّة للأمويّين [1].

إنّ اعتماد الطبري على إخباريّين ثقات وموضوعيّين وذوي نظرة شاملة للتاريخ الأموي مكّننا من اكتشاف جوانب جديدة من الدولة الأمويّة. وقد حاولنا إثراء هذا البحث بالرجوع إلى مصادر أخرى لا تقلّ أهميّة عن الكتابات الكبرى وهي كتابات البلاذري (ت 279 هـ/892م).

فقد بحث البلاذري في فتوح البلدان في تاريخ الانتشار الإسلامي في كلّ مصر. واعتمد في هذه الدراسة على روايات تتميّز بالدقّة والحياد. ودرس البلاذري في كتاب "أنساب الأشراف" التاريخ الإسلامي في إطار الأنساب حيث ذكر سيرة كلّ خليفة مع تطوّرات الأحزاب السياسيّة وراعى التسلسل الزمني. كما أنّه كان موضوعيّا في تعامله مع التاريخ الأموي وخصّ الأمويّين بمكان أوسع من العبّاسيّين، رغم أنّه عاش في العهد العبّاسي [2].

ولقد تجاوزنا بعض الصّعوبات التي واجهناها في الكتاب بعد أن حقّق كتاب أنساب الأشراف ونشر سنة1996 [3]. (أي الأجزاء المخصصة لفترة الخلفاء عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك). وقد اعتمد البلاذري كالطبري إخباريّين موضوعيّين. ومن أهم هؤلاء الاخباريّين المدائني والواقدي.

يمثّل المدائني (ت225 هـ /839م) "درجة أعلى من أسلافه في البحث والدقّة" [4]. واتّبع أسلوب المحدّثين في نقد الروايات. جمع ونظّم روايات تاريخيّة مختلفة - روايات المدينة وروايات البصرة - فصار المدائني يحظى بثقة أكبر من أسلافه.

---

1) عبد العزيز الدوري، **مرجع مذكور**، ص37.
2) عبد العزيز الدوري، **مرجع مذكور**، ص 49.
Djaït (H), **Idem**, p 167.
3) البلاذري، **أنساب الأشراف**، ج6 و7و8، طبعة دار الفكر، بيروت 1996.
4) عبد العزيز الدوري، **مرجع مذكور**، ص39.

ولا تخلو كتابات الواقدي (ت270هـ / 823م) من دقّة ونظام وموضوعيّة. فقد اتّبع في كتابه "المغازي" أو غزوات الرسول وسراياه طريقة تتمثّل في عرض إطار الموضوع ثم ذكر التفاصيل.

وهو أكثر دقّة من ابن إسحاق في استعمال الإسناد وفي التأكّد من تواريخ الأحداث أنّه يورد روايات مدرسة المدينة ثم يضيف إليها ما وصل إليه.

وتظهر نظرته النقدّية في زيارته لمواقع المعارك وبحثه عن وثائق جديدة.

وقد درس الواقدي التاريخ الإسلامي في كتابه "التاريخ الكبير" الذي يتناول تاريخ الخلفاء حتى سنة 179هـ/795م [1].

أثّرت دراسات المدائني والواقدي في كتابات البلاذري الذي كمل بدوره كتابات الطبري.

وقد اعتمدنا مصادر أخرى تكميليّة من بينها "تاريخ اليعقوبي" و"مروج الذهب" للمسعودي. لكنّنا تعاملنا معها بحذر نظرا لميولات أصحابها الشيعيّة. واعتمدنا أيضا على تاريخ ابن عساكر في دراستنا للشام – مركز الخلافة.

ويتميّز هذا المصدر بموضوعيّته. كما اعتمدنا في هذا الكتاب كتب الطبقات والأنساب وكتب الجغرافيا والخراج والأدب والفقه وبعض كتب السير. إن أهم كتاب من كتب الطبقات هو كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد. وقد تناول فيه أخبار النبيّ وكذلك أخبار الصحابة والتابعين بالحجاز وبالأمصار. مكّننا هذا الكتاب من دراسته رجالات الدولة الأمويّة من خلفاء وفقهاء وقضاة وقواد. ومكّنتنا كتب الأنساب من التعرف على الانتماءات القبلية لهؤلاء الرجالات. ومن بين هذه الكتب كتاب جمهرة النسب لابن الكلبي ونسب قريش لمصعب الزبيري... وقد درس ابن الكلبي أنساب قبائل العرب، بينما اقتصر الزبيري على دراسة نسب قريش.

وأفادتنا كتب الجغرافيا (ككتاب البلدان لليعقوبي) في التعرّف على التنظيم الجهوي الأموي. ووفّرت لنا كتب الخراج والفقه معلومات عن النظام الاقتصادي الأموي.

واحتوت كتب الأدب كرسائل الجاحظ وكتاب الأغاني للأصفهاني على العديد من المعلومات التي تخصّ المؤسّسات الأمويّة. فقد أورد هؤلاء الكتّاب معلومات

---

1) عبد العزيز الدوري، **مرجع مذكور**، ص30-31.

عرضيّة أمكننا استغلالها في هذه الكتاب. وأخيرا اعتمدنا كتب السير كسيرة الرسول لابن هشام وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن عبد الحكم.

إنّ هذه المصادر التقليديّة الأساسيّة والتكميليّة أدوات ضرورية لدراسة موضوع هذا الكتاب.

إضافة إلى هذه المصادر، اعتمدنا الدراسات الحديثة والملاحظ أنها قليلة. وتنقسم الدراسات الحديثة إلى دراسات استشراقيّة ودراسات عربيّة.

تعتبر دراسة فلهاوزن أهمّ دراسة استشراقيّة في أول القرن العشرين لازالت إلى حد الآن مرجعا هامّا.

فقد تناول فلهاوزن التاريخ الاموي من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة مروان بن محمّد بطريقة موضوعيّة [1].

بينما افتقر بقية المستشرقين فيما بعد لهذه النظرة. فقد أظهر لامنس إعجابا كبيرا بالخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وعامل العراق وخراسان لدى الخليفة معاوية بن أبي سفيان وهو زياد بن أبي سفيان. ولم يخل تحليله لشخصية الخليفة معاوية (حلمه واتقانه للسياسية) من تميّز [2].

ثم جاءت دراسات كرون حاملة لنظرة يهوديّة ضيّقة [3]. ولم يقدم هاوتينق [4] معطيات جديدة عن الدولة الأمويّة بل اكتفى بإعادة المعلومات الموجودة بالمصادر العربيّة والمراجع الآنفة الذكر.

إذن رغم كل المحاولات التي قام بها المستشرقون لدراسة التاريخ الأموي، فقد بقيت نظرتهم ضيّقة لجهلهم للغة المصادر ولنواياهم الإيــديولوجيّة ما عدا فلهاوزن.

---

1) فلهاوزن (يوليوس)، **تاريخ الدولة العربيّة**، القاهرة 1958.

2) Lammens (H), **Etudes sur le Règne du calife Omaïyade Mo'awia 1er**, Beyrouth, 1906.

3) Crone (Patricia) and Hinds (Martin), **Slaves on Horses the Evolution of the Islamic Polity**, Cambridge, 1980.
Crone (Patricia) and Hinds (Martin), **God's Caliph Religious Authority in the First Centuries of Islam**, Cambridge, 1986.

4) Hawting (G.R),**The First Dynasty of Islam the Umayyad caliphate AD 661-750**, London, 1986.

وفي نفس هذا الإطار، افتقدت الدراسات العربيّة منذ مطلع القرن العشرين الحسّ النقدي، فقد اكتفت بإعادة المعلومات التي ذكرتها المصادر.

لكن منذ الخمسينات، ظهرت دراسات جديدة بفضل المدرسة العراقيّة (صالح أحمد العلي وعبد العزيز الدوري) وعبد الحي شعبان (وهو مصري من الضبّاط الأحرار).

فقد تميّزت دراساتهم بطابع نقدي وعمّق رضوان السيد هذه النظرة النقديّة في دراساته عن الفقه والخلافة والكتابة الديوانيّة. وأضفى هشام جعيّط بفضل كتاباته المتعدّدة نظرة جديدة على التاريخ الإسلامي (1).

ويرجع اختيارنا لهذا الموضوع لأهميّة دور الدولة الأمويّة في مسار التاريخ الإسلامي. فقد ركزت هذه الدولة الإسلام عن طريق الجهاد، وهيكلت المؤسّسات وطوّرتها بعد مرورها بفترة أزمة في الفتنة الكبرى.

وكانت هذه الدولة تفتقر للشرعيّة التاريخيّة فأحدثت أسسا إيديولوجيّة لحماية نفسها من حركات المعارضة وخاصّة لتقوية شرعيّتها تجاه المعارضة الشيعيّة العلويّة والعبّاسية.

واعتمدت الدولة الأمويّة على الفئات الأرستقراطيّة أو الأشراف في الفترة السفيانيّة وبداية الفترة المروانيّة خاصّة منهم أشراف الشام.

ثم اعتمدت على قوّاد الجيوش من القبائل اليمنيّة أو القيسيّة. إن كلّ هذه المميّزات تخصّ الدولة الأمويّة كدولة تنزّلت في فترة انتقاليّة بين عهد الخلفاء الأوائل والدولة العبّاسية.

فقد حافظت الدولة الأمويّة على عدّة مؤسّسات ورثتها عن الخلافة الراشدة كمؤسّسة الخلافة وديوان الجند والطابع الامبراطوري للدولة وتجاوزت ذلك إلى تطوير كل هذه المؤسّسات، لكن هذه الدولة وقع التعتيم علهيا طيلة قرون. وقد أردنا أن نرّد إليها الاعتبار ونفسّر أسباب هذا التعتيم.

وتتميّز الحقبة الزمنية التي اخترناها من 41 هـ إلى 125هـ / 660م إلى 743 م بأهميّتها. فقد شهدت هذه الفترة كلّ التطوّرات التي تخصّ الدولة الأمويّة على

---

1) هشام جعيط، • الوحي والقرآن والنبوة، بيروت 1999
• أزمة الثقافة الإسلامية، بيروت 2000

مستوى هياكل الدولة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة كما قاومت الدولة الأمويّة كل الحركات المعارضة الشيعيّة والخارجيّة. لكنّ بعد هذه الفترة، ستدخل الدولة مرحلة الضعف إلى حد الانهيار على يد العبّاسيّين سنة 750م.

تمحور موضوع هذه الكتاب حول الدولة الأمويّة وقبل دراسة ظروف تأسيس هذه الدولة فإنّنا يجب أن نعرّف بالدولة بصفة عامّة. إنّ الدولة تتمثّل في جهاز إداري وتقني، يقوم بعدّة وظائف إدارية وقسريّة ودفاعيّة. كما أنّ الدولة تتركّب من النظام السياسي أو بنية السلطة ومصدرها وطبيعة تنظيمها وما يطرأ عليها من صفات وخصائص، وطرق ممارستها في المجتمع والدولة. فهي بالتالي المبدأ الأخلاقي العام المقوّم للمجتمع والنّاظم له، الذي يجعل منه اجتماعا مدنيّا. كما أنّ الدولة تطابق مفهوم السّياسة أي توظيفها للسّلطة وتوجيهها لها [1].

إنّ الدولة الأمويّة انبثقت من الدولة الإسلامية، وقد تأسّست بعد دعوة الرسول محمّد. وعلى هذا الأساس، كان للجانب العقائدي والروحاني دور هام في تأسيس هذه الدولة. فارتبط بذلك وتمازج السياسي والديني في الدولة الإسلامية. وقد نشأت الدولة الأمويّة في ظروف معيّنة [2].

إنّ حدوث الفتنة الكبرى التي ثار فيها القرّاء على الخليفة عثمان بن عفّان، غيّرت الكثير من المفاهيم. فقد اتبع الخليفة عثمان بن عفّان سياسة إثراء أفراد عائلته وإشراكهم في هذا الإثراء على حساب أموال المسلمين. وفي نفس الفترة، تعمّقت الظّاهرة القرآنيّة في نفوس القرّاء. وهي تتمثّل في تركيز العدالة والمساواة بين المقاتلة [3]. وعندما لم يرتدع عثمان رغم نصائح الصحابة هبّت فئة متطرّفة من القرّاء فقتلته تطبيقا لهذه المبادئ القرآنيّة [4]. وتولّى علي بن أبي طالب الخلافة فبايعته جميع الأمصار ما عدا معاوية بن أبي سفيان – أمير الشام وقريب الخليفة عثمان بن عفّان [5]. فقد اعتبر معاوية أنّ عليّا آوى قتلة عثمان.

---

1) برهان غليون، **نقد السياسة الدولة والدين**، بيروت 1991، ص 11.

عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، بيروت 1988، ص 56.

Georges Burdeau, **L'Etat**, Paris 1970, p. 25.

2) Bertrand Badie, **Les deux Etats Pouvoir et Société en Occident et en Terre d'Islam**, Paris, 1986, p25.

3) Djaït (H), **Idem**, pp. 86-96

4) Djaït (H), **Idem**, pp. 86-96

5) Djaït (H), **Idem**, pp. 88 et 141-155.

وسعى معاوية لتطبيق المبدأ القرآني القصاص لوليّه عثمان الخليفة المظلوم. وكان معاوية يستند على القوّة العسكريّة لمقاتلة الشام [1]. فشلت المفاوضات بين علي ومعاوية واندلعت بينهما حرب صفّين التي انتهت بالتّحكيم بعد أن أشرف الفريقان على الاستئصال وتمكّن عمرو بن العاص صاحب معاوية من خدع أبي موسى الأشعري صاحب عليّ بإعلانه عدم عزل صاحبه معاوية وليّ الإمام المظلوم. بينما طالب أبو موسى الأشعري بعزل علي ومعاوية [2].

إنّ هذا الانتصار "المعنوي" لمعاوية سيكسبه طموحا سياسيّا أكبر فيما بعد للتحصّل على السلطة. فقد سيطر على مصر لتوسيع مجاله الجغرافي سنة 38 هـ [3]. كما حاول معاوية أن يجلب أهل البصرة إليه لكنّه فشل [4]. لكنّ قتل الخوارج لعليّ سنة 40 هـ، وعجز الحسن بن علي عن تولّي الأمور أفسح المجال واسعا لمعاوية [5]. فقد طلب الحسن من معاوية أن يتولّى الحكم أو يصالحه وبايعه سنة إحدى وأربعين أو سنة الجماعة. بينما بايعه أهل الشام بعدما تفرّق الحكمان وكانوا قد بايعوه على الطّلب بدم عثمان [6].

وتمكّن معاوية بفضل الظروف الجديدة وغلبة الجانب السياسي في الإسلام وكبر طموحه ودهائه من تأسيس دولة جديدة.

وعلى هذا الأساس، إنّ موضوع هذا الكتاب يتمثّل في دراسة الدولة الأمويّة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لقد سعينا من خلال هذه الدراسة إلى إبراز ما أتت به الدولة الأمويّة من جديد على مستوى المؤسّسات بما فيها الدواوين والقضاء، وكذلك على المستوى الإيديولوجي والاجتماعي، وبالتالي فإنّنا تدرّجنا من مستوى الشكل الخارجي للدولة إلى الأفكار المرتكزة عليها. ويطرح موضوع هذا البحث العديد من الإشكاليّات أوّلها كيف طوّر الأمويّون الدنيوي في الحكم شكلا (كالإبعاد بين الخليفة

---

1) Djaït (H), **Idem**, p. 255.

2) Djaït (H), **Idem**, pp. 280-281.

3) Djaït (H), **Idem**, p. 313

4) الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، القاهرة 1979، ج 5، ص 110- 113.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 143- 152.

6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 160-324.

والناس أو التشريفات واستعمال العصا والخاتم والسرير وتاج الملك) ومضمونا (الأسروية في الحكم).

ثم أبرزنا كيف ركّز الأمويّون الاسلام عنصرا أساسيّا مرتبطا بالدولة. لأنّ الدولة الأمويّة هي دولة إسلامية ارتكزت على دولة الرسول وإيديولوجيا حيث وظّف الأمويّون الإسلام لخدمة مصالحهم السياسيّة. ولتحقيق هذا الهدف فإنّنا اتبعنا التخطيط الموالي : سنتناول بالدرس في القسم الأوّل فصلا أوّل متعلّقا بمؤسّسات الدولة الأمويّة وفصلا ثانيا يهتمّ بمظاهر "السلطة الجديدة". يخصّ هذان الفصلان عاصمة الخلافة دمشق والولايات الأمويّة. فكلّ منهما لديه خصائص مختلفة سواء بين عاصمة الخلافة والولايات أو بين الولايات نفسها. ويهتمّ القسم الثّاني بدراسة المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة للدولة الأمويّة.

الدولة الأموية

مؤسّساتها ومظاهر السلطة

مؤسّسات الدولة الأمويّة

تمهيد

شهد العهد الأموي، لاسيّما الفترة الممتدة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، تطوّر الدولة الإسلامية مجاليّا بتوسعها وامتدادها نتيجة الانتشار الاسلامي، وتنظيميّا بتطوّر مؤسّساتها التي كانت بسيطة في العهد الراشدي ثم توجهت نحو التعدّد والتعقيد.

فمن أهمّ ما سجلّه هذا العهد تدعّم مؤسّسة الخلافة التي تُعدّ ابتداعا اسلاميّا وظهور مؤسّسات جديدة ستندرج بدورها نحو التطوّر والاكتمال الذي سيحصل في العهد العبّاسي، ومنها مؤسسة الوزارة والولاية وقيادة الجيش والقضاء. وقد تراوح الأمويّون في عمليّتهم التنظيمية للدولة بين الموروث البيزنطي والفارسي والتجديد الاسلامي. فما هي تجليات ذلك ؟

شهدت الفترة الأمويّة وسيما الممتدّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تطوّرا لمؤسّسات الدولة الفتيّة. وقد برزت هذه الأخيرة منذ عهد الانتشار الإسلامي وتطورت تدريجيّا لتصبح أكثر صلابة وتكاملا. فكانت الفترة الأمويّة منطلقا لظهور مؤسّسات جديدة، كمؤسّسة الوزارة، التي ستتجلّى في العهد العبّاسي. لكنّ الفترة الأمويّة شهدت تقوّي العديد من المؤسّسات الأساسية كالخلافة ومنصب ولاية الولايات ومنصب القاضي ومنصب قائد الجيش. وقد تأثّر الأمويّون في إنشاءهم أو تطويرهم لبعض المؤسّسات بالطابع البيزنطي أو الفارسي بينما حافظت بعض المؤسّسات على الطابع الإسلامي. فكيف تطوّرت المؤسّسات حسب المصادر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك؟

1- مؤسّسة الخلافة

أنشأت مؤسّسة الخلافة بعد موت الرسول حيث خلفه أحد صحابته المقرّبين وهو أبو بكر الصّدّيق [1]، فأكمل ما بدأه النبيّ وواصل سياسته المتمثّلة في نشر

1) إنّ هذه الوراثة نسبية لأنّ الخلفاء الأوائل قاموا بإتمام أعمال الرسول على المستوى العسكري والسياسي والديني لكن مهمته كرسول ونبي انتهت بما أنّه أكمل الرّسالة التي بعث من أجلها.

الإسلام والمبادئ القرآنية. فقضى الخليفة أبو بكر الصدّيق على حركات الردّة وبدأ عمليّة الانتشار في شمال الجزيرة العربيّة [1].

وعلى هذا الأساس، فقد كان الخليفة قائد الجهاد سواء جهاد المرتدّين أو جهاد الكفّار. كما اهتمّ الخلفاء الأوائل بالعلاقات الاجتماعيّة، فنظّم الخليفة عمر بن الخطّاب علاقات الميراث وعمليّة القصاص. فكان بذلك بمثابة أعلى سلطة قضائيّة في الأمّة [2]. كما كان الخليفة يعدّ أيضا أعلى سلطة دينية فهو الإمام الذي يؤمّ الناس في الصلاة (صلاة الجمعة) ويسهر على تركيز الإسلام ونشره. ولعلّه من هذا المنطلق دوّن الخليفة عثمان بن عفّان القرآن. وبالإضافة إلى ذلك فقد كان الخليفة يشرف على التنظيم المالي [3] بإنشاء دواوين مختصّة (ديوان الجند...)

هذه الوظائف والمؤسّسات الأولّية للدولة ورثها الأمويّون، لكنّهم أحدثوا عليها تغييرات خصوصا على مؤسّسة الخلافة وذلك منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

أدخل الأمويّون طابع الملك علي الطريقة الفارسيّة والبيزنطيّة. حيث أحدث الأمويّون الحكم السّلالي الأسروي فقطعوا مع الماضي السياسي "الاسلامي" أو الذي "أسّسه" الخلفاء الأوائل وهو يتمثّل في الاستخلاف حسب السّابقة والقدمة في الإسلام. فحصر الأمويّون السّلطة داخل أسرتهم (السفيانيّون ثم المروانيّون) وقطعوا أيضا مع الماضي السياسي "الجاهلي" في قريش الذي يُنتخب ضمن أسنّ وأشرف شخص في القبيلة. (انظر القسم الثاني من هذا الكتاب ماهية الحكم). وعلى هذا الأساس نقل الأمويّون مؤسّسة الخلافة إلى عاصمة جديدة كانت عاصمة ولاية الشام لدى معاوية وهي دمشق. كما ارتبط تطوّر مؤسّسة الخلافة بتطوّر مؤسّسات أخرى وهي الدواوين.

---

1) **E.I²**, tIII, *Khalifat*, Leiden & Brill, 1978.
Watt Montgomry, **Islamic Political Thought the basis Concepts,** Edinburg 1968, p 41.

2) Rosenthal, E.I J, **Political Thought in Medieval Islam an Introductory outline,** Cambridge 1968, p 26.

3) **E.I²**, tIII, *Khalifat*.
Watt, **Idem**, p 42.

2- الدواوين

(أ) دواوين عاصمة الخلافة

تعتبر الدواوين من حيث الأهميّة ثاني مؤسّسة في الدولة الأمويّة. إنّ الديوان هو الدّفتر الذي يكتب فيه أسماء المقاتلة وأهل العطاء. وأوّل من دوّن الديوان الخليفة عمر بن الخطّاب [1]. لكنّ الأمويّون أحدثوا دواوين أخرى كديوان الخراج وديوان الرسائل وديوان الخاتم وديوان البريد وديوان الطراز إلى آخره غير ديوان العطاء يظلّ أهمّها.

✓ **ديوان الجند أو ديوان العطاء**

يعتبر هذا الديوان تواصلا لديوان الخليفة عمر بن الخطّاب. فقد أسّس هذا الأخير، حسب ما تذكره المصادر، أوّل ديوان في الإسلام [2] وذلك لتنظيم العطاء وتدوين المقاتلة وهيكلة بيت المال بعد حركة الانتشار التي عرفتها الدولة الإسلامية في تلك الفترة وقد تأثّر عمر في ذلك بالفرس [3]. شمل ديوان الجند عهد هذا النّخبة الإسلامية بالمدينة (من مهاجرين وأنصار) ومقاتلة الشام والعراق المرتّبين حسب الأسبقيّة في الجهاد مبتدئا بأهل بدر. على هذا الأساس، فإنّ ديوان عمر كان موجودا بعاصمة الخلافة وبالأمصار وخاصّة العراق. وقد ذكر في هذا الديوان مع أسماء المقاتلة الأعطيات والأرزاق التي يتلقّاها كلّ واحد منهم. وتكوّنت لجنة متركّبة من ثلاثة نسّابين سجّلوا الناس حسب انتماءاتهم القبليّة وحسب قرابتهم من الرسول وكذلك حسب شرفهم الإسلامي. وتواصل هذا التنظيم في العهد الأموي حيث ذكر ابن عبد الحكم أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان جعل على كلّ قبيلة من قبائل العرب رجلا يدور على المجالس فيقول : "هل ولد الليلة فيكم مولود؟ وهل نزل بكم نازل؟ فيقال لفلان غلام ولفلان جارية فيقول : سمّوهم فيكتب. ويقال نزل بها رجل من أهل اليمن بعياله فيسمّونه وعياله. فإذا فرغ من القبائل كلّها أتى الديوان" [4].

---

1) الجهشياري، **كتاب الوزراء والكتّاب**، القاهرة 1938، ص 12.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 209.
2) البلاذري، **فتوح البلدان**، بيروت 1987، ص 459.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 613.
3) انظر العطاء من عنصر التنظيم العسكري **E.I², tII, *Diwan***.
4) ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، ليدن 1920، ص 102.

لا تسعفنا المصادربمعلومات هامّة وضافية حول تطوّر هذا الديوان في العهد الأموي خاصّة في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي لا يبدو أنّه أعاد تنظيم هذا الديوان أو غيّر فيه شيئا. في المقابل يذكر اليعقوبي أنّ الخليفة عبد الملك قد أحصى أهل الديوان وألغى منهم عشرين ألف شخص الذين ربّما كانوا قد ماتوا فيؤكد ذلك أنّ عمليّة إعادة ترتيب الديوان قد حصلت فعلا في العهد الأموي ولكن في العهد المرواني منه.

✓ **ديوان الخراج**

لا يقلّ هذا الديوان أهميّة عن ديوان العطاء. وقد أبقى الخليفة عمر بن الخطّاب ديوان الخراج بالشام باللغة اليونانية كما كان في العهد البيزنطي [1]. وتتمثّل مهمّة هذا الديوان في جمع ضريبة الخراج والجزية. والخراج هو الضريبة التي يدفعها أهل الذمّة من اليهود والنصارى على أراضيهم مقابل حماية الدولة الإسلامية لهم. وأصبح ديوان الخراج بدمشق أو الديوان المركزي يسمّى "بالديوان" في العهد الأموي نظرا لأهميته [2].

ذكرت المصادر تنظيم الخلفاء السفيانيين لديوان الخراج بدمشق. فقد بقي مثلا يستعمل اللغة اليونانية إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان الذي عرّب ديوان الشام [3]. وقد كلّف الخليفة عبد الملك أبو ثابت سليمان ابن سعد كاتب الرسائل بهذا العمل [4].

ولم تذكر المصادر أين تولّى سليمان بن سعد كتابة الرسائل. لكن من الأرجح أنّه تولّى هذه المهمّة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان وعرّب الدواوين سنة 81 هـ. وقد كافأ الخليفة بإعطائه خراج الأردن لسنة ليقوم بهذه المهمّة.

---

1) **E.I²**, tII, *Diwan*.

Georges Ostrogorsky, **Histoire de l'Etat Byzantin**, Paris 1983, p 67.

2) **E.I²**, tII, *Diwan*.

3) البلاذري، فتوح، ص 271-272.

يوليوس فلهاوزن، **تاريخ الدولة العربيّة**، القاهرة 1958، ص 212.

4) المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزيّة**، بيروت د.ت، ج1، ص 98.

ابن عبد ربّه، **العقد الفريد**، بيروت 1965، ج 4، ص 399.

وهو ما يُعبّر على رغبة جامحة من الخليفة عبد الملك للتحرّر من التبعيّة للكتّاب الرّوم الماسكين لهذا الديوان. إنّ البلاذري ذكر حادثة بسيطة تدخل في إطار القصص لكنّها معبّرة على إرادة الخليفة عبد الملك بن مروان الذي يريد أن يضمن الاستقلال عن التبعيّة البيزنطيّة (أي حذق كتّاب الروم للحساب). فعرّب الخليفة عبد الملك بن مروان الدواوين وأسّس ديوان الخراج بعاصمة الخلافة الأمويّة بدافع تركيز العروبة والإسلام تجاه بيزنطة "معقل الكفر" وهو نوع من "الجهاد" لتأكيد الهويّة العربيّة الإسلامية لبلاد الشام على حساب أهل الذمّة.

لعلّ عدم اهتمام الخلفاء السفيانيّين ثم الخليفة مروان بن الحكم بإعادة تنظيم الدواوين مردّه ما كان لديهم من مشاغل، من بينها تركيز الحكم الأموي بالقضاء على الثورات. كما أنّهم لم يكتسبوا الإمكانيات التقنية والبشرية للقيام بهذا الإنجاز الضخم. لكن يبدو أنّ هذه الإمكانيات توفّرت في فترة لاحقة ومكّنت الخليفة عبد الملك بن مروان من تحقيق غرضه السياسي والإيديولوجي.

وقد ذكر الطبري أنّ كاتبا كان يعمل في دواوين الأمويّين بعاصمة الخلافة الأمويّة قال عن ديوان الخليفة هشام بن عبد الملك "لم ير ديوانا أصحّ ولا أصلح للعامّة والسلطان من ديوان هشام" [1]. وهذا يدلّ على أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك أحسن تنظيم ديوان الخراج بعاصمة الخلافة وكان يحسن الإدارة المالية ومراقبة سير عمل الديوان المركزي. فقد بلغ ديوان الخراج بعاصمة الخلافة الأمويّة في عهده مرحلة النضج وبذلك خلّف الأمويّون للعبّاسيين ديوانا قويّا.

إنّ اهمّ التحويرات وأهمّ تطوّر حصل لديوان الخراج قد كان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان فلعلّه السبب الذي جعل المصادر تركزّ عليه ولا تمدّنا بمعلومات حول جهود بقيّة الخلفاء خصوصا السفيانيّين، على أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان قد ركّز الهوية العربيّة لهذا الديوان. لكنّنا لا نعرف مدى تطوير الخلفاء الأمويّين لمركزة هذا الديوان.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 203.
البلاذري، أنساب الأشراف، ج 6، القسم 2، أورشليم القدس 1993، ص 41- 53.

فهل ينطبق هذا الاستنتاج على ديوان الرسائل؟

✓ **ديوان الرسائل**

إنّ ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة الأمويّة هو ميراث لديوان الرسائل البيزنطي. فقد ركّز البيزنطيون بالشام مؤسّساتهم ودواوينهم الموجودة بالقسطنطينيّة [1]. وقد ظهرت معالم هذا الديوان بصفة واضحة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وربّما هو الذي أسّسه حسب بعض الباحثين [2]. وليس لدينا معلومات مفصّلة عن كيفية سير هذا الديوان في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلاّ في مصدر واحد وهو المسعودي. فقد بيّن هذا المؤرخ أنّ الخليفة كان يشرف مباشرة على أمور الدولة بواسطة الكاتب (أي الكاتب على ديوان الرسائل) حيث ترفع لمعاوية أربعين حاجة أو رسالة يردّ معاوية على صاحبها شفاهيّا ويقوم الكاتب بتدوينها [3]. وقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان الجالس على السرير وأجلس كتّابه حذوه حتّى يسمعوا ما يأمر به [4]. فقد حمل زياد مولى عبد الله بن أذينة الحارثي (وهو كاتب) كتبا لكاتب الخليفة معاوية بن أبي سفيان واستفسره هذا الأخير عندما رآه عن هويّته ثم حذّر كاتبه من استعمال شخص "هشّ الولاء" للخليفة وبالتالي تسهل خيانته له [5].

على هذا الأساس، فقد ظهرت شريحة إدارية من الكتّاب أو نواة "بيروقراطية" تكرّس سيطرة الخليفة معاوية على دواليب الدولة. فالكاتب هو عبارة عن موظّف خاص يرتبط بالخليفة مباشرة وذلك قبل بروز خطة الوزير في العهد العبّاسي [6] ممّا يضفي على هذه الوظيفة خطورة تبرزها الرواية التي يذكرها البلاذري. وقد كان معاوية بن أبي سفيان نفسه كاتب وحي الرسول وفي آن واحد كاتب أموره الدنيوية أو

---

1) Louis Bréhier, **Les Institutions de l'Empire Byzantin,** Paris 1979 , T 1, p 83-89-90-98-108-115-117-129-140.

2) **E.I²,** tIII. *Diwan.*

Hawting (GR), **The First Dynasty of Islam** p 47.

3) المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت 1979، ج 3، ص 30.

4) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، القاهرة 1968، ج 1، ص 159.

5) البلاذري، **أنساب الأشراف**، بيروت 1979، القسم 4، ج 1، ص 63.

6) **E.I²,** tIV 2 *Katib.*

Dominique Sourdel, Le Vizirat Abbasside de 749 à 936 (132 à 324 de l'Hégire), Damas, 1959, T1, p41-61.

في الحوائج [1] كما كان الخليفة عبد الملك بن مروان يشرف إشرافا مباشرا على ديوان الرسائل مثل الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

فقد ذكر الجهشياري أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان عزل أحد كتّابه لأنّه قبل هديّة [2]. فقبول الهديّة هو حسب هذا الخليفة دناءة أو خيانة أو جهل مصطنع وسلب لهيبة السلطان واحتياطيا من الكاتب لم يلجأ الخليفة سليمان بن عبد الملك لصاحب ديوان الرسائل عندما كتب وصيّته الذي عهد فيها بولاية العهد لعمر بن عبد العزيز وليزيد بن عبد الملك من بعده. فلم يشرف على ذلك سوى رجاء بن حيوة الكندي وهو من أفراد حاشيته المقرّبين. وهو ما يؤكد خطورة وظيفة الكاتب فحرصا على السريّة والتكتّم قام الخليفة سليمان بن عبد الملك بكتابة العهد وختمه بنفسه حتّى لا يتفطّن أحدهم أنّه استخلف ابن عمّه عوض أخيه [3].

لكنّ يبقى مثال استثنائيا وتبقى الحاجة للكاتب قائمة. غير أنّ قد أحدث الخليفة عمر بن عبد العزيز عند تولّيه الخلافة أحدث تبسيطا للتعقيد المؤسّساتي لأسلافه حيث أملى على الكاتب كتابا واحدا لعمّاله بالبلدان ونسخت نسخ لهذا الكتاب أو الرسالة الأصليّة لكلّ عامل [4]. بينما كان الخلفاء الأمويّون قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز يوفّرون نسخا عديدة لكلّ كتاب. ويبعث لكلّ ولاية كتابا خاصّا بها هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، تبرز شدّة تمركز السلطة بيد الخليفة عمر بن عبد العزيز حيث أملى على الكاتب محتوى الرسالة ولم يترك له حريّة التصرّف. إنّ هذا الإجراء يرجع ربّما لإرادة الخليفة عمر بن عبد العزيز تغيير الأوضاع السائدة وتركيز سياسة ذات طابع إسلامي.

ومن بين التحويرات التي أدخلها عمر بن عبد العزيز أمره بعزل "المشركين" من العمّال أو الكتّاب في الجباية والكتابة لأنّهم "نجس وجند الشيطان" وعيّن عمّالا مسلمين [5]. فساهمت سياسته مساهمة فعّالة في "أسلمة" ديوان الرسائل والدواوين

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 179؛ الجهشياري، مصدر مذكور، ص 12؛ ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 161.
2) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 44.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 550-551.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 553.
5) ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، بيروت 1984، ص 140.

بصفة عامّة. كما كان الخليفة عمر بن عبد العزيز يشرف إشرافا مباشرا على ديوان الرسائل مثل بقية الخلفاء الأمويّين [1].

واصل الخليفة يزيد بن عبد الملك طريقة التبسيط المؤسّساتي فقد كان يكتب رسائله شخصيا في بعض الظروف الاستثنائية التي تعرض لها. مثل تجرّأ والي المدينة ومكّة عبد الرحمن بن الضحاك بن قيس الفهري على فاطمة ابنة الحسين حيث ساومها إذا لم تقبل به كزوج وعندما سمع الخليفة يزيد بالخبر كتب أمرا مستعجلا لمعاقبته عقابا صارما على فعلته [2]. إنّ خطورة هذا الموقف أي إساءة هذا العامل لإحدى حفيدات الرسول وما لهذا التصرّف من نتائج وخيمة على الدولة الأمويّة (تهديد شرعيّتها التاريخيّة المنقوصة) نظرا للرمزيّة العالية لهذه المرأة أدّى لإسراعه في كتابة الكتاب بنفسه مخترقا العادات التي سنّها الخلفاء الأمويّون.

إنّ هذه الحالة استثنائية لا يمكن تعميمها على كامل فترة الخليفة يزيد بن عبد الملك بل تحصل في بعض الحالات الاستثنائية التي تواجه الخلفاء مثل كتابة الخليفة هشام بن عبد الملك بنفسه كتابا ليوسف بن عمر والي اليمن من قبله عندما قرّر عزل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبَله [3] وذلك لأنّ كاتبه وصاحب ديوان رسائله، سالم بن عبد الرحمّان كان صديقا لخالد القسري.

وبلغ ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة الأمويّة "مرحلة النضج" في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد ذكر أحد الكتّاب أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك "كان أشدّ الخلفاء الأمويّين نظرا في أمر الكتّاب ودواوينه ولا أشدّ مبالغة في الفحص عنهم من هشام" [4].

فكلمة "دواوينه" تدلّ على أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك يشرف إشرافا مباشرا ودقيقا أي كلّ الدواوين بعاصمة الخلافة ومن ضمنها ديوان الرسائل. كما يدلّ ذلك على أنّ سلطة الخليفة هشام بن عبد الملك شديدة التمركز. كما عمل هذا الخليفة على التخلّص النهائي من عادة الاعتماد على النصارى في الكتبة فأمر أن لا يستعان بذميّ

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 571.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 53.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 13.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 147-148.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 82.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 203.

في الكتابة أو الدواوين [1]. فركّز أكثر حركة الأسلمة والتّعريب للدواوين ومن بينها ديوان الرسائل. ويكون بذلك قد واصل سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان.

نستنتج تطوّر ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة الأمويّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد هشام بن عبد الملك. فقد أسّس الخليفة معاوية بن أبي سفيان نواة ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة وتوسّع هذا الديوان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى أن أصبح ديوانا قويّا وشديد التنظيم في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ممّا سيدفع بالعبّاسيّين لنقل هذا الديوان بحذافيره. كما استفاد الخلفاء الأمويّون من التّجربة البيزنطيّة في تنظيمهم لديوان الرسائل بعاصمة الخلافة لكنّهم أكّدوا الهويّة العربيّة الإسلامية لهذا الديوان.

عيّن الخلفاء الأمويّون كتّابا على هذا الديوان اعتمادا على الصفات التي يتمتّعون بها. فقد أشار الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان على الخليفة عبد الملك بن مروان أن يتّخذ محمّد بن يزيد الأنصاري كاتبا له لأنّه يتصّف بصفات معيّنة كالأمانة والعقل وهو وديعا ومسلما وكتوما. فأمر الخليفة الحجّاج أن يبعثه له فاتّخذه عبد الملك كاتبا له [2]. كما كان خليفة سالم بن عبد الرحمن بشير بن أبي ثلجة فطنا [3]. بالإضافة إلى الصفات يجب أن يتلقى الكاتب الرسائل بعاصمة الخلافة تكوينا معيّنا. كأن يتفقّه في الدين فيبدأ بعلم القرآن والفرائض والسنّة النبويّة. ثمّ يتقن العربيّة ويجيد الخطّ ويروي الأشعار ويعرف معانيها وأيّام العرب والعجم ويتقن الحساب [4].

فقد دخل سالم مولى عنبسة بن عبد الملك الديوان أيّام الخليفة عبد الملك بن مروان ليتعلّم القواعد الديوانية [5].

فهذا التكوين إضافة لفصاحته وبلاغته، سيمكّنه من تبوّء منصب كاتب ديوان الرسائل لدى الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125 هـ / 724-743 م) [6].

---

1) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 60.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 414-415.
3) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 62.
4) E.I², tIV 2 *Katib*.
5) إحسان عبّاس، **عبد الحميد بن يحيى الكاتب وما تبقّى من رسائله ورسائل سالم أبي العلاء**، عمّان، 1988، ص 55.
6) ابن النديم، **الفهرست**، بيروت 1978، ص 171.

إنّ اكتساب كاتب لكفاءات معيّنة وتكوين صلب من العوامل دفعت الخلفاء الأمويّين لجمع العديد من الوظائف لهم. فقد كان سرجون بن منصور الرّومي كاتب ديوان الرسائل وكاتب ديوان الخراج ومستشار الخليفة معاوية بن أبي سفيان والخليفة يزيد بن معاوية. كما كان قبيصة بن ذؤيب الخزاعي صاحب ديوان الرسائل وديوان الخاتم والسكّة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان. ومنع قبيصة الخليفة عبد الملك من توليه ابنيه العهد وخلع أخيه عبد العزيز فاستجاب الخليفة لنصيحة قبيصة [1] فقام بدور المستشار. وكان أبو الزعيزعة كاتب ديوان الرسائل وقائد الحرس لدى الخليفة عبد الملك بن مروان [2]. كما كان محمّد بن يزيد الأنصاري كاتب ديوان الرسائل لدى الخليفة عبد الملك بن مروان مقرّبا من الخليفة حيث لم يكن يأتيه كتاب إلاّ دفعه له ولا يستر شيئا إلاّ أخبره به وكتمه الناس ولا يكتب إلى عامل من عمّاله إلاّ أعلمه [3].

وكان صالح بن جبير الهمداني الكاتب على ديوان الخراج وديوان الرسائل وديوان الجند من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك [4]. وكان سالم أبي العلاء كاتب ديوان الرسائل لدى الخليفة هشام بن عبد الملك يقرأ الكتب للخليفة [5]. وكان هشام يكلّف سالما بإنجاز كثير من الأمور إلى جانب الكتابة. فقد أمر الخليفة هشام سالما أن يطلب من ابن شهاب الزهري أن يكتب حديثه لولد هشام [6]. وكان سالم موضع سرّ الخليفة وكان يلعب دور الوساطة بينه وبين الناس أن يرفع إليه حوائجهم [7]. إنّ هذه المكانة التي بلغها سالم دفعته إلى اتّخاذ مظاهر الأبّهة على شاكلة الخليفة فأصبح يمشي في موكب وكان كثير الحرّاس ولديه حاجب. فزجره الخليفة هشام بن عبد الملك حتّى لا يرجع إلى عادة المشي في موكب. إنّ سالم أصبح مغرورا نظرا للمنزلة التي بلغها لدى الخليفة هشام بن عبد الملك فكان كأنّه هو الذي أمّر هشاما [8].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 412- 416.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 34.
2) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 335.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 415.
4) ابن خيّاط، **تاريخ**، ص 262.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 441.
5) الكندي، **ولاة مصر**، بيروت د.ت، ص 102.
6) إحسان عبّاس، **مرجع مذكور**، ص 29.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 166-202.
8) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 202 .
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 27.
ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 57.

لقد تطوّرت منزلة كاتب ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة الأمويّة لدى الخلفاء من عهد معاوية بن أبي سفيان إلى أن أصبح في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يلعب دورا سياسيا ولم يتوقّف دور سالم أبو العلاء على هذا الحدّ بل تجاوزه إلى أكبر من ذلك [1]. فقد لعب سالم أيضا دورا ثقافيّا وحضاريّا حيث نقل رسائل أرسطاطاليس للإسكندر [2] إلى اللغة العربيّة أو أنّها نقلت له ونقّح هو النصّ وأصلحه. ولعلّه ما يشير إلى أنّ سالم كان من أوائل من قاموا بحركة التّرجمة [3]. بالإضافة إلى ذلك فإنّ سالم ساعد صهره عبد الحميد بن يحيى مولى العلاء بن وهب العامري بأن عيّنه لمعاونته بديوان الرسائل وذلك قبل تعيين بشير بن أبي دلجة في هذا المنصب [4].

وكان سالم أستاذ عبد الحميد [5]. وقد مكّن سالم عبد الحميد من الارتقاء في وظيفته إلى أن بلغ رتبة كاتب لمروان بن محمّد والي أرمينيّة وأذربيجان وآخر خليفة أموي. كما سيصبح عبد الحميد "وزير" الخليفة مروان بن محمّد بما أنّه سيشير عليه في الكثير من الأمور[6]. فقد أصبح هذا الكاتب "يتقلّد التدبير وسياسة الملك" [7]. كما أنّ عبد الحميد وضع أسّس النّثر الديواني العربي [8]. إنّ سالم وعبد الحميد هيّئا نشأة وظيفة الوزير التي ستتبلوّر في العهد العبّاسي وبالتالي مهّدا للدور السياسي للكاتب في العهد العبّاسي. فقد أصبح الكتّاب جزءا من المشروع السلطوي المسيطر يرتفعون بارتفاعه وينقضون بانقضائه فهم جزء من "البنية التنظيمية" للسلطة أو لسان لها وليسوا موظفين عاديين [9].

---

1) E.J², tIV2 *Katib*.

2) ابن النديم، **مصدر مذكور**، ص 171.

3) إحسان عبّاس، **مرجع مذكور**، ص 31.

4) إحسان عبّاس، **مرجع مذكور**، ص 32.

5) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 57.

6) إحسان عبّاس، **مرجع مذكور**، ص 42.

7) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 160.

8) إحسان عبّاس، **مرجع مذكور**، ص 59-100.

9) رضوان السيد، *الكاتب والسلطان دراسة في ظهور كاتب الديوان في الدولة الإسلامية*"، **الاجتهاد**، العدد 4، صيف 1989، ص 13 إلى ص 51.

إنّ كاتب الرسائل إذن هو الكاتب السّياسي أو الشخصي بينما الكتّاب الآخرون هم فنّيون. بالإضافة إلى وظائف كتّاب ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة، فإنّ المصادر ذكرت أنّ الكتّاب بصفة عامّة كانوا يتلقّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أرزاقا ما بين الثلاثمائة درهم وما دونها [1].

إنّ هذا الخبر يوحي باستقرار قيمة أرزاق كتّاب ديوان الرسائل بعاصمة الخلافة في تلك الفترة. إنّ هذا الرقم أي مرتّب أو رزق الكاتب الذي ذكره الطبري هامّ نسبيّا. بالإضافة إلى ذلك، ذكرت المصادر الانتماء القبلي لكتّاب ديوان الرسائل لدى الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

يبدو أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان "كان أوّل من استكتب النصارى" باتّخاذه لسرجون بن منصور الرومي ككاتب له على ديوان الرسائل لعاصمة الخلافة [2]. كما استعمل الخليفة سليمان بن عبد الملك كاتبا نصرانيّا على ديوان الرسائل وهو ابن بطريق [3]. ويرجع استعمال الكتّاب من النصارى لتجربتهم في الإدارة البيزنطيّة. لكنّ حركة الأسلمة والتعريب التي تركّزت منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان دفعت بالخلفاء الأمويّين لتوظيف الموالي وهم أربعة عشر حسب الجداول أي أنّهم يمثلون أغلبية كتّاب ديوان الرسائل. ويعتبر بعض هؤلاء الموالي من أخلص الموظفين للأمويين وولاء لهم. فالعديد منهم قد أسلم على أيدي الخلفاء الأمويّين أو أقاربهم كأبي الزعيزعة كاتب ديوان الرسائل لدى الخليفة عبد الملك بن مروان وسالم مولى هشام بن عبد الملك أو مولى سعيد بن عبد الملك أو مولى عنبسة بن عبد الملك وهو كاتب ديوان الرسائل لدى الخليفة هشام بن عبد الملك.

ويتميّز هؤلاء الموالي بحذق فنّ الكتابة الديوانية نظرا لتجربتهم الطويلة في الإدارة البيزنطيّة [4].

وذكرت المصادر كتّابا لدى أولياء العهد. فقد كان ليزيد بن عبد الملك قبل أن يتولّى الخلافة كاتبا وكذلك الوليد بن يزيد. إنّ اتّخاذ أولياء العهد لكتّاب هو دليل على تطوّر الكتابة والدواوين وكذلك تطوّر مهمّة ولاية العهد خاصّة في عهد الخليفة عمر

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 8، ص 96.
2) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 276.
3) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 48.
4) E.I², tIV2. *Katib*.

بن عبد العزيز وفي عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ولم تذكر المصادر معلومات كثيرة عن كتّاب ديوان الرسائل للأمراء بأجناد الشام ما عدا معلومتين. فقد كان سليمان بن سليم بن كيسان مولى كليب من كتّاب أمراء دمشق [1]. وكان سليمان المشجعي (وهو ينتمي لقضاعة) كاتبا على ديوان الرسائل بفلسطين [2].

✓ **ديوان الخاتم**

إنّ الخاتم كوسيلة للمحافظة على سلامة وصحّة وثيقة معيّنة وُجد منذ عهد الفراعنة والآراميين. وقد نقل البيزنطيون هذه العادة عن هذه الشعوب. وذكرت المصادر أنّ الرسول اتّخذ خاتما كتب عليه محمّد رسول الله بعد أن أشير عليه أنّ الملك البيزنطي لا يقرأ كتابه إن لم يكن مختوما [3].

وتناقل هذا الخاتم الخلفاء الأوائل الذين كان لكلّ واحد منهم خاتم خاص به إلى أن أضاعه الخليفة عثمان بن عفّان في بئر أريس أو زمزم [4]. لكنّ ديوان الخاتم لم يكن موجودا في عهد الرسول والخلفاء الأوائل. ويبدو أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان أوّل من اتّخذ ديوان الخاتم بعد حادثة صغيرة حيث كتب لعمرو بن الزبير ألف درهم إلى زياد بن أبي سفيان. ففتح عمرو الكتاب وأضاف مائة ألف أخرى وتحاسب معاوية وزياد فتفطّن معاوية لهذه السرقة وحبس عمرو فدفع عنه أخوه عبد الله بن الزبير [5]. ومنذ هذه الحادثة كان الخليفة معاوية يحتفظ في ديوان الخاتم بنسخة بينما ترسل النسخة الأصلية لصاحبها وهذا لتجنّب التدليس. وهكذا فإنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد أسّس لإحدى رموز السلطة والحكم بتأسيسه لديوان الخاتم. ولم تذكر

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 6، ص279.
2) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 26.
3) **E.I²**, tIV2 *Khatam*.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 281.
E.I², tIV2. *Khatam*
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 330.
ابن خيّاط، **مصدر مذكور**، ص 173.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 240.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 24- 25.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 276.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 15.
* Hawting GR, **The First Dynasty of Islam**, p 63.

المصادر تطوير بقيّة الخلفاء من عهد يزيد بن معاوية إلى آخر عهد هشام بن عبد الملك لديوان الخاتم ما عدا بعض المعلومات المتفرّقة.

فقد كتب الخليفة سليمان بن عبد الملك وصيّته ودعا ابن أبي النّعيم صاحب الخاتم فختمها [1]. إنّ الخليفة سليمان ختم وصيّته لتبرير أصالتها وشرعيّتها نظرا لكونه استخلف ابن عمّه عمر بن عبد العزيز عوضا عن إخوته. وقد ذكرت المصادر أسماء كتّاب ديوان الخاتم لدى الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

فقد كان البعض منهم مقرّبا من الخلفاء الأمويّين وأساسا قبيصة بن ذؤيب الخزاعي الذي كان صاحب ديوان الخاتم لدى الخليفة عبد الملك بن مروان وكذلك صاحب بيت المال وصاحب السكّة بعاصمة الخلافة الأمويّة لدى نفس الخليفة [2]. وكان هذا الأخير "لا يحجب عنه قبيصة أيّ ساعة جاء من ليل أو نهار إذا كان خاليا أو لديه رجل واحد. وإن كان عند النساء يدخل للمجلس ويعلم الخليفة بمكانه كما كانت الأخبار تأتيه قبل الخليفة ويقرأ الكتب قبله ويقرأ الخليفة الكتاب أو الكتب إعظاما له" [3]. كان قبيصة بمنزلة المستشار أو "الوزير" للخليفة عبد الملك بن مروان. وقد مكّنته هذه المنزلة من الخليفة أن يطّلع على الكثير من الأمور. على هذا الأساس، فإنّ هذه الوظيفة تشبه وظيفة كاتب ديوان الرسائل.

أصبح الخليفة الأموي محاطا بالكثير من الكتّاب الذين يقومون بدور تقني وسياسي. وقد أجاد الموالي هذا الدور التقني نظرا لخدمتهم للإدارة البيزنطيّة ومثّلوا أغلبية كتّاب ديوان الخاتم. المهمّ أنّ الموالي تبوّؤوا مكانة هامّة لدى الخلفاء الأمويّين فهم لم يعينوا على ديوان الخاتم فقط بل ذكرت المصادر كاتبين على ديوان الخاتم الصغير بكير أبو الحجّاج صاحب ديوان الخاتم الصغير من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك وأبو الزبير مولى هشام بن عبد الملك صاحب أو كاتب ديوان الخاتم الصغير لدى هشام بن عبد الملك [4].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 547.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 412.
3) البلاذري، مصدر مذكور (مخطوط)، ج 1، ص 1160.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 547.
4) ابن خيّاط، مصدر مذكور، ص 287.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 441-445.

لكنّ ابن خيّاط وابن عبد ربّه لم يذكرا متى تأسّس هذا الديوان. بينما ذكر الطبري ديوان الخاتم الصغير في عهد الخليفة يزيد بن الوليد النّاقص [1]. فهل هذا يعني أنّ ديوان الخاتم الصغير أنشأ في عهد هذا الخليفة؟ كما أنّ المصادر لم تذكر وظائف هذا الديوان. فربّما قسّمت الوظائف بين ديوان الخاتم وديوان الخاتم الصغير نظرا لتعقّد دواليب الدولة. وبالفعل فقد تعقّد ديوان الخاتم من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بعاصمة الخلافة الأمويّة. وقد مهّد هذا التعقيد في ديوان الخاتم لتطوّر هذا الديوان في العهد العبّاسي. ويتّصل هذا الديوان منذ تأسيسه بالحضارات القديمة والامبراطورية البيزنطيّة لكنّه حافظ على طابع إسلامي وعربي. ومن الدواوين الأخرى التي نشأت في العهد الأموي وتدلّ على تطوّر وتعقد الإدارة حينها هي ديوان البريد.

✓ **ديوان البريد**

وضع البريد لحفظ المال وسرعة وصول الأخبار ومتجدّدات الأحوال. وكانت الخيل تنقل رسائل الخليفة أو رسله وماله من بين محطات فيها يتمّ تغيير الخيل. ولم تكن المسافة بين محطّة ومحطّة أو بين بريد وبريد شيئا ثابتا [2].

يُذكر أنّ الخلفاء الأوائل قد اتّبعوا هذا التقليد الساساني أو البيزنطي دون تغيير لمحتوى هذا الديوان [3]. بينما ينسب للخليفة معاوية بن أبي سفيان إنشاء ديوان البريد متأثّرا في ذلك بالبيزنطيّين [4]. وتتمثّل مهامّ ديوان البريد بعاصمة الخلافة في تلقّي جميع الكتب من جميع الولايات ثم تعرض تلك الكتب على الخليفة.

وينظر هذا الديوان في أمر الفُروانقيين والموقّعين والمرتبين في السكك وينظر في أرزاقهم [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 181-182.

2) **E.I², tI2.** *Barid.*

3) **E.I², tII.** *Idem.*

E.I², tII. *Diwan.*

4) **Louis Bréhier, Les Institutions de l'Empire Byzantin,** T. 1, p 264.

ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 13

السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 240.

5) * الفروانقيين ج فرانق وهو الحامل للخرائط والخرائط هي عبارة عن وعاء من آدم أو ديباج أو خزف أو ليف هندي أو خيش أو نحوها يشرج على ما فيه ويوضع في داخل هذه الخرائط كتب الولاة والعمّال أو الدراهم التي ترد على العاصمة أو غيرها. ورد في قدامة بن جعفر، **كتاب الخراج وصنعة الكتابة**، بغداد 1981، ص 50.

أورد قدامة بن جعفر هذا التعريف لمهامّ ديوان البريد استنادا على ديوان البريد بعاصمة الخلافة في العهد العبّاسي لكنّه ينطبق على ديوان البريد بعاصمة الخلافة الأمويّة نظرا لنقل العبّاسيّين هذا الديوان عن الأمويّين. ولم تذكر المصادر إلاّ معلومة واحدة عن البريد بعاصمة الخلافة في عهد معاوية بن أبي سفيان حيث أرسل الضحاك بن قيس الفهريّ البريد ليزيد بن معاوية بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان. فخرج البريد مسرعا إلى حُوّارين وأخبر يزيد [1].

وينسب للخليفة عبد الملك بن مروان إعادة تنظيم ديوان البريد بعد أن قضى على ثورة عبد الله بن الزبير [2]. وأبرد الخليفة عبد الملك بن مروان البريد للحجّاج يأمره بأن يطلّق ابنة عبد الله بن جعفر بن أبي طالب نظرا للعداوة الإيديولوجيّة القائمة بين بني أميّة وبني هاشم. فنفّذ الحجّاج ما أمره به الخليفة [3]. كان البريد وسيلة الخليفة عبد الملك بن مروان لتقريع الحجّاج عامله على العراق وخراسان وإجباره على احترام أحد عناصر سلطة الدولة الأمويّة. وأرسل الخليفة عبد الملك بن مروان جنود الشام على دوابّ البريد، (وهي أمداد عسكرية) للحجّاج بن يوسف حتّى يقضي على ثورة ابن الأشعث [4]. وكان البريد يأتي الخليفة عبد الملك بن مروان في كلّ يوم من الحجّاج بأخبار ثورة ابن الأشعث "أيّ كورة" نزل ومن أيّ كورة يرتحل وأيّ الناس إليه أسرع".

نستنتج أنّ البريد تطوّر في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بعاصمة الخلافة وولاية العراق بما أنّه كان ينقل إليه يوميّا أخبار هذه الثورة. كما أنّ دوابّ البريد

---

* الموقّعين جمع موقع وهو الذي يوقع الاسكدار إذا مرّ بوقت وروده وصدوره والاسكدار: هو المكان المخصص لحفظ الرسائل.

* السكك جمع سكّة وهو الموضع أو المكان يقيم فيه عمّال البريد من رباط وقبّة أو بيت أو نحو ذلك.

1) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 1، ص 81.
الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 328.
الجاحظ، كتاب البغال، بيروت 1991، ص 65.

2) E.I², tI2 *Barid*
E.I², tII2. *Diwan*
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 373.
الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 4، ص 9.

3) الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 15، ص 10.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 339.

كانت وسيلة الخليفة عبد الملك بن مروان لإرسال الأمداد العسكرية من الشام نظرا لسرعتها. وأرسل الخليفة يزيد بن عبد الملك بكتاب لوالي المدينة عبد الواحد بن عبد الله النضري ليعاقب عبد الرحمن بن الضحاك عقابا صارما ويغرمه لأنّه اجترأ على فاطمة بنت الحسين [1].

وأحضر البريد العصا والخاتم للخليفة الجديد هشام بن عبد الملك بالرصافة بعد وفاة يزيد بن عبد الملك [2]. إنّ البريد لا يحضر الكتب أو الرسائل فقط بل كذلك رموز الملكية والحكم.

وأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك لسعيد بن عمرو الحرشي وهو قائد عسكري حارب الترك بأرمينية أربعين دابّة من دوابّ البريد. ثم أرسل له كلّ يوم أربعين دابّة عليها أربعون رجلا [3]. إضافة إلى ذلك، فإنّ البريد كان وسيلة الخليفة هشام بن عبد الملك للتحصّل على الأخبار المتعلّقة بالولايات وأساسا سياسة والي خراسان. فقد عزل الخليفة هشام بن عبد الملك أسد بن عبد الله القسري عن ولاية خراسان بعد أن أخبرته عيونه أنّه متعصّب لليمن على حساب مضر وقيس وأفسد الناس بالعصبية [4]. ولم تذكر المصادر كتّاب ديوان البريد من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا رسولان للخليفة هشام بن عبد الملك على البريد وهما مولى أبي محمّد السفياني وجردبة [5] (لم تذكر المصادر ما هو انتماؤهما القبلي).

يبدو من خلال هذا الخبر أنّ أحد الرسولين من الموالي. ويرجع توظيف الموالي لإتقانهم لهذه المهمّات نظرا لخدمتهم في الإدارة البيزنطيّة. تأسّس ديوان البريد بعاصمة الخلافة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وأنيطت بعهدته مهامّ معيّنة كإخبار الخليفة الجديد بنعي أبيه وذلك منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه الخليفة يزيد بن معاوية. وقد تواصلت هذه العادة إلى آخر عهد خلافة هشام بن عبد الملك. وتطوّرت مهامّ ديوان البريد بعاصمة الخلافة في عهد الخليفة عبد الملك بن

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 13.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 25.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 124.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 70.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 49.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 215.

مروان. فكان ديوان البريد ينقل الأمداد العسكرية للحجّاج للقضاء على الثورات. كما كان الخليفة يبعث الأمداد العسكرية للثغور.

وتواصلت هذه العادة من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّ ديوان البريد بعاصمة الخلافة كان يبثّ العيون في كلّ الولايات حتّى ينقلوا للخليفة الأموي أخبار الولاة وسياستهم. وقد ظهرت هذه المهمّة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وتواصلت إلى آخر خلافة هشام بن عبد الملك.

لم تظهر مهامّ ديوان البريد بعاصمة الخلافة دفعة واحدة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بل ظهرت تدريجيّا إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وتأثّر الخلفاء الأمويّون فيها بالفرس والبيزنطيّين لكنّه أي ديوان البريد اكتسب هويّة عربيّة إسلامية أساسا من فترة الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر خلافة هشام بن عبد الملك. وسينقل العبّاسيّون هذا الديوان ويطوّرون مهامّه. لكنّ المصادر لم تذكر مدى تطوّر مركزة هذا الديوان.

✓ **ديوان الطراز**

يعتني هذا الديوان بصنع الملابس الرسمية والأعلام وبعض الأثاث وترسم أسماء الخلفاء على القماش من الحرير أو المخمّل أو الديباج بخيوط من ذهب أو ما يخالف لون الثوب من الخيوط الملوّنة من غير الذهب[1]. كما كان الخلفاء يقدمون هذه الثياب كهديّة لحاشيتهم ورجالهم المقرّبين. وهذه العادة قديمة ترجع إلى عهد الفراعنة الذين كانوا يمدّون رجالهم المخلصين بثياب مطروزة [2]. ويحتكر الطراز الخليفة الأموي كضرب النقود وكانت دار الطراز موجودة بالبلاط الأموي، وهي تصنع ثياب الخليفة وكان يشرف عليها موظّف يسمّى بصاحب الطراز، وهو مكلّف بمراقبة عمل النسّاجين وآلاتهم وحسن سير الأعمال كما كان يدفع إليهم مرتّباتهم.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، ج 6، القسم 2، ص 10.
ابن خلدون، المقدّمة، تونس 1984، ج 1، ص 325.
E.I², tII2 *Diwan*.
.**E.I²**, tIV2. *Tiraz*.
E.I², tIV2 *Tiraz*. (2

وكان الخلفاء يوظّفون على الطّراز أهل ثقتهم وأساسا الموالي. ولم تذكر المصادر إلاّ صاحب أو كاتب الطراز لدى الخليفة هشام بن عبد الملك وهو جنادة بن أبي خالد [1]. وعثر على اسم هذا الشخص على الثياب المصنوعة للخليفة هشام بن عبد الملك وهو بمثابة التوقيع [2]. ولم تذكر المصادر متى أسّس هذا الديوان. ويبدو أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان عرّب ديوان الطراز في إطار سياسته الرّامية لتحرير المؤسّسات الهامّة كديوان الخراج والنقود من التبعية للمؤسّسات البيزنطيّة والساسانية وتركيز الإسلام والعروبة [3].

وبلغ هذا الديوان أوج تطوّره في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث كثر صنع الثياب الملكيّة إلى درجة أنّ طرازه "كان يحمل على سبعمائة جمل" وكان لا يلبس إلاّ الجيّد من الأقمشة كالحرير [4]. والملابس فخمة متشبّها بالملوك البيزنطيّين الذين تشبهوا بدورهم بالفرس. كانت ألبسة الملوك البيزنطيّين تمثّل إحدى مظاهر العظمة الملكية والدينية البيزنطيّة أي أنّ الامبراطور البيزنطي كان حامي حمى المسيحية في المشرق. إنّ اللباس الملكي هو رمز للسلطة الملكية والدين المسيحي وفي نفس هذا الإطار فإنّ الخليفة الأموي كان يمثّل عظمة الملك الأموي بلباسه الفخم وفي نفس الوقت فهو يعطي لثوبه طابعا إسلاميّا وعربيّا باحتوائه على آيات من القرآن. إذن ورث الخلفاء الأمويّون هذا الديوان عن بيزنطة لكنّهم أكسبوه هوية عربيّة إسلامية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وبلغ هذا الديوان "مرحلة النضج" في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك لأنّه أصبح يرمز للملكية الأمويّة. وسينقل العبّاسيّون عنهم هذا الديوان ويطوّروه أكثر فأكثر. كما سينقل العبّاسيّون ديوان المستغلات عن الأمويّين.

- ✓ **ديوان المستغلّات**

أسسّ هذا الديوان الخليفة معاوية بن أبي سفيان [5]. وهو يختصّ في إدارة ممتلكات الدولة في المدن كالعقارات وخاصّة الأسواق التي تكرى للرعية [6]. ولم

---

1) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 60.
2) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 60.
3) E.I², tIV2 *Tiraz.*
4) مصعب الزبيري، مصدر مذكور، ص 164.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 6، القسم 2، ص 10.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 181.
6) E.I², tII *Diwan.*

تذكر المصادر كتّاب لهذا الديوان سوى الطبري الذي يُورد اسم كاتب للوليد بن عبد الملك، وهو نفيع بن ذؤيب مولاه [1]. وكغيره من الدواوين يبدو أنّه مستوحى أيضا من التقليد البيزنطي. لكنّ ندرة المعلومات بالمصادر تجعل دراسة هذا الديوان منقوصة في المقابل تذكر دواوين أخرى مثل ديوان الخاصّة الذي ظهر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك والذي اتّخذ له كاتبا أسلم على يده وهو اصطخر أبو الزبير [2].

ولم تذكر نفس هذه المصادر ما هي وظائف هذا الديوان. كما أنّها تتحدّث عن تأسيس ديوان النفقات في العهد الأموي دون أن تحدّد متى أسّس وكيف تطوّر ؟ ويبدو أنّه يعتني بمصاريف الدولة لذلك يرتبط ارتباطا وثيقا ببيت المال [3]. وذكر الجهشياري كاتب الخليفة سليمان بن عبد الملك على ديوان النفقات وهو عبد الله بن عمروبن الحارث ولم تذكر المصادر ما هو انتماؤه القبلي [4].

يمكننا القول أنّ الخلفاء الأمويّين قد ورثوا بعض الدواوين عن الفترة الإسلامية الأولى لكنّهم طوّروها وأحدثوا دواوين جديدة بعاصمة الخلافة منذ عهد معاوية بن أبي سفيان متأثّرين بالبيزنطيّين وبالفرس. لكن يبدو أنّ أهمّ تطوّر حصل لهذه الدواوين كان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان في مرحلة أولى ثم الخليفة هشام بن عبد الملك في مرحلة ثانية اللّذان أكسباها هوية عربيّة إسلامية بتعريبها واستعمال كتّاب من الموالي أو من العرب المسلمين عليها. وقد ساهمت هذه الدواوين في تكوين نخبة من الكتّاب سيطوّرون النثر الديواني العربي، وأكّدت مركزيّة السلطة ودعمّت دواليب الإدارة المركزيّة للدولة الإسلامية وهو موروث سيستخدمه العبّاسيّون في تأسيس وتنظيم دولتهم الجديدة. ومن الملاحظ أنّ تعقّد المؤسّسات لم يقتصر على عاصمة الخلافة بل شمل كذلك الولايات الأمويّة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 181.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 47.
2) ابن خياط، تاريخ، ص 287.
3) E.I², tII *Diwan*.
4) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 49.

(ب) دواوين الولايات الأمويّة

✓ ديوان الجند

تأسّس هذا الديوان في كلّ ولايات الامبراطورية الإسلامية منذ عهد الخليفة عمر بن الخطّاب، لكنّ الأمويّين أعادوا تنظيمه انطلاقا من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة الخليفة هشام بن عبد الملك. وتتمثل مهمّة هذا الديوان في تدوين أسماء المقاتلة وانتماءاتهم القبليّة (مقدار أعطياتهم وأرزاقهم). وذكرت المصادر أنّ زياد بن أبي سفيان نقل المقاتلة من البصرة إلى خراسان. ولا شكّ أنّه محى أسماءهم من الديوان [1]. لمّا أعاد زياد بن أبي سفيان تنظيم ديوان الجند بالبصرة.

وذكر الطبري أنّ والي خراسان من قبل الحجّاج المفضّل بن المهلّب بن أبي صفرة أراد القضاء على التّحالف القبلي بخراسان بقيادة موسى بن عبد الله بن خازم [2]. وقد كلّف الوالي قائد المقاتلة بأن ينادي أنّ من يلتحق بالمقاتلة يسجّل في الديوان، فهبّ إليه الناس. ولم يذكر الطبري إن كان الوالي أقنع العرب أم الإيرانيين المسلمين. وبما أنّه من الصعب أن نتصوّر عربيّا في خراسان غير مسجّل في الديوان لذا فإنّ هذا النداء يهدف إلى إقناع المسلمين من غير العرب للالتحاق بالمقاتلة والمساهمة في الجهاد [3]. فدوّن هذا الوالي الأموي هؤلاء الموالي في ديوان الجند بخراسان. كما ذكرت المصادر أيضا عمليّة تدوين المقاتلة بديوان الجند بمصر فكان أوّل تدوين تمّ على يد عمرو بن العاص والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان [4]. ثم أعاد تدوينه والي مصر الجديد وأخ الخليفة عبد الملك وهو عبد العزيز بن مروان.

وأعاد العمليّة ثالثة قرّة بن شريك العبسي والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 95 هـ [5]. دوّن بشر بن صفوان الكلبي والي مصر من قبل الخليفة

---

1) صالح أحمد العلي، **التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصادية في البصرة في القرن الأوّل الهجري**، بغداد 1953، ص 33.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 410.

إنّ هذا الأخير ثار ضدّ ولاة خراسان منذ عهد أميّة بن عبد الله والي خراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ولم يقضي على ثورته إلاّ المفضّل بن المهلّب.

3) محمد عبدالحي شعبان، **الثورة العبّاسية**، أبو ظبي، 1977، ص 118.

4) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 94.

5) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 94.

الكندي، **ولاة**، ص 86.

يزيد بن عبد الملك تدوينا رابعا حيث كتب هذا الوالي إلى الخليفة بعد أن رأى تفرّق قضاعة وتشتّتها بين القبائل أن يستخرج قضاعة من القبائل ويجعلهم دعوة منفردة فأذن له الخليفة. فأخرج مهرة من كندة وأخرج تنوخا من الأزد وأخرج آل كعب بن عدي التنوخي من قريش وأخرج جهينة من أهل الراية وأخرج خشينا من لخم فجعلهم مع سائر قضاعة دعوة منفردة [1].

إنّ حرص ولاة مصر على تنظيم ديوان الجند بصفة متتالية قد مكّنهم حسن تنظيمه ومن ضبط المقاتلة ومعرفة انتماءاتهم القبليّة كما مكّنهم من حسن التحكم في عمليّة توزيع الأعطيات وقد تمكّنوا من ذلك بفضل ما سنّه من عادة تجديد دفاتر ديوان الجند بمصر حيث جعل على كلّ قبيلة من قبائل العرب بهذه الولاية رجلا يدور كلّ يوم على المجالس فيقول : "هل ولد الليلة فيكم مولود وهل نزل بكم نازل فيقول ولد لفلان غلام ولفلان جارية فيكتب أسماءهم ويقال نزل بهم رجل من أهل كذا بعياله فيسمّيه وعياله".

ويسجّل هذا الموظف كلّ هذه المعلومات بالديوان [2]. ولعلّ ذلك يدلّ على أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان قد حرص على حسن سير الديوان بمراقبة التطوّر السكّاني والهجرات بمصر. وذكر ابن عبد الحكم صاحب ديوان الجند من قبل مسلمة بن مخلد والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان أنتناس وهو من أصل روميّ [3].

ولعلّ هذه المجهودات المتتالية لولاة مصر طيلة الفترة الأموية هي التي جرّت المصادر إلى الإطناب في الحديث على هذه المراحل التنظيميّة لديوان الجند بها في حين أنها بقيت شحيحة بالمعلومات حول دواوين الجند في بقيّة الولايات.

✓ **ديوان الخراج بالولايات**

o **ديوان الخراج بالعراق**

إنّ الولاة الأمويّين بالعراق حافظوا على ديوان الخراج سواء بالكوفة أو بالبصرة كما تركه الخليفة عمر بن الخطّاب بلغته الأصلية الفارسية. ويرجع هذا

---

1) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 94.
الكندي، **ولاة**، ص 92.
2) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 94.
3) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 98.

الإبقاء على التنظيم الفارسي لديوان الخراج بالعراق لضعف الإمكانيات البشرية والتقنية. لكن يبدو أنّ هذه الإمكانيات توفّرت في فترة لاحقة فدفعت الحجّاج بن يوسف الثقفي إلى تعريب هذا الديوان [1].

وذكر البلاذري [2] رواية حول أسباب تعريب ديوان العراق رغم ما يطغى عليها من منحى قصصي وهي تتمثّل في منافسة بين كاتب ديوان العراق زاذان فرّوخ بن بيري ومساعده صالح بن عبد الرحمن. تخوّف زاذان من علوّ شأن صالح لدى الحجّاج لا سيّما أنّه يتقن الكتابة بالفارسية والعربيّة. فخاصمه وادّعى أنّه الوحيد الذي يعرف الحساب فاغتاظ صالح وهدّد بتعريب الحساب. وقتل زاذان في ثورة بن الأشعث فعيّن الحجّاج صالحا الذي أخبره بما دار بينه وبين زاذان فقرّر الحجّاج تعريب الديوان. وكان هذا القرار مثيرا لغضب الفرس حيث عرض ابن زاذان على صالح مبلغ مائة ألف درهم حتّى يظهر العجز عن نقل الديوان ويمسك عن ذلك فأبى ونقله.

فيبدو تاريخ تعريب ديوان العراق كان حسب البلاذري قد كان بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث سنة 83 هـ بينما يقترح الجهشياري سنة 78 هـ. والأرجح أن نقبل التاريخ الأوّل الذي اقترحه البلاذري باعتبار أنّ توفّر الأمن، بعد القضاء على الثورات الكبرى التي اجتاحت العراق، هو شرط أساسي لتنظيم الدولة. كما عمل الحجّاج المعروف بروحه العربيّة القويّة أن يخلّص ديوان الخراج بالعراق من التبعية للفرس على مستوى اللغة والموظفين الذين أصبح دخولهم في الإسلام شرطا لتولّي هذا المنصب وتأكيد الهوية العربيّة الإسلامية لهذا الديوان وللدولة الأمويّة. ويتزامن تعريب الديوان بالعراق مع تعريب الديوان بدمشق عاصمة الخلافة الأمويّة والشام.

ولم تذكر المصادر كيف تطوّر ديوان الخراج بالعراق من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكنّ المصادر ذكرت أنّ بعض كتّاب ديوان الخراج بالعراق تبوّؤوا مكانة هامّة لدى ولاة العراق فكان لهم رأي

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 373.
المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 98.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 170.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 261.
Hawting (GR), **The First Dynasty of Islam**, p 63.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 300-301.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 38.

مسموع لديهم وقد أشار زاذان فرّوخ كاتب ديوان الخراج من قبل الحجّاج على هذا الأخير بتغيير عهد المهلّب بن أبي صفرة الأزدي من ولاية سجستان إلى ولاية خراسان بعد أن طلب المهلّب من زاذان ذلك فاستجاب الحجّاج لنصيحة كاتبه [1]. كما كان زاذان يلعب دور الوساطة بين الولاة والحجّاج. وكان مسموع الكلمة لدى الحجّاج رغم أنّه ينتمي للفرس. تمتّع صالح بن عبد الرحمن مولى بني تميم وكاتب الحجّاج أيضا بمكانة هامّة لدى هذا الوالي وحافظ على مكانته إلى حدود خلافة سليمان بن عبد الملك الذي أثبته على ديوان الخراج بالعراق.

وخرج صالح للقاء يزيد بن المهلّب عامل العراق على الحرب من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك وكان بين يديه أربعمائة رجل من أهل الشام وهو يمشي في موكب [2]. كما أنّه ضيّق الخناق على يزيد بن المهلّب فلم يتركه يمتلك أيّ شيء أو يتصرّف في الأموال بحريّة. وهذا ما دفع عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك يكيد له ويقتله [3]. تمتّع صالح بن عبد الرحمن بصلاحيات هامّة على المستوى المالي حتّى أنّ سلطته تجاوزت سلطة عامل الخراج رغم أنّه ينتمي لعنصر الموالي.

إنّ هذا الانتماء مكّنه من خدمة مصالح الدولة الأمويّة وليس مصالحه الخاصّة؟ وكان داود البربري وهو من الموالي يجمع ثلاثة وظائف لدى خالد بن عبد الله القسري الحجابة وديوان الرسائل وديوان الخراج [4]. وحسد يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك كاتبه وعامله على الخراج قحذم بن أبي سليم بن ذكوان مولى أبي بكرة لأنّ الخليفة هشام بن عبد الملك قرّبه منه [5]. فعزل يوسف قحذم وحبسه وطالبه بأموال هامّة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 320.
والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 524.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 24.
3) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 373.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 58.
4) ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 222.
5) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 65.

إذن تطوّرت منزلة كاتب ديوان الخراج بالعراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وأصبح الكاتب يلعب دورا سياسيّا إضافة للدور المالي الذي يقوم به حتّى أنّه كان ينافس الوالي.

وينتمي أغلب هؤلاء الكتّاب للموالي وهو اختيار قام به بعض الولاة مثل زياد بن أبي سفيان الذي كان يقول أنّه يحب أن يكون كتّاب الخراج من رؤساء الأعاجم العالمين بأمور الخراج والعارفين للحساب [1]. وكان هؤلاء الكتّاب يتلقّون ما بين الثلاثمائة درهم وما دونها[2]. إنّ ديوان الخراج بالعراق كان يحتلّ المرتبة الثانية بعد ديوان دمشق عاصمة الخلافة. فهو يتلقّى خراج منطقة حيوية بالنسبة إلى اللدولة الأمويّة. وهذا ما يجعل كتّابه ذوي سلطة سياسية ومالية ونفوذ كبير.

فهل عرف ديوان خراسان نفس التطوّر؟

- **ديوان الخراج بخراسان**

لم تذكر المصادر إلاّ تعريب ديوان الخراج بخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 124 هـ. كان ديوان الخراج بخراسان بالفارسية. كما كان أكثر كتّاب خراسان مجوس إلى عهد نصر بن سيّار الليثي والي خراسان من قبل يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان في عهد هشام بن عبد الملك. وأرسل يوسف بن عمر لنصر يأمره أن لا يستعين بأحد من أهل الشرك في أعماله وكتابته. فعرّب نصر الديوان حيث جعل الكتابة بالعربيّة. وكلّف بذلك إسحاق بن طليق الكاتب وهو رجل من بني نهشل[3].

أكمل الخليفة هشام بن عبد الملك في آخر عهده عمل الخليفة عبد الملك بن مروان لتركيز العروبة والإسلام والاستقلال عن التبعيّة للفرس وتأكيد الهوية العربيّة الإسلامية في ثغر مركزي للدولة الأمويّة.

ولم تذكر المصادر معلومات عن كتّاب ديوان الخراج بخراسان ما عدا معلومة واحدة عن الحسن بن شيخ وهو كاتب ديوان الخراج بمرو من قبل أسد بن عبد الله القسري والي خراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وهو الذي أخبر الوالي

---

1) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 279.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 8، ص 96.
3) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 67.
E.I², tII *Diwan*

بوجود شيعة عبّاسيين بخراسان[1]. فكان هذا الكاتب أو العامل مطلعا على أخبار المعارضة بحكم وظيفته وكان حريصا على قوّة السلطة الأمويّة.

يبدو أنّ هذا الكاتب ينتمي لإحدى القبائل العربيّة بالولاء. وقد استعمل الولاة بخراسان كتّابا من المجوس والعرب والموالي. ربّما كان هؤلاء الكتّاب العرب يشرفون على كتّاب من المجوس الذين يقومون بكلّ أعمال الحساب بما أنّ الديوان بخراسان لم يعرّب إلاّ سنة 124 هـ. شهد ديوان الخراج بخراسان مثل ديوان الخراج بالعراق وديوان الخراج بعاصمة الخلافة عمليّة التّعريب.

فكيف تطوّر ديوان الخراج بالمدينة ؟

- **ديوان الخراج بالمدينة**

لم تذكر المصادر معلومات عن تطوّر هذا الديوان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا قائمة لكتّاب ديوان الخراج.

تميّز أغلب كتّاب ديوان الخراج بالمدينة بانتمائهم لقريش (أربعة أشخاص انتموا لأميّة كعبد الملك بن مروان). اكتسب هذا الأخير تجربة في ديوان المدينة ستمكّنه من حسن إدارة ومراقبة الديوان بدمشق وبالولايات عندما تولّى الخلافة. وتولى أحد أبناء الصحابة من الأنصار هذه الوظيفة وتبوّأ هذا المنصب الموالي أساسا في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. يرجع هذا التوظيف للموالي لخبرتهم في إدارة ديوان الخراج لدى العجم من الروم أو الفرس. وبذلك يشبه الديوان بالمدينة الدواوين بالولايات الأخرى.

- **ديوان الخراج بمصر**

شهد ديوان الخراج بمصر عمليّة التعريب على شاكلة ديوان الشام وديوان العراق. وكان ذلك على يد عبد الله بن عبد الملك والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 87 هـ. وكان هذا الديوان يستعمل اللغة القبطية [2].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 50.

2) E.I², tII. *Diwan*.

GR Hawting, **The First Dynasty of Islam**, p 63

المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 98

الكندي، **ولاة**، ص 80.

لم تذكر المصادر مكانة كتّاب ديوان الخراج لدى ولاة مصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا مثال واحد وهو أنتناس. كان هذا الأخير من أصل رومي وتبوّأ منصبا هامّا لدى مسلمة بن مخلّد والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان حيث جمع له وظيفتين كتابة ديوان الخراج وديوان الجند [1].

إنّ تجربة هذا الشخص في الإدارة البيزنطيّة وخاصّة إتقانه الحساب دفع بمسلمة لتعيينه على هذين الديوانين الهامّين. كما أنّ عبيد الله بن الحبحاب كاتب وعامل الخراج من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك كان مقرّبا من الخليفة هشام بن عبد الملك حيث تعلّم الكتابة الديوانية والحساب في ديوان الخراج بعاصمة الخلافة وكان ذكيّا وليّنا مع نصارى الشام [2]. ممّا دفع بالخليفة هشام لتعيينه كاتبا وعاملا على خراج مصر.

لم يكن انتماء هذا الكاتب للموالي عائقا له أمام تولّي هذه الوظيفة الهامّة هو وغيره ولعلّ أهميّة عدد الموالي في هذا المنصب يدلّ على اعتماد ولاة مصر أساسا عليهم في كتابة ديوان الخراج نظرا لحذقهم للحساب. ومنذ عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، اكتسب ديوان الخراج بمصر طابعا عربيّا وهوية إسلامية. ولم تقتصر هذه المشكلة على ديوان الخراج بمصر فقط بل شملت ديوان الخراج بإفريقية إذ ورث العرب المسلمون بإفريقية ديوان الخراج البيزنطي لكنّ المصادر لم تذكر متى عرّب هذا الديوان [3]. ووقعت الإشارة إلى عامل على ديوان الخراج ببرقة عيّنه حسّان بن النعمان وهو ابراهيم النصراني [4]. يبدو من خلال اسمه أنّه نصراني ويرجع تعيين هذا النصراني لتجربته في ديوان الخراج البيزنطي. فيبدو إذن، أنّ ولاية إفريقية والمغرب قد كان لها تنظيم ديواني على شاكلة عاصمة الخلافة والولايات الأخرى لكنّ قلّة المعلومات بالمصادر تجعل هذه الدراسة منقوصة.

---

1) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 98.

2) Nabia Abott, *A New Papyrus and a Review of the Administration of Ubad Allah B. Al-Habhab,* **in Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A.R Gibb,** Brill 1965, p 21-35.

3) Djaït (H) *La Wilaya d'Ifriqiya au IIe-VIIIe: Etude Institutionnelle,* **Studia Islamica,** 1967-1968, 27, p77-122, 28, p79-108.

4) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 202.

نلاحظ أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان والحجّاج بن يوسف الثقفي والخليفة الوليد بن عبد الملك وواليه على مصر عبد الله بن عبد الملك والخليفة هشام بن عبد الملك وواليه على خراسان نصر بن سيّار الليثي ركّزوا الطابع العربي الإسلامي لدواوين الخراج بالعراق ومصر وخراسان، وتخلّصوا من التبعية الفارسية والقبطية على مستوى اللغة والكتّاب. لكنّ اتباع هذه السياسة لم يمنعهم من استعمال عمّال من الموالي واستعمال تقنيات بيزنطيّة وقبطية وفارسية.

فهل شهدت دواوين الرسائل بالولايات نفس التطوّر الذي عرفته دواوين الخراج؟

✓ **ديوان الرسائل بالولايات الأمويّة**

- **ديوان الرسائل بالعراق**

وجدت وظيفة الكاتب بالعراق منذ عهد الخليفة عمر بن الخطّاب. لكنّ تأسيس ديوان الرسائل يرجع ربّما لزياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان [1]. يعيّن الكتّاب على ديوان الرسائل حسب تكوينهم وكفاءاتهم. ولم تذكر المصادر كيف يتم تكوين الكتّاب بولاية العراق ما عدا كاتب واحد وهو المغيرة بن أبي قرّة كاتب يزيد بن المهلّب والي العراق وخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك الذي كان تلميذ صالح بن عبد الرحمن كاتب الحجّاج على ديوان الخراج ربّما كان الكتّاب من الأحداث يتعلّمون الكتابة الديوانية بديوان الرسائل بالعراق : بالكوفة والبصرة [2].

واشترط زياد بن أبي سفيان أن يكون الكاتب متمتّعا بخمسة صفات : العقل وحسن التصرّف والمقدرة على العمل الجيّد وأن لا يؤخّر عمل اليوم إلى الغد وأن ينصح صاحبه أي الوالي [3]. وعلى هذا الأساس، كان زياد لا يوظّف إلاّ كتّاب الرسائل من العرب والموالي المتثبّتين والمتمعّنين في الرسائل [4]. وطلب الحجّاج بن يوسف من قتيبة بن مسلم الباهلي واليه على خراسان أن يرسل له كاتبا ذكيّا وسريع

1) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 279.
2) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 39.
3) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 280.
4) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 279.

الفهم. فأرسل له بغذّام بن شتير فأعجب به الحجّاج إعجابا كبيرا [1]. إنّ المقدرة على العمل الجيّد والمواظبة عليه وحسن التصرّف والذكاء وسرعة الفهم هي صفات ضرورية يشترطها ولاة العراق في كتّاب ديوان الرسائل.

ويروي الجهشياري حادثة طريفة حصلت لزياد بن أبي سفيان وابنه عبيد الله تبيّن مدى تخوّف رجال السلطة من عمليّة التدليس التي قد يقوم بها الكتّاب، حيث كان زياد يُملي على كاتبه أسرارا وكان ابنه عبيد الله بحضرته. فنعس زياد فقام ينام وقال لعبيد الله بأن يتعهّد الكاتب ولا يغيّر ممّا رسمه له. فأراد عبيد الله أن يقضي حاجة ولم يرد أن ينبّه أباه أو يقوم ويترك الكاتب، فشدّ إبهامي الكاتب بخيط وختمهما وقام لحاجته. وعندما استيقظ زياد سأل الكاتب عن حالته تلك فأجابه هذا الأخير بنيّة عبيد الله وشكر زياد لابنه ما فعله [2].

كما أنّ ولاة العراق لم يتسامحوا مع الكتّاب الذين يخطئون حيث طرد زياد بن أبي سفيان كاتبا من ديوان الرسائل لأنّه أخطأ فكتب ثلاثة دنان عوض أن يكتب آذنْ [3]. كان زياد حريصا على صحّة اللغة العربيّة في كتابة ديوان الرسائل لكنّه لم يبلغ استبداد يوسف بن عمر الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك حيث قلّع ضرسي كاتب له لأنّه تأخّر عن حضور ديوانه بحجّة الإحساس بوجع في ضرسه [4].

ورغم هذا فإنّ كاتب ديوان الرسائل بالعراق قد كان يتبوّأ مكانة هامّة لدى والي العراق سواء بالكوفة أو بالبصرة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد كان كاتب المغيرة بن شعبة الثقفي والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان –وهو ابن خنيس– يرافق الوالي عند ذهابه للخليفة وهو يعرف كلّ الأخبار السرية التي تتعلّق بالمغيرة. كما كان كاتب عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية عمرو بن نافع مطّلعا على كلّ القرارات السرية للوالي [5].

---

1) الجاحظ، **البيان والتبيين**، بيروت 1992، ج 1، ص 306
ربّما كان هذا الكاتب فارسيّا كما يشير اسمه.
2) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 25.
3) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 25.
4) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 64.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 571.

وكان داود البربري على حجابة خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك وعلى حرسه وعلى ديوان الرسائل أي أنّه جمّع ثلاثة وظائف [1]. وكان حسّان النبطي يشرف على كلّ أمور خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك [2]. وقد وقعت بينه وبين خالد مشاحنات دفعت به إلى الكيد له لدى الخليفة فحبسه هذا الأخير بعد عزله [3].

تطوّرت وظيفة كاتب ديوان الرسائل لدى والي العراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك إلى أن أصبح مستشارا للوالي. وهذه المهمّة تشبه مهمّة كاتب ديوان الرسائل لدى الخليفة.

ومثل كتّاب ديوان الرسائل في دمشق لدى ولاة العراق يتلقّون أرزاقا، فكان يزيد بن أبي مسلم أخ الحجّاج بن يوسف من الرضاعة وكاتبه على ديوان الرسائل يتلقّى في كلّ شهر جراية تبلغ ثلاث مائة درهم [4]. وهو مبلغ هامّ نسبيّا. وقد ذكرت المصادر الانتماءات القبليّة لهؤلاء الكتّاب.

نستنتج أنّه رغم عمليّة التعريب التي حرص عليها الخلفاء وولاتهم فإنّ أغلبيّة كتّاب ديوان الرسائل لدى ولاة العراق ينتمون للموالي وذلك لخبرتهم في هذا المجال.

ولم ينحصر ديوان الرسائل على العراق فقط بل شمل كذلك ولاية خراسان.

- **ديوان الرسائل بخراسان**

نصح كاتب يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة وهو المغيرة بن أبي قرّة مولى بني سدوس الوالي أن يكتب للخليفة مبلغ المال الذي تحصّل عليه كخمس نتيجة فتح جرجان وطبرستان [5]. ربّما يستكثره الخليفة فيأمره بإحضاره أي إحضار هذا المبلغ أو أنّه يفضّل تسويغ الوالي هذا المبلغ. كما حذّر هذا الكاتب الوالي من أن يبقى هذا

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 148.
2) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 387.
3) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 61-62
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 219.
4) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 42.
5) والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك ؛ قد بلغ هذا المبلغ ستّة آلاف ألف أو ستّة ملايين درهم أو أربعة ملايين درهم

المال مسجّلا في الدواوين دينا على يزيد، فإن ولّي وال بعده طالبه بهذا المبلغ. لكنّ يزيد رفض تنفيذ نصيحة كاتبه وكتب للخليفة رسالة ذكر له فيها هذا المبلغ المالي [1].

لعب كاتب يزيد بن المهّلب على ديوان الرسائل تقريبا دور الوزير حيث نصح الوالي بسلوك سياسة معيّنة مع الخليفة ستبرز الأحداث اللاّحقة صوابها، حيث طالب الخليفة عمر بن عبد العزيز يزيد بن المهّلب بالأموال التي وعد بها الخليفة سليمان بن عبد الملك. ولم تذكر المصادر كفاءات كتّاب ديوان الرسائل لدى ولاة خراسان ما عدا يحيى بن يعمر العدواني كاتب ديوان الرسائل لدى يزيد بن المهّلب والي خراسان من قبل الحجّاج الذي كان فصيحا [2].

وذكرت المصادر بعض الكتّاب وانتماءاتهم القبليّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. يبدو أنّ أغلب هؤلاء الكتّاب من الموالي : وذلك ناتج عن حذقهم الكتابة.

نستنتج أنّ كاتب ديوان الرسائل أصبح يلعب دورا سياسيّا لدى والي خراسان وهو يشبه في ذلك كتّاب ديوان الرسائل في عاصمة الخلافة وفي الولايات. لكنّ المصادر لم تذكر تطوّر هذه الظاهرة بخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّ المصادر لم تذكر كيفية عمل هذا الديوان بخراسان. ولم يقتصر ديوان الرسائل على خراسان فقط بل شمل كذلك ولاية مصر.

- **ديوان الرسائل في مصر**

لم تذكر المصادر معلومات عن ديوان الرسائل بمصر ما عدا أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان نصح أخاه عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبله أن يحسن اختيار كاتبه نظرا لأهميّة هذا المنصب. فهو مرآة للسلطة الأمويّة [3].

أولى الخليفة عبد الملك بن مروان أهميّة كبيرة لكاتب ديوان الرسائل لأنّه كان مستشارا للوالي أو الخليفة. واتّخذ عبد العزيز بن مروان يناس بن خمايا (وهو من

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 544-545.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 387
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 42
والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان.
3) الجاحظ، رسائل، ج 2، ص 40.

أهل الرّها) كاتبا على ديوان الرسائل وكان هذا الكاتب مقرّبا من الوالي إلى درجة أنّه بنى له قصرا [1]. ويبدو أنّ هذا الكاتب نصراني لحذقه كغيره من النصارى فنون الكتابة الديوانيّة التي تمكّننا أن نتبيّن تطوّر ديوان الرسائل بمصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، لكنّنا نرجّح أنّ هذا الديوان أسّسه حسان بن النعمان سنة 78 هـ [2]. لكنّ هذا الديوان لم يكن يلعب إلاّ أداة ربط بين الوالي والخليفة [3]. لقد كان كاتب ديوان الرسائل بالولايات الأمويّة يلعب دور المستشار والوزير بالنسبة إلى اللوالي من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّ تطوير الولاة الأمويّين لهذا الديوان اعتمادا على تجربة فارسية أو بيزنطيّة سيمكّن العبّاسيّين من تقليد هذا الديوان.

فهل أنّ هذه الاستنتاجات تنطبق على دواوين الخاتم بالولايات الأمويّة ؟

- ✓ **ديوان الخاتم بالولايات**
  - o **ديوان الخاتم بالعراق**

كان زياد بن أبي سفيان أوّل من أحدث ديوان الخاتم أوالزّمام متأثّرا في ذلك بالفرس وتتمثّل مهمّته في الاحتفاظ بنسخ للكتب حتّى لا يقع تزويرها [4].

لعلّ هذه المبادرة في تأسيس هذا الديوان تعود لزياد بن أبي سفيان لاتّفاق جميع المصادر الموثوق بها على ذلك حيث ابتدأ بالتجربة في العراق وتبعه الخليفة معاوية بن أبي سفيان في دمشق. ولم تذكر المصادر كيفية تطوّر هذا الديوان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد هشام بن عبد الملك. ولم تذكر أيضا إلاّ كاتبا واحدا على ديوان الخاتم وهو الحسين بن حسن الكندي الذي تولّى الوظيفة من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد

---

1) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 34.

2) الرقيق، **تاريخ إفريقية والمغرب**، بيروت 1990، ص 34.

3) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 91.

4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 202.

فتوح، ص 649-650.

ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 420.

اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 279.

K.A Fariq, *A Remarkable Early Muslim Governor Ziad Ibn Abih*, **Islamic Culture**, Vol XXVI, n° 4, October 1952, p 15- 83.

E.I², tII *Diwan.*

الملك [1]. كما تولّى هذا الشخص قضاء الكوفة. ولعلّ اكتساب هذا الشخص لكفاءات معيّنة قد دفعت بالوالي لتعيينه في هذا المنصب. يدلّ تأسيس زياد بن أبي سفيان لهذا الديوان على دوره التنظيمي وحنكته الإداريّة فهو يعدّ من رموز السلطة الأموية ومن أهمّ الذين صنعوا قوّتها وعزّزوا نفوذها وإشعاعها. ولم يوجد ديوان الخاتم بالعراق أي بالكوفة والبصرة فقط بل شمل كذلك ولاية خراسان.

- ديوان الخاتم بخراسان

أسّس ديوان الخاتم بخراسان ربّما منذ ولاية زياد بن أبي سفيان وتواصل وجوده إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ولم تذكر المصادر إلاّ معلومة واحدة عن كتّاب ديوان الخاتم بهذه الولاية حيث ذكر الطبري أنّ توبة بن أسيد مولى بني العنبر كان يتمتّع بمكانة مميّزة لدى والي خراسان مسلم بن سعيد [2]. فقد منحه هذا الأخير خاتمه وقال له : "اعمل برأيك" ففوّض له عمليّة خطيرة وهي ختم القرارات التي يريدها. ولعلّ ذلك يعود للكفاءة التيّ يتمتّع بها توبة التي دفعت بالوالي لتعيينه في هذا المنصب الهامّ. وذكرت المصادر وجود ديوان الخاتم بمصر.

- ديوان الخاتم بمصر

ربّما يعود تأسيس ديوان الخاتم بمصر لعمرو بن العاص استنباطا في الإدارة البيزنطيّة. فقد كان لعمرو خاتم عليه صورة ثور يختم به الرسائل وغيرها من الوثائق الرسمية وهذا الخاتم من أصل مصري فرعوني [3]. ولم تذكر المصادر معلومات عن تطوّر هذا الديوان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا معلومة حول كاتب ديوان الزمام من قبل حفص بن الوليد بن يوسف الحضرمي والي مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك وهو عيسى بن عمرو [4]. إذن من المرجح، أنّ هذا الديوان قد تواصل وجوده من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ومكّن من تقوية السلطة الأمويّة بمصر.

---

1) وكيع، أخبار القضاة، بيروت د.ت، ج 3، ص 11.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 338.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 35
والي خراسان من قبل والي العراق وخراسان عمر بن هبيرة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك ثمّ والي خراسان من قبل خالد بن عبد الله القسري.
3) **E.I²**, tIV *Khatam*.
4) الكندي، ولاة، ص 104.

ساهمت دواوين الخاتم بالولايات الأمويّة وأساسا بولاية العراق في تركيز السلطة الأمويّة بها. لكنّ المصادر لم تذكر معلومات فيما يخصّ تطوّر هذه الدواوين في الولايات.

- ✓ ديوان البريد بالولايات

  - o ديوان البريد بالعراق

لم تذكر المصادر معلومات خاصّة بديوان البريد بالبصرة أو بديوان البريد بالكوفة. ويبدو حسب اليعقوبي أنّ أوّل من دوّن الدواوين بالعراق بما فيها ديوان البريد زياد بن أبي سفيان [1]. ربّما كانت هذه المعلومة صحيحة بما أنّه يعزى لزياد تأسيس بعض الدواوين الأخرى بالعراق.

كان ديوان البريد بالعراق رمزا للسلطة الأمويّة وهو ينقل أوامر الخليفة لولاة العراق ممّا دفع بالمغيرة بن شعبة والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان للقول بأنّه يكره الإمارة لروعة البريد [2]. كما ذكر زياد بن أبي سفيان أنّ "لأعواد المنبر هيبة ولقرع لجام البريد لفزعة" وقد تمنّى أن يكون رجلا من عامة المسلمين [3]. إنّ المنبر هو رمز الخطبة وسياسة الناس وفرض الأوامر عليهم والبريد يأتي بالأخبار من الولايات ومن الخليفة لا يدري مضمونه لذلك ترعبه وتفزعه.

يؤدي ديوان البريد بالعراق مهمّات عديدة، تتمثّل أوّلا في الردّ على رسائل الخليفة بعاصمة الخلافة. وفي هذا الإطار ذكر الدينوري أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي أساء لأنس ابن مالك وأغلظ له الكلام فاشتكى أنس للخليفة عبد الملك فأرسل هذا الأخير كتابا للحجّاج يقرّعه فيه وطلب منه كتاب أنس في الرضى عنه. ففعل الحجّاج وأرسل الكتاب على البريد إلى الخليفة [4].

وكان ديوان البريد بالعراق وبغيرها من الولايات في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز يحمل رسائل عامّة النّاس إلى الخليفة[5]. وكان البريد يقضي سبعة أيّام من

---

1) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 279.
2) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 81.
3) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 420
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 200.
4) الدينوري، **كتاب الأخبار الطوال**، بيروت د.ت، ص 324.
5) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 62.

العراق إلى الشام حيث توجد عاصمة الخلافة وهي مسافة طويلة نسبيّا [1]. كما كان ديوان البريد بالعراق مكلّفا بنقل غنائم الجهاد [2]. ويقوم ديوان البريد بالعراق بمهامّ أخرى كنقل أشخاص ذوي مكانة إلى عاصمة الخلافة وإلى خراسان حيث أرسل يزيد بن المهلّب والي العراق وخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك ابن الأهتم – وهو شاعر– إلى الخليفة على البريد [3].

وأرسل عمر بن هبيرة والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك الشّعبي على البريد لمسلم بن سعيد والي خراسان من قبله [4]. ولعلّ ذلك يندرج في مهمّة خاصّة ومستعجلة وهي الحكم في قضيّة من القضايا الخاصّة. لذلك ركب الشّعبي بغال البريد. كما تضلّع ديوان البريد بمهامّ أخرى من بينها إرسال كتب للثّائرين على الحكم الأموي لحملهم على الرجوع للطّاعة حيث أرسل الحجّاج كتابا لابن الأشعث عندما ثار عليه [5]. وأرسل الحجّاج بن يوسف لوالي اصبهان من قبله البراء بن قبيصة مقاتلة على دوابّ البريد (تسعين دابّة) حتّى يقضي على ثورة مطرّف بن المغيرة بن شعبة الثقفي [6]، وذلك للخطر المحدّق بالسلطة الأمويّة باصبهان.

كما أرسل الحجّاج البريد للولايات التّابعة له بالنظر لتحذيرهم من ثورة يزيد بن المهلّب بعد أن هرب هذا الأخير وآله من سجن الحجّاج [7]. إنّ ديوان البريد سواء بالعراق أو بعاصمة الخلافة كان يلعب دورا عسكريّا بالقضاء على الثورات وبالمساهمة في الجهاد. كما كان لديوان البريد بالعراق على شاكلة ديوان البريد بعاصمة الخلافة عيون مبثوثة في كلّ مكان تمكّن الوالي من التحصّل على الأخبار المتعلّقة بعمّاله وبالمعارضة [8]. وفي هذا الإطار، أخبر نائب والي العراق على

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 525-526.
2) الجاحظ، **كتاب البغال**، ص 60.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 525.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 24.
4) الشّعبي هو قاضي الكوفة من قبل عمر بن هبيرة.
وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 426.
5) ابن قتيبة، **الإمامة والسياسة**، ج 2، ص 33.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 294.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 449.
8) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 289.

الكوفة عروة بن المغيرة بن شعبة الحجّاج الذي يوجد عند ذاك بالبصرة أخبره باستعداد شبيب الخارجي بمهاجمة الكوفة [1]. فتحصّل الحجّاج على هذا الكتاب بسرعة. كما وصلت الأخبار للحجّاج بهروب يزيد بن المهلّب وآله إلى الشام بعد يومين من هروبهم من نواحي البصرة [2].

وكان ديوان البريد بالعراق مصدر لدعم قوّة السلطة الأمويّة بتسهيل عمليّة تحرّك سريعة تمكّنها من القضاء على الثورات ومراقبة العمّال في الولايات التّابعة لها بالنظر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وعندما عجز ديوان البريد بالعراق عن القيام بكلّ هذه المهامّ والتحصّل على أخبار ولاية خراسان، كان ذلك أحد عوامل سقوط الدولة الأمويّة [3].

وبما أنّ هذا الديوان يوجد في مرتبة ثانية بعد ديوان البريد بعاصمة الخلافة، فهو قد شهد ربّما نفس التطوّر. إنّ ديوان البريد بالعراق هو من أصل فارسي [4]. وحافظ هذا الديوان على طابعه الفارسي إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وواليه على العراق وخراسان الحجّاج بن يوسف عندما طبّقت سياسة التّعريب على هذا الديوان مثلما حدث بعاصمة الخلافة. فاكتسب هذا الديوان هويّة عربيّة إسلامية. ولم يقتصر وجود ديوان البريد على ولاية العراق فقط بل شمل ولاية خراسان.

- **ديوان البريد بخراسان**

تتمثّل مهامّ ديوان البريد بولاية خراسان في إخبار والي العراق وخراسان بأخبار الانتشار حيث كتب يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل الحجّاج إلى هذا الأخير يخبره بالانتشار [5]. وأرسل أسد بن عبد الله القسري لخالد بن عبد الله القسري ثمّ للخليفة هشام بن عبد الملك رسولا يخبرهما بانتصاره على التّرك [6]. ويشبه ديوان البريد بخراسان في قيامه بهذه المهامّ ديوان البريد بالعراق وديوان البريد بعاصمة الخلافة. ويضطلع ديوان البريد بخراسان بإخبار والي العراق والخليفة بالثورات

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 240.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 449.
3) الجاحظ، **كتاب البغال**، ص 55.
4) أرثر كريستنسن، **إيران في عهد الساسانيّين**، بيروت د.ت، ص 118.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 387.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 125.

بخراسان حيث أقبل رجلا يشبه الفيج من خراسان بخبر قتل قتيبة بن مسلم الباهلي من طرف مقاتلته. وقد كان لهذا الرسول مقدرة عجيبة على الجري [1].

ورث ديوان البريد بخراسان تقنيات البريد عن الفرس حيث كان البريد على نوعين : بريد راكب وبريد راجل [2]. لكنّ الأمويّين لم يقتصروا على التقنيات الفارسية وطوّروا البريد حيث أمّن قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج - طريق جرجان [3]. فقد كانت هذه الأخيرة عقبة للمسافرين وللبريد قبل أن يتوسّع على حسابها الأمويّون. وكانت الطريق إلى خراسان من فارس إلى كرمان. فصيّر قتيبة لأوّل مرّة الطريق من قومس إلى خراسان [4]. فسهّل قتيبة عمليّة وصول الأخبار من عاصمة الخلافة ومن العراق لخراسان أو من خراسان للعراق ولعاصمة الخلافة. وهذا من شأنه أن يظهر مكانة ولاية خراسان بالنسبة إلى اللخلافة الأمويّة. كما أنّ ديوان البريد بخراسان كان ينقل أخبار الولايات التّابعة لوالي خراسان كخوارزم حيث كان قتيبة باثّا عيونه فيها، وكان عاملها ضعيفا وتألّب عليه الناس. فوصلت كلّ هذه الأخبار لقتيبة [5].

ولم تذكر المصادر إلاّ موظّفا واحدا بديوان البريد بخراسان وهو كاتب ديوان البريد لدى والي خراسان يزيد بن المهلّب (والي خراسان من قبل الحجّاج بن يوسف ووالي العراق وخراسان في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك) وهو يحيى بن يعمر العدوانيّ [6]. كان ديوان البريد بخراسان متأثّرا بالتقاليد الفارسية وشملته عمليّة تعريب الدواوين التي قام بها الحجّاج بالنسبة إلى الدواوين العراق. فاكتسب بذلك ديوان البريد بخراسان هويّة عربيّة إسلامية. ساعد ديوان البريد بخراسان على تقوية السلطة الأمويّة بفضل المهمّات العديدة التي تضلّع بها.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 520.
2) أ. كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 118.
3) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 119.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 535-539
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 226-414-454.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 480.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 395.
6) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 41.

o **ديوان البريد بالمدينة ومصر**

كان ديوان البريد بالمدينة مرتبطا بديوان البريد بعاصمة الخلافة، بما أنّه ينقل للخليفة أخبار الناس منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [1]. ولم تذكر المصادر تطوّر هذا الديوان عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وينطبق هذا الاستنتاج على ديوان البريد بمصر حيث لم تذكر المصادر إلاّ معلومة واحدة وهي تتمثّل في أنّ أيمن بن خريم الأسدي أنشد شعرا مدح فيه بشر بن مروان والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان وذكر أنّه ركب البريد من مصر ليذهب لبشر بن مروان بالعراق [2].

فربّما تكفّل ديوان البريد بمصر بإرسال هذا الشخص لوالي العراق نظرا للمكانة التي يتمتّع بها لدى الأمويّين. ونفس هذا المشكلة اعترضتنا في دراستنا لديوان البريد بإفريقيّة الذي أسّسه حسّان بن النّعمان الغساني والي المغرب من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 74 هـ [3]. وهو يقوم بنفس الوظائف التي يؤدّيها في الولايات الأخرى [4]. فهو ينقل رسائل الخليفة إلى والي إفريقية أو العكس بالعكس. كما أنّ لديه عيونا تطلع الخليفة عن سياسة الوالي. وقد شملته أيضا عمليّة التعريب بعد أن كان متأثّرا بالتقاليد البيزنطيّة، وتأكّدت بذلك الهويّة العربيّة الإسلامية لهذا الديوان ورغم أنّه لكلّ ولاية دواوينها وكتبتها إلاّ أنّ خيوط التبعيّة للمركز تبقى قوّية وتزيد في سيطرة المركز على الأطراف وهو ما يلّمح إلى أنّ كتبة هذه الدواوين كانوا يعيّنون من قبل المركز، فقد كانوا عيون الخليفة في هذه الولايات.

ومكّنت دواوين البريد بالولايات الأمويّة الخلفاء الأمويّين من تركيز سلطتهم من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك رغم كبر الامبراطورية وذلك بفضل تطوّر تقنيات البريد. كما أكّدت هذه الدواوين الطابع العربي الإسلامي للدولة الأمويّة رغم جذورها الفارسيّة والبيزنطيّة. وقد أعجب

---

1) الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 212.

2) الجاحظ، **كتاب البغال**، ص 61.

الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 1، ص309.

كان يسمّى خليل الخلفاء لإعجابهم بحديثه ولفصاحته وعلمه وهو من شعراء الدولة الأمويّة.

3) الرقيق، **مصدر مذكور**، ص 34.

ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 201.

ابن عذاري، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، بيروت د.ت، ج 1، ص 38.

4) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 87-88

العبّاسيّون بهذه الدواوين خاصّة ديوان هشام بن عبد الملك ونقلوا تنظيمها. ولم تقتصر المؤسّسات بالدولة الأمويّة على مؤسّسة الخلافة والدواوين بل شملت كذلك بيت المال بعاصمة الخلافة وبالولايات.

3- بيت المال

(أ) بيت المال بعاصمة الخلافة

تأسّس بيت المال في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب سنة 20 هـ وارتبط تأسيسه بتأسيس ديوان الجند [1]. وهو يتلقّى الضرائب كأموال الفيء أي الخراج والجزية والصّدقة والغنائم. ويشرف على كلّ هذه الأموال الإمام [2]. كما أنّ بيت المال لديه موارد ماليّة أخرى كالملكيّات التي ليست على ذمّة أحد أي مثلا الأموال التي توجد لدى قطّاع طرق بعد القبض عليهم،وكذلك أموال المرتدّين وميراث الأشخاص المتوفّين الذين ليس لديهم وريث. ويعتبر الخليفة المسؤول الأوّل على بيت المال. وقد ورث الخلفاء الأمويّون بيت المال عن الخليفة عمر بن الخطّاب، فتعزّزت عائداته بفضل كثرة الغنائم نتيجة حركة الانتشار الإسلامي في العهد الأمويّ. فقد كتب يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة - والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك- لهذا الأخير يخبره بالانتشار على حساب طبرستان وجرجان وأنّه وزّع على "كلّ ذي حقّ حقّه" من الفيء والغنيمة وأنّه بقي لديه من الخمس ستّة آلاف ألف سيحملها له [3]. كما أضاف الخليفة معاوية بن أبي سفيان موردا جديدا لبيت المال.

فقد كان أوّل من أخذ الزكاة من الأعطية [4]. ولم تذكر المصادر إن استمرّ الخلفاء بعده على هذه العادة. لكنّ أهمّ مورد لبيت المال هو الخراج. وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يتلقّى من زياد بن أبي سفيان جباية العراق وهي تتمثّل في أربعة آلاف ألف درهم بالنسبة إلى اللبصرة وثلثي الأربعة آلاف ألف درهم بالنسبة إلى

---

1) إنّ الخليفة عمر بن الخطّاب رفض أن يقسم الأراضي التي توسّع على حسابها المقاتلة بالعراق والشام وقال للصّحابة بأنّ الله أعطى حقّا على هذه الأراضي لمن سيأتي بعدهم. يحتوي هذا القرار الذي اتّخذه الخليفة عمر بن الخطّاب على مفهوم الملكيّة الخاصّة وكذلك فكرة الملكيّات والأموال المخصّصة لمصالح المجموعة.

2) E.I², tII *Bayt Al-Mal*.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 544.

4) مالك بن أنس، **الموطّأ**، بيروت 1994، ص 164.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 276.

اللكوفة أي ألفين وستمائة وستة وستّين ألف درهم. وكان عبيد الله بن زياد – والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان – يسلّم للخليفة معاوية بن أبي سفيان ستة آلاف ألف درهم ممّا يدلّ على ارتفاع قيمة الضرّائب [1]. ولم تذكر المصادر كيف رفّع الوالي من قيمة الجباية. وكان للخليفة عبد الملك بن مروان بيت مال "لا يدخله إلاّ مال طيّب لم يظلم فيه مسلم ولا معاهد" [2].

إنّ هذا الرّأي ليس صحيحا بل هو نسبي لأنّ الخليفة عبد الملك بن مروان كان يتلقّى خراج العراق الذي يستخلصه الحجّاج على حساب أهل الذمّة. ولم تذكر المصادر الجباية بما فيها الخراج التي تلقّاها الخلفاء الأمويّون من ولاتهم من عهد الخليفة يزيد بن معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. يتلقّى بيت المال الأموال من ديوان الخراج ويحوّل قسطا منها لديوان العطاء الذي يوزّعها بدوره على المقاتلة. كما تصرف أموال بيت المال بعاصمة الخلافة في تجهيز حملات الجهاد ضدّ بيزنطة وبناء الجوامع وبالتالي تساهم في الصالح العام وفي تركيز السّلطة الأمويّة. غير أنّ الخلفاء الأمويّين استعملوا أموال بيت المال لخدمة مصالحهم الشخصيّة. ويتكفّل صاحب بيت المال بجمع وتوزيع موارد الدولة. ويشترط في هذا الموظّف أن يكون مسلما ونزيها وذكيّا وكفئا.

ومن أشهر الشخصيّات التي تولّت هذه المهمّة رجاء بن حيوة الكنديّ وقبيصة بن ذؤيب الخزاعيّ. وهذا ما دفع بالخليفة عبد الملك بن مروان لجمع ثلاث وظائف لقبيصة وهي كتابة ديوان الخاتم وكتابة ديوان الرسائل والإشراف على بيت المال.

لقد طوّر الأمويّون في مؤسّسة بيت المال نتيجة حركة الانتشار. لكنّ المصادر لم تذكر معلومات فيما يخصّ التجديدات التي أدخلها الخلفاء الأمويّون على هذه المؤسّسة التي تواصل اعتمادها إلى العهد العبّاسي على النمط الذي حصل في العهد الأموي وعلى منوال المركز اتّخذت الولايات بيوت مال لها.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 219.
2) البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1175.

(ب) بيوت الأموال بالولايات

✓ بيوت الأموال بالعراق

o بيت المال بالبصرة

قال عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية لأهل البصرة بعد وفاة الخليفة معاوية بن يزيد بأنّه ليس هناك مال أكثر من مالهم. ففي بيت مالهم مائة ألف ألف درهم (1). إنّ هذا الرّقم هامّ ويشمل خراج أرض البصرة وما والاها والغنائم. لكن يجب الاحتراز من هذا الرّقم لأنّ المصادر تهوّل دائما الأرقام. وقد كان الهمّ الأساسي لعبيد الله بن زياد، بعد أن تنكّر أهل البصرة له عند حدوث الفتنة الثانية، هو حمل الأموال الموجودة ببيت مال البصرة (2). فلعلّ ذلك يدلّ على أهميّة ما يحويه مثلما يدلّ على أنّه إحدى مقوّمات السّلطة الأمويّة.

وذكرت المصادر أبواب صرف أموال بيت المال بالبصرة حيث كان زياد بن أبي سفيان يجعل في بيت المال للبوائق والنّوائب ألفي ألف درهم بعد أن يعطي جزءا للمقاتلة والذريّة وللخليفة معاوية وينفق في نفقات السّلطان (3). كما أحدث زياد ميزانيّة خاصّة بالكوارث الطبيعيّة لكنّ المصادر لم تذكر إن واصل ولاة البصرة سياسته.

وقد تصرف من بيت المال أحيانا تعويضات لبعض النّاس لتعويضهم عن بعض الأخطاء التي يرتكبها الولاة في حقّهم. وقد دفع الخليفة معاوية بن أبي سفيان ديّة أحد بني ضبّة من بيت المال بعد أن قطع يده والي البصرة عبد الله بن عمرو بن غيلان (4). ووزّع خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد خليفة بشر بن مروان على البصرة - والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان - الأموال الموجودة ببيت المال على الناس. فربّما فرّق ألف ألف درهم (5) بهدف شراء الضمائر بعد القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير حيث كان الأمويّون يحسّون بضعف شرعيّتهم التاريخيّة بالمقارنة مع أهل السّابقة. لذلك كانوا يغدقون الأموال على الأشراف حتّى يؤطّروا قبائلهم وعشائرهم ويكسبوهم لصفّ الأمويّين وهو ما يعرف بشراء الضّمائر.

---

1) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 84.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 505-506.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 218.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 300.
5) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 467.

ولم تذكر المصادر أصحاب بيت المال بالبصرة في المدّة التي تهمّنا ما عدا أبا ماويّة مولى عبد الله بن عامر وصاحب بيت مال هذا الوالي [1] – والي البصرة من قبل الخليفة معاوية –.

ويرجع استعمال هذا المولى على بيت المال لإتقانه الحساب والإدارة الماليّة. وقد مكّنت هذه الأموال الولاة من الإنفاق على الحملات العسكريّة (الجهاد والقضاء على الثورات) وشراء الضمائر وردّ الحقوق إلى أصحابها. فهل كان بيت مال الكوفة في نفس الأهميّة وهل كان يوّظف بنفس الطريقة ؟

- **بيت المال بالكوفة**

نصح أحد القرشيين الحسين بن علي حفيد الرسول قبل مسيره إلى الكوفة بالعدول عن رأيه نظرا لاعتماد والي العراق وخراسان على بيت مال ثريّ يمكنه بواسطته شراء الضمائر خاصّة وأنّ الناس "عبيد لهذا الدرهم والدينار" [2]. فيبيّن هذا الخبر قيمة الثروة ببيت مال الكوفة في عهد عبيد الله بن زياد وأنّ أمواله تصرف في شراء الضمائر والقضاء على الثورات. لكنّ المصادر لم تذكر موارد بيت المال بالكوفة ونفقاته من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك منها ذكرت بعض أسماء أصحاب بيت المال في نفس هذه الفترة : (انظر الجدول الموالي) .

قد تبوّأ هؤلاء الموظّفين القضاء قبل أو بعد تولّيهم بيت المال كشريح الذي كان قاضيا وصاحب بيت المال لدى زياد. وتولّى كلّ من أبو بردة وأبو شبرمة بيت المال بعد تولّيهما القضاء [3]. وكان أبو الزنّاد صاحب بيت المال وصاحب ديوان الخراج بالكوفة. وذكرت المصادر تولّي شخصان لبيت المال في نفس الوقت وهما : أنّ أبو بردة وأبو وائل ولعلّ ذلك مردّه أهميّة هذا المنصب وحساسيّته. كما أنّ كلّ هؤلاء الموظّفين كانوا من العالمين بالقرآن والسنّة ومن الفقهاء كأبي الزنّاد وشريح

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 320.

2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 382.

3) تولّى أبو بردة هذا المنصب بعد حلّه لعدّة مشاكل تخصّ أراضي أهل الذمّة .

Irit Bligh-Abramski, *The Judiciary Qadis as a Governmental-Administrative Tool in Early Islam*, **in Journal of Economic and Social History of Orient**, Vol XXXV Part I, February 1992, p 52

وابن شبرمة. وهذه الكفاءات مكّنتهم من حسن إدارة بيت المال. وكان شريح يتلقّى من زياد رزقا بلغ ألف درهم [1]. وهو مبلغ هام يدلّل على مكانة صاحب بيت المال وعلوّ شأنه.

وكان أصحاب بيت المال مكتسبين لتجربة في الحساب والإدارة وفصل النزاعات ممّا مكّنهم من حسن القيام بأعمالهم. لكنّ المصادر لم تذكر تطوّر موارد ونفقات بيت المال بالكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فهل أنّ هذا الاستنتاج ينطبق على بيت المال بواسط ؟

- **بيت المال بواسط**

ترك الحجّاج بن يوسف الثقفي بيت المال بواسط مائة ألف ألف وبضعة عشر ألف ألف درهم عندما توفّي [2]. إنّ هذا الرقم هامّ وهو يعكس أهميّة بيت مال العراق كولاية مركزيّة بالنسبة إلى اللخلافة الأمويّة. واستخلص الحجّاج هذه الأموال باستعمال الشدّة حيث فرض الخراج على أهل الذمّة الذين أسلموا وكذلك عن طريق الغنائم الناتجة عن الجهاد. وواجه الحجّاج عدّة صعوبات في فترة حكمه فكان يجهّز المقاتلة من أموال بيت المال بالعراق لقتال الثائرين من الخوارج وغيرهم. ولعلّ ضخامة هذه النفقات هي مؤشر على ما تحويه تلك المؤسسة من ثروات وأموال فيكون الرّقم الذي يقدّمه المسعودي قريب من الواقع.

- **بيت المال بخراسان**

يزوّد بيت مال خراسان أساسا من الغنائم الناتجة عن الجهاد حيث ذكرت المصادر أنّ حركة الانتشار وفّرت أموالا هامّة وثورات أخرى من ذهب وفضّة حيث تدفّقت هذه الثروات على الدّولة الأموية طيلة تاريخها تقريبا نتيجة تعزّز حركة الانتشار خاصّة في بلاد ما وراء النهر. وتحصّل قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج بن يوسف الثقفي على غنائم هامّة [3] أثرت بيت المال وجعلت منه أثرى بيت مال في الولايات. وتصرف أموال بيت مال خراسان في أبواب عديدة. فقد سوّغ الخليفة يزيد بن معاوية عبد الرحمن بن زياد والي خراسان من قبله عشرين

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 235.
2) المسعودي، **التنبيه**، ص 317.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 470-471.

ألف ألف درهم تحصّل عليها في مدّة ولايته لخراسان [1]. وانتفع الوالي من هذه الولاية فأثرى من الغنائم أو من موارد أخرى.

وحابى الخليفة يزيد بن معاوية عبد الرحمن بن زياد فلم يأخذ نصف هذه الأموال وبالتالي أباح لهذا الوالي التصرّف أو امتلاك أموال هي في معظمها أموال المسلمين. كما أنّ يزيد بن المهلب والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك صالح أهل طبرستان على أموال ضخمة، ووعد الخليفة بأنّه سيحضر له جزءا من الخمس. لكنّ يزيد إحتفظ بهذه الأموال فأثار عليه غضب الخليفة عمر بن عبد العزيز [2]. وتستعمل أموال بيت المال بخراسان في منح مكافآت للمقاتلة الذين يبلوا في الجهاد حيث أعطى قتيبة بن مسلم عشرة آلاف درهم لأحد المقاتلة بعد بلاءه في قتال السّغد [3]. كما يزوّد الوالي مقاتلته ويتجهّز للجهاد من بيت المال حيث أخذ أسد بن عبد الله القسري من جبلة بن أبي روّاد صاحب بيت مال خراسان عشرين ومائة ألف درهم عندما كان يتأهّب لقتال التّرك [4]. وأخيرا تصرف أموال بيت مال خراسان في ردّ الحقوق إلى أهلها حيث ردّ الخليفة هشام بن عبد الملك لمقاتل بن حيّان وهو أحد رجالات خراسان مائة ألف درهم كان افتكها يزيد بن المهلب لأبي حيّان بغير حقّ[5]. كان بيت مال خراسان يتلقّى أموالا ضخمة من الغنائم الناتجة على الجهاد. وكانت هذه الأموال تصرف في أغراض تخدم مصالح المقاتلة وتركّز الإسلام بواسطة الجهاد. لكنّها كانت تستعمل من طرف الولاة والخلفاء لخدمة مصالح خاصّة كالإثراء الشخصي دون أن يحسبوا حسابا لحساسيّة هذا الثّغر المركزيّ للدولة. وكان هذا السّبب من جملة عدّة أسباب ألّبت المقاتلة ضدّ الأمويّين ودفعهم للانضمام للثّورة العبّاسية. ولم تذكر المصادر أصحاب بيوت الأموال بخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فربّما كان تحت التصرّف المباشر للوالي أو أنّ أصحاب بيوت المال كانوا مسلوبي الإرادة أمام غطرسة الولاة وسعيهم للإثراء وتحويل أموال المجموعة لصالحهم الشخصي.

---

1) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 29.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 535.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 474.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 120.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 127

- بيت المال بالمدينة

وقع بيع منزل عبد الرحمن بن عوف الزهري صاحب الرسول إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فصار في الصّوافي. وكانت الدواوين وبيت المال فيه [1]. استصفى الخليفة معاوية بن أبي سفيان هذا المنزل واتّخذه مقرّا لبيت المال والدّواوين بالمدينة. ووجد الحجّاج بن يوسف في بيت مال ابن الزّبير بعد أن قتله عشرة آلاف ألف درهم [2]. فهل احتفظ الحجّاج بهذه الأموال في بيت مال المدينة أو مكّة؟ أم أنّه احتفظ ببعض هذه الأموال وأرسل بقيّتها للخليفة عبد الملك بن مروان؟ ربّما يكون الاحتمال الثّاني أقرب إلى الواقع. إنّ السّيطرة على بيت مال ابن الزبير تدل على أنّ هذه المؤسّسة تعدّ قائم هامّ من مقوّمات سلطة معيّنة والقضاء عليها هو تحطيم لهذه السلطة.

ذكرت المصادر معلومات متفرّقة عن بيت المال بالمدينة ولم تذكر ما هي موارد بيت المال وعمّاله ولا المجالات التي توجّه لها المصاريف باستثناء معلومة حول الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي طلب من أبي بكر بن حزم عامل المدينة من قبله أن يقضي دين كلّ من توفّي من بيت مال المسلمين [3].

- بيت المال بمصر

ذكرت المصادر أنّ قرّة بن شريك والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أمر الوالي الذي سبقه على مصر عبد الله بن عبد الملك أن يطبع الدّواوين وبيت المال حال وصوله لمصر بعد تعيينه من طرف الخليفة الوليد بن عبد الملك [4]. كان قرّة بن شريك واليا منظّما حيث أراد التثبّت من وضعيّة بيت المال بعد ولاية عبد الله بن عبد الملك حتّى يصلح من هذه المؤسّسة إذا ترك فيها الوالي السابق نقائص. يبدو أنّ أسامة بن زيد التنوخي صاحب الخراج بمصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك بنى بيت المال بمصر سنة سبع وتسعين [5]. فهل كان بيت المال موجودا بقصر

---

1) ابن شبّة، **تاريخ المدينة**، مكّة 1979، ج 1، ص 233.
2) البلاذري، **أنساب الأشراف**، القدس 1936، ج 5، ص 376.
3) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 63.
4) الكندي، **ولاة**، ص 83
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 208.
5) ابن تغري بردي، **النجوم الزّاهرة في تاريخ ملوك مصر والقاهرة**، القاهرة 1963، ج 1، ص 71.

الإمارة فبنى له أسامة مقرّا مستقلاّ ؟ وهل بني بيت المال الأوّل في ولاية عمرو بن العاص أم في فترة أخرى ؟

وذكرت المصادر اسما شخصين تولّيا إدارة بيت المال بمصر وهما عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني الذي ولاّه عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان القضاء والقصص وبيت المال [1]. ويرجع هذا الجمع لثلاث وظائف لشخص واحد لاكتسابه مقدرة عالية على الإدارة والتسيير. كما عيّن عبد الملك بن رفاعة والي مصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك أبا حجيرة الأصغر على القضاء وبيت المال سنة 97 هـ [2]. لم توفّر المصادر معلومات كثيرة عن بيت المال بمصر ما عدا أنّ قرّة بن شريك حرص على تنظيم بيت المال، وبنى أسامة بن زيد مقرّا جديدا لبيت المال. كما ذكرت المصادر بعض أسماء لأصحاب بيت المال بمصر، لكنّها لم تذكر تطوّر هذه المؤسّسة. ولم تذكر المصادر أيضا بيت المال بإفريقية.

كانت بيوت الأموال بالولايات متفاوتة الثراء لاختلاف موارد كلّ واحدة منها. ومكّنت هذه الأموال الولاة من إنجاز مشاريع عموميّة كبناء الجوامع وكذلك شراء الضمائر. لكنّ تجاوزات الولاة على حساب بيت مال المسلمين سيغذّي أحقاد المقاتلة ويدفعهم للثّورة مع العبّاسيّين لاسترجاع حقوقهم. بالإضافة إلى مؤسّسة بيت المال، وجدت مؤسّسة أخرى لدى الأمويّين وهي الشرطة.

4- الشرطة

إنّ الشرطة هي فرقة من النخبة تبدأ القتال أو الحرّاس الخاصّين [3]. وتتخلّل دراسة الشرطة في العهد الأموي صعوبات مرتبطة بطبيعة المصادر. فالمصادر هي مصادر متأخّرة. على هذا الأساس، فإنّها يمكن أن تسقط بعض المعلومات المتأخّرة على الشرطة في العهد الأموي.

---

1) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 235
الكندي، قضاة، ج 1، ص 317.
2) الكندي، قضاة، ج 2، ص 332.
3) E.I², tIV 1 *Shurta.*

لكن قبل دراسة تطور مؤسّسة الشرطة في العهد الأموي فإنّ النّاحية المنهجيّة تفرض علينا أن ندرس جذور هذه المؤسّسة بعاصمة الخلافة وبالولايات خلال الفترة الأمويّة.

تميّزت فترة الرسول بتعمّق الحسّ الدّيني ممّا باعد بين النّاس المسلمين وبين الجريمة لديهم إلاّ فيما ندر. إذ كان الرسول يتدخّل بنفسه لإنهاء أي خلاف. فكان هذا كفيلا لاستتباب الأمن، وقد كانت ترجع إليه كلّ تلك الخصومات في المدينة وما جاورها من الأماكن ولم تكن مع ذلك خصومات حقيقيّة بل إنّ أكثرها لا يعدو أن يكون سوى اشتباها في وجه الحقّ. فبالرّغم من عدم وجود وظيفة الشرطة بصورة متميّزة إلاّ أنّ الرسول استعان ببعض الصّحابة للقيام ببعض الأمور الإداريّة والأمنيّة في المناطق النّائية من الدولة الإسلامية تحت رقابته وإرشاده.

وقد سار الخليفة أبو بكر الصدّيق على نفس منوال الرسول في المجال الأمني حيث كان يقوم بالعسس في عهده عمر بن الخطّاب وابن مسعود. كما أنّ العسس كانوا يطوفون بالحجيج ليلا يتعرّفون الأخبار ويمنعون ما عسى أن يقع من شجار [1].

وعندما تولّى عمر بن الخطّاب أمر الخلافة الإسلامية كانت حركة الانتشار قد توسّعت شرقا وغربا. فانضمّ للمجتمع الإسلامي ضعاف الإيمان والمغرضون والمنافقون وأهل الرّيب والشّبهات. ممّا استدعى إنشاء دوريّات ليليّة متجولّة بصفة دائمة ومنتظمة للمحافظة على أرواح النّاس وأعراضهم وأموالهم من أيّ أذى قد يلحق بهم. وقد انتشر هذا النّظام في كافّة الأمصار بعد تنظيمه وصرف أعطيات مناسبة للقائمين عليه من بيت مال المسلمين. كما كان الخليفة عمر بن الخطّاب يسهر على الأمن بنفسه بقيامه بدور العسس.

وقد استعملت كلمة شرطة في عهد عليّ بن أبي طالب حيث كوّن شرطة الخميس للذّود عنه وهي بمثابة نخبة من الجيش ويبلغ عدد أفرادها 12000 مدّعمة بـ 40000 رجل من أهل الكوفة أساسا [2].

---

1) محمّدابراهيم عمر الأصبيعي، **الشرطة في النّظم الإسلامية**، طبعة مالطة 1990، ص 51.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 157.

Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 397

Donner (F), *The Shurta in early Umayyad Syria,* **The Fourth International Conference on Bilad Al-Sham**, Ed. M.A Bakhit and Schick, English Section, Amman 1989, p 247-262

لكنّ الشرطة التي أسّست في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان تختلف عن شرطة عليّ. وقد تطوّر نظام الشرطة في عصر الأمويّين تطوّرا مهّدت له الظّروف السياسيّة والاجتماعيّة الجديدة التي ظهرت بتولّي معاوية بن أبي سفيان حكم الدولة الأمويّة عقب الفتنة وبالتالي بعد تطوّر نظام الحكم من خلافة إلى ملك.

ففي خضمّ أوضاع أمنيّة غير مستقرّة، برزت أهميّة الشرطة وأصبحت الحاجة إليها أكثر لقمع الثّورات والفتن والاضطرابات التي نشبت في كافّة أرجاء الدولة الإسلامية.

فكيف تطوّرت مؤسّسة الشرطة بعاصمة الخلافة وبالولايات من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ؟

(أ) الشرطة بعاصمة الخلافة

لقد تأسّست الشرطة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [1] الذي اتّخذ الشرطة والعسس بعد تعرّضه لمحاولة اغتيال من طرف الخوارج سنة 40 هـ عندما كان أميرا للشّام.

يبدو أنّ مهمّة هذه الشرطة عند نشأتها كانت أساسا في القيام على رأس معاوية عند سجوده بالمقصورة. وبالتالي تشبه وظيفة الشرطة الى حدّ ما وظيفة الحرّاس الذين يقومون بحراسة معاوية عند الصلاة. كما ذكر اليعقوبي أنّ الخليفة معاوية كان أوّل من أقام الشّرط في الإسلام [2]. لكن يجب علينا أن نحترز من هذه المعلومة.

ولا شك أنّ الخليفة معاوية بلور مؤسّسة الشرطة من باب تطوير الملكيّة. ولعلّ الخليفة معاوية تأثّر بالبيزنطيّين والساسانيّين الذين كان لديهم شرطة [3]. لكنّ هذا لا يعني أنّ الخليفة معاوية لم يطوّر نواة نظام الشرطة الذي كان موجودا في عهد الخليفة عليّ بن أبي طالب أو شرطة الخميس. فالشرطة بعاصمة الخلافة الأمويّة مرتبطة بالتنظيم العسكري وتتمثّل مهمّتها في الحفاظ على الانضباط داخل الجيش [4].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 149- 228.

2) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 276.

3) Louis Bréhier, **Les Institutions de l'Empire Byzantin**, Tome 1, p 154.

4) إحسان عبّاس، **مرجع مذكور**، ص 251.

Donner (F), **Idem**, p 256.

وفي هذا السياق كان كعب بن حامد العنسيّ صاحب شرطة للعديد من الخلفاء المروانيّين الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك والخليفة سليمان بن عبد الملك والخليفة يزيد بن عبد الملك والخليفة هشام بن عبد الملك (1).

كما ذكر ابن حبيب أنّ الخليفة الوليد بن عبد الملك أرسل كعب للجهاد في واقعة بحريّة وعوّضه بأبي نائل رياح بن عبده الغساني ثمّ أعاد الخليفة الوليد تعيين كعب ولم يلبث أن أرسله في الصائفة. ممّا يتأكد منه أنّ لصاحب الشرطة مهام عسكريّة كما كان يتولّى مهام إداريّة. فزمل بن عمرو على سبيل المثال كان على ديوان خاتم الخليفة يزيد بن معاوية (2). كما تولّى يزيد بن أبي كبشة ولاية الكوفة والبصرة للخليفة الوليد وتولّى الضحّاك بن قيس الفهري ولاية الكوفة للخليفة معاوية بعد أن كان صاحب شرطته (3).

بالإضافة إلى ذلك، فقد تولّى أصحاب الشرطة لدى الخلفاء مهمّات أخرى. فقد صلّى الضحّاك بن قيس الفهري على الخليفة معاوية عندما توفّي نظرا إلى تغيّب يزيد بن معاوية وليّ العهد بحوارين. كما أوصاه الخليفة معاوية هو ومسلم بن عقبة المرّي أن يبلغا وصيّته ليزيد أو الخليفة الجديد (4).

وكلّف الخليفة عبد الملك بن مروان أبا الزعيزعة مولاه صاحب شرطته أن يقتل عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق (5). وتولّى كعب بن حامد العبسيّ صاحب شرطة الخليفة سليمان بن عبد الملك بأمر من الخليفة استدعاء أهل بيته لمبايعة من ولّى في وصيّته أو كتابه.

---

1) ابن حبيب، **مصدر مذكور** ، ص 374.

2) هو صاحب شرطة الخليفة معاوية. هذه المعلومة لم ترد في المصادر على عكس ما يقوله Donner (F), *Idem*, p 262

ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 386

البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 195.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 300

الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 493

ابن خيّاط، **تاريخ**، ص 241.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 327-328

5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 450

البلاذري، **أنساب الأشراف**، بيروت 1996، ج6،ص22.

كما أرسله رجاء بن حيوة الكنديّ بعد موت الخليفة سليمان بن عبد الملك ليجمع أهل البيت الأموي بمسجد دابق حتّى يبايعوا مرّة ثانية لمن اختاره الخليفة في وصيّته (1).

ونستنتج ممّا تم بسطه وأنّه أنيطت بعهدة صاحب شرطة الخليفة عدّة مهام استثنائية في ظروف استثنائية إلى جانب دوره الأصلي وهو حراسة الخليفة. ولم تشتمل المصادر على معلومات أخرى حول تطوّر الشرطة بمركز الخلافة الأمويّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا عدد الشّرط.

فقد ذكر السيوطي أنّ الخليفة الأمويّ كان يكتسب ثلاثمائة شرطي (2). ذكر السيوطي هذا العدد في فترة خلافة عمر بن عبد العزيز عندما رفض هذا الأخير استعمال الشرطة من منطلق ديني. إنّ هذا العدد يبيّن تطور الشرطة في العهد المرواني. فالخليفة أصبح يعتمد على شرطة ذات عدد هامّ.

ولاحظ تواصلا لاستعمال أصحاب الشرطة لدى الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

كما نلاحظ أنّ الشرطة يقع اختيارها من رجال القبائل بالشام نظرا لمقدرة هؤلاء الأشراف والأسياد على تأطير عشائرهم وقبائلهم (3).

نستنتج أنّ المصادر ذكرت اسما واحدا لصاحب شرطة لأحد أجناد الشام وهو الحجاج بن يوسف وليس غريبا أن يتولّى الحجاج هذا المنصب لأنّ لديه مقدرة عسكرية عالية. كما نستنتج أن الخليفة عمر بن عبد العزيز لم يحدث قطيعة مع أسلافه حيث استعمل أصحاب الشرطة وهذا يرجع ربّما لوعيه بدور الشرطة العسكري.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 551 - 552
السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص 270
2) السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 283
3) Crone Patricia, **Slaves on horses**,p 103, p 319.
ذكرت Crone أنّ أصحاب الشرطة بالشام ينتمي بعضهم للأشراف كالضّحاك بن قيس وزمل بن عمرو السكسكي وكذلك قيس بن حمزة الهمداني.
Donner FM, *The Shurta*, p 260.

نستنتج أنّ تطوّر الشرطة في مركز الخلافة الأمويّة سيمهّد لتطوّر الشرطة في مركز الخلافة العبّاسية. كما أنّ تطوّر الشرطة في مركز الخلافة الأمويّة سينعكس على تطوّر الشرطة في الولايات [1].

(ب) الشرطة في الولايات

ارتبطت دراسة الشرطة بالولايات بالمصادر. فهذه الأخيرة تحدثّت بكثرة عن ولاية العراق نظرا إلى استراتجيّتها أو موقعها من مركز الخلافة فهي ولاية مركزيّة.

✓ **شرطة العراق**

o **شرطة البصرة**

تأسّست الشرطة بالبصرة على يد والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبي سفيان [2]. وقد أوكل إليها زياد مهمّة تنفيذ أوامر الوالي في المصر (البصرة) ومطاردة اللّصوص وقطّاع الطّرق والأشقياء والمتمرّدين والثّوار [3].

وقد ألقى زياد خطبته المشهورة "بالبتراء"بالبصرة التي منع فيها على النّاس الخروج ليلا. فهو نوع من حظر التّجول. وبعد أن أصدر هذا القرار كلّف صاحب الشرطة بالخروج إلى شوارع المصر فإذا وجد عاصيا لأوامر زياد يقبض عليه [4].

وقد كلّف الوالي شخصين بهذه المهمّة هما عبد الله بن حصن صاحب مقبرة ابن حصن وهو أحد بني ثعلبة بن يربوع والجعد بن قيس النّميري صاحب طاق الجعد.

وعيّن زياد بن أبي سفيان الجعد بن قيس النّميري صاحب طاق الجعد أمر الفسّاق فكان يتتبّعهم. إنّ الجعد كان مع عبد الله بن حصن على الشرطة بالبصرة ثم

---

1) **العلي، دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولى الأصول العربيّة الإسلامية وتقسيمات العراق الإدارية**، بغداد 1989، ص 250-251.
2) **الطبري، مصدر مذكور**، ج 5، ص 228.
3) **العلي، التنظيمات**، ص 96.
4) **الطبري، مصدر مذكور**، ج 5، ص 221-223.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 217.

اقتصر زياد على هذا الأخير وعيّن الجعد لتتبّع الفسّاق [1]. فهل تعتبر هذه الوظيفة تابعة للشرطة ؟ ربّما كانت هذه الوظيفة تابعة للشرطة فهي بمثابة شرطة الأخلاق.

لقد اقتصر زياد على تعيين شخص واحد على شرطته لأنّ الشرط تنازعوا بين يديه بالحراب. كما أنّ هذا التّعيين لشخص على شرطة الأخلاق سيعقّد حسن سير دواليب الدولة بالبصرة ويمكّن من فرض الأمـــن والاستقرار.

ويقـوم هـذان الـشّخصان بالحـراسة الشخصيّة للوالي في تنقّلاتـه. وبالتالي فـإنّ مهـمّة صاحب الشرطة بالبصرة كانت تشبه مهـمّة الحارس وهـذا دليـل على بساطة مؤسّسة الشرطة عند إنشائهـا بالبصرة. لكن رغم طابع البساطة التي كانت تـتميـّز به، فقد تمكّنت هـذه الشرطة نسبيّا من فرض سلطة الوالي والأمن بالمصر [2].

ولا يرجـع استتباب الأمن لدور الشرطة فقط بل يرجع أساسا إلى قوّة تأثير زيـاد ومقدرته على السّيطرة على الأوضاع. كما أنّ زيـاد كاد أن يحضر ألفا أو ألفين من شرطة البصرة للـكوفة عندما عيّن عليها [3]، لكنّه جاءهم في أهل بيته.

وقد أراد زيـاد تهـدّد أهل الكوفة بإمكانيّة استعمال شرطة البصرة للقضاء على تحركاتهم. على هذا الأساس، كاد زياد يستعمل عددا هامّا نسبيّا من شرطة البصرة. وبالتالي فإنّ شرطة البصرة لا تنحصر مهامّها على البصرة بل تتجاوزها للكوفة. ولا تتوقّف بساطة هـذه الشرطة بالبصرة في عهد زياد بن أبي سفيان على صلاحيّاتها بل تتجاوزها إلى أسلحة هـذه الشرطة. تستعمل هـذه الشرطة الحراب والـهراوات [4]. وهي أسلحة بسيطة لا يستطيع صاحب الشرطة ولا شرطته بواسطتها تأطير أمصار مدجّجة بالسّلاح. وقد بلغ عدد هـذه الشرطة

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 223.
البلاذري،مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 217.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 223.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 216.
صالح أحمد العلي، دراسات في الإدارة، ص 136.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 234- 235.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 197.
4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 197.

بالبصرة أربعة آلاف شخص [1]. بينما بلغ عدد المقاتلة بالبصرة ثمانين ألف مقاتل وبلغ عدد الذّريّــة مائة وعشرين ألف [2].

إنّ الـمقارنة بين عدد هـذه الشرطة وعدد الـمقاتلة يؤكّد عجز هـذه الشرطة عن القضاء على التّحرّكات الكبرى بالمصر، فدورها محدود [3].

وقد ارتفع عدد الشرطة في البصرة في عهد عبيد الله بن زياد والي البصرة من قبل الخليفة معاوية حيث جلب عبـيـد الله بن زياد البخاريّة مـن بخارى بعد أن قطع جبال بخارى وأسكنهم البصرة وجعلهم في العطاء ومنحهم الأرزاق [4]. وقد بلغ عددهـم ألفي شخص، وهـم يـتـقنون رمي السّـهـام [5]. على هذا الأسـاس، حارب الشّـرط الـبـخاريّة الـخوارج بالبصرة بأمر من عبيد الله بن زياد [6]. وقد كان هؤلاء البـخاريّة يـنـتسبون إلـيه، إلاّ أنّ علاقتـهم به ترجع إلى صفته الرّسميّة أكثر ممّا ترجع إلى صفته الشّخصيّة إذ أنّهم رفضوا أن يدافعوا عنه عندما قام البصريّـون ضدّه بعد موت يزيد [7]. ويبدو أنّ البخاريّة مرتبطة بشريف من أشراف البصرة وهو عبد الملك بن عبد الله بن عامر بن كريز الذي ينتمي إلى البيت الأموي. وقد كانت له بخاريّة مسلّحة ولعبت دورا في ثورة أهل البصرة بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية [8].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 223.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 220.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 297.
البلاذري، **فتوح**، ص 524.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 356.
4) صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص 72.
صالح أحمد العلي، **خطط البصرة ومنطقتها دراسة في أحوالها العمرانية والمالية في العهود الإسلامية الأولى**، بغداد 1986، ص 56.
Hawting G.R, **The first Dynasty of Islam**, p35.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 298.
صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص 112.
6) ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 517.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 501، 509.
صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص 112.
8) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 527.

ولم يذكر الطبري كيف تحصّل هذا الشّريف على البخاريّة. نستنتج من خلال هذا الخبر أنّه تمّ إدخال عناصر أعجميّة إضافيّة في الشرطة بالبصرة في عهد عبيد الله بن زياد. وهذه العناصر ستقوّي الشرطة من الناحية العدديّة.

وتجدر الملاحظة أنّ العناصر الأعجمية من الشرطة وجدت قبل هذا التّاريخ بالبصرة. وهي تصنّف كالآتي :

1) الموالي وهم قوّات من الفرس وقد لعبوا دور الشرطة ودورا إداريّا. وأهمّ هذه القوّات وأكثرها عددا بالبصرة، الأساورة الذين بلغ عددهم حوالي ألفين وخمس مائة، خمسة منهم يأخذ كلّ واحد ألفين وخمسة مائة درهم من العطاء ومائة يأخذ كلّ منهم ألفي درهم [1]. وقد أعطيت لهم الأرزاق ومنحت لهم الخطط. وقد نقل زياد عددا منهم إلى أنطاكية لتقوية الحاميات الإسلامية هناك [2].

2) السيابجة وهم قوّة فارسيّة أخرى كانت عند البحرين والخط والطّفوف ثمّ استسلموا للعرب فأسكنوهم البصرة ووكّل إليهم حراسة بيت المال والمسجد – الجامع ودار الإمارة والسّجن [3]. ونقل زياد منهم إلى أنطاكية لتقوية الحاميات الإسلامية [4].

3) الزّطّ وهم قوّة أخرى من الأعاجم انضمّت إلى العرب منذ عهد أبي موسى الأشعري [5]. قد تحصّلوا على العطاء واختلف المؤرّخون في أصل هؤلاء الأعاجم وقد كانوا يحرسون دار الإمارة والمسجد-الجامع مع السّيابجة [6]. لكنّ المصادر لم تذكر مساهمتهم في أعمال الشرطة بالبصرة وهذا ما يميّزهم عن البخاريّة.

ولم تذكر المصادر تطوّرا لمؤسّسة الشرطة بالبصرة في فترة الخلفاء المروانيين وولاّتهم كالحجّاج بن يوسف الثّقفي ما عدا في فترة الخليفة يزيد بن عبد الملك وفي ولاية مسلمة بن عبد الملك للعراق.

---

1) صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص 69.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 160-161.
3) صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص70-71.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 347.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 378.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 36.
4) البلاذري، **فتوح**، ص 221-222.
5) البلاذري، **فتوح**، ص 160-161.
6) صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص71-72.

وقد ذكر الطبري لأوّل مرّة وفيما يخصّ الفترة الأمويّة كلمة الأحداث حيث عيّن مسلمة بن عبد الملك على الشرطة والأحداث بالبصرة عمر بن يزيد التّميمي [1]. إنّ الحدث هو الأمر الحادث المنكر أي البدعة. تتمثّل هذه المهمّة في المحافظة على الأخلاق. وقد أُضيفت إلى مهمّة صاحب الشرطة. ويبدو حسب دائرة المعارف الإسلامية أنّها مسؤولة عن الأمن ومقاومة الحرائق وإعانة الجيش في حالات خاصّة [2]. فهل أحدثت هذه المهمّة بالبصرة بصفة خاصّة بعد القضاء على ثورة يزيد بن المهلّب ؟

ربّما كان هذا التّأويل صحيحا. فتخوّف الأمويّين من الثورة وتعصّب اليمنيين (أساسا الأزد) لذكرى يزيد بن المهلّب جعلهم يعزّزون جهاز الشرطة بالبصرة للقضاء على الثّورات والمحافظة على الأمن والاستقرار. ولا تذكر المصادر هل كان هذا التنظيم قد عمّم على جميع الولايات. ويبدو أنّ وظيفة صاحب الشرطة والأحداث بالبصرة تطوّرت في ولاية مسلمة بن عبد الملك والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك.

فقد أشار عمر بن يزيد التّميمي صاحب الشرطة والأحداث بالبصرة من قبل مسلمة بن عبد الملك (والي العراق وخراسان في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك) على والي البصرة عبد الرّحمن بن سليم الكلبي، بعد أن أفشى له هذا الأخير أنّه يريد أن يستعرض أهل البصرة، أشار عليه أن لا يستعرضهم خوفا من رميهم له ولأصحابه بالحجارة. وطلب صاحب الشرطة والأحداث من الوالي أن يمهله عشرة أيّام حتّى يجهّز نفسه لهذا الاستعراض. ثمّ أرسل عمر بن يزيد التّميمي رسولا إلى مسلمة بن عبد الملك يخبره بما عزم عليه عبد الرّحمن. على هذا الأساس، عزل مسلمة عبد الرحمن بن سليم وعيّن واليا آخر على البصرة [3].

ويتمتّع صاحب الشرطة والأحداث بالبصرة بسلطة ونفوذ كبيرين. فهو مسموع الكلمة لدى والي العراق وخراسان. كما أصبح يلعب دورا سياسيّا في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، فهو يشير على والي البصرة.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 605

2) E.I², tIV 1 *Shurta*.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 605

كما كلّف بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعريّ صاحب شرطته بالتثبّت من قول رفع له [1]. فربّما وكّل بلال مهمّة صاحب الشرطة للزغل نظرا إلى كثرة الوظائف التي كلّف بها.

وأخيرا، نستنتج أنّ الشرطة كقوّة عسكريّة مرتبطة بالوالي كانت محدودة عدديّا بعد القضاء على ثورة يزيد بن المهلّب الأزديّ وبالتالي كانت هذه الشرطة عاجزة عن استعراض أهل البصرة أي المقاتلة المدجّجين بالأسلحة. فهل ارتفع عدد الشّرط من عهد الولاة السّفيانيين إلى عهد الولاة المروانيــين بالبصرة، وهل تطوّرت أسلحة هذه الشرطة ؟

لا توفّر المصادر معلومات ضافية عن تطوّر مؤسّسة الشرطة لكن يبدو أنّ عددها بقي محدودا نسبيّــا بالمقارنة مع مجموع المقاتلة بالمصر. كما تطوّرت وظيفة صاحب الشرطة بالبصرة، حيث كلّف خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك مالك بن المنذر بن الجارود بالقضاء قضاء مبرما على منافس سياسي للوالي وهو عمر بن يزيد الأسيدي. وقد نفّذ مالك أمر خالد فضرب عمر بن يزيد بالسّياط حتّى قتله [2].

ربّما كان صاحب الشرطة بالبصرة يتكفّل بتصفية الأعداء السّياسيين للوالي إضافة للمهامّ الأخرى التي يقوم بها. فصاحب الشرطة أصبح وسيلة بيد الوالي لتنفيذ أغراض شخصيّة تعود لحزازات بين خالد اليمني وعمر بن يزيد القيسيّ.

إضافة لكلّ هذه الوظائف التي كانت تقوم بها الشرطة بالبصرة، فإنّها كانت تقوم بالــحراسة في اللّيل أو العسّ. لكنّ المصادر لم تذكر معلومات ضافية عن هذه الــمهمّة من فترة الخليفة معاوية إلى آخر خلافة هشام بن عبد الملك ما عدا خبرا واحدا ورد في ابن عساكر. فقد كلّف بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري رئيس العسس زريع بمراقبة ما يقوله "أهل الأهواء" أي المعارضة بالمسجد [3].

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج3، ص 321

Tyan (E), Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam, Paris 1938, T 2, p 395.

وهو مكلّف بالشرطة والأحداث والصلاة والقضاء بالبصرة من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص46.

3) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج3، ص 323.

نستنتج من خلال هذا الخبر أنّ الشرطة (أو العسس) كانت تراقب المسجد في الليل وبالتالي تحرص على الأمن والاستقرار بالبصرة. وهذا دليل على قوّة الحكم الأموي في فترة الخليفة هشام بن عبد الملك وكذلك تواصلت مهمّة العسّ منذ أوّل الفترة الأمويّة إلى فترة الخليفة هشام. لكن ليس لدينا فكرة واضحة حول تطوّر هذه الوظيفة.

ويستنتج مما سبق بيانه أنّ الشرطة تطوّرت بالبصرة من عهد زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية إلى عهد خالد بن عبد الله القسريّ والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك إلى جهاز ناجع نسبيّا بما أنّه وقع فرض الأمن والاستقرار بواسطته. كما أنّ هذا الجهاز أصبح أداة لتصفية حسابات سياسيّة وقبليّة والحفاظ على المناصب السياسيّة للولاة هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى وفّرت لنا المصادر أسماء أصحاب الشرطة بالبصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وبالتّحديد ولاية خالد بن عبد الله القسري للعراق وخراسان.

فأغلبيّة أصحاب الشرطة كانوا ينتمون إلى قيس. وربّما ارتبط تعيين أصحاب الشرطة حسب انتماءاتهم القبليّة (لليمن أو لقيس) بميولات الوالي وانتماءاته القبليّة.

فربّما عيّن خالد بن عبد الله القسري بلال بن بردة بن أبي موسى الأشعري على ولاية البصرة وعلى الشرطة والأحداث والقضاء بالبصرة لانتمائه إلى نفس جذوره القبليّة أي اليمن. كما أنّ بعض أصحاب الشرطة بالبصرة كانوا ينتمون للأشراف أي الشّريحة الاجتماعيّة التي اعتمدت عليها الدولة لتأطير القبائل ومن بين هؤلاء الأشراف الشّرط عبّاد بن الحصين الحبطي وزياد بن عمرو العتكيّ وعبد الله بن عامر بن مسمع وزياد بن جرير عبد الله البجلي وبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري. فهل يعني هذا أنّ هؤلاء الأشراف كانوا يؤطّرون قبائلهم فقط ولم يستطيعوا بالتالي تأطير كامل المصر ؟

كما أنّ اكتساب بعض أصحاب الشرطة لمقدرة عسكريّة عالية واستثنائية إلى جانب إخلاصهم وتفانيهم في خدمة السّلطة الأمويّة جعل الولاة يجمعون لهم العديد من المهمّات في نفس الوقت. فقد جمع الحجّاج بن يوسف الثّقفي لعبد الرحمن بن عبيد السعدي شرطة الكوفة وشرطة البصرة. وجمع خالد بن عبد الله القسري لبلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ولاية البصرة وشرطتها وأحداثها وقضاءها.

إنّ جمع كل هذه الوظائف لبلال يرجع لمقدرته السياسيّة إضافة لعلمه وفقهه. على هذا الأساس، تطوّرت مهمّة صاحب الشرطة بالبصرة في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وتميّزت بتعقّد مهام صاحبها.

تطوّرت مؤسّسة الشرطة بالبصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وواليه على العراق وخراسان زياد بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وواليه على العراق وخراسان خالد بن عبد الله القسري. ولم يقتصر تطوّر الشرطة على البصرة بل شمل كذلك شرطة الكوفة. فكيف تطوّرت شرطة الكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ؟

- **شرطة الكوفة**

لقد وفّرت المصادر معلومات أكثر عن الشرطة بالكوفة وذلك في سياق حديثها عن ثورات الشّيعة والخوارج. ولعلّ وفرة هذه المعلومات ترجع إلى اعتماد هذه المصادر (كالطبري) على إخباريين كوفيين كأبي مخنف ونصر بن مزاحم وعوانة بن الحكم. ووفّرت هذه المصادر معلومات حول الأصول العرقيّة لهذه الشرطة وعددها وصلاحيّاتها خلال الفترة الممتدّة من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. تتركّب هذه الشرطة من الحمراء أي الموالي من الفرس والرّوم حيث أرسل زياد بن أبي سفيان بكير بن حمران الأحمري - وهو ربّما أحد رجال الشرطة - لإحضار عبد الله بن خليفة الطّائي [1]. كما ذكر الطبري في رواية ثانية أنّ زياد أرسل الشرط وهم أهل الحمراء للقبض على عبد الله بن خليفة الطّائي [2]. وكان لعبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية شرطيّ يقوم على رأسه وهو حميد بن بكير الأحمريّ [3].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 267.
حافظ الجدّي، قبيلة همدان في القرن الأوّل وبداية القرن الثاني للهجرة، شهادة الكفاء في البحث تحت إشراف د. راضي دغفوس، الجامعة التونسيّة جامعة تونس الأولى كليّة العلوم الإنسانيّة والإجتماعيّة، تونس سبتمبر 1993، ص 89-95.
Lammens (H), Etudes sur Le Siècle des Omaiyades, p 131.
عبد الله بن خليفة هو أحد صحابة حجر بن عديّ الكندي.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5،ص 281.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 368.
العلي، التنظيمات، ص 69.

إضافة إلى الحمراء أي الموالي الذين وجدوا بالكوفة، فقد كلّف يوسف بن عمر الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك البخاريّة والقيقانيّة (وهم ناشبة)، بقتال زيد بن علي (وهو حفيد الحسين بن علي) بالكوفة سنة 122 هـ [1]. إنّ هذه البخاريّة التي قاومت زيد بن علي هي ربّما التي جلبها الحجّاج وأقرّها بواسط.

وقد بلغ عدد القيقانيّة ثلاثمائة [2]. على هذا الأساس، كانت الشرطة بالكوفة على شاكلة الشرطة بالبصرة تتكوّن من الموالي. وهؤلاء الموالي يساهمون في القضاء على الثورات إلى جانب الشرط العرب وبالتالي أضيفت عناصر أعجميّة جديدة من عهد زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد يوسف بن عمر الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك. لكنّ التاريخ الدقيق لدخول هذه العناصر غير موجود بالمصادر.

لكنّ المصادر لم تبخل علينا بعدد الشرطة أو الشرط. فقد انعزل عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية في القصر بالكوفة بعد أن بايع النّاس الحسين بن علي. وقد كان عبيد الله بن زياد مصحوبا بالأشراف وبأهل بيته ومواليه وكذلك الحشم والشرط الذين بلغ عددهم ثلاثون شخصا. إنّ هذا العدد محدود. وهذا سينعكس على دور الشرطة أيضا الذي سيكون محدودا أيضا. وقد ارتفع عدد الشرطة إلى مائتي شخص في ولاية خالد بن عبد الله القسري على العراق وخراسان. وأصبحت الشرطة بالكوفة في ولاية يوسف بن عمر الثّقفي للعراق وخراسان تتركّب من ألفي شرطيّ إضافة لثلاثمائة من القيقانيّة.

تتضمن المصادر معلومات ضافية حول تطوّر عدد رجال الشرطة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكن بالإمكان استنتاج أنّ عدد الشرطة قد ارتفع من ولاية عبيد الله بن زياد بالكوفة إلى ولاية يوسف

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7،ص 182-186.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 244.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 326.
Djaït (H), **Al-Kufa Naissance de la ville islamique**, Paris 1986, p 269.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7،ص 182.
البلاذري، **فتوح**، ص 524.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5،ص 244.

الثّقفي لها. وهذا من شأنه أن يساعد نسبيًا على بسط الأمن أكثر فأكثر وتركيز الحكم الأموي بالكوفة. فما هي وسائل تركيز الأمن أو الأسلحة المستعملة من قبل الشرطة ؟ وهل تطوّرت هذه الأسلحة المستعملة من قبل هذه الشرطة بالكوفة من خلافة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ؟

إنّ الحمراء أي الموالي الذين أرسلهم زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان للقبض على أحد أصحاب حجر بن عديّ الكنديّ، رموه بالحجارة. كما أمر زياد صاحب شرطته بالكوفة شدّاد بن الهيثم الهلاليّ أو هيثم بن شدّاد الهلاليّ أن يقبض على حجر بن عديّ الكنديّ باستعمال عمد السّوق وهي عصي من خشب.

لا شكّ أنّ الشرطة ليس لها سلاح كافٍ وحتّى إن وجد فهو بسيط [1]. ووجد شرطيّ بمجلس الوالي عبيد الله بن زياد عند ثورة الحسين بن علي. وكان هذا الشّرطيّ متقلّدا سيفا عندما اختطفه منه هانىء بن عروة المراديّ (سيّد أو شريف مذحج وأحد شيعة الحسين) للدّفاع عن نفسه تجاه ضرب الوالي له [2]. وأخيرا، استعمل القيقانية والبخاريّة في قتالهم لزيد بن عليّ السّهام [3]. نستنتج أنّ الأسلحة المستعملة من قبل الشرطة بالكوفة هي أسلحة بسيطة. كما كان الشّرط يركبون دوابّ غير فارهة عند قتالهم للخوارج زمن ولاية خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك. فتمكّن الخوارج من اللحاق بهم [4].

إنّ وسائل عمل الشرطة بالكوفة أو الأسلحة التي تستعملها بسيطة. كما أنّ المصادر لم تذكر ما هي المرتّبات التي كانت تمنح لأصحاب الشرطة بالكوفة ما عدا إشارة واحدة. فقد أعطى بشر بن مروان والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان لصاحب شرطته مائة ألف درهم كمرتّب [5].

لكنّ البلاذري لم يذكر إن كان بشر يعطي هذا المبلغ لصاحب شرطته كلّ شهر. كما أنّ هذا المرتّب هامّ. إنّ هذا الخبر يبقى منعزلا بما أنّنا لا نستطيع مقارنته بأمثلة أخرى. لكنّ المصادر توفّر نسبيًا معلومات عن وظائف هذه

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5،ص 257-258-259-260.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5،ص 349-367.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 182.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 244.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7،ص 131.
5) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 177.

الشرطة بالكوفة وصلاحيّاتها منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

يبدو أنّ الشرطة ساهمت نسبيّا في القضاء على حركات المعارضة أي الخوارج والشّيعة. فقد كلّف المغيرة بن شعبة الثّقفي والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان قبيصة بن الدّمّون صاحب شرطته أن يقبض على حيّان بن ظبيان السّلميّ لاجتماع الخوارج بمنزله. وتمكّن قبيصة من القبض على حيّان بن ظبيان في الشرطة وفي كثير من الناس [1]. على هذا الأساس، يبدو أنّ الشرطة محدودة عدديّا، ولا تستطيع أن تقضي على ثورة إلاّ بعد مساعدة من طرف مقاتلة الكوفة.

كما كلّف المغيرة بن شعبة قبيصة بن الدّمون بإلحاق شيعة عليّ معه حتّى يقاوموا مقاومة شديدة الخوارج [2]. فشيعة علي يكرهون الخوارج وقد خبروا قتالهم ممّا يسهّل القضاء عليهم. كان دور الشرطة محدودا في القضاء على هذه الثّورة بل هي لعبت دورا عسكريّا إلى جانب المقاتلة. كما تبرز محدوديّة دور الشرطة عندما كلّف زياد بن أبي سفيان جماعة من رجال الشرطة من الحمراء بالقبض على عبد الله بن خليفة الطائي [3].

لكنّ هؤلاء الحمراء عجزوا عن القيام بمهمّتهم نظرا إلى مناداة أخت عبد الله طيّء لتخليصه من أيديهم. فهرب هؤلاء النفر خوفا من اجتماع طيّء. فالحميّة القبليّة قد غلبت هذا العدد المحدود من الشرطة بالكوفة. كما أنّ الشرطة تمكّنت من القبض على حجر بن عديّ الكندي بعد أن أطّر الأشراف قبائلهم أو عشائرهم بأمر من زياد بن أبي سفيان [4]. ففي حال عدم تأطير الأشراف لقبائلهم، فإنّ الشرطة لا تستطيع أن تقف في وجه مقاتلة مدجّجين بالسّلاح قد أطاحوا بكبار الامبراطوريّات. وهذا الخبر يكذّب ما قاله البعض بأنّ زياد أكثر من عدد الشرطة ليتّخذها أداة لطغيانه [5].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 181-182.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 188.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 267-281.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 257-260.
5) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 123.

وكلّف عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية الشّرط بالقبض على مسلم بن عقيل بن أبي طالب في ثورة الحسين بن عليّ بالكوفة [1]. وأوكل عبيد الله بن زياد إلى أحد رجال الشرطة مهمّة ضرب عنق مسلم بن عقيل بن أبي طالب [2]. كما أنّ الشرطة أو الجلاوزة رافقوا عبيد الله بن زياد عندما خطب بالمسجد-الجامع بالكوفة وقبضوا على أحد شيعة الحسين لأنّه عارض قول الوالي [3]. وهذا يدلّ ربّما على مرافقة هذه الشرطة للوالي في تنقّلاته.

كما أنّ الشرطة ربّما كانت تحرس الوالي عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية [4]. كما كان لعبيد الله بن زياد شرطيّ يقف عند رأسه وهو حميد بن بكير الأحمريّ [5]. فهل تدخل هذه المهمّة في إطار البروتوكول؟

المهمّ أنّ الشرطة كانت مرتبطة بشخص الوالي وتقوم بحراسته. وذكر الطبري أنّ عبيد الله بن زياد كلّف صاحب شرطته الحصين بن تميم أن يأمر الحرس بالوقوف وراءه عندما يصلّي. كما أنّ صاحب الشرطة قام بدور عسكري هامّ في عهد عبيد الله بن زياد [6].

فقد كلّف عبيد الله بن زياد الحصين بن تميم صاحب شرطته أن ينصب كمينا للحسين بن عليّ حتّى يقبض عليه وعلى أنصاره ويمنعهم من دخول الكوفة [7]. فقد أقام الحصين المناظر والمسالح ما بين الكوفة والمناطق المحيطة بها، وكان الشّرط على ما يبدو على الخيل. وقد نجح الحصين في مهمّته بالقبض على رسول الحسين بن عليّ إلى أهل الكوفة وأخي الحسين بن عليّ من الرضاعة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 372-373-470.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 288
2) هو بكير بن حمران الأحمري (من الحمراء) ذكر في الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 373-378.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 459.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 349-367.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 368.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 372-373.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 398-401.

على هذا الأساس، قامت الشرطة بدور عسكري واستراتيجي لصالح الدولة. لكنّنا نتساءل إن كان المقاتلة قد ساعدوا الشرطة في القيام بهذه المهمّة؟ كما كان صاحب الشرطة بمثابة المستشار للوالي عبيد الله بن زياد حيث نصح الحصين بن تميم الوالي أن يصلّي بالقصر ويترك نائبا له على الصلاة بالمسجد لأنّ صاحب الشرطة يخاف عليه من الاغتيالات، وقد استجاب الوالي له [1]. على هذا الأساس، فإنّ صاحب الشرطة مقرّب من الوالي ويحرص على حياته. وقد تواصل الدّور العسكري الذي لعبته الشرطة في عهد الحجّاج بن يوسف الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان.

فقد كلّف الحجّاج صاحب شرطته بالكوفة حوشب بن يزيد بالأخذ بأفواه السّكك مستعينا بجمع من أهل الكوفة للقضاء على ثورة شبيب الخارجيّ، لكن إلى جانب المقاتلة والأشراف الكوفيين [2].

إنّ الشرطة كان عددها محدودا وبالتالي لم تكن قادرة لوحدها على القضاء على الثّورات. وأخذ الحجّاج برأي صاحب شرطته عبد الرحمن بن عبيد بن طارق العبشميّ وكاتبه على ديوان الخراج زاذان فرّوخ اللّذين أشارا عليه بتحويل عهد المهلّب بن أبي صفرة على ولاية خراسان وعبيد الله بن أبي بكرة على سجستان [3].

يتمتّع صاحب الشرطة بالكوفة بمكانة هامّة لدى الحجّاج، فهو استشاره وأخذ برأيه في أمر هامّ. فهذا الخبر يؤكّد أنّ صاحب الشرطة بالكوفة أي بولاية من ولايات الدولة الأمويّة كان على غرار صاحب الشرطة بعاصمة الخلافة الأمويّة مقرّبا من الوالي وهو ربّما من خاصتّه [4]. وقد تواصل دور الشرطة العسكري في مقاومة المعارضة إلى جانب المقاتلة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك وفي ولاية عبد الحميد بن عبد الرحمن للكوفة. فقد أرسل الوالي الشّرط والمقاتلة للقبض على يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة [5]. فالشرطة هي جزء من الجيش ويساهم أفرادها في قمع الثورات.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 372-373.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 268 - ص 274.
3) الطبري، مصدر منكور، ج 6، ص 320.
4) انظر الشرطة بعاصمة الخلافة.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 578-579.

كما كلّف محمّد بن عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط – وهو والي الكوفة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك – صاحب شرطته العريان بن الهيثم أن يقتل الأسرى أي رجال يزيد بن المهلّب. ونفّذ صاحب الشرطة هذا الأمر من باب الطاعة للوالي [1].

وأمر خالد بن عبد الله القسري شرط الكوفة وحدهم بقتـال الخـوارج. ولم يذكـر الطبري كم بلغ عدد هذه الشّرط [2]. فهل كان عدد الخوارج محدودا إلى درجة أنّ والي العراق أرسل الشّرط وحدهم ولم يرسل المقاتلة معهم لقتال هؤلاء المعارضة؟ أجاب الطبري عن هذا السّؤال عندما ذكر أنّ عبيد أهل الكوفة وسفلتهم رموا الخوارج بالحجارة حتّى قتلوهم [3]. فالشّرط كانوا عاجزين وحدهم عن قتال الخوارج.

وقاتل المقاتلة وعبيد أهل الكوفة وسفلتهم وكذلك الشّرط قاتلوا جميعا حتّى تمكّنوا من القضاء على ثورة الخوارج. وتواصل هذا الدّور العسكري للشرطة في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث قاتل صاحب شرطة يوسف بن عمر الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك – وهو العبّاس بن سعيد المزنيّ – زيد بن عليّ [4].

ولم تتوقف صلاحيّات الشرطة على الجانب المدني أو الارتباط بشخص الوالي وحراسته والجانب العسكري وهو مقاومة المعارضة الخارجيّة أو الشيعيّة بالكوفة بل كذلك ارتبطت الشرطة بالقضاء. كانت تصاحب الشرطة أو الشّرط القاضي شريح عندما دخل على عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية [5]. وكان هذا الشّرطيّ يمسك بسوط [6]. على هذا الأساس، فإنّ القاضي بالكوفة كان محروسا من قبل الشرطة – وربّما ساعدته هذه الشرطة على تطبيق أحكامه-. وأخيرا، كانت الشرطة مكلّفة بالحراسة في اللّيل أو العسّ بالكوفة. فقد قدم الفرزدق لابن أمّ الحكم لكي يطلبه في معروف وشرب مع بعض الكوفيين، فأخذه

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 598-599.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 134.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 134.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 182-185-186؛ ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 244.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 361.
6) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 320.

صاحب العسس وحبسه [1]. نستنتج أنّ صاحب العسس يحرص على الأمن والاستقرار والأخلاق الحميدة بالكوفة.

كان العاسّ موجودا بالكوفة في ولاية خالد بن عبد الله القسري للعراق وخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [2]. فقد تفطّن العاسّ لقدوم أشخاص غرباء وهم يوسف بن عمر الثّقفي والي اليمن وأصحابه الذين جاؤوا متنكّرين. وقد بعثه الخليفة هشام بن عبد الملك، في كنف السريّة التّامة، ليعزل خالدا. وقد كاد العاسّ أو العسس يقتلونهم لولا رفض طارق بن أبي زياد خليفة خالد بن عبد الله القسري على الكوفة لقتلهم. وتميّز العاسّ بدقّة الحراسة. وهذا يبيّن تطوّر الحراسة في الليل واستتباب الأمن منذ عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

نستنتج أنّ مؤسّسة الشرطة بالكوفة شهدت تطوّرا منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وقد ساهمت مع المقاتلة في القضاء على حركات المعارضة بالكوفة. فهي بذلك قد لعبت دورا عسكريّا على شاكلة الشرطة في البصرة وبعاصمة الخلافة. كما أنّها كانت تحرس الوالي وتقوم بدور الحراسة الليليّة. لكنّها رغم هذا التطوّر بقيت ذات فاعليّة محدودة نظرا إلى أنّ عددها محدود وأسلحتها بسيطة في مصر مملوء بمقاتلة مدجّجة بالأسلحة. فكانت عاجزة عن القضاء بمفردها على الثّورات وهي في حاجة إلى مساعدة الأشراف والمقاتلة للقيام بذلك.

وفّرت لنا المصادر قائمة لأصحاب الشرطة لدى ولاة الكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكن لم نعثر لأثر لأصحاب الشرطة لدى ولاة الكوفة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز. كما أنّ فترة ثورة عبد الله بن الزّبير والمختار بن أبي عبيد الثقفي (65-71 هـ) تميّزت بتعيين عمّال أحد الثائرين من ناحية. من ناحية أخرى، تولّى قيادة الشرطة أشخاص ينتمون إلى قيس وإلى اليمن أي أنّهم عرب.

لكنّ أغلبيّة أصحاب الشرطة - عشرة أشخاص - ينتمون لقيس. ولا ينتمي إلى اليمن إلاّ أربعة أشخاص. ولم نجد في المصادر الانتماء القبلي لشخصين من

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 138 ; وهو والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 147.

أصحاب شرطة ولاة الكوفة وهما شدّاد بن الهيثم الهلاليّ وقطن بن عبد الله بن الحصين الحارثيّ.

ربّما قد خضع تعيين أصحاب الشرطة للعصبيّة القبليّة. فكلّ وال، متعصّب لتيّار معيّن، يعيّن شخصا من نفس التيّار حيث عيّن يزيد بن المهلّب والي العراق وخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك صاحب شرطة ينتمي إلى اليمن وهو زياد بن جرير بن عبد الله البجليّ. وولّى خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك صاحب شرطة ينتمي إلى اليمن وهو العريان بن الهيثم النّخعيّ بينما عيّن يوسف بن عمر الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك صاحب شرطة من قيس وهو العبّاس بن سعيد المـُزنيّ. كما خضع تعيين عمّال الشرطة بالكوفة للقرابة أو الانتماء لنفس العشيرة. فقد عيّن الحجّاج بن يوسف الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ابن أخيه مودودا.

كما لعب العامل الإيديولوجي دورا أساسيّا في تعيين أصحاب الشرطة نقص وهو قطن بن عبد الله بن الحصين الحارثي وهو صاحب الشرطة من قبل بشر بن مروان والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان أو أنّ قطن كان صاحب الشرطة وفي نفس الوقت والي الكوفة لدى الخليفة عبد الملك بن مروان. فقد عيّن هذا الأخير قطن بن عبد الله بن الحصين الحارثي على الشرطة بالكوفة بعد القضاء على ثورة عبد الله بن الزّبير لأنّه كان عثمانيّا وشديد الميل للخليفة عبد الملك [1].

وأخيرا، يخضع تعيين أصحاب الشرطة لمقدرتهم العسكريّة. فقد شغل زياد بن جرير بن عبد الله البجلي خطة صاحب الشرطة لدى الحجّاج بن يوسف في خلافة عبد الملك بن مروان ثمّ في خلافة الوليد بن عبد الملك وفي خلافة سليمان بن عبد الملك. وتبوّأ العريان بن الهيثم النخعيّ هذا المنصب لدى مسلمة بن عبد الملك في خلافة يزيد بن عبد الملك ولدى خالد بن عبد الله القسري في خلافة هشام بن عبد الملك.

فإنّ دراسة قائمة أصحاب الشرطة لدى ولاة الكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تبقى منقوصة لعدم توفّر المعلومات في المصادر عن فترة الخليفة عمر بن عبد العزيز. ولم تقتصر المصادر

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 351.

على ذكر شرطة البصرة وشرطة الكوفة بل ذكرت شرطة واسط. فهل تطوّرت الشرطة بواسط على غرار تطوّر الشرطة بالبصرة والكوفة ؟

- **شرطة واسط**

إنّ إحداث جهاز الشرطة بواسط من قبل الحجّاج بن يوسف الثّقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان يتنزّل في إطار استراتيجية معيّنة وهي تطوير الجانب العسكري الدّفاعي على حساب مقاتلة العراق وأمصارها وذلك بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث.

يبدو أنّ مهمّة صاحب الشرطة بواسط قد ارتبطت بمهمّة الحارس الخاصّ للوالي. فقد كان الحجّاج بن يوسف الثّقفي مرفوقا في جولاته بواسط بصاحب شرطته وبحارسه الخاصّ، وكان كلاهما يحمل الحربة [1]. نستنتج أنّ مهمّة صاحب الشرطة ومهمّة الحارس الخاصّ للوالي كانتا متكاملتين. فالشّرطيّ في واسط في عهد الحجّاج كان له نفس دورالشرطيّ في عهد زياد بن أبي سفيان. كما نستنتج أنّ السّلاح المستعمل من قبل الحارس والشرطيّ هو سلاح بسيط ولم يتطوّر من عهد زياد إلى عهد الحجّاج. ولم تذكر لنا المصادر معلومات أخرى حول تطوّر مؤسّسة الشرطة بواسط ما عدا وجود قائدي شرطة لدى عمر بن هبيرة الفزاريّ والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك [2]. وقد وفّرت لنا المصادر قائمة أصحاب الشرطة لدى ولاة واسط.

فقد اختار الحجّاج بن يوسف الثّقفي خمسة عمّال للشرطة من الشام عند تأسيسه لواسط نظرا إلى طاعة عمّال الشام وربّما أيضا لتخوّفه من عمّال العراق بعد ثورة ابن الأشعث. ولم نعثر على الانتماء القبلي لأربعة أشخاص. وينتمي أحد العمّال إلى قيس، وربّما أثّر التعصّب القبلي للولاة على تعيين أصحاب الشرطة. فقد عيّن عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك شخصا على الشرطة من باهلة أي من قيس. بينما عيّن يزيد بن المهلّب والي العراق وخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك شخصا من اليمن على شرطة واسط.

---

1) ابن خيّاط، تاريخ، ص 239.

2) ابن خيّاط، مصدر مذكور، ص 262.

إذن ينتمي أصحاب الشرطة بواسط إلى العراق العربي. وليس هناك صاحب شرطة أعجمي أو مولى. لكن قلّة المعلومات بالمصادر تجعل دراسة هذا العنصر منقوصة. بالإضافة إلى قائمة أصحاب الشرطة بواسط، وفّرت لنا المصادر قائمة لأصحاب الشرطة بالحيرة.

- شرطة الحيرة

لم توفّر المصادر معلومات حول تطوّر الشرطة بالحيرة في فترة الخليفة هشام بن عبد الملك وفي ولاية يوسف بن عمر الثّقفي ما عدا قائمة لأصحاب الشرطة. فقد غيّر يوسف بن عمر الثّقفي عاصمة ولايته حيث سكن الحيرة عوض واسط1. ولم تذكر المصادر معلومات أخرى عن تطوّر مؤسّسة الشرطة في هذه الفترة بالحيرة. لكنّ قائمة أصحاب الشرطة بالحيرة تبيّن أنّ يوسف بن عمر عيّن شخصان في الشرطة من قيس. وهذا يرجع إلى تعصّبه لقيس.

إنّ عدم توفّر معلومات في المصادر عن الشرطة بالحيرة تجعل دراستنا لهذا العنصر منقوصة.

وهكذا فإنّ مؤسّسة الشرطة بالعراق كانت منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تلعب دورا عسكريّا محدودا في القضاء على الثّورات. كما أنّ الشرطة بالعراق كانت مرتبطة بشخص الوالي – والي الكوفة أو والي البصرة أو والي العراق وخراسان المستقرّ بواسط أو بالحيرة. وأخيرا، تميّز أصحاب الشرطة بالعراق بانتمائهم للعراق العربي على خلاف العمّال بالمؤسّسات الأخرى. فهل تتميّز دراسة الشرطة في ولاية خراسان بنفس هذه الخصائص ؟

- شرطة خراسان

إنّ المصادر لم توفّر لنا إلاّ خبرين يخصّان الشرطة بخراسان. فقد شارك عامر بن أينم الواشجيّ صاحب شرطة والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي المقاتلة في الجهاد بجرجان [2].

---

1) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 328-329.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 254.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 322.
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 271.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 542.
ياقوت الحموي ، **معجم مذكور**، ج 2، ص 119.

وساهم الحرس والشرطة مع المقاتلة بخراسان في قتال الترك أو الجهاد زمن ولاية أسد بن عبد الله القسري والي خراسان من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك [1].

تمثّل الشرطة بخراسان أحد عناصر "الجيش"، فهي تساعد المقاتلة في الجهاد. على هذا الأساس، فإنّ الشرطة لديها دور عسكري بخراسان يتمثّل في تركيز الجهاد نظرا إلى كون خراسان ثغر مركزيّ. وهذا الدّور العسكري لشرطة خراسان يشبه الدّور العسكري لشرطة أمصار العراق. مكّنتنا المصادر من بعض المعلومات حول أصحاب الشرطة لدى ولاة خراسان.

ونلاحظ أنّ أغلبيّة أصحاب الشرطة ينتمون إلى قيس وهم من مقاتلة خراسان. وربّما خضع تعيين أصحاب الشرطة بخراسان للعصبيّة القبليّة. عيّن قتيبة بن مسلم الباهليّ والي خراسان من قبل الحجّاج والي العراق وخراسان في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك أصحاب شرطة قيسيين لتعصّبه لقيس. وهذا المثال ينطبق على الجنيد بن عبد الرحمن الـــمريّ والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك. بينما عيّن يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل سليمان بن عبد الملك صاحب شرطة من اليمن لتعصّب يزيد لليمن وانتمائه لها.

كما أنّ تعيين أصحاب الشرطة خضع ربّما لعامل الانتماء إلى أسياد أو إلى أشراف القبائل. فقد كان بحير بن ورقاء الصّريمي – وهو صاحب شرطة أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد والي خراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان – سيّدا بخراسان [2]. إنّ هذه الصّفة تمكّن بحير من تأطير عشيرته. وربّما كانت هذه العشيرة تعمل بالشرطة تحت إمرة سيّدها بحير. كما أنّ وكيع بن حسّان صاحب شرطة قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك كان سيّد بني تميم ورأسهم بخراسان [3]. لكنّنا لا نستطيع أن نعمّم هذا المثال ونتّخذه كمقياس لعدم وجود أمثلة أخرى بالمصادر.

وقد تمتّع أحد أصحاب الشرطة بمكانة هامّة لدى والي خراسان. فقد جمع أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد لعطاء بن أبي السّائب اللّيثي مهمّتين مهمّة صاحب

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 122.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 201.
3) ابن دريد، مصدر مذكور، ص 230.

الشرطة ومهمّة صاحب الحرس [1]. إنّ هذا الجمع لمهمّتين لشخص واحد راجع ربّما إلى أمانته ومقدرته العسكريّة. فهذه الصّفات وأساسا الأمانة ضروريّة لدى صاحب الشرطة. فقد نصح عمر بن هبيرة الفزاريّ والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك عامله على خراسان مسلم بن سعيد أن يحثّ صاحب شرطته على الأمانة [2]. إنّ هذه الصّفات الأخلاقيّة ضروريّة للمحافظة على طاعة صاحب الشرطة للوالي وهو ضمان لاستمرار قوّة السّلطة الأمويّة.

إنّ صاحب الشرطة لديه مهمّة عسكرية بما أنّه يشرف في بعض الأحيان على الشرطة وعلى الحرس في آن واحد. فصاحب الشرطة بخراسان لديه دور عسكري مثل صاحب الشرطة بالمركز أي مركز الخلافة وبولاية العراق. فالشرطة هي جزء من أجزاء الجيش تساهم في الجهاد إلى جانب المقاتلة. يتبيّن من قائمة قوّاد الشرطة لدى ولاة خراسان وقائمة قوّاد الشرطة بولاية العراق وبمركز الخلافة أنّهم ينتمون إلى العنصر العربي. وهذا يعكس الطابع العربي للدولة الأمويّة. لكنّ دراستنا للشرطة بخراسان تبقى منقوصة لعدم توفّر المعلومات بالمصادر من فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر خلافة هشام بن عبد الملك. وهذا المثال ينطبق على الولايات الأخرى القريبة من خراسان ومن العراق ككرمان وسجستان والموصل والجزيرة وأرمينية وأذربيجان.

ذكر الطبري أنّ عبد الملك بن المهلّب كان على شرطة أخيه حبيب بن المهلّب بن أبي صفرة بولاية كرمان [3]. لكنّ الحجّاج والي العراق وخراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك عزله كما عزل أخيه يزيد [4]. وكان عبّاد بن الحصين الحبطيّ صاحب شرطة عبد الرحمن بن سمرة والي سجستان من قبل عبد الله بن عامر والي البصرة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [5]. وكان ابن تليد صاحب شرطة محمّد بن مروان بن الحكم أخي الخليفة عبد الملك بن مروان ووالي الموصل

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 315-317.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 35.
3) ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 4، ص 454.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 426.
5) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 4، ص 215.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 10.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 3، ص 190.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 3، ص 436.

والجزيرة وأرمينية وأذربيجان [1]. لا تكفي هذه المعلومات المتفرّقة لدراسة تطوّر مؤسّسة الشرطة بالولايات الأخرى. على العكس من ذلك، فإنّ المصادر ذكرت بعض المعلومات عن الشرطة بولاية المدينة وبولاية مصر.

- **شرطة المدينة**

ذكرت المصادر أنّ صاحب شرطة مروان بن الحكم والي المدينة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة كان يجمع بين خطّة القضاء وخطّة صاحب الشرطة [2]. إنّ جمع هذين الخطّتين لشخص واحد يرجع ربّما لكفاءته. كان مصعب بن عبد الرحمن بن عوف كثير البطش، وقد كان أهل المدينة قبل توليّ مصعب يقتلون بعضهم البعض. فلمّا تولّى مصعب تشدّد معهم فجلدهم وهدم دورهم وشكاه النّاس لمروان بن الحكم فكاد يعزله لولا تدخّل الـمِسْور بن مَخْرمة ابن عمّة مصعب. فعدل مروان بن الحكم عن قراره وأبقاه على الشرطة إلى أن مات الخليفة معاوية وربّما يرجع هذا إلى حرمة المسور فهو رجل له صحبة [3].

تميّز مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزّهري باتباع سياسة صارمة في سبيل فرض الأمن والاستقراربالمدينة وتركيز الحكم الأموي. كما يتنزّل في هذا الإطار ما ذكره الاصفهاني بأنّ مصعب بن عبد الرحمن بن عوف الزّهري صاحب شرطة مروان بن الحكم والي المدينة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ذكر

---

1) البلاذري، **فتوح**، ص 465.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 128-159، ج 2، ص 134، ج 5، ص 223.
2) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 118.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 120.
الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 65.
ابن الكلبي، **جمهرة النّسب**، دمشق 1986، ج 1، ص 92.
مصعب الزّبيريّ، **مصدر مذكور**، ص 267.
ابن حزم، **مصدر مذكور**، ص 131.
ابن دريد، **مصدر مذكور**، ص 33-58.
3) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 118.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 118-120.
مصعب الزّبيري، **مصدر مذكور**، ص263-267-268.
ابن حزم، **مصدر مذكور**، ص 129.
ابن الكلبي، **مصدر مذكور**، ج 1، ص89.

لمروان بأنّه لا يضبط المدينة بحرس المدينة وطلب منه أن يوفّر له رجالا من غيرها. فأعانه مروان بمائتي رجل من أهل أيلّة فضبطها ضبطا شديدا [1].

نستنتج أنّ صاحب الشرطة مروان بن الحكم ربّما استعمل شرطا من الموالي حتّى ينفّذوا أوامره ويركّزوا الأمن بينما لو استعمل شرطا من أهل المدينة تكون مهمّته مستحيلة. كما أنّ الاصفهاني خلط ربّما بين الشّرط والحرس نظرا إلى تقارب مهمّتهم، وكلاّ منهما يقوم بدور عسكري يتمثّل في تركيز الأمن وحراسة شخص الوالي. وكان أبو سلمة وهو عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف فقيها وولي القضاء في ولاية سعيد بن العاص وهو والي المدينة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، كما ولي شرط المدينة في ولاية سعيد بن العاص [2]. ولم تذكر المصادر إن كان ولي القضاء والشّرط في نفس الوقت. المهمّ أنّ هذا القائد للشرطة بالمدينة كان فقيها. وهذا المثال طريف ومرتبط بطبيعة المدينة وتركيبتها الدّينية والاجتماعيّة. فهي ذات رمزيّة عالية وتحتوي على الصحابة والتّابعين والفقهاء الذين تضلّعوا في دراسة وتفسير القرآن والحديث. ولم تذكر كيف كانت سياسة أبي سلمة مع النّاس بالمدينة عندما تولّى الشرطة. وعيّن عمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية عمرو بن الزّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى على شرطته قبل إرساله لقتال أخيه عبد الله بن الزّبير.

وكان هذا التّعيين نتيجة تحرّي والي المدينة عن أعدى شخص لعبد الله بن الزّبير فقيل له إنّه أخاه عمرو بن الزّبير. وقد تميّز هذا الأخير ببطشه. فقد ضرب أناسا كثيرين من قريش والأنصار بالسّياط. وكانت حجّته في ذلك أنّهم شيعة عبد الله بن الزّبير. ثمّ أرسله عمرو بن سعيد بن العاص على جيش من أهل الشام لقتال أخيه عبد الله بن الزبير [3].

---

1) الأصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 65.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 292.
Lammens (Henri), **Etudes sur le Règne du Calife Omaiyade Mò awia I**, Beyrouth 1913, p : 13.

2) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 118.
ابن حزم، **مصدر مذكور**، ص 131.
ابن الكلبي، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 92.
ابن دريد، **مصدر مذكور**، ص 33.
مصعب الزّبيري، **مصدر مذكور**، ص267.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 346.

قام عمرو بن الزّبير صاحب شرطة عمرو بن سعيد والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية بدور عسكري وهو محاولة القضاء على ثورة عبد الله بن الزّبير. وهذا الدّور يشبه دور الشرطة بالأمصار (الكوفة والبصرة). كما أنّه تميّز بصرامته وعنفه مثل أصحاب الشرطة بالأمصار أيضا. وقد لعبت الأغراض الشخصيّة (عداوة عمرو بن الزّبير لأخيه عبد الله بن الزّبير) دورا هامّا في تصرّف عمرو بن الزّبير بهذه الطّريقة.

وأخيرا، انتزع الحصين بن نمير السكّوني وهو أحد قوّاد جيش الشام في واقعة الحرّة من يد الجلاوزة أو الشرطة علي بن عبد الله بن عبّاس لأنّ الحصين كان من أخوال هذا الأخير [1]. ولم يذكر الدينوري إن كانت الشرطة جزء من جيش الشام أو هي شرطة المدينة ساهمت مع جيش الشام في قتال أهل المدينة.

في كلّ الحالات، نستنتج أنّ الشرطة لعبت في المدينة دورا عسكريّا. كما أنّ منصب صاحب الشرطة بالمدينة تميّز بطابع خاصّ. فصاحب الشرطة يمكن أن يكون فقيها وقاضيا في نفس الوقت في بعض الحالات. فماهي خصائص الشرطة بمصر؟

- **شرطة مصر**

لم توفّر لنا المصادر معلومات ضافية عن تطوّر مؤسّسة الشرطة بمصر من عهد الخليفة معاوية بن سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا بعض الأخبار وأسماء أصحاب الشرطة لدى ولاة مصر.

فقد كان الشرط يجزّون الناس وبأيديهم السّياط بالمسجد - الجامع بالفسطاط [2]. وذلك عند قدوم عمرو بن العاص والي مصر - من قبل الخليفة معاوية - لصلاة الجمعة. كانت الشرطة ترافق عمرو بن العاص وتحرسه عند قدومه

ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 141.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 316.
مصعب الزبيري، **مصدر مذكور**، ص 214.
ابن حزم، **مصدر مذكور**، ص 81-125.
ابن الكلبي، **مصدر مذكور**، ج 1، ص77.
ابن دريد، **مصدر مذكور**، ص 56.
1) الدينوري، **مصدر مذكور**، ص 267.
2) ابن تغري بردي، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 73
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 261-262.

للمسجد. كما أنّها استعملت السّياط - وهو سـلاح بسيط - حتّى تفرض "البروتوكول" أو الإبعاد بين الوالي والنّاس. على هذا الأساس، كانت الشرطة تلعب بمصر في عهد عمرو بن العاص نفس دور الحرّاس بمركز الخلافة الأمويّة. كما أنّ الشرطة بمصر مرتبطة بشخص الوالي على غرار ارتباط الشرطة بشخص الخليفة. ولم يذكر ابن تغري بردي كم بلغ عدد هؤلاء الشّرط - هذا في ما يخصّ الخبر الأوّل - وفرض عابس بن سعيد المُرادي - صاحب شرطة عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان وخليفة أو نائب عبد العزيز عندما وفد على أخيه عبد الملك - فروضا. وقد وافق الوالي صاحب شرطته ونائبه ولم يبطل هذه الفرائض. ولم يذكر الكندي كم بلغت هذه الفرائض ولمن أعطاها [1].

منح خليفة عبد العزيز بن مروان وصاحب شرطته لنفسه حقّ منح الفرائض دون استشارة الوالي الذي كان غائبا بالشام. تبوّأ صاحب الشرطة لدى والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان منصب نائب الوالي نظرا لمقدرته السياسيّة والعسكرية ولثقة الوالي به. لم تبدأ نيابة صاحب الشرطة للوالي (والي مصر) من عهد عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان بل منذ ولاية عمرو بن العاص والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

فقد كلّف عمرو بن العاص صاحب شرطته خارجة بن حُذافة بن غانم العدويّ أن ينوبه في الصلاة بالناس بالمسجد - الجامع. وقد قتل خارجة من قبل خارجيّ أراد اغتيال عمرو بن العاص وقد حسب الخارجيّ خارجة عمرا [2].

وناب عابس بن سعيد المراديّ صاحب شرطة مسلمة بن مخلّد الأنصاري - والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان- ناب مسلمة عندما خرج هذا الأخير إلى الإسكندريّة سنة 60 هـ [3]. وكان عبد الأعلى بن خالد بن ثابت بن ظاعن الفهميّ صاحب شرطة عبد الله بن عبد الملك -وهو والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك- ينوب الوالي على الفسطاط أو حلوان مقرّ السلطة الأمويّة عندما يخرج الوالي للتنزّه [4]. كما استخلف قرّة بن شريك العبسيّ

---

1) الكندي، ولاة ، ص 70.
2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 344.
3) الكندي، ولاة، ص 62.
4) الكندي، ولاة، ص 81.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 2، ص 293.

والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك عبد الأعلى بن خالد صاحب شرطته عندما خرج إلى رشيد [1].

ولم يقتصر تعيين صاحب الشرطة بمصر كنائب لوالي مصر فقط، بل عيّن إلى جانب الشرطة على القضاء.

فقد كان خارجة بن حذافة بن غانم العدوي صاحب شرطة عمرو بن العاص والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان قاضيا ولم يصرّح ابن سعد إن كان عمرو جمع لخارجة الوظيفتين. لكنّنا نرجّح أنّه ربّما كان يتولّى المهمّتين في نفس الوقت. وقد كان خارجة محبوبا من الخليفة عمر بن الخطّاب نظرا لشجاعته وقد أرسله عمر لمساعدة عمرو بن العاص عند التوسّع في مصر [2]. إنّ اكتساب خارجة لهذه المقدرة العسكرية جعلت عمرو بن العاص يعيّنه على الشرطة. بالإضافة إلى كونه من أصحاب الرسول وأسلم قديما [3] فانتماؤه لهذه الفترة المحاطة بهالة من القداسة جعله مؤهّلا لمنصب القضاء.

وقد جمع مسلمة بن مخلّد والي مصر من قبل الخليفة معاوية منصب صاحب الشرطة والقضاء لعابس بن سعيد المراديّ سنة 49 هـ أو 60 هـ [4]. وهذا الأخير هو من أكفأ القضاة وأصحاب الشرطة بمصر في العهد الأموي [5]. وعلى هذا الأساس، تولّى الشرطة لمدّة طويلة سنة 49 هـ ومن السّنوات 57 إلى 68 هـ .
ولم تتوقّف امتيازات أصحاب الشرطة بمصر على نيابة الوالي والقضاء، بل تشتمل على جانب آخر. فأصحاب الشرطة بإمكانهم الارتقاء إلى منصب والي مصر. فقد كان عبد الملك بن رفاعة بن خالد بن ثابت الفهميّ صاحب شرطة قرّة بن شريك العبسيّ والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك [6]. ثمّ تولّى عبد الملك بن

---

1) الكندي، ولاة، ص 85.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 45.
2) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 344.
3) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 344.
4) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص233.
الكندي، ولاة، ص 61.
5) الكندي، **قضاة**، ج 1، ص 310.
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 234.
وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 224.
6) الكندي، ولاة، ص 85.

رفاعة الفهميّ ولاية مصر بعد قرّة بن شريك [1]. كما كان حنظلة بن صفوان الكلبيّ صاحب شرطة بشر بن صفوان الكلبيّ والي مصر من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك [2]. فأصبح والي مصر بعد بشر بن صفوان [3].

كان منصب صاحب الشرطة بمصر منصبا عسكريّا وإداريّا بما أنّه مرتبط بوالي مصر. وقد تمكّن البعض من أصحاب الشرطة بمصر من التحصّل على امتيازات هامّة. وقد ذكرت المصادر بعض المعلومات المتفرّقة حول أصحاب الشرطة بمصر. وبفضل هذه المعلومات تمكّـــنـــا من بسط جدول أو قائمة لأصحاب الشرطة لدى ولاة مصر.

إنّ هذه القائمة بيّنت لنا تقريبا أنّ جميع الفترة التي ندرسها أي الفترة الممتدّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا سنة 125 هـ أي السنّة الأخيرة من حكم الخليفة هشام بن عبد الملك. إنّ أغلبيّة أصحاب الشرطة هم من أصل يمنيّ وهذا يرجع ربّما إلى كثرة اليمنيين بمصر.

كما أنّ تعيين أصحاب الشرطة من اليمن أو من قيس يخضع ربّما للتعصّب القبلي. فقرّة بن شريك العبسيّ والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك عيّن أصحاب شرطة من قيس بينما عيّن عمّال الخليفة هشام بن عبد الملك على مصر أصحاب شرطة تارة من اليمن وطورا من قيس وذلك على شاكلة سياسة الخليفة هشام بن عبد الملك التي تميّزت بتقريب اليمن في حالات وتقريب قيس في حالات أخرى.

كما أنّ تعيين الأقارب وأبناء العشيرة كان موجودا في هذه الفترة. فقد عيّن عبد الملك بن رفاعة الفهميّ والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أخاه الوليد بن رفاعة الفهميّ على الشرطة. تميّزت الشرطة بمصر بتعيين أغلبيّة من الأشخاص ينتمون إلى اليمن. كما تقلّد ذوو المقدرة من أصحاب الشرطة مهمّات استثنائية كنيابة الوالي ووظائف إداريّة كمنصب القاضي. ماهي خصائص الشرطة الافريقية ؟

---

1) الكندي، ولاة، ص 87.
2) الكندي، ولاة، ص 91.
3) الكندي، ولاة، ص 92.

- شرطة إفريقيّة

ذكر هشام جعيّط أنّ الشرطة هي بمثابة نخبة عسكريّة. وتحرص الشرطة على تركيز الأمن مثل الشرطة في جميع الولايات وفي مركز الخلافة. كما تحرص الشرطة على حراسة الوالي. ويتمتّع صاحب الشرطة بمكانة هامّة في ولاية إفريقيّة. فهو يتبوّأ المرتبة الثّانية بعد الوالي. وهو يرتقي في بعض الحالات إلى منصب الوالي مثل ما رأينا بالنسبة إلى المصر.

وتكتسب الشرطة أعوانا يحرصون على المحافظة على الأمن وعسسا يحرسون الطّرق بالمدينة أي القيروان في الليل. ويبدو أنّ دور الشرطة ينحصر في العاصمة أي القيروان والمناطق المحيطة والقريبة منها [1].

نستنتج أنّ مؤسّسة الشرطة بإفريقيّة تشبه مؤسّسة الشرطة بالولايات الأخرى. وتميّزت مؤسّسة الشرطة بطابعها العسكري في المركز والولايات. فهي من ناحية تقوم بحراسة الخليفة أو الوالي. ومن ناحية أخرى، تساعد المقاتلة في الجهاد أو في القضاء على الثورات، لكنّ هذا الدّور هو دور محدود. كما أنّنا نستنتج أنّ العنصر العربي طاغ على مؤسّسة الشرطة. وهذا راجع إلى طبيعة الدولة الأمويّة كدولة عربيّة. لكنّ مؤسّسة الشرطة تبقى مرتبطة بالمحيط الثقافي والسياسي البيزنطي أكثر من المحيط الثّقافي العربي. وسيمهّد تطوّر الشرطة في العهد الأموي للتطور الكبير الذي ستعرفه الشرطة في العهد العبّاسي [2]. وأخيرا، فإنّ الشرطة تشبه في دورها مؤسّسة أخرى وهي مؤسّسة الحرّاس أو الحرس.

5 - الحرس

إنّ الحرس مسؤولون عن الحراسة اليوميّة للخليفة أو الوالي من أشخاص أو مجموعات صغيرة مهاجمة وذلك حتّى في القصر نفسه [3]. ظهر الحرس منذ عهد الرسول حيث كان الصحابة يحرسونه أثناء الغزوات خوفا عليه من الكفّار. فقد حرسه سعيد بن زيد الأنصاري ببدر ومحمّد بن مسلمة الأنصاري بأحد. لكنّ الرسول تخلّى عن الحرس بعد نزول قوله تعالى : "والله يعصمك من النّاس" [4]. إنّ المكانة الميتا- تاريخيّة للرّسول جعلته لا يحتاج إلى الحرس. ولم تذكر المصادر إن وجد حرس بالمركز وبالولايات في عهد الخلفاء الأوائل أبي بكر وعمر وعثمان.

1) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, pp 119-120.

2) ابن جعفر، **مصدر مذكور**، ص 65.

3) Donner (Fred M.), *The Shurta in Early Umayyad Syria*, p 258

4) محمّدابراهيم الأصبيعي، **الشرطة في النظم الإسلامية**، ص 50.

و قد تغيّرت الظروف بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفّان واندلاع الفتنة. فتكوّنت التيّارات والأحزاب السياسيّة الدينيّة وعمّ عدم الاستقرار [1]. ممّا استوجب استعمال الحرس. ويبدو حسب العليّ الذي استند في تحليله إلى الطبري أنّ جذور هذا التّنظيم تعود إلى عهد الخليفة عليّ بن أبي طالب وبالتّحديد بالبصرة. فوكّل إلى أربعمائة من السيابجة حراسة بيت المال والمسجد - الجامع ودار الإمارة والسجن في ولاية أبي موسى الأشعري [2]. والسيابجة "هم قوّة فارسيّة كانت عند البحرين والخطّ والطفوف ثم استسلموا للعرب فأسكنوهم البصرة" [3]. "وقد برهنوا على تمسّكهم بواجبهم فقاوموا مع الزّط الزّبير عندما جاء مع عائشة يحرّض البصريين على الخليفة علي بن أبي طالب فلم يسلّموا المنشآت التي وكّلوا بحراستها إلاّ بعد أن أقنعهم بأحقيّة دعواه. ممّا يدلّ على ارتباطهم بالمؤسّسات العامّة دون الأمير شخصيّا" [4].

على هذا الأساس، فإنّ مؤسّسة الحرس وُجدت منذ فترة الرسول وفي عهد الخليفة علي بن أبي طالب. فهل ورث الأمويّون هذه المؤسّسة عن الفترة الإسلامية؟

(أ) الحرس بعاصمة الخلافة

إنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو أوّل من اتّخذ الحرس [5]. وربّما جاء هذا القرار نتيجة محاولة اغتيال الخوارج لمعاوية سنة 40 هـ من ناحية. ومن ناحية أخرى، فإنّ الخليفة معاوية تأثّر بمظاهر الملك البيزنطيّة من بينها الحرس [6].

---

1) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 97-335

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 468.
العلي، **التنظيمات**، ص 70-95.

3) العلي، **التنظيمات**، ص 70.

4) العلي، **التنظيمات**، ص 95.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 330.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 159.
ابن خياط، **تاريخ**، ص 173.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 11.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 246.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 362.

6) إنّ حرس الامبراطور البيزنطي يمثّل نخبة عسكريّة. وعندما ضعفت بيزنطة على المستوى العسكري أصبح حرس الملك البيزنطي يلعب دورا شرفيّا في المواكب وكذلك دور الشرطة في القصر الملكي البيزنطي.
Bréhier (L), **Idem**, p 272-316

على هذا الأساس، فقد مشى الحرس بين يدي الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالحراب [1]. أي أنّ الحرس كانوا يستعملون أسلحة بسيطة. ويحرسون الخليفة في تنقّلاته داخل القصر أو في المناطق القريبة منه. كما أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان "كان إذا جلس للحكم قيم على رأسه بالسّيوف" [2]. كان الحرس يقومون بحراسة الخليفة عبد الملك بن مروان عندما كان يحكم بين النّاس في بلاطه الملكيّ. ويبدو أنّ أبا الزعيزعة – وهو صاحب حرس الخليفة عبد الملك بن مروان – كُلّف من قبل هذا الأخير بقتل عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق [3].

كان الحرس يحرسون شخص الخليفة الوليد بن عبد الملك عند زيارته لمسجد الرسول بالمدينة بعد توسيعه وتزيينه في ولاية عمر بن عبد العزيز [4]. إنّ الحرس حرصوا في هذا الخبر على حراسة الخليفة وبالتالي قاموا بدور الشرطة. ولم يذكر الطبري كم بلغ عدد هؤلاء الحرّاس. نستنتج أنّ دور الحرّاس محدود بما أنّهم مرتبطون بحراسة شخص الخليفة وهم ليسوا بقوّة عسكريّة يمكن أن تحمي الخليفة من حركة تمرّد كبرى أو ثورة. كما أنّ دورهم يكتسي صبغة "بروتوكولية" في إطار الموكب. كان خالد بن الريّان صاحب حرس الخليفة الوليد بن عبد الملك حاضرا بمجلس الخليفة عندما كان هذا الأخير يتحدّث إلى عمر بن عبد العزيز حديثا خاصّا [5].

نستنتج أنّ صاحب الحرس لديه مكانة هامّة لدى الخليفة الوليد بن عبد الملك فهو يحضر ربّما كلّ المحادثات السّريّة للخليفة. كما أنّه مرتبط بحراسة شخص الخليفة ببلاطه.

كما أنّ الخليفة سليمان بن عبد الملك كان مرافقا بالحرس عند رجوعه من الحجّ [6]. وتمثّلت أسلحتهم في السّيوف. لم يذكر الطبري كم بلغ عدد الحرّاس الذين رافقوا الخليفة سليمان بن عبد الملك. كما نستنتج أنّ أسلحة هؤلاء الحرّاس هي السّيوف. إنّ الحرّاس حسب هذا الخبر كانوا يحرسون الخليفة سليمان بن عبد الملك

---

1) اليعقوبي،مصدر مذكور، ج 2، ص 276.
2) السيوطي،مصدر مذكور، ص 261.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 145.
إنّ عمرو بن سعيد بن العاص هو ابن عمّة الخليفة عبد الملك بن مروان. وقد طالب هذا الأخير بالبيعة له بولاية العهد لكنّ الخليفة رفض أو تغاضى عن هذا المطلب. فثار عليه عمرو بن سعيد ممّا أدّى إلى قتله من طرف عبد الملك بن مروان.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 466.
5) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 29–30.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 547.

عند رجوعه من الحجّ ؛ فهل كان الخليفة مرافقا بالمقاتلة أيضا لحراسته؟ أم إنّ الحرّاس كان عددهم هامّا إلى درجة تمكّنهم من حماية الخليفة؟ ولم يستعمل الخليفة عمر بن عبد العزيز الثلاثمائة حرسي والثلاثمائة شرطي الذين كان يستعملهم الخلفاء، أي أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز رفض هذين المؤسّستين نظرا إلى فلسفة معيّنة في الحكم تتميّز بطابع ديني [1].

على هذا الأساس، نستنتج أنّ حرّاس الخلفاء الأمويّين بلغ عددهم ثلاثمائة حرسي وهو عدد هامّ. لكنّ السيوطي لم يذكر هل ارتفع عدد الحرّاس من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز. أم إنّ عددهم بقي على حاله منذ عهد الخليفة معاوية. وأرسل الخليفة هشام بن عبد الملك مع زيد بن علي بن حسين بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العبّاس ابن عبد المطلب وابراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزّهري بعث معهم رجلا من الحرس إلى والي العراق ليعجّل القضاء بينهم [2]. نستنتج أنّ الحرس ينفّذون أوامر الخليفة. فالحرس في المركز أي بالرّصافة يمكن أن ينتقل في مهمّة رسميّة للعراق [3]. بالإضافة إلى الحرس الذين كانوا في خدمة الخلفاء، فإنّ أفراد الأسرة الأمويّة كان لهم حرّاس خاصّون بهم.

وكان الخلفاء الأمويّون يجرون على هؤلاء الحرّاس أرزاقا [4]. ولم يذكر ابن عبد الحكم ما هي قيمة هذه الأرزاق. نستنتج أنّ أفراد الأسرة الأمويّة كانوا على شاكلة الأسرة البيزنطيّة والخلفاء الأمويّون لديهم حرّاس وهذا دليل على تطوّر البروتوكول ومظاهر الملك.

كان الحرس يحرسون الخلفاء الأمويّين في القصر أو البلاط الأموي وكذلك في بعض تنقّلاتهم. كما أنّهم كانوا مقرّبين من الخلفاء الأمويّين. فدورهم يشبه دور الشرطة. لكنّ الشرطة كانت تساعد المقاتلة للقيام بدورها خاصّة للقضاء على الثّورات. بينما ينحصر دور الحرس على حماية الخليفة في القصر فقط [5]. كما أنّ أسلحة هؤلاء الحرس بسيطة وتتمثّل في الحراب والسّيوف. لكنّ المصادر توفّر

---

1) السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص 283.

2) إنّ يزيد بن خالد بن عبد الله القسري ادّعى مالا قبلهم. فأرسلهم الخليفة لوالي العراق وخراسان يوسف بن عمر الثّقفي حتّى يجمع بينه وبينهم.

3) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 47.

4) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 130.

5) Donner (Fred M.), *The Shurta in Early Umayyad Syria*, p 258.

معلومات حول تطوّر هذه المؤسّسة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. رغم هذا النّقص في المعلومات بالمصادر فإنّها وفّرت لنا معلومات حول أصحاب حرس الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

ونستنتج من خلال هذه القائمة أنّ جميع أصحاب حرس الخلفاء هم من الموالي. وهذه التركيبة الاجتماعيّة والقبليّة تميّز مؤسّسة الحرس على مؤسّسة الشرطة. فأصحاب شرطة الخلفاء ينتمون إلى أسياد وأشراف القبائل العربيّة. بينما ينتمي أغلب قوّاد الحرس لدى الخلفاء إلى الموالي أي أنّهم عجم أسلموا ودخلوا في ولاء قبائل عربيّة [1].

إنّ هذا الاستعمال المكثّف للموالي في حرس الخلفاء الأمويّين يرجع إلى اكتساب هؤلاء العجم لتجربة طويلة في البروتوكول والمواكب وكذلك لأمانتهم. بينما بقيت قيادة الشرطة لدى الخلفاء مقتصرة على أسياد وأشراف القبائل العربيّة نظرا إلى دور الشرطة العسكري وخاصّة دور الأشراف في تأطير قبائلهم وعشائرهم. وقد تحصّلنا في هذه القائمة على سبعة عشر مولى ذُكرت القبائل التي ينتمون إليها بما فيهم موالي أسلموا على يد الخلفاء الأمويّين وهم تابعون لهم من حيث الولاء.

كما تحصّلنا في هذه القائمة على أربعة أشخاص تولّوا قيادة الحرس لدى الخلفاء الأمويّين وهم الضحّاك بن قيس الفهري ويزيد بن الحرّ العبسي وكعب بن حامد العبسي ويزيد بن أبي كبشة السكسكي. إنّ هؤلاء الأشخاص الأربعة تولّوا قيادة الشرطة أيضا لدى الخلفاء الأمويّين فهل إنّ توليهم الحرس كان لمدّة معيّنة ثمّ حصلت لهم ترقية بتولّيهم قيادة الشرطة لدى الخلفاء الأمويّين أم إنّ المصادر خلطت بين أصحاب الشرطة والحرس؟ ربّما كان الافتراض الأوّل صحيحا خاصّة أنّ أغلب هؤلاء الأشخاص من الأشراف وبالتالي لديهم قدرة كبيرة على تأطير عشائرهم وقبائلهم وهم يقودون هذه القبائل والعشائر عندما يهبّون للقضاء على ثورة ما أو لفرض الأمن [2].

---

1) Donner (Fred M.), *The Shurta in Early Umayyad Syria*, p 258.

2) وهؤلاء الأشراف هم الضحّاك بن قيس الفهري ويزيد بن الحرّ العبسيّ ويزيد بن أبي كبشة السكسكي ورد في :

Crone (P), **Slaves on Horses**, p 96

Donner (F.M), *The Shurta*, p 261.

كما ورد في المصادر إشارة إلى بعض الامتيازات التي يتمتّع بها قوّاد الحرّاس لدى الخلفاء الأمويّين. فقد ذكرت المصادر أنّ خالد بن الريّان (هو من محارب) خدم لدى الخلفاء عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وسليمان بن عبد الملك، وهذا راجع إلى مقدرته [1].

ذكر السيوطي أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز عيّن عمرو بن مهاجر الأنصاري على حرسه لأنّه يقرأ القرآن ويتلوه ويصلّي فيحسن الصلاة وكذلك لأنّه من الأنصار أي جماعة ذات قدسيّة [2]. على هذا الأساس، فإنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز عيّن هذا الشخص على الحرس لتديّنه وبالتالي يخضع هذا التعيين لفلسفة الخليفة عمر بن عبد العزيز في الحكم.

إنّ احتفاظ الخليفة عمر بن عبد العزيز بهذه المؤسّسة يعتبر تواصلا للسّياسة الأمويّة. وهذا يدعوا للاستغراب لأنّه رفض مظاهر السلطة وكذلك العديد من أساليب الحكم الأموي. وذكرت المصادر أنّ الربيع بن سابور مولى بني الحَريش كان على الحرس والخاتم لدى الخليفة هشام بن عبد الملك [3]. نستنتج من خلال هذا الخبر أنّ هذا الشخص ربّما كان ذا مقدرة إدارية وسياسية وعسكرية دفعت بالخليفة هشام بن عبد الملك إلى جمع تكليفه بالمهمّتين.

نستنتج استعمالا ثنائيّا للعرب والموالي في مؤسّسة الحرس بالمركز. كما نستنتج أنّ هذه المؤسّسة مرتبطة بالخليفة الأموي. ولم توجد مؤسّسة الحرّاس بالمركز فقط بل وجدت أيضا بالولايات.

(ب) الحرس بالولايات

اكتسب الولاة الأمويّون على شاكلة الخلفاء أصحاب حرس. وتتوقف دراسة الحرس لدى الولاة على المصادر (وفرة أو قلّة المعلومات بالمصادر).

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 37.
ابن خياط، **تاريخ**، ص 232-243-249.
2) السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 286.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 148.
ابن خيّاط، **تاريخ**، ص 287.

✓ **الحرس لدى ولاة العراق**

o **الحرس لدى والي البصرة**

كان زياد بن أبي سفيان أوّل من اتّخذ الحرس [1]. ولم يذكر البلاذري إن كان اتّخذه بالبصرة أم بالكوفة. لكنّ المهمّ أنّ زياد اتّخذ الحرس بولاية العراق لحراسته والدفاع عنه على شاكلة الملك الفارسي. فقد تأثّر زياد بملوك الفرس وأحدث مؤسّسات جديدة من بينها الحرس طوّرت الطابع الملكي (كالبروتوكول) للدولة الأمويّة بالعراق [2]. وكان هؤلاء الحرّاس يمشون بين يدي الوالي بالحراب وبالعمد، وكان زياد أوّل من مشى بين يديه بالحراب والعمد [3].

إنّ هذا الحرس يستعمل أسلحة بسيطة مثل الحرس بالمركز. وهو يقوم بحراسة شخص الوالي فقط مثل الدور الذي يقوم به حرس الخليفة [4]. وهذا الحرس يرافق الوالي زياد والي البصرة أو والي العراق في تنقّلاته. على هذا الأساس، فإنّ الحرس بالبصرة يلعب دورا شرفيّا بما أنّه يرافق الوالي في المواكب مثل دور الحرس في مركز الخلافة الأمويّة. لكنّ المصادر لا تذكر معلومات ضافية حول تطوّر هذه المؤسّسة بالبصرة ما عدا بعض المعلومات المتفرّقة. فقد ذكر البلاذري أنّ زياد اتّخذ خليفة لصاحب حرسه وهو بلج بن نشبة السعدي صاحب حمّام بلج [5].

ولم يذكر البلاذري من هو صاحب الحرس. وهل كان نائب صاحب حرس البصرة نائب صاحب حرس الكوفة. ربّما اتّخذ صاحب حرس زياد بالبصرة أو بالكوفة نائبا له لتغيّبه لمهمّة معيّنة. ويبدو أنّ زياد اشترط أن يكون صاحب الحرس مسنّا وعفيفا ومأمونا ولم يؤاخذ بخيانة لأولي الأمر [6]. على هذا الأساس، فإنّ توفّر هذه الصّفات الأخلاقية ضروريّ لحسن سير هذه المؤسّسة بالبصرة وغيرها من الولايات الأمويّة.

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 221.
2) كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 121-379.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 224
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 221.
4) العلي، **التنظيمات**، ص 96.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 205.
6) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 280.

ووسّع زياد بن أبي سفيان من مشمولات الحرس. فقد اتّخذ الرابطة أو حرسا خاصا يبلغ عدده خمسمائة. وهم مرابطون بالمسجد لا يبرحونه. واستعمل عليهم زياد شيبان صاحب مقبرة شيبان من بني سعد [1]. وقد أضاف العلي أنّ زياد عيّن رجلين بارزين من العرب على هذه الرابطة وهما شيبان وعبد الله بن حصن [2].

لم نجد في مصادرنا ذكرا لهذين الشّخصين بل ذكر شخص واحد وهو شيبان صاحب مقبرة شيبان من بني سعد. ولا نجد في المصادر معلومات حول هذا الشّخص وكذلك حول الانتماء القبلي لأفراد هذا الحرس أو تنظيمهم أو ما يدفع لهم من رواتب. وقد ذكر العلي أنّهم ربّما جُمِعوا ممن لم يكن في العطاء من مختلف القبائل العربيّة ودُفع لهم ما يقابل عطاء المقاتلة [3]. على هذا الأساس، نستنتج أنّ مهمّة هذا الحرس هي المحافظة على الأمن والاستقرار بالمسجد-الجامع بالبصرة أي العصب السياسي والإيديولوجي والاجتماعي للمصر. وهذا الإحداث للحرس بالمسجد-الجامع بالبصرة من قبل زياد يتنزّل في ظرفيّة ووضعيّة خاصّة للبصرة وهي وجود ثورات للخوارج وكذلك استعداد أهل البصرة للتمرّد على الحكم القائم خاصّة بعد ولاية عبد الله بن عامر [4].

فدور هؤلاء الحرّاس هو دور عسكريّ يشبه نوعا ما دور الشرطة وأساسا دور المقاتلة. بينما دور الحرس في العادة هو حراسة الأمير فقط. كما أنّ عدد هؤلاء الحرّاس هامّ نسبيّا. لكن هل كان هذا العدد من الحرّاس يكفي للسيطرة على المسجد-الجامع والقضاء على ثورة من قبل مقاتلة البصرة خاصّة أنّ عددهم يفوق بكثير عدد هؤلاء الحرّاس [5] ؟

فهؤلاء الحرّاس كانوا بدون شكّ عاجزين على قتال مقاتلة مدّجين بالأسلحة. لكنّ ربّما كلّف زياد الأشراف بتأطير عشائرهم وقبائلهم. على هذا الأساس، تبقى العناصر الثائرة معزولة ويسهل القضاء عليها. ولم تذكر المصادر ما هي الأسلحة

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 224.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 221.
2) العلي، **التنظيمات**، ص 96.
3) صالح أحمد العلي، **التنظيمات**، ص 96.
العلي، **خطط البصرة ومنطقتها**، ص 68.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 212-214-216.
5) ذكر البلاذري أنّ عدد المقاتلة بالبصرة بلغ ثمانين ألف مقاتل في عهد زياد بن أبي سفيان.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 220.

المستعملة من قبل الحرّاس. وربّما كانت أسلحة بسيطة. المهمّ أنّ زياد أراد تركيز نظام أمني بالبصرة وتأكيد الملك للخليفة معاوية.

ولم تذكر المصادر تطوّر مؤسّسة الحرّاس بعد عهد زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان إلى عهد يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا معلومة واحدة حول رئيس الحرس لدى والي البصرة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك – عديّ بن أرطاة الفزاريّ – وهو عبد الله بن دينار مولى ابن عمر [1].

إنّ صاحب حرس والي البصرة هو من الموالي مثل أصحاب حرس الخلفاء الأمويّين. لكنّ المصادر لم تذكر أسماء أصحاب الحرس لدى ولاة البصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ولا نعرف إن كانوا كلّهم من الموالي أو من العرب أو أنّ هناك استعمال ثنائي للعرب والموالي على الحرس بالبصرة.

نستنتج أنّ المصادر لم توفّر معلومات فيما يخصّ تطوّر مؤسّسة الحرس بالبصرة ما عدا بعض المعلومات حول تنظيم الحرس في عهد زياد بن أبي سفيان. فقد كان الحرّاس يقومون بدور شرفي ومرتبط بالوالي، وكذلك دور عسكري واستراتيجي بالمسجد – الجامع بالبصرة. كما نستنتج أنّ التأثير الفارسي كان قويّا فيما يخصّ إحداث هذه المؤسّسة بالبصرة. فهل عرفت مؤسّسة الحرس بالكوفة نفس تطوّر مؤسّسة الحرس بالبصرة ؟

- **الحرس لدى والي الكوفة**

كان القصر بالكوفة أي مقرّ الوالي يُحرس في عهد والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فالحارس يقف ليلا فوق القصر. ولم يذكر الطبري إن كان حارسا واحدا أو حرّاسا. وإذا طرق الباب شخص مشكوك فيه يُدلّى عليه حجر أي يضرب بالحجارة [2]. نستنتج أنّ الحرّاس في هذه الحالة مكلّفون بحراسة القصر أي مركز الإمارة من العناصر المشبوهة أو المتمرّدة على النظام القائم. وأنّ وسائل عمل هؤلاء الحرّاس بسيطة وبدائيّة. لكنّ مؤسّسة الحرّاس أحدثت فعليّا بالكوفة من قبل زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 582.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 217.

سفيان [1]. وكان هؤلاء الحرّاس يمشون بين يديه بالحراب والعمد [2]. تأثّر زياد بن أبي سفيان بالفرس في اتّخاذه للحرس [3]. وهم قد ساهموا بذلك في خلق بروتوكول معيّن لدى والي الكوفة. لكنّ أسلحة هؤلاء الحرّاس بسيطة مثل ما هو الحال بالبصرة وبمركز الخلافة.

فقد وضع عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية حرّاسا بقصر الكوفة لحراسة هانىء بن عروة المراديّ بعد أن عنّفه جسديّا. ولم يذكر الطبري كم عدد هؤلاء الحرّاس [4]. تتمثّل مهمّة هؤلاء الحرّاس في حراسة هذا المعارض الشيعي. كما كانت مهمّة الحرس الوقوف وراء الوالي عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية عند صلاته بالنّاس في المسجد-الجامع بالكوفة [5]. فربّما كانوا يحرسونه بالمقصورة لخوفه من الاغتيالات. وكان أعين مولى بشر بن مروان وصاحب حمّام أعين (والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان) في نفس الوقت صاحب حرسه وحاجبه [6]. يتمتّع هذا المولى بمكانة هامّة لدى بشر بن مروان بما أنّه عيّنه على حرسه وحجابته، فهو يثق فيه. كما نستنتج أنّ هذا الشخص هو مولى.

وهذا ليس غريبا بالنّسبة إلى هذه المؤسّسة. ففي مركز الخلافة، كان أغلبيّة أصحاب الحرس من الموالي. إنّ وجود معلومة واحدة متعلّقة بهذا المولى هي غير كافية لكي نكوّن فكرة عن أصحاب الحرس بالكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

وأخيرا، ذكر الطبري أنّ طارق بن أبي زياد خليفة خالد بن عبد الله القسري (والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك) على الخراج بالكوفة كان

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 224.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 221.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 224.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 221.
3) كريستنسن، مرجع مذكور، ص 121-379.
4) آوى هانىء بن عروة المرادي شريف مذحج ابن عمّ الحسين بن عليّ مسلم بن عقيل بن أبي طالب والذي كان يدعو للبيعة للحسين.
الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 349-361-365-366-367-391.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 372.
6) الأصفهاني، مصدر مذكور، ج 2، ص 309.

لديه غلمان شجعان لهم سلاح وعدة [1]. هل كان هؤلاء الغلمان من الموالي؟ كان هذا العامل يحمي نفسه بغلمانه أي أنّه كان لديه حرّاس خاصّون به. فهل كان يدفع لهم مرتّبات خاصّة ؟ وهل كان يدفع لهم من أموال الدولة أم من ماله الخاصّ؟ وهل كان كبار الموظفين في الدولة يكتسبون حرّاسا خاصّين بهم؟

لم تمكنّا المصادر من معلومات ضافية حول مؤسّسة الحرّاس بالكوفة وتطوّرها من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا بعض المعلومات في ولاية عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية. فيبدو أنّ هؤلاء الحرّاس كانوا مكلّفين بالبروتوكول وحراسة شخص الأمير أو الوالي بالقصر أو المسجد-الجامع. وكان هناك حرّاس لحراسة المساجين وحرّاس يحرسون القصر أي دار الإمارة. فالحرّاس في ولاية الكوفة يشبه دورهم دور الحرّاس بولاية البصرة وبالمركز.

○ **الحرس لدى ولاة واسط**

لم تذكر المصادر إلاّ خبرا واحدا حول تولّي داود البربريّ سنة 120 هـ حجابة خالد بن عبد الله القسري وقيادة حرسه وكان كذلك على ديوان الرسائل [2]. ينتمي هذا الشخص إلى الموالي. كما أنّه يتقلّد مناصب هامّة ومتعدّدة وهي مناصب بروتوكولية كالحاجب وصاحب الحرس ومنصب الكاتب الخاصّ أو الكاتب على ديوان الرسائل لخالد. يبيّن تقلّد كلّ هذه المناصب من قبل هذا المولى استيثاق خالد له وتقريبه منه. كما أنّ هذا الشخص لديه ربّما مقدرة معيّنة مكّنته من تبوّء هذه المناصب الهامّة.

كان أصحاب الحرس بالعراق يحرسون الأمير بقصره وفي تنقّلاته. كما كانوا يحرسون القصور - قصر الإمارة - ويحرسون المساجين بالقصر. لكنّ المصادر لم توفّر معلومات حول أصحاب الحرس (انتمائهم القبلي ووظائفهم). لكنّنا نستنتج أنّ مؤسّسة الحرّاس بولاية العراق كانت تتطوّر على شاكلة مؤسّسة الحرّاس بالمركز. وهذا يرجع إلى استراتيجية ولاية العراق وأهميّتها بالنّسبة إلى المركز. كما أنّ ولاية خراسان كانت لديها نفس الأهميّة بالنسبة إلى اللمركز.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 150.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 148.

o الحرس لدى ولاة خراسان

إنّ صاحب حرس والي خراسان أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد – والي خراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان – هو عطاء بن أبي السائب الليثي [1]– وقد حبس هذا الأخير بكير بن وشاح السعدي الذي جاء إلى مجلس الوالي [2]. ينتمي صاحب حرس والي خراسان إلى مضر أي أحد قبائل خراسان فهو على عكس أغلب أصحاب الحرس بمركز الخلافة وبولاية العراق الذين ينتمون للموالي. كما كان صاحب الحرس لدى والي خراسان مكلّف بمهمّة القبض على معارض لسياسة الوالي.

وكلّف قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ابن بسّام الليثي أن يحبس أحد ملوك العجم ويضع عليه حرسا [3]. ولم يذكر الطبري ما هي مهمّة هذا الشخص وما هو انتماؤه القبلي، فلعلّه كان من الموالي. وساهم الحرس والشرطة مع المقاتلة بخراسان في الجهاد في ولاية أسد بن عبد الله القسري (والي خراسان من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك) [4]. على هذا الأساس، نستنتج أنّ الحرس لا يتوقّف دورهم على حراسة الوالي بل يقومون بدور عسكري وإيديولوجي أي تدعيم الجهاد في هذا الثّغر المركزي.

وأخيرا، ذكر الطبري أنّ عبد ربّه بن أبي صالح مولى بني سليم كان من الحرس لدى والي خراسان أسد بن عبد الله القسري. نستنتج أنّ الحرّاس لدى أسد بن عبد الله القسري – وهو والي خراسان من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك – كانوا ربّما ينتمون إلى الموالي [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 310-311.
2) شوّه بحير بن ورقاء الصريمي صورة بكير لدى والي خراسان. وكان بحير معاديا لبكير.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 457. ثار هذا الملك على الحكم الأموي وخلع الطاعة فحاربه قتيبة ومنح له الأمان. لكنّ خطورة هذا الملك على "المسلمين" أو على الحكم الأموي بخراسان لاستجاشته لملوك العجم الآخرين دفع بقتيبة لحبسه حتى يبتّ في أمره وبالتالي حتى يتلقّى أمر الحجّاج.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 122.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 48.

لو هكذا، كان الحرّاس لدى والي خراسان يحرسون والي خراسان في مجلسه وفي أماكن أخرى بالقصر وفي تنقّلاته أي أنّهم يلعبون دورا بروتوكوليّا. كما أنّهم كانوا يقومون بدور عسكري ؛ فهم يشاركون المقاتلة والشرطة في الجهاد. ويبدو حسب المعلومات القليلة التي لدينا أنّ هناك استعمالا ثنائيّا للعرب والموالي كأصحاب حرس وحرس لدى والي خراسان. لكنّ المصادر شحيحة فيما يخصّ تطوّر هذه المؤسّسة بخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

- **الحرس لدى ولاة المدينة**

لم تذكر المصادر إلاّ معلومة واحدة عن الحرس بالمدينة. فقد ذكر مالك بن أنس أنّ صكوكا خرجت إلى النّاس في ولاية مروان بن الحكم (والي المدينة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان)، وهي صكوك من طعام الجار [1]. وقد تبايع النّاس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها. فسأل رجل زيد بن ثابت إن كان أحلّ بيع الرّبا إذ أنّ النّاس تبايعوا الصكوك ثمّ باعوها قبل أن يستوفوها. وعندما سمع مروان بن الحكم بهذا الخبر، أرسل الحرس ينزعونها من أيدي النّاس ويردّونها إلى أهلها.

ولم تذكر المصادر ما هو الانتماء القبلي لهؤلاء الحرّاس. يقوم الحرس في هذا الخبر بدور الردع أو دور الشرطة بمطاردتهم لهؤلاء اللصوص والمحتالين. على هذا الأساس، فربّما هناك خلط في المصادر بين الحرّاس والشرطة.

إنّ دراسة تطوّر مؤسّسة الحرّاس بالمدينة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تبقى منقوصة نظرا إلى قلّة المعلومات بالمصادر. فهل ينطبق هذا الاستنتاج على الحرس بمصر؟

- **الحرس لدى ولاة مصر**

كان جناب بن مرثد ابن زيد بن هانيء الرعيني صاحب الحرس لدى عبد العزيز بن مروان – والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان – يهاجم

---

1) مالك بن أنس، **مصدر مذكور**، ص 443

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 92-93-94 : "لم يكن بالمدينة دار رزق، وكان الطعام الذي يوزّع على المقاتلة يأتي من مصر ويخزن في الحجاز وتصدر للنّاس صكوك باستلامه".

العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 137.

ويضرب ويحبس كلّ من يغلظ للوالي عبد العزيز بن مروان [1]. وكان معه ثلاثمائة من الحرّاس. فرغم وجود صاحب الحرس بمجلس الوالي فإنّ النّاس يغلظون له [2]. ولم يذكر الكندي إن كان هؤلاء الحرّاس موجودين بمجلس الوالي وقصره أم إنّهم كانوا يرافقون الوالي في تنقّلاته. كان تحت إمرة صاحب حرس والي مصر عبد العزيز بن مروان عدد هامّ نسبيّا من الحرّاس. وصاحب الحرس مكلّف بحراسة الوالي ومعاقبة كلّ من لا يمتثل للبروتوكول والإبعاد بين الوالي والنّاس. على هذا الأساس، تعقّدت دواليب الدولة والمؤسّسات شيئا فشيئا. بينما كانت في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بسيطة. عيّن والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان عبد العزيز بن مروان ثلاثة أشخاص كانوا على التّوالي أصحاب حرس ومسؤولين عن الأعوان والخيل وهم : جناب بن مرثد بن هانيء الرعيني وعمرو بن كريب بن صالح بن ثمامة الرعيني وسعيد بن يعقوب المعافري ثمّ الشّعباني [3].

إنّ جمع هذه المهمّات الثلاث والتي تدخل في إطار البروتوكول (الحرس والأعوان والخيل) والمواكب هو دليل على اكتساب هؤلاء الأشخاص لقدرات معيّنة ولإخلاصهم للوالي. كما أنّها مهمّات مرتبطة بالوالي وبقصر الإمارة بحلوان.

كما نستنتج أنّ أصحاب حرس عبد العزيز بن مروان هم من العرب وينتمون إلى قبائل أو عشائر يمنيّة. وهذا ليس غريبا بمصر لأنّ الاستيطان العربي كان في أغلبه استيطانا يمنيّا [4]. على عكس أغلب أصحاب الحرس بمركز الخلافة الأمويّة وبولاية العراق وربّما خراسان أيضا الذين ينتمون إلى الموالي. لكنّنا لا نستطيع أن نجزم أنّ كلّ أصحاب الحرس لدى الولاة الأمويّين بمصر كانوا عربا لأنّ المصادر لم تؤكّد ذلك.

كما كان للمسجد-الجامع بالفسطاط في عهد الوالي عبد الله بن عبد الملك بن مروان وهو والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك حرّاس يحرسونه [5]. وهؤلاء الحرس يمنعون النّاس من الصلاة بمجلس الوالي. نستنتج أنّ الحرس مكلّف

---

1) الكندي، **ولاة**، ص 71.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 332-333.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 66.
3) الكندي، **ولاة**، ص 71-75.
4) Khalil Athamina, *Arab Settlement during The Umayyad Caliphate*, in **J.S.A.I** n°8, 1986, p 201.
5) الكندي، **ولاة**، ص 83.

بتركيز البروتوكول بالمسجد-الجامع وكذلك بحراسة المسجد كالحرّاس الذين عيّنهم زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالمسجد-الجامع بالبصرة. ولم يذكر الكندي كم بلغ عدد هؤلاء الحرّاس.

على هذا الأساس، فإنّ الحرّاس بمصر لديهم مهمّة عسكرية تشبه دور الشرطة وهي تتمثّل في المحافظة على الأمن بالمسجد. كما ذُكر أنّ هذا الحرس بالمسجد-الجامع بالفسطاط في ولاية قرّة بن شريك العبسيّ كانوا يسمّون بشرطة الله [1].

فإنّ الحرس بولاية مصر كانت له مهمّتان. تتمثّل المهمّة الأولى في حراسة الأمير في القصر وفي تنقّلاته وفرض البروتوكول بعنف وقوّة والمهمّة الثّانية تتمثّل في حراسة المسجد-الجامع. فكيف تطوّرت مؤسّسة الحرس في ولاية إفريقية؟

- **الحرس لدى ولاة إفريقية**

ذكر هشام جعيّط أنّ الحرس بولاية إفريقية له دور شرفي لإسباغ طابع الفخامة على الوالي وهو يرافقه في تنقّلاته ويحيط به في المسجد [2]. وذكر ابن عبد الحكم أنّ حرس الولاة بإفريقية في العهد الأموي كانوا من البتر أي أنّ الولاة كانوا يختارون حرسا من البتر دون البرانس [3]. لماذا هذا الاختيار للحرس من البتر فقط؟ وهل لديهم كفاءات معيّنة دون سائر البربر؟ وقد ذكر هشام جعيّط أنّ إحداث الحرس في إفريقيّة يرجع إلى عهد الوالي موسى بن نصير اللّخمي الذي كوّنه من الموالي البربر وبالتحديد البتر. وهو يظهر على هذا الأساس كحرس خاصّ [4]. لماذا استعمل موسى بن نصير موال من البتر؟ هل لأنّهم يكتسبون مميّزات معيّنة؟ وقد واصل الولاة بعده استعمال البربر إلى عهد الوالي يزيد بن أبي مسلم.

---

1) **Lammens (H), Etudes sur le siècle des Omaiyades**, p 124
والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك.

2) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 120.

3) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 214.
E.I², tI 2 *AL-Butr*.

4) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 120.

وذكر ابن عذاري أنّ يزيد بن أبي مسلم والي إفريقيّة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك رسم اسم "حرسي" على أيدي حرّاسه من البربر كما تصنع ملوك الرّوم بحرسها لكي يعرفهم من سائر النّاس [1]. كانت سياسة يزيد بن أبي مسلم تتميّز بصبغتها المستبدّة على شاكلة الحجّاج بن يوسف الثقفي. وهذا ما دفع حرّاسه إلى قتله. لم يختر الوالي هؤلاء الحرّاس الكثيرين بنفسه بل وقع اختيارهم من قبل أعوانه. لذلك رسمت أيدي هؤلاء الحرّاس لإعطاء هويّة لهم. وقد علّق هشام جعيّط على هذه الثورة بقوله أنّ الحرس غير الشخصي يمكن أن ينقلب ضدّ الوالي [2]. وهذا ما دفع ببشر بن صفوان الكلبي والي إفريقيّة من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك أن يتّخذ حرّاسا من مواليه ومن الأشخاص الأوفياء له وبالتالي قضى على التأثير النصيري [3].

ولم تذكر لنا المصادر أسماء أصحاب الحرس الذين تولّوا هذا المنصب من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. نستنتج أنّ الحرس بولاية إفريقية كان يحرس الوالي وبالتالي كان مرتبطا به في تنقّلاته. وكان هذا الحرس يختار منذ عهد والي إفريقيّة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك موسى بن نصير اللخمي من الموالي البتر (أي البربر). فأصبح الولاة منذ ولاية بشر بن صفوان الكلبيّ والي إفريقيّة من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يختارونهم من مواليهم وثقاتهم وبالتالي فإنّ الحرس أصبح شيئا فشيئا حرسا شخصيّا على منوال الحرس الملكيّ البيزنطيّ. كان الحرس في مركز الخلافة الأمويّة وفي الولايات الأمويّة يحرس الخليفة والوالي ويقوم بمهمّة تشبه إلى حدّ نوعا مهمّة الشرطة. لكنّ هذه الأخيرة لديها دور عسكري [4]. بينما كان دور الحرس ينحصر في البروتوكول.

وقد استعمل الأمويّون حرّاسا من الموالي ومن العرب في مركز الخلافة وفي الولايات. واستعمل هؤلاء الحرّاس أسلحة بسيطة. وقد تأثّر الأمويّون بالامبراطوريّات المحيطة بهم في اتّخاذ الحرس. فتأثّر الخلفاء الأمويّون وولاة مصر وولاة إفريقيّة ببيزنطة وتأثّر ولاة العراق وولاة خراسان بالفرس وبالتالي فقد حدثت قطيعة مع الإرث العربي بالنسبة إلى الهذه المؤسّسة. فهل أحدث الخلفاء الأمويّون قطيعة أم تواصلا مع المؤسّسات الإسلامية السابقة بالنسبة إلى اللتنظيم الإداري-العسكري؟

---

1) ابن عذاري المراكشي، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 48.

2) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 121.

3) Djaït (H), *Idem*, p 121.

4) Donner (F.M), *The Shurta*, p 258.

6 - التنظيم الإداري-العسكري

يعتبر التنظيم الإداري- العسكري عماد الدولة الأمويّة ورأس المجتمع. فالدولة والمجتمع عسكريّان أقيما على الفتوح واستغلال الموارد وعلى الاستيطان وتنظيمه، ويدخل العنصر القبلي في ذلك. فما هي جذور هذا التنظيم الإداري- العسكري؟

لم تعرف الجزيرة العربيّة قبل الإسلام جيشا حقيقيّا إلاّ عند احتلال أجنبي أو باليمن. وقد جنّدت الصراعات القبليّة كلّ أفراد القبائل لكن لم يكن يوجد تنظيم عسكري. ونشأت نواة "جيش" بظهور الإسلام في الغزوات التي قادها أو حضرّها الرسول وركّز الجهاد كواجب يقوم به كل مسلم [1]. لكن تكوّن الجيش بصفة واضحة في حروب التوسّع حيث ظهر الاختلاف بين فئة محاربة وفئة غير محاربة من المسلمين وكلّ مسلم خال من العاهات كان مجبرا على الجهاد [2]. وقد أعفى الخليفة عمر بن الخطّاب المقاتلة من "الجري وراء اللقمة" لكي يتفرّغوا للجهاد وبالتالي كان على الشعوب المغلوبة أن تلبي حاجيات العرب وذلك بدفعها الجزية والخراج [3].

وجعلت الأراضي ملكا مشاعا، السواد لمقاتلة الكوفة وخوزستان لمقاتلة البصرة وكان معظم إنتاجها للنفقات المخصّصة لمعيشة المقاتلة وعيالهم [4]. كما ربط الخليفة عمر بن الخطّاب بين حركة التوسّع والهجرة فقد استقرّ المقاتلة بالعراق في مدن- معسكرات جديدة في الأراضي المفتوحة وهما مصر الكوفة والبصرة وفي مصر بالفسطاط وفيما بعد القيروان بإفريقية [5]. وهذا على عكس المقاتلة في سورية الذين تركّزوا بالمدن وشغلوا البيوت التي أخلاها سكّانها القدامى [6].

بينما استقرّ بالكوفة مقاتلة القادسية وجلولاء واستقرّ بالبصرة المهاجرون القادمون من البحرين. ونجد في الكوفة أجزاء من قبائل وعشائر جاؤوا من كل

---

1) محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 183.

2) E.I², tII *Djaysh*.

3) Djaït (H), **Idem**, p 65-67.

4) البلاذري، **فتوح**، ص 372.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 240.
البلاذري، **فتوح**، ص304-320-483.
أحمد صالح العلي، **التنظيمات**، ص 26.
العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 111.
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 56-65.

6) البلاذري، **فتوح**، ص 168.

الجزيرة العربيّة وبالتالي كانوا غير متجانسين مع أقلية كثيرة من اليمن مثل قبائل كندة وهمدان ومذحج [1]. لكنّ التجنيد في البصرة كان أكثر تجانسا، ويضمّ خمسة تجمّعات قبلية : أهل العالية وتميم وعبد القيس وبكر وأخيرا الأزد الذين جاؤوا لاحقا من عمان [2].

وكان مجتمع المقاتلة في الكوفة مقسّما إلى سبعة تجمّعات تدعى أسباعا كانت مجعولة للتعبئة خاصّة، وكان في البصرة مقسّما إلى خمسة تجمّعات أخماس متوافقة مع التقسيمات القبليّة [3]. سيركّزهذان المصران العروبة والإسلام بالعراق وبالعالم الإيراني وسيكوّنان القلب النابض للامبراطورية الإسلامية طيلة القرن الأوّل الهجري. وفي سورية، كانت تجربة التجمّع في نقطة واحدة بالجابية ووقع توزيع المحاربين العرب على أربع مجموعات جند : في فلسطين، في الأردن (فلسطين الشمالية وسورية الجنوبية)، في دمشق وفي حمص [4].

وكان العرب المتجمّعون يضمّون عناصر من اليمن مثل السكون وحمير وقيس الحجاز الذين هاجر عدد كبير منهم إلى الجزيرة فيما بعد وخاصّة كانوا يضمّون عناصر من قضاعة وهي من العرب المستقرّين قديما في سورية مثل كلب وبلي وجذام وبهراء وغسان [5]. وقد كان المواطنون الأصليون ملزمين بدفع الخراج والجزية. ولكن على عكس العراق، كان بمستطاع العرب المساهمة في شغل الأرض واحتلالها.

وقد كان النظام الذي أسّسه الخليفة عمر بن الخطّاب يجعل المقاتلة يتحصّلون على العطاء حسب السابقة والقدمة في الإسلام منذ معركة بدر. وأسّس عمر ديوان العطاء سنة 20 هـ [6]. ورتّب فيه المسلمون كالآتي : أرامل النبي اللواتي كنّ

---

1) Djaït (H), *Les Yamanites à Kufa au 1er siècle de l'Hégire*, in **J.E.S.H.O.**, XIX1976, 2, p 149-154

2) العلي، **التنظيمات**، ص 30.
العلي، **خطط البصرة**، ص 47.

3) Djaït (H), **Al-Kufa**, p 123
Djaït (H), *Les Yamanites*, p 153
العلي، **التنظيمات**، ص 102
العلي، **خطط البصرة**، ص 49-50.

4) البلاذري، **فتوح**، ص 180.

5) Khalil Athamina , *Arab Settlement*, p 196-197

6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 209 ; البلاذري، **فتوح**، ص 629-630-631.

يتقاضين اثني عشر ألف درهم سنويّا ثم في المرتبة الأولى المهاجرون والأنصار الذين شاركوا في بدر وكان كلّ واحد منهم يتحصّل على خمسة آلاف درهم. ثم يأتي بعدهم المهاجرون إلى الحبشة والمشاركون في معركة أحد، ويتحصّل كلّ منهم على أربعة آلاف درهم، ثم المهاجرون إلى المدينة قبل فتح مكّة، ويتحصّل كلّ منهم على ثلاثة آلاف درهم.

وأخيرا أبناء أهل بدر والذين أسلموا بعد فتح مكّة، ويتحصّل كلّ منهم على ألفي درهم [1]. أمّا في الأمصار، فقد استعملت سابقة المشاركة في معارك الفتح كمعيار للتّمايز. كان العطاء الأرفع يسمّى شرف العطاء الذي يرتكز على مبدأ الشرف الإسلامي. ويحتلّ المرتبة الأولى أهل الأيام وهم الذين شاركوا في العمليات العسكرية الأولى سنة 12 هـ في جيش خالد بن الوليد، ويتحصّلون على ثلاثة آلاف درهم [2]. وهذه الشريحة هي التي تتحصّل على شرف العطاء. وفي مرتبة أقلّ، يوجد أهل القادسيّة وأهل الشام أي المشاركون في معركة القادسيّة واليرموك وهم يتحصّلون على ألفي درهم سنويّا.

وتمنح نفس المكافأة لكلّ من قاتل في نهاوند 21 هـ [3]. ثم يتقلّص العطاء حسب الدرجات ألف وخمسمائة، ألف، خمسمائة إلى أن يصل إلى خمس وعشرين دينارا في الشام [4]، وثلاثمائة أو مائتي درهم في العراق [5]. إنّ هؤلاء هم المهاجرون المتأخّرون. ويتولّى إدارة ديوان العطاء ولاة الأمصار الذين يتحصّلون على الخراج والجزية ويوزّعونها على شكل عطاء بمساعدة قادة تجمّعات الأسباع والعرفاء [6]. على هذا الأساس، نظّم الخليفة عمر بن الخطّاب الجماعة الإسلامية حسب تراتبيّة تخضع للشرف الإسلامي وبالتالي فقد أعطى أهميّة للعامل الإسلامي.

---

1) البلاذري، **فتوح**، ص 632.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 629.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 49
البلاذري، **فتوح**، ص 630.
4) البلاذري، **فتوح**، ص 632.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 49.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 49.

لكنّ اندلاع الفتنة نتيجة أسباب عديدة من بينها ظهور الإثراء الفاحش للخليفة وأبناء عشيرته من الأمويّين والنتائج التي خلّفتها وكذلك صعود الأمويّين للحكم أدّى لتغيير هذه التراتبية [1]. فقد ركّز الخليفة معاوية بن أبي سفيان نظاما اجتماعيّا يستند إلى أسياد وأشراف القبائل نظرا إلى جذوره القبليّة القرشية. ورث الأمويّون التنظيم العسكري العمري لكنّهم أحدثوا تغييرات هامّة. كما أنّ كلّ ولاية عرفت تطوّرا عسكريّا خاصّا بها في العهد الأموي. وقد وفّرت لنا المصادر بعض المعلومات حول التنظيم الإداري- العسكري بالعراق وبخراسان وبالحجاز وبمصر وبإفريقية.

(أ) التنظيم الإداري- العسكري بالشام

كان مقاتلة الشام دائما في حالة جهاد دائم نظرا إلى موقع الشام الجغرافي كثغر تجاه بيزنطة [2]. ولم تذكر المصادر كم بلغ عدد المقاتلة منذعهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. يتكوّن مقاتلة الشام أساسا من اليمن قضاعة (كلب وبلي وجذام وبهراء وغسان والسكون وحمير ومذحج وقيسي الحجاز) [3].

كان المقاتلة بالشام ينقسمون إلى مشاة وفرسان ورماة. فقد قاد عبد الله بن عضاه الأشعري خمسمائة مرام في واقعة الحرّة [4]. وأصبح مقاتلة الشام أكثر قوّة من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام حيث قال أحد رجال يزيد بن المهلّب الثائر على الخليفة يزيد بن عبد الملك أنّ مقاتلة الشام هم "جبال حديد" [5]. فهؤلاء المقاتلة هم شديدو التماسك والمقدرة العسكرية، وهذا نتيجة تمرّنهم تمرّنا دائما في الجهاد في ثغور الشام وخراسان وفي القضاء على الثورات بالعراق أساسا.

ويبدو أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك قد طوّر عدد الحرب لكنّ المسعودي لم يذكر ما هي هذه العدد [6]. المهمّ أنّ الخليفة هشام طوّر ربّما التقنيات الحربية المستعملة من قبل مقاتلة الشام وغيرهم من المقاتلة في الولايات. إنّ التقنيات

---

1) Djaït (H), **Idem**, p 83-89.

2) R. Hawting, **The First Dynasty of Islam**, p 38

3) Khalil Athamina, *Arab Settlement*, p 196-197

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 490.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 596.

6) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 205.

المستعملة من قبل المقاتلة بالشام هي تقنيات متنوّعة. لكنّ تطوّر هذه التقنيات في الفترة التي ندرسها يبقى غامضا.

كما أنّ المصادر لا توفّر لنا معلومات ضافية حول النّشاط الفلاحي للمقاتلة بالشام. لم يقتصر عمل المقاتلة بالشام على النّشاط العسكري بل شمل النّشاط الفلاحي وذلك منذ خضوع الشام للسيطرة العربيّة الإسلامية. ومنح الخليفة عبد الملك بن مروان قطائع للمقاتلة بأنطاكية. وأقطع الخليفة الوليد بن عبد الملك جندا بأنطاكية أرض سلوقية عند الساحل فعمّروها [1]. وتبقى دراسة هذه النقطة غامضة فيما يخصّ كيفية استغلال هذه الأراضي وملكيتها. على هذا الأساس، يختلف مقاتلة الشام عن مقاتلة العراق وخراسان.

كما يتميّز مقاتلة الشام بالمشاركة في الجهاد بخراسان والهند وإفريقية والأندلس وكذلك في القضاء على الثورات بالعراق وبالحجاز. ولم تتوقّف الاستعانة بمقاتلة الشام للقضاء على الثورات بالعراق بل أصبح مقاتلة الشام مستقرّين بالعراق بعد ثورة ابن الأشعث وبتأسيس واسط [2]. ويرجع هذا التخصيص لمقاتلة الشام على غيرهم من المقاتلة لشدّة طاعتهم للخلفاء الأمويّين [3]. فاستقرار الخلفاء الأمويّين بالشام منذ عهد الخليفة معاوية، أدّى لارتباط مقاتلة الشام ارتباطا عضويا بالخلفاء.

فهل أنّ جيش الشام هو جيش الدولة ؟

يبدو من خلال دراسة المصادر أنّ الخلفاء الأمويّين ارتبطوا بجيش الشام لتركيز المقوّمات الإيديولوجيّة للدّولة. على هذا الأساس، فإنّنا نعتبره جيش الدولة. وقد اتّبع الخلفاء الأمويّون وصية الخليفة معاوية لابنه يزيد، حيث أوصى هذا الأخير ابنه أن يخمد الثورات بواسطة مقاتلة الشام [4]. لكن غيّر الخلفاء المروانيّون وعمّالهم الجزء الثاني من هذه الفقرة بالوصيّة وهو ترحيل مقاتلة الشام وعدم إقرارهم بالمناطق التي قضوا فيها على الثورات. وكان الخليفة معاوية متخوّفا من العدوى الثورية على

---

1) عبد العزيز الدوري، *العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام*، **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام 1974**، نشر الدار المتحدة للنشر، ص 22.
البلاذري، **فتوح**، ص 202.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 242.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 365.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 390.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 323.

مقاتلة الشام، لكنّ الخلفاء المروانيّين وأساسا الخليفة عبد الملك بن مروان وعامله على العراق وخراسان الحجّاج بن يوسف أجبرا على إبقاء مقاتلة الشام بالعراق.

ومقابل الخدمات التي يقدّمونها للدولة الأمويّة، كان مقاتلة الشام يتحصّلون على أعطيات وأرزاق. ذكرنا آنفا عند حديثنا عن نشأة التنظيم العسكري متى تأسّس نظام العطاء. ويبدو أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب تأثّر بالبيزنطيّين وبالفرس عند تأسيسه لهذا النظام (1). يوزّع العطاء سنويّا على المقاتلة وتوزّع الأرزاق شهريّا والأرزاق هي الحبوب (2). مكّنتنا المصادر من بعض المعلومات حول العطاء بالشام. فقد طلب يزيد بن معاوية من أبيه أن يزيد أهل الشام كل رجل عشرة دنانير في أعطياتهم ففعل الخليفة.

لكنّ هذا المصدر لم يذكر كم كان مقاتلة الشام يتحصّلون كأعطيات وكم أصبحوا يتلقّون بعد هذه الزيادة (3)، وهل زاد الخليفة معاوية المقاتلة في الولايات الأخرى في أعطياتهم؟ فإن زاد مقاتلة الشام فقط، فهو قد حاباهم على حساب مقاتلة الولايات الأخرى وذلك يرجع لطاعتهم الشديدة للخليفة معاوية. كما كان الخليفة معاوية يدرّ العطاء والأرزاق للمقاتلة بجزيرة رودس (4). وقد ذكر شعبان أنّ هناك دفعا لأعطيات منتظمة للعرب المقاتلة الذين توسّعوا على حساب رودس أي قاموا بعمليّات بحرية تدوم وقتا طويلا (5).

إنّ الغرض من إدرار العطاء للمقاتلة هو تحريضهم على تركيز إيديولوجيا الجهاد. ويبدو حسب المصادر أنّ الخليفة معاوية هو أوّل من وضع شرف العطاء ألفين (ربّما ألفي درهم). ونظّم معاوية العطاء للأطفال – أطفال المقاتلة – مستندا إلى تجربة الخليفة عمر بن الخطّاب. فقد خصّص هذا الأخير للأطفال دون السابعة عشرة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 209
E.I², tII *Diwan.*

2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 269
Djaït (H), Al-Kufa, p 257

3) ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 126.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 288
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 3، ص 493
Tritton (A.S), *Notes on the Muslim System of Pensions*, **Bulletin of the School of Oriental Studies,16,1954, p 170.**

5) شعبان، صدر الإسلام، ص 93.

مائة درهم في السنّة تدفع لهم عند الفطام، فأخذ بعض الناس يفطمون أولادهم قبل الموعد الطبيعي كي يستحقّ العطاء مبكّرا، لذلك قرّر عمر أن يفرض للمولود حال ولادته. وقد تواصل هذا التنظيم حتى تولّى الخليفة معاوية، فقرّر أن يعود إلى النظام الأوّل ففرض للمواليد بعد الفطام [1]. لم يخصّ هذا التنظيم الأطفال بالشام فقط بل كلّ الولايات.

إنّ هذه السياسة التي اتّبعها معاوية ترجع لحسّه السياسي وإرادته كسب الولاءات. بالإضافة للمقاتلة العرب، فإنّ الموالي كانوا يتلقّون العطاء كالسيابجة والزطّ والأساورة [2]. وكان السكان الأصليون من المصريين والسوريين الذين كانوا يستخدمون كمجذفين وموجهي دفّات وبحّارة في الأسطول العربي، يقبضون أجورا طيلة هذه الحملات [3]. فهل حافظ هؤلاء البحّارة على دينهم أم إنّهم كانوا يشغلون هذه الوظيفة مقابل أجر معين؟ لم توضّح المصادر ذلك.

قد ذكرت معلومات حول فترات أخرى من الخلافة الأمويّة حيث أمر الخليفة يزيد بن معاوية بتوزيع الأعطيات كاملة على مقاتلة الشام الذين كلّفهم بمحاربة أهل المدينة كما منحهم أيضا معونة تبلغ مائة دينار ووزّعها عليهم فورا.

فقد بلغ عدد هؤلاء المقاتلة إثنى عشرة ألف رجل [4]. وتهدف كلّ هذه التّشجيعات لدفع مقاتلة الشام لقتال أهل المدينة وتخليص الأمويّين ومواليهم من الحصار. على هذا الأساس، منح الخليفة يزيد بن معاوية لمقاتلة الشام امتيازا استثنائيا نظرا إلى المهمّة الحسّاسة التي سيقومون بها. كما أنّ طاعة مقاتلة الشام للخليفة الأموي دفعت به لمكافأتهم. وقد تواصلت هذه الوضعية في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. كما وعد الخليفة عبد الملك بن مروان عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث عندما ثار وخلعه بإجراء العطاء على أهل العراق كما يجري على أهل الشام [5].

إنّ هذا الوعد الذي يهدف به الخليفة إلى إرضاء أهل العراق يدلّ على محاباة الخليفة عبد الملك لمقاتلة الشام على حساب مقاتلة العراق.

---

1) البلاذري، فتوح، ص 643.
2) العلي، التنظيمات، ص 68-72.
3) شعبان، صدر الإسلام، ص 93.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 483.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 347.
شعبان، صدر الإسلام، ص 112.

وتعود هذه المحاباة لمقاتلة الشام للعلاقة العضوية التي تربط الخليفة الأموي بهم منذ تأسيس الدولة الأمويّة. ولم تذكر المصادر إن زاد الخليفة عبد الملك مقاتلة العراق في أعطياتهم بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث. ويبدو حسب شعبان أنّ مقاتلة الشام كانوا في آخر عهد الخليفة عبد الملك يتحصّلون على عطاء منتظم [1]. كما قطع الخليفة عبد الملك الفريضة أي العطاء الذي كان الخليفة معاوية فرضه للفطيم من عيال المقاتلة، قطع ذلك كلّه إلاّ عمّن شاء [2]. تختلف سياسة الخليفة عبد الملك بن مروان مع عيال المقاتلة عن سياسة الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

فهل حابى الخليفة عبد الملك عيال المقاتلة الشاميّين على حساب عيال المقاتلة الآخرين؟ لماذا تراجع الخليفة عبد الملك عن هذه السياسة؟ فهل هذا يعود إلى قلّة الموارد المالية للدولة؟ أم إنّه مجرّد بخل؟ لكنّ الخليفة عبد الملك زاد الموالي في أعطياتهم. فبعد أن كانوا يتلقّون خمسة عشر درهما في عهد الخليفة معاوية أصبحوا يتلقّون عشرين درهما [3]. فهل كانت هذه الزيادة ذات غرض استراتيجي؟ كما أكرم الخليفة سليمان بن عبد الملك المقاتلة فزادهم في أعطياتهم [4].

ولم يذكر الاصفهاني كم بلغت هذه الزيادة، وهل حابى الخليفة سليمان مقاتلة الشام. كما زاد الخليفة سليمان الموالي في أعطياتهم. فبعد أن كان كلّ واحد منهم يتلقّى خمسة عشر درهما في عهد الخليفة معاوية ثم عشرين درهما في عهد الخليفة عبد الملك أصبحوا يتلقّون في عهد الخليفة سليمان خمسة وعشرين درهما. وزاد الخليفة عمر بن عبد العزيز أهل الشام عشرة دنانير في أعطياتهم ولم يزد أهل العراق5. لا يمكن أن نسلّم بصحّة هذه الرواية، وبالتالي يجب أن نلتزم الحذر في التعامل معها. فهل يعقل أن يكون الخليفة عمر قد اتّبع سياسة إسلامية من ناحية، وحابى مقاتلة الشام مثل ما فعل الخلفاء الأمويّون من ناحية أخرى؟ وردّ الخليفة عمر بن عبد العزيز العطاء على قدر ما استحقّ الرجل من السنّة [6].

---

1) شعبان، صدر الإسلام، ص 112.
2) البلاذري، فتوح، ص 643.
3) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 400.
4) الأصفهاني، مصدر مذكور، ج 15، ص 5.
5) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 367.
6) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 366.

والمقصود بالسنّة ربّما سنّة الخليفة عمر بن الخطّاب. واهتمّ الخليفة عمر بن عبد العزيز بذراري المقاتلة الذين فطموا فأعطاهم فرائض. ولم يخصّ الخليفة عمر ذراري مقاتلة الشام فقط بل كلّ الذراري في الولايات ولم يذكر الطبري ما هي قيمة هذه الفرائض [1]. رجع الخليفة عمر إلى السياسة التي اتّبعها الخليفة معاوية بعد أن قطعها الخليفة عبد الملك. وكان أفراد الأسرة الحاكمة يأخذون العطاء على أساس أنّهم يقومون بالجهاد فإذا لم يقم أحدهم به فهو يخرج بدلا.

إنّ العطاء مرتبط بالجهاد حتى في صفوف الأسرة الحاكمة. كما كان الخليفة هشام بن عبد الملك يرسل مولى له ليقوم بالجهاد عوضا عنه وهو يأخذ عطاء الخليفة [2]. وترتبط الزيادة في العطاء بقرار الخليفة. فقد رفض الخليفة هشام زيادة عشرة دنانير في العطاء لمولاه لأنّ الزيادة في العطاء لا تكون إلاّ حسب الجوز [3]. إنّ العطاء مرتبط بالجهاد وبمجهود الشخص في تركيز أحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة. كما منح الخليفة هشام بن عبد الملك الأبناء من الموالي ثلاثين دينارا [4]. رفع الخليفة هشام من أعطيات الموالي. وهكذا فإنّ المصادر لم تذكر لنا معلومات كافية عن تطوّر نظام العطاء بالشام من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام. فليس هناك تصعيد ومراحل واضحة.

وأخيرا، نستنتج أنّ المصادر لم توفّر معلومات في ما يخصّ النظام العسكري (العرفاء والمناكب) بالشام وكذلك عدد المقاتلة بالشام من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام ما عدا بعض المعلومات حول التركيبة العرقية للمقاتلة وبعض التقنيات المستعملة في القتال وتوظيف مقاتلة الشام للقضاء على الثورات بالولايات الأخرى كالعراق والحجاز وكذلك في الجهاد.

كان المقاتلة الشاميّون في نفس الوقت أحد عناصر القوّة الأمويّة وكذلك أحد عناصر ضعفها. فقد ساعدوا الخليفة معاوية والخليفة مروان بن الحكم للوصول للحكم لحماية مصالحهم. لكنّ إقرار الأمويّين لهم بالعراق كقوّة احتلال بعد ثورة ابن الأشعث أكثر من التململ في صفوفهم. وكان تمرّدهم هو أحد عناصر سقوط الدولة الأمويّة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 570.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 202.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 203.
4) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 400.

كما أنّ الخلفاء الأمويّين ورثوا التنظيم العسكري العمري الذي استند بدوره إلى التنظيم العسكري البيزنطي أو الفارسي. فهل كان التنظيم العسكري بالعراق مشابها للتّنظيم العسكري بالشام؟

(ب) التنظيم الإداري- العسكري بالولايات

- ✓ **التنظيم الإداري- العسكري بالعراق**

  - o **التنظيم الإداري- العسكري بالبصرة**

لقد مكّنتنا المصادر من معلومات أكثر نسبيّا من المعلومات المتعلّقة بالشام حول تطوّر عدد المقاتلة وتطوّر عمليات نقلهم وتطوّر التنظيم العسكري الإداري ونظام العطاء والرزق بالبصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كان عدد المقاتلة بالبصرة حين قدم إليها زياد بن أبي سفيان أربعين ألف وارتفع في عهده إلى ثمانين ألف مقاتل. وكانت الذرية ثمانين ألف فرفع عددهم إلى مائة وعشرين ألف [1].

وذكر عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد لمقاتلة البصرة عند حدوث الفتنة الثانية، أنّه وجد ديوان مقاتلتهم يبلغ سبعين ألف، وأصبح عددالمقاتلة يبلغ في عهده ثمانين ألف. وبلغت عيالاتهم مائة وأربعين ألف [2]. بينما ذكر المسعودي أنّ عبيد الله بن زياد قال لأهل البصرة بأنّ "لاعدد أكثر من عددهم"، ويبلغ هذا العدد ستين ألفا [3]. يجب الاحتراز من هذه المعلومة التي ذكرها المسعودي. كما أنّ الأرقام التي تخصّ عدد المقاتلة في عهد زياد والتي قدّمها كلّ من الطبري والبلاذري مختلفة اختلافا طفيفا.

وهذا دليل على الطابع الشفوي لهذه الروايات. إنّ الرقم الذي أورده كلّ من الطبري والبلاذري حول عدد المقاتلة في عهد عبيد الله بن زياد أقرب إلى الواقع. فقد

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 220.
البلاذري، فتوح، ص 488.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 1، ص 434.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 504.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 116.
3) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 84.

شمل هذا الرقم عددا ممّن لم يكن مسجّلا في الديوان، ومحا أسماء الموتى الذين تدفع أعطياتهم لأهاليهم على أساس أنّهم أحياء ولم يدخل البدو الذين لم يستقرّوا بالمصر.

كما يشمل هذا العدد العجم ويغفل عددا من العرب المستقرّين بالمدينة. وفي آخر عهد عبيد الله بن زياد كثرت ثورات الخوارج، فحرم الوالي البصريين الذين انضمّوا إلى هذه الثورات من أعطياتهم وهاجر البعض الآخر من المقاتلة من البصرة تخوّفا من الخوارج. وقد استعمل عبيد الله بن زياد عربا وعجما غير مسجّلين في الديوان للقضاء على هذه الثورات. وفي سنة 69 هـ، فتك الطاعون بالعديد من الرجال والنساء المسجّلين وغير المسجّلين في الديوان [1].

يرجع ارتفاع عدد المقاتلة في عهد زياد لهجرة عدد من الأزد من عمان إلى البصرة [2]. وعلى هذا الأساس، فقد كانت هناك هجرات متتالية وغير منتظمة. وإنّ الغرض من هذه الهجرات هو البحث عن موارد الرزق في هذا المصر أو الانخراط في الديوان. وقد تسبّب هؤلاء المهاجرون الجدد في حالة من الفوضى خاصّة أنّهم حافظوا على تعصّبهم القبلي وعدم امتثالهم للسلطة. كما أنّهم أثاروا بعض التوتّر بين المجموعات القبليّة المختلفة [3]. وقد سعى زياد للحدّ من هذه الوضعية باتّخاذ العديد من الإجراءات.

أوّلا، نقل زياد المقاتلة إلى ولايات أخرى، حيث كلّف واليه على خراسان الربيع بن زياد الحارثي أن ينقل خمسين ألفا من المقاتلة وعائلاتهم من البصرة والكوفة للاستقرار بخراسان بصفة نهائية [4].

وقد رجّح العلي أنّ مقاتلة البصرة بلغ عددهم خمسين ألفا [5]. ولم تذكر المصادر أسماء هؤلاء المقاتلة الكوفيّين والبصريّين ما عدا اسمي رجلين. وكان سبب

---

1) العلي، **التنظيمات**، ص 33-34.
2) العلي، **خطط البصرة**، ص 47.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 212-218-219.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 206-207.
شعبان، **صدر الإسلام**، ص 97.
Lammens (H), **Etudes sur le Siècle des Omaiyades**, p 54
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 286.
البلاذري، **فتوح**، ص 577.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 489.
5) العلي، **التنظيمات**، ص 32.

ذكرهما هو انتماؤهما لصحابة الرسول وهما بريدة بن الحصيب الأسلمي أبو عبد الله وأبو برزة الأسلمي عبد الله بن حنظلة.

ويرى العلي أنّهم من مختلف القبائل وربّما كان معظمهم من البصرة والكوفة [1]. وقد كان هدف زياد أن "يخفّف من حدّة التوتّر السياسي في العراق" وكذلك ضمانة "الفتوح" التي تحقّقت وتوفير القوّات اللازمة للمزيد من التوسّع [2].

كان العراق مركز غليان إيديولوجي بسبب وجود الشّيعة والخوارج، وبالتالي فإنّ التّخفيف من الضّغط الديمغرافي كان أمرا أساسيّا. كما سعى زياد إلى تركيز المقوّمات الإيديولوجيّة الأمويّة وأساسا الجهاد بخراسان. ونقل زياد عددا من الأزد إلى مصر وذلك رغم علاقة الصداقة التي تربطه بهم. فهذه العلاقة لا تمنعه من نقل بعض العناصر غير المرغوب فيها [3]. بالإضافة إلى نقل المقاتلة العرب، فقد وقع نقل الزطّ والسيابجة للسواحل الشاميّة لحماية الثغور. وفي خلافة عبد الملك بن مروان، نقل الأزد وربيعة من البصرة إلى الموصل [4]. كما يبدو حسب العلي أنّ عددا آخر هاجر من البصرة واستوطن بعض المناطق التي كانت إدارتها تابعة للبصرة [5].

---

1) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 259.
شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 77.
العلي، **خطط البصرة**، ص 47.
2) فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 120.
شعبان، صدر الإسلام، ص 99-100.
شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 75-76.
العلي، دراسات في الإدارة، ص 115.
العلي، **التنظيمات**، ص 32.
العلي، **خطط البصرة**، ص 47
Khalil Athamina, *Arab Settlement*, p 85.
3) العلي، **التنظيمات**، ص 32
العلي، **خطط البصرة**، ص 47
K.A Fariq, *Idem*, p 84
.G.R Hawting, **The First Dynasty of Islam**, p 41
4) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 324.
5) العلي، **خطط البصرة**، ص 47.

وإن كان الخبر الذي أورده اليعقوبي صحيحا حول نقل المقاتلة من البصرة إلى الموصل من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، فإنّ هذا الأخير يهدف ربّما إلى الحدّ من التوتّر السياسي بالبصرة. وأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك المقاتلة بالهند – وهم من أهل الشام– أن يزرعوا ويحرثوا قصد الاستقرار النهائي [1].

إنّ الهند هي من المناطق التّابعة للبصرة. شجّع الخليفة سليمان على استقرار المقاتلة العرب وخاصّة أهل الشام بأرض أخرى غير أرضهم (أرض الجهاد) قرار جديد بالمقارنة مع الفترة السفيانيّة، حيث أوصى الخليفة معاوية ابنه يزيد بإقفال أهل الشام بعد أن يستعين بهم على قتال عدوّه.

لنا أن نتساءل عن طلب الخليفة من المقاتلة الشاميّين الاستقرار بالهند، هل ازداد عدد المقاتلة ولم تكن الرقعة الجغرافية للشام قادرة على استيعابهم؟ أم إنّ الخليفة سليمان كان يريد الاستغلال الزراعي للثغور؟ لعلّ الاحتمالين واردين. لكنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر المقاتلة الشاميّين بالهند أن يرجعوا للشام [2].

ويتنزّل هذا القرار في إطار إيقاف سياسة الجهاد واستمرّت عمليّة نقل المقاتلة البصريين في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث أرسل عشرة آلاف كأمداد في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرّي لخراسان. وأمر الخليفة هشام الجنيد بتسجيلهم في الديوان [3]. ويبدو حسب شعبان أنّ هؤلاء المقاتلة من أهل البصرة "قد اندمجوا بعد وصولهم في أخماس خراسان لذلك لم نعد نسمع لهم ذكرا كجماعة مستقلّة" [4]. نقل مقاتلة البصرة لولايات أخرى لغايات استراتيجية. ولم يقم زياد بنقل المقاتلة إلى ولايات أخرى فقط، بل أعاد تنظيم البصرة تنظيما عسكريّا وإداريّا. فجعل المقاتلة أخماسا تشتمل على عدد من العشائر، وجعل على كلّ خمس رئيسا [5]. تتمثّل مهمّة الأخماس في التعبئة العسكرية للعشائر وتوزيع العطاء. على هذا الأساس، تسهّل هذه الأخماس إدارة القتال وتنظّمه. وقد وضع هذا التنظيم منذ عهد الخليفة عمر بن

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 499.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 499.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 79.
4) شعبان، الثورة العبّاسية، ص 192.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 580.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 220.

الخطّاب حسب هشام جعيّط [1]. لكنّ تغيّر الظروف في عهد زياد أدّى إلى تغيير هذا التنظيم.

فهجرة أفراد القبائل غير المنظّمة إلى البصرة واستيطانها بالخطط القديمة المخصّصة لعشائرهم أدّى إلى ازدحام بعض المناطق وبقاء بعض المناطق قليلة الازدحام. وهؤلاء المهاجرون لا يأخذون العطاء. وكان هذا الوضع يحدث مشاكل إدارية كبيرة لذلك أعاد زياد تنظيم البصرة إلى خمسة أقسام كبرى [2]. وهذه الأخماس هي أهل العالية (أي أهل الحجاز) وتميم وبكر والأزد وعبد القيس [3].

ولم تذكر المصادر عدد العشائر التي تتكوّن منها هذه القبائل الخمس. وقد اضطرّ زياد في تنظيمه لهذه القبائل أن يحيد عن شجرات النسب فيدخل في بعض القبائل عشائر عربيّة لا تمتّ إلى القبيلة بصلة نسب، بل إنّه أدخل أحيانا وحدات من العجم من القبائل العربيّة. فأدخل مع بني تميم عشائر بني العمّ الأهوازيّين وحميس الحجازية والأساورة والسيابجة والزطّ من العجم. كما أدخل بنانة وعائشة وناجية وسامة العمانيّين ضمن أهل العالية. وكان غرض زياد من ذلك أن يجعل عدد القبائل متوازنا [4]. وقد تميّز هذا التنظيم بتجانس القبائل والعشائر فيه.

كما كانت القبيلة أكثر ظهورا فيه حسب فلهاوزن [5]. وكان رؤساء الأخماس يختارون ممّن لهم مكانة هامّة في القبائل. وهم يعيّنون بعد أن يوافق الخليفة على تعيينهم. ولرؤساء الأخماس سلطات واسعة. ففي حالة السلم، كانوا يرأسون مجالس القبائل ويحكمون في بعض الخلافات التي تنشأ بين أفراد القبيلة ويمثّلون العشيرة ومصالحها أمام الوالي، ويقرّرون موقفها السياسي في الأحداث الهامّة [6].

ويوزّعون العطاء ويقومون بالتّعبئة. وكانوا يشتركون في الوفادات التي ترسلها الأمصار للخلفاء. وعند الحرب، كانوا يقودون قبائلهم في الحملات. كما تولّى

---

1) Djaït (H), **Al-Kufa**, p 225

Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 66

العلي، **التنظيمات**، ص 40-102 : إنّ العلي يرى أنّ الأخماس تأسّست رسميّا في عهد زياد.

2) العلي، **خطط البصرة**، ص 49-51.

3) العلي، **خطط البصرة**، ص 51

Djaït (H), *Les Yamanites*, p 163

4) العلي، **التنظيمات**، ص 41-42.

5) فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 120.

6) العلي، **التنظيمات**، ص 116.

رؤساء الأخماس السلطة بالبصرة في ظرف استثنائي. فقد توفيّ الخليفة يزيد بن معاوية وأجبر عبيد الله بن زياد على مغادرة البصرة، وبقي المصر بدون وال.

وبعد منازعات، اختاروا عبد الله بن الحارث أميرا لهم [1]. إلاّ أنّهم كانوا خاضعين للوالي بما أنّه ممثّل للخليفة. كما أنّ سلطاته تقتصر على عشائرهم. وقد ضعفت هذه السلطات شيئا فشيئا بعد ضعف الروح القبليّة [2].

إنّ الهدف الأوّل من إيجاد هذه الأخماس هو هدف عسكري. ويظهر ذلك في خوض المقاتلة البصريين كلّ المعارك بعد عهد زياد في إطار تنظيم الأخماس. فقد عيّن عدي ابن أرطاة الفزاري والي البصرة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك رؤساء على الأخماس حتى يقبضوا على يزيد بن المهلّب [3]. وكان نميلة بن مالك بن سارية النميري على أهل العالية بالبصرة في ولاية يوسف بن عمر الثقفي للعراق.

وقد تولّى عكابة بن نميلة بن مالك رئاسة أهل العالية بعد أبيه [4]. يبدو أنّ هناك شبه توارث لهذا المنصب. لكنّ هذا المثال هو مثال وحيد. بقي تقسيم البصرة إلى أخماس نظاما عسكريّا ناجعا منذ تأسيسه في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب وبعد إعادة تنظيمه من قبل زياد.

كما عمل زياد على تنظيم مؤسّسة إدارية أخرى وهي مؤسّسة العرافة. وقد كان زياد أوّل من عرّف العرفاء ونكّب المناكب بالبصرة حسب البلاذري [5]. إنّ العريف هو "القيّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم ويتعرّف الأمير منهم أحوالهم" [6]. وكان العرفاء "من أهمّ الموظفين الذين اعتمد عليهم الأمير في تثبيت سلطانه وفي إدارة المصر وتوزيع العطاء والسيطرة على السكان" [7].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 513-514.
2) العلي، **خطط البصرة**، ص 51
العلي، **التنظيمات**، ص 41-102-107.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 580.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 195.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 224.
6) **E.I², tI 2** *Arif*.
7) العلي، **التنظيمات**، ص 97.

وذكر العرفاء في العصر الجاهلي وفي زمن النبي وزمن عمر. فقد ذكر سيف بن عمر أنّ سعد بن أبي وقّاص قبيل معركة القادسية "قدّر الناس وعبّاهم بشراف وأمّر أمراء الأجناد وعرّف العرفاء فعرّف على كلّ عشرة رجلا" [1].

على هذا الأساس، وجدت وظيفة العريف بالبصرة منذ عهد الخليفة عمر بن الخطّاب أي أسّسها الخليفة عمر. لكنّ أغلب المعلومات التي وردت في المصادر عن تنظيم هذه الوظيفة يرجع إلى عهد زياد بن أبي سفيان [2]. فزياد لم يكن كما قال البلاذري أوّل من عرّف العرفاء ونكّب المناكب بل هو أعاد تنظيم هذه الوظيفة. فقد جعل زياد كلّ قبيلة وحدة مستقلّة ثم قسّمها إلى عرافات لغايات إدارية [3].

وجعل زياد العشائر وحدات يبلغ كلّ منها حوالي ألف مقاتل. وكان كلّ عريف معيّن على عرافة مسؤول عن تنظيم العطاء على أفرادها. ويتطلّب العطاء من العريف إعداد سجّل يبيّن فيه النساء والأطفال والمقاتلة وتجهيزاتهم ومقدار أعطياتهم ومواليهم. وكان العرفاء مسؤولين عن تنفيذ الأوامر في الزيادة في الأعطيات وربّما كانوا يلعبون دورا في اقتراح هذه الزيادات. كما أنّ العرفاء كانوا مكلّفين بجمع الجند عند النفير. بالإضافة إلى ذلك، فإنّهم كانوا مسؤولين عن الأمن والانضباط في عرافاتهم. وكان العرفاء يقومون بمهمّات أخرى كدفع الديات المطلوبة من عرافاتهم والبتّ في النزاعات التي تحدث بين أفراد العرافة. تتطلّب هذه الوظائف العديدة ممّن يتولّى هذه المناصب أن يكون ذا مقدرة لتنفيذ الأوامر المنوطة بعهدته [4].

على هذا الأساس، كان الوالي يعيّن العرفاء ولا يستشير في ذلك العشيرة أو الخليفة. ويقوم بعزل هؤلاء العرفاء ويطلب منهم تنفيذ أوامره. ويقع اختيار العريف من القبيلة نفسها ولا يختارون من بين أسيادها.

ولم تذكر المصادر تطوّر مؤسّسة العرافة بالبصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كان العرفاء يلعبون دور الوساطة بين الوالي ورجال العشائر. كما كانوا يقومون بمهمّات إدارية وعسكرية

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 3، ص 488.
2) العلي، التنظيمات، ص 97.
3) شعبان، صدر الإسلام، ص 99
Décobert Christian, Le Mendiant et le Combattant, p 71
4) العلي، التنظيمات، ص 99
العلي، دراسات في الإدارة الإسلامية، ص 136.

وسياسية وإيديولوجيّة على مستوى العشائر. ويبدو حسب العلي أنّ "العشيرة هي الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي والمالي والإداري" [1].

بينما لا يوافقه هشام جعيط في ذلك [2]. إضافة إلى وظيفة العريف هناك وظيفة أخرى وهي وظيفة المنكب أو المناكب وهم قوم دون العرفاء. يبدو أنّ الأخبار عنها متناقضة. فيقول الليث إنّ المنكب رئيس للعرفاء. أمّا أبو العالية وابن الأثير فيقولان إنّ المنكب أقلّ من العريف وتابع له. ويروي المدائني أنّها أنشئت في عهد زياد لكنّ الأخبار عنها متناقضة [3].

أنشأ زياد تراتبية إدارية مكّنته من فرض سلطة الدولة والإشراف إشرافا مباشرا على رجال العشائر. كما أنّه أعاد تنظيم مؤسّسات إدارية وعسكرية سيتواصل وجودها طيلة العهد الأموي وكذلك في العهد العبّاسي. كما نلاحظ أنّ التركيبة البشرية العسكرية بالبصرة كانت تتميّز بغلبة العنصر العربي. فبالإضافة إلى المقاتلة العرب، ذكرت الحمراء التي كانت ضمن أخماس البصرة الذين كلّفهم عدي بن أرطاة بقتال يزيد بن المهلّب [4]. كان العنصر العربي طاغيا في التركيبة البشرية لمجموع المقاتلة مع وجود العنصر الأعجمي. وكان هؤلاء المقاتلة من العرب والعجم يتحصّلون على أعطيات .

فقد قام زياد بن أبي سفيان بتنظيم العطاء بالبصرة حيث أعاد تنظيم توزيع العطاءات حسب ما تقتضيه الظروف الاجتماعيّة الجديدة (أي الهجرة غير المنظمّة للقبائل إلى البصرة) [5].

فقد زاد عدد المهاجرين بالبصرة وبقي المقدار الكلّي لعطاء بعض العشائر ثابتا رغم زيادة عدد أفرادها. وقد روى الشّعبي بأنّه "كانت حطمة زياد فقال للعرب : إنّ عشائركم قد وردت علينا، فاختاروا أن نأخذ نصف أعطياتكم وأرزاقكم فنقوتهم بها ما لهم عندنا، أو تكفينا كلّ عشيرة من فيها، فمنهم من ضمّ عشيرته، ومنهم من طابت نفسه بنصف عطائه ورزقه وأرزاق عياله" [6].

---

1) العلي، **التنظيمات**، ص 42.
2) Djaït H, **Al-Kufa**, p 226
3) ابن منظور، **معجم مذكور**، ج 3، ص 753.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 581.
5) شعبان، **صدر الإسلام**، ص 99.
6) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 137.

على هذا الأساس، تمكّن زياد بفضل مقدرته السياسيّة من إعادة تنظيم العطاء بالبصرة. كما تميّز زياد بإدراره العطاء للمقاتلة وعيالاتهم [1]. فقد كان زياد يجبي من كور البصرة ستين ألف ألف فيعطي المقاتلة من ذلك ستة وثلاثين ألف ألف ويعطي الذرية ستة عشر ألف ألف درهم [2]. وقد قام العلي بتقديرات يجب الاحتراز منها لأنّنا ليس لدينا معلومات في المصادر حول عدد العشائر بالبصرة.

فقد قال العلي بأنّه إن كان المقدار الكلّي للعطاء يبلغ ستة وثلاثين مليونا وعدد العشائر خمسة وسبعين، لذا فقد كان لكلّ عشيرة حوالي نصف مليون درهم [3]. وكان زياد يمنح كلّ عيّل مائة درهم ويمنحهم معونة الفطر خمسين ومعونة الإضحى خمسين [4].

وذكر عبيد الله بن زياد لأهل البصرة بعد أن توفّي الخليفتان يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد بأنّ أعطيات المقاتلة وعيالاتهم بلغ ستين ألف ألف درهم [5]. فلو نقارن هذا الرقم بالرقم الذي أورده البلاذري، نستنتج أنّ أعطيات المقاتلة وعيالاتهم ارتفعت بالبصرة في عهد عبيد الله بن زياد بالمقارنة مع عهد زياد. لكنّنا لا نستطيع أن نجزم بصحّة هذه الأرقام للطّابع الشفويّ للروايات بصفة عامة كماأنّها تتعرّض لتحويرات.

ولم تذكر المصادر الأرقام المتعلّقة بأعطيات المقاتلة وعيالاتهم بالبصرة من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ولم نجد بالمصادر إلاّ بعض المعلومات المتفرّقة عن الزيادات في العطاء بالبصرة حيث رفض الحجّاج بن يوسف الثقفي أن يترك الزيادة في العطاء التي أحدثها عبد الله بن الزبير في البصرة وقيمة الزيادة مائة درهم [6].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 222.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 218-219.
3) العلي، **التنظيمات**، ص 142.
4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 237.
5) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 84.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 210-211.

ممّا أدّى إلى ثورة أهل البصرة عليه. كما بذل الخليفة سليمان بن عبد الملك الأعطية لأهل العراق بتشجيع من عمر بن عبد العزيز [1]. فهل كان الخلفاء قبله قد أساءوا معاملة مقاتلة البصرة فلم يبذلوا لهم الأعطيات؟ وقد كان هذا العطاء يدفع من الخراج، وكلّف العرفاء بتوزيعه على المقاتلة. وكان يدفع سنويّا [2]. وكان زياد يوزّع الأعطيات على المقاتلة ربّما قبل العاشوراء أو في شعبان أو في محرّم أو في ذي الحجّة [3]. فالعطاء كان يعطى في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب وفي عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في أواخر الخريف وأوائل الشتاء. وهو يتّفق مع موعد جني التمور ويتأخّر عن بداية السنّة الخراجية التي تبدأ في أوائل الصيف [4].

ولم تذكر المصادر موعد توزيع العطاء على المقاتلة في فترات حكم الخلفاء الأمويّين الآخرين. لكنّ دفع العطاء في وقته المحدّد لم يكن أمرا سهلا خاصّة إذا لم يصل الخراج.

وقد استطاع زياد أن يدفع الأعطيات بدون تأخير وهذا يرجع لمقدرته على الإدارة. ولم يتوقّف تنظيم زياد للعطاء فقط بل شمل الرزق. فقد أسّس زياد دار الرزق بالبصرة [5]. وهي عبارة عن بناية لخزن الحبوب التي توزّع شهريا على المقاتلة وعيالاتهم [6]. ولم تكن دار الرزق موجودة في العهود الإسلامية الأولى.

ولم تذكر إلاّ في أحداث سنة 36 هـ [7]. لكنّ هذه الرواية قدّمت أحداثا في عهود لاحقة وأسقطتها على سنة 36 هـ ويرجع توزيع الرزق لعهد الخليفة عمر بن الخطّاب، لكنّ دار الرزق ذكرت لأوّل مرّة في عهد زياد. كما ذكر العامل عليها وهو عبد الله بن الحارث بن نوفل ثم روّاد بن أبي بكرة [8].

---

1) ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 9، ص 198
الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 15، ص 5.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 269.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 219-237.
4) العلي، **التنظيمات**، ص 136.
5) البلاذري ،**مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 214
العلي، **خطط البصرة**، ص 55
العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 137.
6) Djaït (H), **Al-Kufa**, p 257
العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 137.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 466.
8) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 214.

فالعامل الأوّل ينتمي إلى قريش بينما العامل الثاني هو ابن أخ زياد بن أبي سفيان. لكنّنا لا نستطيع أن نحدّد قائمة بأسماء عمّال دار الرزق بالبصرة لأنّ المصادر لم تذكر معلومات عنهم. كما لم تذكر هذه المصادر اختصاصات هذا العمل الذي يتمثّل حسب ما يبدو في استلام الحبوب وتنظيم توزيعها الشهري وما يرافقه من أعمال [1].

وزاد عبيد الله بن زياد في دار الرزق التي بناها أبوه [2]. ويتنزّل هذا التوسيع في إطار مواكبة التطوّرات الاجتماعيّة الجديدة. ولم تذكر دار الرزق في الفترة الأمويّة اللاحقة وهذا دليل على تناقص أهمّيتها. وتواجهنا مشكلة صمت المصادر بالنّسبة إلى كميّة الأرزاق الموزعة على المقاتلة ووقت توزيع هذه الأرزاق.

فقد كان زياد يوزّع الأرزاق على المقاتلة كلّما ظهر الهلال. ويخرج أرزاق الذرية إذا ظهر هلال شهر رمضان. وكان كلّ عيّل يتلقّى جريبين. وهي كمية هامّة نسبيّا [3]. ولم تذكر المصادر كم يتلقّى كلّ شخص من المقاتلة من الأرزاق. ويوافق توزيع الأرزاق أواخر الخريف وأوائل الشتاء. ويتميّز زياد بحرصه على توزيع الأرزاق في أوقاتها.

يتميّز التنظيم العسكري بالبصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بتواصله مع التنظيم العسكري العُمَري لكنّه تعرّض لتحويرات من قبل زياد. ولم تذكر المصادر والمراجع تأثيرا فارسيّا على التنظيم العسكري بالبصرة رغم خضوع العراق للتأثيرات الفارسية. كما تميّز التنظيم العسكري بالبصرة باختلافه النسبي عن التنظيم العسكري بالشام.

ولم يأت الأمويّون بجديد في المؤسّسات الإداريّة والعسكريّة، لكنّهم قاموا بمجهود تنظيميّ هامّ. فهل كان التنظيم العسكري- الإداري بالكوفة شبيها بالتنظيم الإداري - العسكري بالبصرة ؟

- **التنظيم الإداري-العسكري بالكوفة**

مصّرت الكوفة في البداية على أساس أنّها ستحتوي سبعة آلاف إلى ثلاثين ألف مقاتل وأربعين ألف مقاتل [4]. ثم توالت الهجرات في عهد الخليفة عمر بن

---

1) العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 137.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 214.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 237.
4) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 491.

الخطّاب وفي عهد الخليفة عثمان بن عفّان. وقد كان مع الخليفة علي بن أبي طالب عشرة آلاف مقاتل من الكوفة لكنّهم لم ينضمّوا كلّهم إليه. وبلغ عدد مقاتلة الكوفة في عهد زياد ستين ألف وبلغ عدد عيالهم ثمانين ألفا [1]. لكن لم تذكر المصادر تطوّر عدد المقاتلة وعيالاتهم في الفترة الأمويّة اللاحقة. بينما ذكرت نقل المقاتلة من الكوفة إلى خراسان. فقد نقل زياد خمسين ألفا من مقاتلة الكوفة والبصرة وعيالاتهم واستوطنوا بخراسان.

ومثّل مقاتلة الكوفة عشرة آلاف من هذا الجيش [2]. ويبدو أنّ عدد مقاتلة الكوفة الذين نقلوا لخراسان كانوا يعدّون عشرة آلاف مقاتل. وكان زياد يهدف من وراء هذه العملية التخفيف من حدّة التوتّر السياسي بالعراق وأساسا الكوفة، بالإضافة إلى ضمان الجند اللازم لحماية حركة التوسّع بخراسان [3]. ويتّفق المدائني والبلاذري على أنّ عدد المقاتلة وعيالاتهم المنقولين لخراسان كان خمسين ألفا، لكنّ المدائني يضيف بأنّ نصف هؤلاء كان من البصرة ونصفهم الآخر من الكوفة [4].

ويشكّ العلي في ادعاء المدائني موضّحا أنّه في ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي سنة 96 هـ لم يكن في خراسان إلاّ عشرة آلاف رجل من الكوفة فقط وليس هناك حجّة في المصادر تثبت أنّ الكوفيين انسحبوا من خراسان بعد عهد زياد [5]. وأمر الخليفة عبد الملك بن مروان والي الكوفة بشر بن مروان أن يرسل بخمسة آلاف من المقاتلة. وتتمثّل مهمّتهم في قتال الخوارج الأزارقة في مرحلة أولى ثم في الالتحاق بالريّ حيث يستقرّون بها للجهاد ويجبون الخراج [6]. وأمر الحجّاج بن يوسف والي سجستان عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث أن يأمر المقاتلة من أهل المصرين أن يخدموا الأرض ويستقرّوا بها حتّى يتوسّعوا على حسابها كلّها. وكان عدد المقاتلة الذين انخرطوا في هذه الحملة أربعين ألفا.

---

1) البلاذري، **فتوح**، ص 488
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 464.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 286
البلاذري، **فتوح**، ص 577
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 489.
3) فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 120
شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 75.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 286
البلاذري، **فتوح**، ص 577.
5) العلي، **التنظيمات**، ص 32.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 171.

وقد أراد الحجّاج التخلّص من كلّ العناصر التي تثير القلاقل بالمصرين. وهم قادة بلغوا درجة كبيرة من الكبر كعبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث حفيد الأشعث بن قيس القائد الكبير في حروب الردّة وفي حملة التوسّع على حساب العراق.

كذلك كان هذا "الجيش" يضمّ عددا من المسنّين الذين شاركوا في حركة التوسّع الأولى [1]. وقد باءت هذه المحاولة بالفشل على عكس مشروع زياد حيث ثار هؤلاء المقاتلة على الحجّاج. كما أرسل الخليفة هشام بن عبد الملك عشرة آلاف من مقاتلة الكوفة للجنيد بن عبد الرحمن المري والي خراسان سنة 112 هـ [2].

وكان هدف الخليفة هشام بن عبد الملك من إرسال هذا المدد العسكري هو تقوية إيديولوجيا الجهاد. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ زياد طبّق بالكوفة نفس السياسة التي طبّقها بالبصرة للحدّ من التطوّر الديمغرافي حيث أرسل جزءا من حمراء الكوفة (الحمراء هم جنود إيرانيون انضمّوا إلى الدولة الإسلامية في الكوفة مقابل مرتّبات وكانوا بعيدين عن الصراعات الإيديولوجيّة) إلى البصرة فدخلوا في الأساورة وجزءا آخر أرسله إلى الشام بأمر من الخليفة معاوية وهم يسمّون الفرس [3]. نقل الولاة الأمويّون بالعراق وأساسا زياد المقاتلة من الكوفة إلى ولايات أخرى كخراسان والبصرة لتركيز الجهاد وللحدّ من الاضطرابات السياسيّة بالكوفة. كما نظّم زياد الكوفة تنظيما إداريا وعسكريا على شاكلة التنظيم الإداري-العسكري الذي قام به بالبصرة. وقد أجبرته على ذلك نفس الظروف أي النزوح غير المنظّم للقبائل إلى الكوفة وإضرارها بالنظام الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطّاب. على هذا الأساس، قسّم زياد الكوفة إلى أرباع سنة 50 هـ. وهي أربع مجموعات قبلية كبيرة متساوية الأعداد تقريبا : ربع أهل المدينة وربع مذحج وأسد وربع كندة وربيعة وربع تميم وهمدان. وكان على كلّ ربع رئيس يعيّنه الوالي [4].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 335.
شعبان، **صدر الإسلام**، ص 124.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 79.
3) البلاذري، **فتوح**، ص 394.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 268-269 ، ج 6، ص 580
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 483
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 120
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 223
Djaït (H), *Les Yamanites*, p 154-155

وقد ذكرنا آنفا صلاحيات هذه المجموعات بالبصرة. وهي لديها نفس هذه الصلاحيات بالكوفة التي تتمثّل في دفع العطاء والتعبئة العسكرية للمقاتلة [1]. وقد أعاد زياد تنظيم العرب وقسّمهم إلى أرباع. فقد جمّع زياد القبائل وفرّق بين القبائل المتقاربة في النسب حتى يتمكّن من إضعافها واستغلال الانقسامات المختلفة بينها [2].

وبذلك تمكّن زياد من إخضاع القبائل بالكوفة. فلو أخذنا مثالا عن هذا التنظيم الذي قام به زياد نجد أنّه جمع بين قبيلة يمنية وقبيلة مضرية أو من ربيعة. وداخل اليمن نفسها جمع بين حمير وهمدان وبين الأشاعرة ومذحج والحضرميين مع كندة والأزد مع مذحج وأساسا مع مراد [3]. على هذا الأساس، تميّز هذا التنظيم بتجانسه بالمقارنة مع الأخماس بالبصرة. غيّر زياد النظام الذي وضعه الخليفة عمر بن الخطّاب. فقد كان المقاتلة بالقادسية مقسّمين إلى أعشار. ومن الأرجح، أنّ العرب تأثّروا عند اتّخاذهم للأعشار بالتنظيم العسكري الفارسي. فقد كان الفرس يقسّمون الجيش حسب نظام العشرات عشرة ومائة وألف [4].

ثم وضع الخليفة عمر بن الخطّاب الأسباع. فقد قسّمت الخطط على القبائل ونظّمت على أساس الانتماء الجهوي القديم وذلك باتّخاذ سكنهم القديم بالجزيرة العربيّة كمرجعية تاريخيّة [5]. تمثّلت الأسباع في : أوّلا كنانة وجديلة وثانيا قضاعة وبجيلة وخثعم وكندة وحضرموت والأزد وثالثا مذحج وحمير وهمدان ورابعا تميم ورباب وهوازن وخامسا أسد وغطفان ومحارب والنمِر وضبيعة وتغلب وسادسا إيّاد وعكّ وعبد القيس وهجر والحمراء. وبقي تنظيم الأسباع قائم الذات حسب الطبري في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان وعلي بن أبي طالب إلى أن ربّعهم زياد [6].

---

1) Djaït (H), **Al-Kufa**, p 224

2) شعبان، صدر الإسلام، ص 99.

3) Djaït (H), *Les Yamanites*, p 155

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 3، ص 488
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 224

5) Djaït (H), *Les Yamanites*, p 153

6) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 48.

لكن يذكر هشام جعيّط أنّ الأسباع عرفت تحويرا في عهد علي [1]. وقد ذكرت المصادر معلومات قليلة عن الأرباع في الفترة التي ندرسها. فقد كان المقاتلة مقسّمين إلى أرباع عند مقاومة الخوارج في عهد المغيرة بن أبي شعبة الثقفي والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية وكذلك عند قتال الحسين بن علي في كربلاء وعند قتال الخوارج الأزارقة في عهد بشر بن مروان والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك، وعند محاربة شبيب الخارجي في عهد الحجّاج [2].

ولعب رؤساء أرباع الكوفة دورا هامّا في تأطير المقاتلة في ثورة حجر بن عدي الكندي وكذلك في فترة لاحقة منعوا المقاتلة من قتال الأزارقة نظرا إلى وفاة بشر بن مروان وذلك لكون القتال لا يكون بدون إمام [3].

ولم تذكر المصادر أسماء رؤساء الأرباع في الكوفة ما عدا في فترة الخليفة معاوية بن أبي سفيان وفي ولاية زياد للعراق وخراسان. فقد كان عمرو بن حريث على ربع أهل المدينة وخالد بن عرفطة على ربع تميم وهمدان وقيس بن الوليد بن عبد شمس بن المغيرة على ربع ربيعة وكندة وأبو بردة بن أبي موسى على مذحج وأسد [4].

وقد كان خالد بن عرفطة ينتمي إلى الصحابة. وذكر رؤساء أرباع الكوفة في ولاية يوسف بن عمر الثقفي للعراق. فقد كان على ربع أهل المدينة ابراهيم بن عبد الله بن جرير البجلي وعلى ربع مذحج وأسد عمرو بن أبي بذل العبدي وعلى ربع كندة وربيعة المنذر بن محمّد بن الأشعث بن قيس الكندي وعلى ربع تميم وهمدان محمّد بن مالك الهمداني [5].

---

1) Djaït (H), Al-Kufa, p 225

2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 200-422
ج 6، ص 177-253.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 197-198.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 268-269
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 3، ص 483
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 21-100.

5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 182.

إنّ رؤساء الأرباع بالكوفة في عهد يوسف بن عمر هم من الأسياد أو الأشراف في عشائرهم. لم تذكر المصادر أسماء رؤساء الأرباع بالكوفة ووظائفهم من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما كانت لرؤساء الأرباع بالكوفة نفس مهامّ رؤساء الأخماس بالبصرة.

ولقد أعاد زياد تنظيم وظيفة العريف والمنكب بالكوفة [1]. وقد ذكرنا آنفا عند الحديث عن العرفاء والمناكب بالبصرة مختلف الوظائف التي يقوم بها كلّ من العرفاء والمناكب. وفي نفس هذا الإطار، كلّف عبيد الله بن زياد العرفاء والمناكب إلى جانب الشرطة والمقاتلة بالبحث عن مسلم بن عقيل بن أبي طالب ابن عمّ الحسين بن علي، والذي كان يدعو إلى البيعة لحفيد الرسول [2]. أطّر العرفاء والمناكب عشائرهم حتّى ساهموا في القضاء على هذه الثورة. كما حمّل عبيد الله بن زياد العرفاء مسؤولية كتابة أسماء المعارضين ورفع هذه القائمة له. وإن لم يرفع العريف هذه الأسماء يصلب على باب داره وتلقى عرافته من العطاء وينفى إلى عمان الزارة [3]. وكلّف الحجّاج العرفاء أن يحملوا الناس على الالتحاق بالمهلّب بن أبي صفرة لقتال الأزارقة بعد أن هرب أهل الكوفة وامتنعوا عن القتال.

كما أنّ العرفاء مكلّفون بإحضار البراءات على التحاق هؤلاء العشائر بالمهلّب [4]. وشارك عرفاء الكوفة في قتال شبيب الخارجي في ولاية الحجّاج بن يوسف وقتل أغلبهم في هذه الواقعة العسكرية [5]. وكلّف يوسف بن عمر الثقفي الحكم بن الصلت عامله على الكوفة أن يأمر العرفاء والمناكب بتأطير عشائرهم للقضاء على ثورة زيد بن علي [6]. ولم تذكر المصادر أسماء العرفاء وعشائرهم ما عدا معلومة وردت في ابن عساكر تبيّن أنّ الشّعبي عيّن من قبل الحجّاج عريفا على الشّعبيين ومنكبا على جميع همدان بالكوفة [7]. ويبدو حسب هذا الخبر أنّ المنكب هو رئيس للعرفاء. لكنّ الأخبار متناقضة حول هذه الوظيفة. عيّن الشّعبي من قبل الحجّاج على منصبين هامّين نظرا إلى كفاءاته.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 220.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 372.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 359.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 205-207.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 254-255.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 181.
7) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 152.

إضافة إلى ذلك، فقد كان للمقاتلة بالكوفة اختصاصات مختلفة كالمجفّفة. وهم مقاتلة يلبسون التجفاف وهو آلة للحرب يلبسها الفرس والإنسان ليقيه في الحرب [1]. وذكر المجفّفة عند قتال مقاتلة الكوفة للحسين بن علي ولزيد بن علي [2].

كما كان المقاتلة يتكوّنون من الرماة ومن الخيّالة. وقد شاركوا في قتال الحسين بن علي وفي القضاء على ثورة ابن الأشعث [3]. كما ذكرت شاكرية خالد بن عتّاب بن ورقاء الرياحي – وهو أحد القوّاد في عهد الحجّاج – الذين ساعدوه في قتاله لشبيب الخارجي. والشاكرية هم عبيد أصبحوا يشاركون المقاتلة في القتال [4].

وكان المقاتلة يستعملون تقنيات بسيطة في القتال. فقد استعمل المقاتلة الحجارة في قتالهم للحسين بن علي وأصحابه بكربلاء. ورمى مقاتلة الشام أنصار زيد بن علي بالمسجد-الجامع بالحجارة [5]. وطوّر الخليفة هشام بن عبد الملك تقنيات القتال لكن لم تذكر ما هي نوعية هذه التقنيات [6].

فهل تأثّر الخليفة هشام بن عبد الملك بالبيزنطيّين ؟ ربّما كان هذا الافتراض صحيحا. لكنّ يجب أن نحترز من رواية المسعودي لأنّه ذو ميولات شيعيّة. كما كان المقاتلة ينقسمون إلى مقاتلة عرب مسلمين ومقاتلة من العجم أو موالي حيث صاحب ألف من الموالي شبيبا الخارجي في قتاله للحجّاج [7]. كما بلغ عدد الموالي في "جيش" ابن الأشعث مائة ألف من موالي المصرين وموالي أهل الثغور والمسالح والقرّاء [8].

وكان هؤلاء المقاتلة يتلقّون العطاء، ويوزّعه عليهم العرفاء. فقد أمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان النعمان بن بشير الأنصاري واليه على الكوفة أن يزيد المقاتلة في أعطياتهم عشرة دنانير [9]. فهل زاد الخليفة المقاتلة في أعطياتهم في كلّ الولايات؟ أم إنّ هذه الزيادة خصّت مقاتلة الكوفة فقط؟ ولم تذكر المصادر إن كان

---

1) ابن منظور، **معجم مذكور**، ج 1، ص 472.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 434-437 ، ج 7، ص 184.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 400 ;ج 6، ص 367.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 274.

E.I², tIII *Djund.*

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 435-444.

ج 7، ص 184.

6) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 205.

7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 242.

8) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 347.

9) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 14.

الخليفة معاوية زاد المقاتلة في كلّ الولايات في أعطياتهم. لكن يبدو أنّ هذه الزيادة بالكوفة تتنزّل في إطار سياسة المداراة والدهاء وتوزيع الأموال لكسب الضمائر التّي اتّصف بها الخليفة معاوية.

ومنح الخليفة عبد الملك بن مروان جائزة لأبي جهم بن كنانة الكلبي تتمثّل في منحه عطاء يبلغ ألفي درهم وفرض لصغاره في الديوان. وهذا يرجع لقتل هذا الرجل زعيم الأزارقة [1]. وفرض الحجّاج لمقاتلة أرسلهم لقتال الصفرية بالجزيرة الفراتية. ويبلغ عددهم ألفين [2]. يبدو أنّ الحجّاج أسّس "نواة جيش نظامي". فقد حدّد عطاءا يبلغ ثلاثمائة درهم في السنّة. ووجد عددا كافيا من الرجال الذين ليس لديهم ارتباطات معيّنة. كما وجد عددا من شبّان الكوفة والبصرة يستطيعون الانضمام إلى هذا "الجيش".

وكوّن الحجّاج بفضل حسّه السياسي القوي "مدرسة" من القوّاد. وكان الهدف من وراء هذا المشروع هو تنفيذ مشاريع مركز الخلافة [3]. وألحق الحجّاج الشّعبي بشرف العطاء قبل التحاقه بثورة ابن الأشعث، وهو لم يكن شريفا في قومه [4]. ألحق الوالي الشّعبي بشرف العطاء نتيجة قرار خاصّ.

وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز عامله على الكوفة أن يمنح المال (مائة درهم) لذريّة المقاتلة حتى يحجّوا [5]. وأمر الخليفة هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر الثقفي عند ثورة زيد بن علي أن لا يتوانى عن بذل الأعطيات لذرية المقاتلة [6]. كان الخليفة هشام بن عبد الملك يدرك أهميّة توزيع الأعطيات في آجالها المعلومة حتّى لا يتضرّر الذرية.

ولا تذكر المصادر معلومات ضافية حول العطاء بالكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّ المصادر لا تذكر مقادير العطاء طيلة الفترة التي ندرسها وكذلك أوقات تسليمها. كما كان المقاتلة بالكوفة يتلقّون الأرزاق. وكان زياد يوزّع الأرزاق على المقاتلة في أواخر الخريف وأوائل الشتاء [7].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 310.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 222.
3) شعبان، **صدر الإسلام**، ص 118.
4) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 152.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 569.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 171.
7) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 219
Fariq (KA), *A Remarkable early Muslim Governor*, p 17.

وجمع خالد بن عبد الله القسري غلال الكوفة للجند وكان عددهم يبلغ عشرة آلاف مقاتل [1]. وفّر خالد الأرزاق للمقاتلة من غلال الكوفة أي من السواد. ولم تذكر المصادر ما هي كمية الأرزاق التي يتلقّاها المقاتلة بالكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

ولم تذكر المصادر معلومات حول توزيع هذه الأرزاق. ويبدو أنّ زياد أسّس دار الرزق بالكوفة مثلما فعل بالبصرة [2]. واستنتج هشام جعيّط ذلك من خلال رواية سيف بن عمر فقد ورد ذكر الرزق لدى الطبري عندما ذكر واقعة البويب سنة 13 هـ حيث عسكر الفرس بموضع دار الرزق والمسلمون بموضع السكّون ثم ذكر سيف مرتين أنّ الفرس عبروا نهر بسوسيا. فنزلوا شوميا موضع دار الرزق [3].

يبدو أنّ دار الرزق تقع في موقع استراتيجي وهو موضع قريب من السواد حتّى تسهل عمليّة نقل الحبوب. تميّز التنظيم العسكري بالكوفة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بتواصله مع التنظيم العمري لكنّه تعرّض أساسا لتحويرات من قبل زياد ومن طرف الحجّاج.

ولم تذكر المصادر أو المراجع تأثيرا فارسيا على التنظيم العسكري بالكوفة رغم خضوع العراق للتأثيرات الفارسية. ويشبه التنظيم العسكري بالكوفة نسبيا التنظيم العسكري بالبصرة. ولم يقتصر التنظيم العسكري بالعراق على مصري الكوفة والبصرة بل شمل واسط.

- **التنظيم العسكري بواسط**

أسّس الحجّاج بن يوسف مدينة واسط بعد ثورة عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث حتّى يستقرّ بها مقاتلة الشام [4]. وجد الحجّاج نفسه معزولا وبدون قوّة عسكرية عراقية في ثورة ابن الأشعث وذلك لأنّ هذا الأخير استقطب كلّ المقاتلة من المصرين. وقد اضطرّ الحجّاج للاستنجاد بمقاتلة الشام للقضاء على هذه الثورة التي

---

1) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 71.

2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 214.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 3، ص 465

Djaït (H), Al-Kufa, p 257.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 383-384

اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 333.

ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 5، ص 348.

زعزعت الحكم الأموي [1]. اقتنع الحجّاج بعدم جدوى الاعتماد على قوّات داخلية للسيطرة عل الولاية. فأسّس مدينة واسط سنة 83 هـ وجعلها معسكرا في منتصف الطريق بين الكوفة والمدائن والأهواز والبصرة ومقرّا للسلطة. ونقل مقاتلة الشام إليها حتى يعزلهم عن مقاتلة العراق المعادين له ولسياسته ولمقاتلة الشام. وأصبح العراق يخضع "لجيش" احتلال شامي بعد أن جرّدت الكوفة والبصرة من المقاتلة [2]. ويبدو حسب شعبان أنّ المقاتلة السوريين كوّنوا جيشا نظاميا وهم يرسلون إلى واسط على أساس المناوبة. كما أصبح أبناء القبائل في الجزيرة يعتبرون من "الجيش السوري"، ومنح العطاء لكلّ من انضمّ لهذا الجيش [3].

وقد بقيت واسط مقرّا للولاة الأمويّين إلى عهد يوسف بن عمر الثّقفي الذي استبدلها بالحيرة [4]. ولم تذكر المصادر معلومات حول عدد المقاتلة بواسط من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وكذلك قيمة أعطياتهم وأرزاقهم ما عدا معلومة واحدة وردت في البلاذري حول نقل الحجّاج للكثير من البخارية من البصرة إلى واسط [5].

وقد انضمّ البخارية للمقاتلة الشاميّين نظرا إلى براعاتهم في رمي النشّاب. أصبحت واسط مثالا للهيمنة العسكرية الأمويّة وأساسا الشاميّة على العراق. وهي تجسّم السياسة المتسلّطة التي توخّاها الحجّاج لتركيز المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة للدّولة الأمويّة وهي تتمثّل في الإقليميّة (أي سيطرة جند الشام أو جند الدولة الأمويّة على العراق) والطاعة. لكن لا تمكّننا قلّة المعلومات بالمصادر من التحصّل على فكرة واضحة حول تصعيد ومراحل واضحة لتطوّر التنظيم العسكري

---

1) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 241.
شعبان، صدر الإسلام، ص 127-128.
Jean Périer, **Vie d'Al-Hadjdjadj Ibn Youssof**, Paris 1904, Livre 2ème, p 205.
G. R Hawting, **The First Dynasty of Islam**, p 69.
Z.I. Oseni, *A Reconsideration of the Demeanour of a prominent Umayyad Governor, Al-Hajjaj Ibn Yusuf Al-Thaqafi,* **Islamic Culture**, vol. LX, n° 4, octobre 1986, p 32.

2) Djaït (H), **Al-Kufa**, p 266.
شعبان، الثورة العبّاسية، ص 107.

3) شعبان، صدر الإسلام، ص 129.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 142-151-167.

5) البلاذري، فتوح، ص 524.

بواسط. تميّز التنظيم الإداري-العسكري بالعراق بفرضه لمطالب ورغبات الحكومة المركزية. كما ساهم العراق في تطوّر التنظيم الإداري-العسكري بخراسان.

- التنظيم الإداري- العسكري بخراسان

ذكرت المصادر أنّ الحامية العسكرية التي تركها عبد الله بن عامر بعد توسّعه على حساب خراسان في خلافة عثمان بن عفّان بلغت أربعة آلاف مقاتل عربي [1]. لكن سيرتفع عدد المقاتلة بخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وبلغ عدد المقاتلة بخراسان سنة 96 هـ أو عند ثورة مقاتلة خراسان على قتيبة بن مسلم الباهلي أربعين ألف، وهم يتمثّلون في أهل البصرة الذين انقسموا إلى أهل العالية وبلغ عددهم تسعة آلاف وبكر سبعة آلاف وتميم عشرة آلاف وعبد القيس أربعة آلاف والأزد عشرة آلاف [2]. وبلغ عدد مقاتلة الكوفة سبعة آلاف وبلغ عدد الموالي سبعة آلاف. وقد بلغ العدد الجملي للمقاتلة بخراسان أربعة وخمسين ألف في أول عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك.

وقد مثّل مقاتلة البصرة أكبر عدد من المقاتلة بخراسان. وذكر يزيد بن المهّلب بن أبي صفرة الأزدي عند ثورته على الخليفة يزيد بن عبد الملك ومحاربته له أنّ ديوانه كان يحصي مائة وعشرين ألف من المقاتلة [3]، وذلك عندما كان واليا لخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك. وقد ارتفع عدد المقاتلة بخراسان لأنّ يزيد بن المهّلب اصطحب معه من خراسان بعضا من مقاتلة الكوفة والبصرة. لكنّ عددهم كان قليلا. واعتمد يزيد بن المهّلب على مقاتلة الشام الذين بلغ عددهم ستين ألفا وهو رقم مبالغ فيه [4].

وارتفع عدد المقاتلة لدخول عدد من الإيرانيين وغيرهم في الإسلام وكذلك مشاركة المماليك والمتطوّعين في القتال إلى جانب مقاتلة الكوفة والبصرة ومقاتلة الشام والموالي [5]. ولم يكن عدد المقاتلة في عهد الجنيد بن عبد الرحمن المرّي (والي

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 300.
البلاذري، فتوح، ص 572.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 512.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 592.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 539.
شعبان، الثورة العبّاسية، ص 141.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 532.

خراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك) يتجاوز ثلاثة وأربعين ألف مقاتل، عندما بدأ الجنيد أوّل حروبه التوسّعية سنة 112-113 هـ [1].

ويذكر المدائني أنّ الموالي كانوا يمثّلون ألف وستمائة مقاتل من مجموع المقاتلة في نفس هذه السنّة. وكان مسلمو سمرقند يبلغ عددهم ألف رجل. وقد قتل عشرة آلاف رجل عربي في هجوم الترك المفاجئ عل حامية سمرقند [2]. على هذا الأساس، بلغ عدد المقاتلة العرب ثلاثين ألفا عندما أصدر الخليفة هشام بن عبد الملك أمرا بتجنيد خمسة عشر ألف رجل [3].

وازداد عدد المقاتلة بنقل المقاتلة من ولايات أخرى الكوفة والبصرة وكذلك أهل الشام. نقل الخلفاء الأمويّون المقاتلة إلى خراسان لتركيز المقوّمات الإيديولوجيّة الأمويّة وهي الجهاد والعروبة. فقد نقل زياد بن أبي سفيان من المصرين الكوفة والبصرة حوالي خمسين ألفا بعيالاتهم [4]. وكانت هذه السياسة تهدف إلى تدعيم حركة التوسّع الإسلامي وبالتالي توفير عدد كاف من المقاتلة. كما نقل المهلّب بن أبي صفرة الأزدي – والي خراسان من قبل الحجّاج بن يوسف والي العراق وخراسان في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان– الأزد، وقد كان زعيمها، نقلهم إلى خراسان. وكان للمهلّب اتباع آخرون من بكر وربيعة كبطن تغلب [5]. ولقد كان الحجّاج يرمي من وراء تعيين المهلّب على خراسان، الحدّ من سطوة قبيلة تميم بها وموازاة نفوذها بنفوذ الأزد [6]. وتتمثّل العملية الثالثة لنقل المقاتلة في نقل الخليفة هشام بن عبد الملك لعشرين ألف رجل من أهل المصرين سنة 112 هـ في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرّي [7]. وكان الغرض من نقلهم إلى خراسان تدعيم حركة الجهاد.

---

1) شعبان، الثورة العبّاسية، ص 193.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 532، ج 7، ص 79.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 79.
شعبان، الثورة العبّاسية، ص 193.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 286.
البلاذري، فتوح، ص 577.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 3، ص 489.
شعبان، صدر الإسلام، ص 99.
Khalil Athamina, *Arab Settlement*, p 186.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 320.
6) شعبان، الثورة العبّاسية، ص 107-108.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 79.

فهم عبارة عن أمداد عسكرية يحتاجها الوالي بمرو. كما أراد الخليفة هشام بن عبد الملك الحدّ من سيطرة القبائل العربيّة بخراسان. فقد دخلت هذه القبائل في عمليّة اندماج جعلتهم غير أهل للقيام بأيّة سياسة توسّعية والدفاع عن الأراضي التي توسّع على حسابها المسلمون. وقد توصّل الخليفة هشام إلى توقيف عمليّة عزوف المقاتلة عن القتال وإن سمح لبعض القبائل بالسكن والاستقرار بمرو [1].

كما اتّصفت فترة الخليفة هشام بتدفّق الشاميّين واستقرارهم وتميّزهم عن العرب القدامى. فقد كان الشاميّون مكلّفين "بتأييد وجود الوالي وحكمه في هذه المواقع العسكريّة الهامّة" نظرا إلى ولائهم وطاعتهم للخلفاء الأمويّين [2]. على هذا الأساس، ركّز الأمويّون إيديولوجيا الإقليميّة بخراسان.

نتج عن نقل المقاتلة إلى خراسان تطوّر وضعيتها من مجرّد حامية وكّلت إلى أربعة رؤساء قبليين إلى ولاية وثغر من الثغور الأكثر مركزية في الدولة الأمويّة. فاستوجبت على هذا الأساس تنظيما إداريا-عسكريا على شاكلة الولايات الأخرى.

فكيف تطوّر هذا التنظيم من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام؟

قام بهذا التنظيم زياد بن أبي سفيان، فقد نظّم زياد خراسان إلى أرباع سنة 45 هـ [3]. تتمثّل هذه الأرباع في مرو وأبرشهر و(مرو الرّوذ والفارياب والطّالقان) و(هراة وباذغيس وقادس وبوشنج) [4]. واستعمل زياد على مرو أمير بن أحمر اليشكري وعلى أبرشهر خليد بن عبد الله الحنفي. كما عيّن على مرو الرّوذ والفارياب والطّالقان قيس بن الهيثم السلمي، وتولّى أمر هراة وباذغيس وقادس وبوشنج نافع بن خالد الطاحي الذي ينتسب إلى الأزد [5]. ينتمي هؤلاء العمّال أو رؤساء الأرباع لقيس (شخصان منهم) وأحدهم ينتمي إلى اليمن. عيّن زياد أشخاصا لديهم تجربة في الجهاد

---

1) شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 194-196.
2) شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 196-197.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 224.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 351
قحطان عبد الستّار الحديثي، **مرجع مذكور**، ص 20.
4) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 65-351.
ج 2، ص 351 ؛ ج 4، ص 291 ؛ ج 5، ص 112.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 224.

في خراسان خاصّة قيس بن الهيثم الذي كان رئيس الحامية العسكرية بخراسان في عهد الخليفة عثمان [1].

تتمثّل هذه الأرباع في تقسيمات إدارية مستقلّة الواحدة عن الأخرى، لكنّها في نفس الوقت وحدات عسكرية. ولم تذكر المصادر إن كانت هذه الأرباع تشبه أرباع الكوفة وأخماس البصرة أي أنّها تصلح للتّعبئة العسكرية للمقاتلة وتوزيع الأعطيات والأرزاق. أحدثت هذه الأرباع من قبل عبد الله بن عامر والي البصرة من قبل الخليفة عثمان بن عفّان بعد توسّعه على حساب خراسان [2]. لكن أعاد زياد تنظيم هذه الأرباع بعد نهاية الفتنة وقيام الدولة الأمويّة. وقد أبقى كلاهما (أي عبد الله بن عامر وزياد) تقسيم خراسان إلى أربعة أرباع على ما كانت عليه في العهد الساساني. وكان على هذه الأرباع مرازبة هم قوّاد عسكريون، ومجموعة هذه المرازبة تحت سلطة إصبهذ [3].

وقد ذكر ذلك البلاذري في حديثه عن توسّع المسلمين على حساب مدينة نيسابور "وكان على كلّ ربع منها رجل موكّل به" [4].

يبدو أنّ هذه المدن مقسّمة أيضا إلى أرباع. ولا شكّ أنّ تنظيم خراسان إلى أرباع من قبل زياد كان يخضع للأساس القبلي نظرا إلى كون كلّ مجموعة من قبيلة واحدة أفردت لها خطّة لتقيم فيها. وقد اتّبع هذا النظام أيضا في تخطيط مدينة الكوفة وتخطيط مدينة البصرة وتقسيم خططهم على القبائل. لكنّ شعبان يذكر رأيا آخر مستندا إلى الطبري وهو أنّ زياد أعاد توحيد الأرباع سنة 47 هـ تحت الحكم بن عمرو الغفاري وتعيين عمّال جدد على الخراج بالكور [5]. ويعود هذا التراجع من طرف زياد لتخوّفه من ترك الحرية للقوميّة الفارسيّة في هذا التقسيم تحت رئاسة زعماء قبليين.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 314.
البلاذري، **فتوح**، ص 574.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 547.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 193.
الحديثي، **مرجع مذكور**، ص 20.
3) كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 127-355.
4) البلاذري، **فتوح**، ص 569.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 226.
شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 72.

وركّز زياد الإدارة في مرو. لا ينفي هذا التنظيم الإداري الجديد وجود الأرباع. وقد بيّنت دراستنا للمصادر تواصل تنظيم الأرباع خلال الفترة الأمويّة. فقد استشار أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد أحد رؤساء الأرباع وهو زياد بن عقبة – رأس أهل العالية – في قتل بكير بن وشاح السعدي وهو أحد بني تميم [1]. إنّ رئيس الربّع لديه مهمّة التأطير العسكري والسياسي والإيديولوجي وعلى هذا الأساس سأله الوالي. لكن تغيّر التقسيم الإداري والعسكري إلى أرباع سنة 96 هـ على يد قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك. فقد قسّم القبائل أخماسا وهي الأزد وتميم وأهل العالية وبكر وعبد القيس على غرار تنظيمات البصرة [2].

وكان رئيس وسيّد أهل العالية وبكر بخراسان في ولاية قتيبة الحضين بن المنذر وهو ينتمي إلى شيبان (من بكر بن وائل) [3]. ينتمي رئيس أهل العالية إلى قيس أي أحد العناصر القبليّة التي تكوّن خمس أهل العالية. كما نلاحظ أنّ رؤساء الأخماس يساهمون في الجهاد. وكان المقاتلة في ولاية نصر بن سيّار اللّيثي والي خراسان في عهد يوسف بن عمر الثّقفي مقسّمين إلى أخماس. وقد عيّن نصر بن سيّار الحكم بن نميلة بن مالك بن سارية النّميري على أهل العالية [4]. وهو ينتمي إلى قيس أي نفس الانتماء القبلي لوالي خراسان ووالي العراق في فترة تميّزت بالتعصّب القبلي.

على هذا الأساس، تمثّل التنظيم الإداري-العسكري لخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى خلافة عبد الملك بن مروان في تنظيم الأرباع. وأصبح منذ عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك متمثّلا في تنظيم الأخماس.

لكنّ المصادر لم تذكر معلومات أخرى حول وظائف الأرباع أو الأخماس وتطوّرها من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما لم تذكر إلاّ بعض أسماء رؤساء الأرباع ورؤساء الأخماس. وهذا لا يمكّننا من بسط قائمة لهم.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 316.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 512.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 512.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 114-195.

كما كان العرفاء يلعبون دورا هامّا في هذا التنظيم الإداري-العسكري بخراسان مثل ما هو الشأن بالكوفة والبصرة. فقد كانوا يوزّعون الأعطيات على المقاتلة في عرافاتهم ويقومون بالتعبئة العسكرية للمقاتلة وكذلك برفع أسماء المشبوهين أو المعارضين للوالي. فقد طلب قتيبة بن مسلم من العرفاء أن يختاروا له أشجع المقاتلة حتّى يقاتلوا تحت قيادته السّغد لأنّ العرفاء يعرفون كلّ شجاع وكلّ جبان في عرافاتهم (1).

وأهدى أسد بن عبد الله القسري العرفاء هدايا في المهرجان (2). أكرم هذا الوالي العرفاء لأنّهم موظّفون لهم دور هامّ في الإدارة الأمويّة بخراسان. كما كان العرفاء يشاركون في الجهاد حيث قاتلوا التّرك في ولاية مسلم بن سعيد والي خراسان من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (3).

لم تذكر المصادر تطوّر مؤسّسة العرفاء بخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّها لم تذكر كم بلغ عدد العرفاء وهل تطوّر هذا العدد خلال الفترة التي ندرسها.

لكن ذكرت هذه المصادر معلومات حول مختلف المجموعات البشرية التي ساهمت في الجهاد واختصاصات هذه المجموعات عند القتال والتقنيات الحربية المستعملة وتأسيس مدن- معسكرات.

لقد ذكرنا آنفا عند الحديث عن نقل المقاتلة إلى خراسان استيطان العرب من أهل المصرين بخراسان. كما أنّ مقاتلة الشام ساهموا في الجهاد بخراسان. فقد كان مقاتلة الشام يمثّلون الأغلبيّة عندما قاتل يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك أهل جرجان. بلغ عدد مقاتلة الشام ستين ألف من مجموع مائة ألف من المقاتلة (4). لكنّ هذا الرقم مبالغ فيه. كما حاربوا التّرك في ولاية أسد بن عبد الله القسري لخراسان (5). يرسل مقاتلة الشام كأمداد عسكرية في كلّ أنحاء

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 474.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 140.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 33.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 539.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 122.

الامبراطورية الأمويّة لتركيز أحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة ألا وهو الجهاد. كما أنّهم تميّزوا بطاعتهم الكبيرة للخليفة، فهم ينفّذون رغبات الحكومة المركزية.

وذكرت المصادر مساهمة الموالي في الجهاد. فقد كان أبو خالد ثابت مولى خزاعة على مقدّمة المقاتلة في ولاية أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد عند توسّعه ببلاد ما وراء النّهر [1]. وهذا يعني أنّ الموالي أصبحوا يلعبون دورا عسكريا بخراسان. كما كلّف المهلّب بن أبي صفرة والي خراسان من قبل الحجّاج حريث بن قطبة مولى خزاعة بتسلّم فدية من أهل كسّ [2].

إذا كلّف الوالي هذا المولى بمهمّة دبلوماسية وعسكرية ولم يفوّض عربيّا بها. وهذا يرجع لإتقان هذا المولى للغة أهل كسّ. واستخلف قتيبة بن مسلم ثابتا الأعور مولى مسلم على مرو، عندما ذهب لقتال أحد ملوك العجم [3]. منح قتيبة هذا المولى مهمّة ضخمة وهي نيابته على ولاية خراسان. وكان الفضل بن بسّام مولى بني ليث وعبد الله بن أبي عبد الله مولى بني سليم والبختري بن مجاهد مولى بني شيبان من ذوي الرأي والمشورة والعلم بالحرب بخراسان في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرّي والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك [4]. كما ساهم الموالي من أهل سمرقند في الجهاد مع المقاتلة العرب في ولاية أسد بن عبد الله [5]. وكان الأساورة يقاتلون مع المقاتلة العرب بخراسان التّرك في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن وفي ولاية أسد بن عبد الله [6].

وذكرت المصادر عدد الموالي بخراسان حيث بلغ سبعة آلاف في ولاية قتيبة بن مسلم الباهلي [7]. وارتفع هذا العدد إلى عشرين ألفا في ولاية الجرّاح بن عبد الله

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 312.
شعبان، الثورة العبّاسية، ص 112.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 352.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 4، ص 460.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 470.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 78.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 37.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 83-120.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 512.

الحكمي لخراسان في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز. "وقد كانوا يغزون بدون عطاء"، ممّا دفع بالخليفة عمر بن عبد العزيز للقيام بإصلاحاته [1].

فقد منح الموالي أعطياتهم ورفع الجزية أو الخراج عمّن أسلم منهم. إنّ الموالي ارتفع عددهم شيئا فشيئا من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما كان الموالي وسيلة الولاة الأمويّين للسّيطرة على القبائل وفي نفس الوقت كانوا يمثّلون قوّة جديدة لحركة التوسّع. إضافة إلى المقاتلة العرب والموالي فإنّ المتطوّعين والمماليك شاركوا في الجهاد. وقد ذكرهم الطبري عند الحديث عن التوسّع في جرجان [2]. إنّ المتطوّعين "كانوا من السكّان الإيرانيين الذين لم يعتنقوا الإسلام أو ممّن أسلموا ولم يسجّلوا في الديوان" لكنّهم سارعوا للانضمام لصفوف المسلمين طمعا في التحصّل على الغنائم [3].

كما ذكر المماليك لأوّل مرّة في المصادر وهم العبيد [4]. وكان لقب العبيد في "جيش" قتيبة بن مسلم ينطبق على المجنّدين من بلاد ما وراء النّهر، وكان الحرس الخاصّ لقتيبة مكوّنا من نخبة النّبلاء من أهل المنطقة. ويعتقد شعبان أنّ المماليك في جيش يزيد بن المهلّب هم ربّما بقايا حرس قتيبة بعد أن أصبحوا مجموعة صغيرة ولا تمثّل خطرا على المقاتلة [5]. كما قاتل العبيد مع المقاتلة العرب الموالي التّرك في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرّي. وقد صاح فيهم الوالي "أنّ أي عبد قاتل فهو حرّ"، فأبلوا في القتال بلاء عجيبا، وقاتلوا التّرك في ولاية أسد بن عبد الله [6]. كما ذكرت المصادر الشاكرية وهم حرس إيرانيون من أصل عبودي كانوا من اتباع الوالي أو القوّاد [7]. فقد كان ثابت بن قطبة وحريث بن قطبة وهما من موالي خزاعة، من القوّاد لدى المهلّب بن أبي صفرة وكان لديهما ثلاثمائة من شاكريّتهما. أسلم هذان الشخصان وأصبحا يركّزان الجهاد ويساعدهما في ذلك شاكريّتهما [8].

---

1) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 284.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 532.
3) شعبان، الثورة العبّاسية، ص 142.
E.I², tIV *Djund*.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 532.
5) شعبان، مرجع مذكور، ص 142.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 78-122.
7) E.I², tIV *Djund*.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 353.

وكان عاصم بن عمير السّمرقندي وواصل بن عمرو القيسي –وهما من مقاتلة خراسان– في شاكريّة عند قتال الترك في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرّي [1]. كان القوّاد العرب أو القوّاد الموالي يحيطون أنفسهم بالحرس الإيراني على شاكلة أمراء بلاد السّغد. وهذا دليل على دخول عادات فارسية وعادات بلاد ما وراء النّهر في التركيبة العسكريّة بخراسان. كانت القوّة البشرية العسكرية بخراسان تتكوّن من المقاتلة العرب والموالي والمماليك والمتطوّعين. وهذا يدلّ على انصهار بين العرب والعجم في خراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما ذكرت المصادر اختصاصات هؤلاء المقاتلة.

إنّ وضعيّة خراسان كثغر مركزي دفعت بالخليفة لإقامة المسالح لحماية خراسان وبلاد ما وراء النّهر. فقد كان زياد بن غنيم القيني على مسالح الحجّاج بن يوسف والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ولم يحدّد الطبري ما هي هذه المسالح [2]. وكان ابراهيم بن هشام على مسلحة بالشبورقان في ولاية أسد بن عبد الله القسري [3]. وكان الفرافصة صاحب مسلحة جزّة في ولاية أسد بن عبد الله [4].

ذكرت المصادر معلومات متفرّقة عن هذه المسالح وعن القوّاد الذين يحرصون على حراسة هذه المسالح وبالتالي لم نتمكّن من بسط قائمة لهؤلاء القوّاد في كلّ مسلحة ومجموع هذه المسالح بخراسان وبلاد ما وراء النّهر. وأسّس أشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك الرّابطة بخراسان واستعمل عليها عبد الملك بن دثار الباهلي – وهو رئيس قبيلته وله مكانة مرموقة بخراسان – "والرابطة حامية من الفرسان تعسكر على الحدود" [5].

ولم تذكر المصادر المكان الذي رابطت فيه هذه الرابطة. ويرجّح أنّهم ربّما كانوا في مقاطعة جوزجان لحماية الجزء الشرقي من خراسان ضدّ أيّ هجوم من

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 68.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 366.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 125.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 323.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 119.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 134.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 52
شعبان، **الثورة العبّاسية**، ص 185.

الترك خاصّة عندما كان أشرس منهمكا في توسّعه ببلاد السّغد [1]. إضافة إلى إقامة المسالح والرابطة ذكرت المصادر أنّ المقاتلة بخراسان كان جانب كبير منهم فرسانا [2]. وكانوا يركبون الخيل المجفّفة والمجرّدة عند الجهاد. وقد ذكر قوّاد خيل تميم والأزد في قتالهم للترك في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المري [3]. بالإضافة إلى ذلك، فقد كان الأشهب بن عبيد التميمي أحد بني غالب على السفن بآمل من قبل مسلم بن سعيد والي خراسان في عهد خالد بن عبد الله القسري.

وقد منع الأشهب أسد بن عبد الله من المرور إلى فرغانة عبر النّهر لأنّه لم يعلم بتولية الخليفة له كوال على خراسان [4]. لا يقتصر التنظيم العسكري بخراسان على مقاتلة يجاهدون في البرّ بل كذلك في النّهر لحماية بلاد ما وراء النّهر. لم تذكر المصادر إلاّ معلومات متفرّقة حول اختصاصات المقاتلة بالإضافة إلى كونها لم تذكر تطوّر هذه الوظائف من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

على هذا الأساس، بقى المقاتلة العرب وغيرهم بخراسان يعتمدون على الخيول كوسيلة تمكّنهم من محاربة أعدائهم، وهي وسيلة توارثوها منذ الجاهلية. واستعمل المقاتلة بخراسان تقنيات معيّنة في القتال. فقد توسّع قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج والي العراق وخراسان في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك على حساب قلعة شومان باستعماله للمجانيق. ويبدو أنّ عدد هذه المجانيق والأسلحة بصفة عامّة هو عدد هامّ [5]. تأثّر هذا الوالي الأموي بالساسانيّين في استعماله لهذه التقنية الحربية. فقد تعلّم الساسانيون فنّ الاستيلاء على القلاع من الرومان. وكانوا يستعملون آلات للهدم والمجانيق والأبراج المتحرّكة وآلات الحصار الأخرى التي كانت تستخدم قديما [6].

---

1) شعبان، مرجع مذكور، ص 186

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 182.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 96.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 73.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 37.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 57.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 462-474.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 373-374.

E.I², tIV *Djaysh*.

6) أ. كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 202.

لكن لم يستعمل الأمويّون المجانيق بصفة مكثّفة بينما وظّفها العبّاسيّون في ما بعد بفضل الخراسانيين الذين انضمّوا إليهم وتمكّنوا بفضل هذه التقنية المتطوّرة إلى جانب عوامل أخرى من الانتصار على الأمويّين. وذكرت المصادر تقنيات حربية أخرى حيث قاتل العبيد الترك بالعمد في ولاية الجنيد بن عبد الرحمن المرّي وفي ولاية أسد بن عبد الله [1]. إنّ هذه الأسلحة هي أسلحة بسيطة رغم أنّ الخليفة هشام طوّر عدد الحرب [2]. ويبدو حسب المصادر أنّ الخليفة مروان بن محمّد قام بإصلاحات تكتيكيّة نظرا إلى تجربته العسكريّة الطويلة بأرمينيّة. لكن سيحدث التغيير الحقيقي على يد العبّاسيّين. كما أسّس الأمويّون بخراسان مدن - معسكرات على شاكلة الولايات الأخرى.

فقد أنشأ قتيبة بن مسلم سنة 93 هـ مستعمرة عسكريّة ببخارى بعد التوسّع على حسابها. وأسكن الوالي المقاتلة العرب في بيوت أهل بخارى مثل ما حدث في مرو [3]. وأشفق الخليفة عمر بن عبد العزيز على هؤلاء المقاتلة المسلمين وذراريهم ببلاد ما وراء النّهر فأمر واليه على خراسان أن يقفلهم إلى مرو. لكنّهم رفضوا القفول بحجّة أنّ مرو لا تسعهم [4]. إنّ نقل المقاتلة العرب من مرو إلى بخارى وإقرارهم بها يدلّ على توسّع المناطق التّابعة للأمويين.

وتهدف هذه السياسة لتركيز الجهاد ببلاد ما وراء النّهر والحدّ من الازدياد السكاني بمرو. كما نقل أسد بن عبد الله المقاتلة من مرو إلى بلخ بعد أن بنى هذه الأخيرة سنة 107 هـ. فقد كان المقاتلة يسكنون بالبروقان [5]. وقد منح المقاتلة ببلخ مساكن بقدر المساكن التي كانوا يملكونها بالبروقان. بينما كان الوالي يقيم بالبروقان. ويرجع هذا الفصل بين المقاتلة والوالي لأسباب أمنيّة. كما كانت المشاكل والمصالح المتضاربة والتعصّب القبلي تكثر بمرو، على هذا الأساس نقل أسد المقاتلة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 81.
2) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 205.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 475.
شعبان، الثورة العبّاسية، ص 125.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 865.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 41.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 1، ص 405-479.
الحديثي، مرجع مذكور، ص 31.

كما أنّ مرو تأثّرت بحركة الاندماج بين العرب والإيرانيين، بينما كان عدد الإيرانيين قليل ببلخ. وكانت بلخ أقرب إلى المناطق التي سيتوسّع فيها أسد في ما بعد وهي الختّل وغورين [1].

مكّن تأسيس هذه المدن- المعسكرات الأمويّين من تركيز عنصر من عناصر الإيديولوجيا الأمويّة ألا وهو الجهاد. وكان المقاتلة بخراسان يتحصّلون على الأعطية والأرزاق كغيرهم من المقاتلة ببقيّة الولايات الأمويّة حيث ذكر قتيبة بن مسلم للمقاتلة بعد أن همّ بخلع الخليفة سليمان، أنّه وزّع عليهم الأعطيات بدون تأخير [2].

كان توزيع العطاء بانتظام وسيلة إيجابية لإبقاء المقاتلة مطيعين للوالي الأموي. وحضّ نصر بن سيّار - وهو مبعوث والي خراسان مسلم بن سعيد- المقاتلة المتباطئين للالتحاق بالوالي للجهاد. فقال لهم "قد أخذتم أعطياتكم فالحقوا بأميركم" [3]. تحصّل المقاتلة في هذا المثال على أعطياتهم قبل الذهاب إلى الجهاد.

وأخذ أسد بن عبد الله من جبلة بن أبي روّاد - وهو ربّما مكلّف ببيت المال - مائة وعشرين ألف درهم. وأمر للمقاتلة بعشرين درهم أي أنّ كلّ شخص كان يتحصّل على عشرين درهم. وبلغ عدد المقاتلة من أهل الشام ومن أهل خراسان سبعة آلاف رجل. وقد وزّع هذه الأموال على المقاتلة عندما تأهّبوا لقتال التّرك [4]. أعطى والي خراسان هؤلاء المقاتلة أعطياتهم أو زيادة على أعطياتهم حتّى يتمكّنوا من قضاء حوائجهم قبل الذهاب للقتال. لم تذكر المصادر قيمة الأعطيات من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

لكن ذكرت المصادر أنّ الولاة الأمويّين كانوا يمنحون الأعطيات للمقاتلة في أوقاتها. وهذا من شأنه أن يطوّر الجهاد و"مهنيّة" المقاتلة. كما كان الولاة بخراسان مثل الولاة في الولايات الأمويّة الأخرى يوزّعون مكافآت على المقاتلة حيث فرّق يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل الحجّاج على كلّ شخص من المقاتلة الذين رافقوه للجهاد مائة درهم [5]. وهو مبلغ هامّ نسبيّا.

1) شعبان، **مرجع مذكور**، ص 203

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 346، ج 4، ص 218.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 509.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 30.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 120.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 372.

إنّ هذا الإكرام للمقاتلة هو وسيلة لتشجيعهم على الجهاد. ومنح الجنيد بن عبد الرحمن كلّ واحد من المقاتلة الذين انتصروا على التّرك عشرة دراهم بخارية [1]. أصبح استعمال النقود رائجا في المكافآت. كما اشترى عاصم بن عبد الله والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ضمائر المقاتلة حيث وزّع على كلّ واحد منهم أربعة دنانير للقضاء على ثورة الحارث بن سريج [2].

وذكرت المصادر أنّ المقاتلة كانوا يتلقّون الأرزاق بخراسان حيث كلّف يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك إدريس بن حنظلة العمّي – وهو مكلّف بتوزيع الأقباض على المقاتلة – بعد فتح البحيرة بإحصاء الموّاد الغذائية حتّى يوزّع على المقاتلة أرزاقهم. فأحصى إدريس الجواليق، وطلب من المقاتلة أن يأخذوا ما أرادوا من الأرزاق ثم يعرّفوا فيما بعد ما أخذوا من الحنطة والشعير والأرزّ والسمسم والعسل.

وقد أخذ المقاتلة شيئا كثيرا [3]. تحصّل مقاتلة خراسان على أرزاق هامّة عند توسّعهم على حساب جرجان. كما كان توبة بن أبي أسيد مولى بني العنبر يوزّع الأرزاق على المقاتلة في ولاية أسد بن عبد الله وهو مسؤول على دار الرزق بما أنّه كان يوزّع الأرزاق. وكان لتوبة مقدرة على التعامل مع المقاتلة بحكم انتمائه للعجم.

ولم تقتصر مهمّته على دار الرزق بل شملت ديوان الجند وديوان الخاتم. وأرسله الخليفة للتضييق على أسد بن عبد الله [4]. كان توبة موظّفا مرموقا ولعب دورا هامّا في خراسان. ولم تعقه وضعيته كمولى من تبوّء هذا المنصب الهامّ بل مكّنته أن يصبح مبعوث الخليفة وأداة تنفيذ سياسته في ثغر مركزي. لم تذكر المصادر وجود دار للرزق بخراسان. كما أنّها لم تذكر قيمة الأرزاق الموزّعة على المقاتلة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكنّها ذكرت أنّ توزيع الأرزاق بخراسان يكتسي طابعا خاصّا بالمقارنة مع الولايات الأخرى حيث يتحصّل المقاتلة على أرزاق هامّة في حروب التوسّع.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 83.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 97.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 538.
ر. دوزي، تكملة المعاجم العربيّة، بغداد 1981، ج 2، ص 257.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 35.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 178.

تميّز التنظيم الإداري-العسكري بخراسان بتأثّره بالتنظيم العسكري الفارسي مع تواصل التنظيم العسكري العمري. وأدّى تركيز إيديولوجيا الجهاد بهذا الثغر إلى انصهار العرب مع الإيرانيين وإلى أسلمة كبيرة لسكّان خراسان. وكان هؤلاء الموالي يتقنون القتال وساهموا في تدعيم الجهاد لكنّهم كانوا مستغلّين. لذلك سينضمّون إلى العبّاسيّين وسيساهمون إلى جانب العرب المتفرسنين في سقوط الدولة الأمويّة. فكيف كانت وضعيّة التنظيم الإداري- العسكري بالحجاز؟

- **التنظيم الإداري- العسكري بالحجاز**

لم تذكر المصادر وجود تنظيم إداري-عسكري أو مقاتلة بالحجاز من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث ذكر عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق والي الحجاز من قبل الخليفة يزيد بن معاوية للخليفة أنّه لم يكن له جند يمكّنه من القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير [1].

على هذا الأساس، لم تركّز بالحجاز قوّة عسكرية أموية نظرا إلى طابعه الروحي والرمزي. ففي الحجاز، ظهرت الدعوة المحمّدية ونشر الإسلام وبالتالي أسّس الرسول قوّة عسكرية قوامها المؤمنون أو سكّان المدينة ومكّة والطائف. نشر المؤمنون الإسلام في الجزيرة العربيّة في عهد الرسول، وقضوا على الردّة في عهد الخليفة أبي بكر، وابتدؤوا حركة التوسّع بالعراق. وأكمل المقاتلة في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب الجهاد ومصّروا الكوفة والبصرة لإتمام وتقوية حركة التوسّع في العالم الإيراني [2]. فعدم وجود الحجاز في منطقة ثغور، جعل المقاتلة غير موجودين بها بل بالأمصار. وأكبر دليل على ذلك، أنّ الخليفة عثمان بن عفّان بقي ينتظر أربعين يوما قوى عسكرية لإنجاده من البصرة والشام. ولم تصل هذه الإمدادات، فتمكّن الشقّ المتطرّف من الثوّار من قتله [3].

على هذا الأساس، لم يوجد "جيش" للخليفة، بل كان المقاتلة يعتبرون أنفسهم يجاهدون في سبيل الله والأمّة كلّها مجنّدة ضدّ دار الكفر4. ولم تذكر مشاركة أهل الحجاز في الجهاد في الفترة الأمويّة ماعدا عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك والخليفة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 478.

Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 38-43-47-55-56-58-59-65-69. (2

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 368-372-378.

Djaït (H), **Idem**, p 151.

Djaït (H), **Idem**, p 151. (4

هشام بن عبد الملك. فقد ضرب الخليفة الوليد بن عبد الملك بعثا على أهل المدينة حتّى يشاركوا في الجهاد ببيزنطة. وشارك في هذه الحملة ألف وخمسمائة شخص بعد أن تجاعلوا. وكلّف الخليفة هشام بن عبد الملك أهل الحجاز بالمشاركة في الصائفة عندما حجّ سنة 106 هـ. وكان يبلغ عددهم أربعة آلاف مقاتل [1].

كان سكّان الحجاز كبقية سكّان الولايات الأمويّة يقومون بالجهاد. كما أنّ الحجاز لديه وضعية تاريخيّة خاصّة بما أنّه شهد تأسيس دين ودولة، فلم يكن لديه التنظيم الإداري-العسكري الموجود بالأمصار. ولم يكن بالمدينة دار للرزق، وكان الطعام الذي يوزّع على المقاتلة يأتي من مصر ويخزن في الحجاز وتصدر للناس صكوك في استلامه [2]. إنّ وجود الحجاز بمنطقة قاحلة نسبيّا بالمقارنة مع الكوفة والبصرة جعلها تحتاج لكي تزوّد من ولاية أخرى ثريّة بالحبوب وقريبة منها ألا وهي مصر.

إذا لم تذكر لنا المصادر معلومات وافرة حول التنظيم العسكري بالحجاز من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك على عكس العراق وخراسان التي تعتبر ولايات حيويّة للدّولة الأمويّة. فهل تنطبق هذه الوضعية على التنظيم الإداري-العسكري بمصر؟

- **التنظيم الإداري- العسكري بمصر**

شهدت مصر مثل الكوفة والبصرة عمليّة التمصير. وقد كان عدد المقاتلة في مصر في عهد الخليفة معاوية يبلغ أربعين ألفا [3]. لكنّ المقريزي هو مؤرّخ متأخّر، فهل يمكن أن نعتمد عليه في ما يخصّ هذه النقطة؟

ولم تذكر المصادر الأخرى أرقاما لعدد المقاتلة الجملي بمصر من عهد الخليفة يزيد بن معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكنّها ذكرت عمليّة نقل المقاتلة لمصر. نقل زياد بن أبي سفيان عددا من الأزد إلى مصر حسب العلي. واستند هذا الأخير على ياقوت الحموي، لكنّنا لم نجد ذكرا لهذه العملية بهذا

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 434، ج 7، ص 40.
2) مالك بن أنس، **مصدر مذكور**، ص 443.
العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 137.
3) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 79.

المصدر [1]. ونقلت قيس إلى مصر في سنة تسع ومائة أي في ولاية الوليد بن رفاعة. ولم يكن بها أحد منهم إلاّ فهم وعدوان من جديلة [2]. فوفد ابن الحبحاب على الخليفة هشام بن عبد الملك وسأله أن ينقل إليها منهم أبياتا. فأذن الخليفة في إلحاق ثلاثة آلاف منهم، وتحويل ديوانهم إلى مصر على شرط أن لا ينزلهم الفسطاط. ففرض لهم ابن الحبحاب، وأنزلهم الحوف الشرقي وفرّقهم فيه. أصدر الخليفة هشام بن عبد الملك أمرا سنة 109 هـ بتوطين أربعمائة عائلة في بلبيس شرقي دلتا النّيل، ومنحوا عطاء من ديوان مصر وهبات من الأراضي المستصلحة والمراعي. ثمّ منحوا مساعدات مالية من خزينة مصر لتمكينهم من الاستيطان.

وانضمّت إليهم عائلات أخرى من قبائل ذات قربى بهم حيث إنّ العائلات التي أعيد توطينها في بلبيس بلغت في آخر عهد الخليفة هشام ثلاثة آلاف عائلة. ويرجع نقل هذه القبائل إلى مصر لازدحام السكّان بالجزيرة الفراتية. فقد كان أبناء القبائل العربيّة من قيس ومضر يقومون بالجهاد في القوقاز وكانت مدنهم ذات تجارة مزدهرة. وكان المقاتلة يتذمّرون من النـــزوح المكثّف. وانضمّ إليهم قبائل نسيبة لهم من الحجاز لم يكونوا مدوّنين في الديوان، ولم يسمح لهم أن يستقرّوا في المدن فاستقرّوا في الصحراء السورية العراقيّة المجاورة [3].

على هذا الأساس، نقل الخليفة هشام هذه القبائل من الجزيرة وأقرّها بمصر. ولم تذكر المصادر تنظيما إداريا-عسكريّا بمصر لكنّ تنظيم العرفاء كان موجودا. فقد كان الملامس بن جذيمة عريف حضرموت في ولاية مسلمة بن مخلّد الأنصاري والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان [4]. لكن ذكر الكندي أنّ عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، هو أوّل من عرّف بمصر سنة 71 هـ [5].

إنّ المصادر متضاربة فمن ناحية يظهر أنّ تنظيم العرفاء كان موجودا منذ عهد الخليفة معاوية ومن ناحية أخرى، فإنّ هذا التنظيم وجد في خلافة عبد الملك بن مروان.

---

1) العلي، **التنظيمات**، ص 32.
2) الكندي، **ولاة**، ص 98-99.
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 143.
3) شعبان، **صدر الإسلام**، ص163-164.
4) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 124.
5) الكندي، **ولاة**، ص 72.

على الأرجح، أنّ نظام العرافة كان موجودا منذ عهد الخليفة معاوية وبالتالي منذ عهد الخليفة عمر بن الخطّاب. لكن أعاد عبد العزيز بن مروان تنظيم هذه المؤسّسة. ويبدو أنّ عبد الرحمن بن يحنّس مولى بني أبذى بن عديّ من تجيب قتل عبد الله بن الزبير، فعرّف على موالي تجيب بمصر، وفرض له في الشرف [1].

ارتبطت وظيفة العريف حسب هذا الخبر بقرار سياسي من قبل الوالي. ولم تذكر المصادر اختصاصات المقاتلة. بينما ذكر عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبّادي أنّ الأقباط لعبوا دورا رئيسيّا في صناعة الأسطول الإسلامي السوري والمصري والمغربي وشاركوا في المعارك البحرية التي خاضها العرب ضدّ البيزنطيّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [2].

وقد ازدادت أهميّة البحرية الإسلامية منذ أن أسّس مسلمة بن مخلّد دار صناعة جزيرة الروضة سنة 54 هـ. وكانت البحرية المصرية أكبر من البحرية السورية. وكان هؤلاء الأقباط البحّارة يقاتلون مع المسلمين مقابل أجور [3]. تأثّرت البحرية المصرية بالبيزنطيّين لكنّها ركّزت الجهاد. بالإضافة إلى ذلك، منح عبد العزيز بن مروان القادة العرب الكبار أملاكا في مناطق مستصلحة حديثا بحلوان [4]. لذلك كان المقاتلة يعيشون مختلطين بالسكّان المحلّيين. كما كان القادة من المقاتلة يملكون ملكيّات عقّارية على شاكلة المقاتلة العرب بالشام. وتميّزت الفسطاط ببقائها في حدود مركز الحامية على عكس الكوفة والبصرة اللّتان تطوّرتا تطوّرا هامّا [5].

وتراجع دور الفسطاط لفائدة الإسكندرية للتوسّع على حساب شمال إفريقيا وحماية البلاد من هجومات البيزنطيّين [6]. وكان المقاتلة المصريين يتلقّون أعطيات كبقية المقاتلة في الولايات الأمويّة حيث تلقّى أربعة آلاف من المقاتلة من جملة أربعين ألفا في عهد الخليفة معاوية مائتي دينار. وهي أعطيات توزّع على القادة فقط [7].

---

1) الكندي، ولاة، ص 72.
2) Bréhier (L), Les Institutions, T 1, p 327.
3) شعبان، مرجع مذكور، ص 138.
4) الكندي، ولاة، ص 72.
5) شعبان، مرجع مذكور، ص 127.
6) شعبان، مرجع مذكور، ص 128.
7) المقريزي، مصدر مذكور، ج 1، ص 79.
شعبان، مرجع مذكور، ص 92-127.

ويبدو أنّ نظام العطاء شمل جميع القبائل العربيّة في مصر. وكان معدّل العطاء الواحد حوالي خمسة وعشرين دينارا. ولم ينقض عبد العزيز بن مروان سياسة نائبه على مصر عابس بن سعيد المرادي عندما زاد في أعطيات الناس من الجند. وقد كانت حجّته عندما أجاب عبد العزيز عن سبب هذه الزيادة هي تأكيد سلطته وسلطة أخيه أي تأكيد الملك. ولم يذكر كم بلغت هذه الزيادة [1]. وتلقّى أيّوب بن شرحبيل والي مصر أمرا من الخليفة عمر بن عبد العزيز بالزّيادة في أعطيات الناس عامّة. فألحق الوالي لأهل مصر خمسة آلاف في سنة 100 هـ ولم يذكر الكندي كم كان عدد المقاتلة في هذه الفترة وكم كانت قيمة العطاء للفرد الواحد ولكافّة المقاتلة [2]. لكن منع الخليفة يزيد بن عبد الملك هذه الزيادة في العطاء. فقد أمر عامله على مصر بشر بن صفوان الكلبي أن يمنع الزيادة التي أمر بها الخليفة عمر بن عبد العزيز [3].

وهذا يرجع لاختلاف سياسة الخليفة يزيد بن عبد الملك عن سياسة الخليفة عمر بن عبد العزيز. عمّم واليان من ولاة مصر في الفترة التي ندرسها، وهما عبد العزيز بن مروان وأيّوب بن شرحبيل، الزّيادة في العطاء. وذكر مثالا واحدا في زيادة في عطاء أحد القوّاد من قبل الوالي حيث عيّن عبد الله بن عبد الملك والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، عبد الرحمن بن معاوية بن حديج على مرابطة الإسكندرية وزاد في عطاءه. وقد استحقّ عبد الرحمن هذه الزّيادة لشرفه وصلاحه [4].

ترجع زيادة العطاء للمقاتلة أو لشخص معيّن لقرار من قبل الخليفة أو من طرف الوالي. ولم يتسلّم المقاتلة بمصر الأعطيات فقط بل كذلك الأرزاق حيث بلغت هذه الأرزاق إثني عشر إردبّا - والإردبّ هو مكيال ضخم في مصر يساوي أربعة وعشرين صاعا - في كلّ سنة، فنقص إردبين وأصبح كلّ رجل من المقاتلة يتحصّل على عشرة أرادب [5].

فلمّا وليّ حفص بن الوليد بن يوسف والي مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك زاد إردبين. لماذا نقصت الأرزاق؟ هل أنقص الولاة منهم لأنّ هناك أزمة

---

1) الكندي، ولاة، ص 70-71.
2) الكندي، ولاة، 89-90.
3) الكندي، ولاة، ص 92.
4) الكندي، **كتاب القضاة**، ج 1، ص 326.
5) الكندي، ولاة، ص 104-105.

فلاحيّة؟ حسّن حفص بن الوليد من وضعية المقاتلة بالزيادة في أرزاقهم. وهذا يعود إلى تراجع الخليفة هشام عن السياسة التي اتّبعها. فقد فرض هذا الأخير مكيالا جديدا للحبوب أدّى لتخفيض أرزاق المقاتلة. ورفض المقاتلة العرب استعمال هذه المكايـيل الجديدة وحطّموها. وقد عاقبهم الخليفة هشام بأن خفّض الأرزاق من آثنى عشر إردبا إلى عشرة أرادب. فثار المقاتلة على الخليفة، واضطرّ هذا الأخير للتّراجع [1]. كانت الأرزاق تدفع من قبل أهل الذمّة في ولاية عمرو بن العاص زمن خلافة عمر بن الخطّاب. وكانت هذه الأرزاق توضع في دار الرزق وتقسم في المسلمين [2]. ربّما تواصل دار الرزق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك رغم عدم ذكرها من طرف المصادر.

تميّز التنظيم العسكري بمصر بتواصله مع التنظيم العمري وكذلك البيزنطي. ويشبه التنظيم العسكري بمصر إلى حدّ ما التنظيم العسكري بالشام. كما تميّزت المصادر (الكندي والمقريزي) التي استعملناها بتأخّرها نسبيّا عن الفترة التي ندرسها. كما أنّ هذه المصادر لم تذكر عدد المقاتلة ومختلف اختصاصاتهم ومقادير الأعطيات والأرزاق.

فهل ينطبق هذا الاستنتاج على التنظيم الإداري- العسكري بإفريقية؟

- **التنظيم الإداري- العسكري بإفريقية**

اعتمدنا لدراسة هذا العنصر أساسا مقال هشام جعيّط المتعلّق بإفريقية [3]. كانت القبائل مقسّمة بإفريقية إلى وحدات مثل ما هو الحال بالأمصار. وتقوم هذه الأخيرة بالجهاد. وهي تجمع قبائل متقاربة في النّسب وكذلك من قبائل مختلفة. وتتمثّل هذه الوحدات في الأخماس [4]. تقسّم هذه الوحدات في المعارك إلى وحدات عسكرية كالوسط والجناحين. ويترأسهم أمراء الأخماس وهم ينتمون إلى القبيلة المهيمنة في الخمس. وقد كان المقاتلة في الحروب مقسّمين حسب تراتبية معيّنة. ففي أعلى الهرم، يوجد والي أو أمير الولاية وقائدان أو ثلاثة يعوّضونه على رأس المقاتلة ورؤساء الأخماس ورؤساء "الفرق" العسكرية القبليّة والعرفاء.

---

1) الكندي، ولاة، ص 100.
2) البلاذري، فتوح، ص 301.
Djaït (H), Al-Kufa, p 257.
3) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 104-118.
4) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 288.

وقد ذكر هشام جعيّط أنّ القوّاد أصبحوا يحترفون الخدمات العسكرية. وكان هؤلاء القوّاد لا يختارون إلاّ من العائلات العربيّة الكبيرة كالفهريين وهم يمثّلون المصالح المحلية تجاه وال آت من الشرق [1]. ولم تذكر المصادر أسماء رؤساء الأخماس بإفريقية من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّها لم تذكر العرفاء ما عدا في إشارة واحدة. فقد توجّه موسى بن نصير والي المغرب من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك للتوسّع على حساب الأندلس ومعه وجوه العرب والموالي وعرفاء البربر [2]. وجدت مؤسّسة العرفاء بإفريقية لكنّنا لا نعرف كيف تطوّرت خلال الفترة التي ندرسها. وتميّزت التركيبة العرقية "للجيش" بإفريقية بازدواجيّتها. فهي تتركّب من العرب ومن البربر [3]. فقد أقرّ حسّان بن النعمان الغساني في سنة 78 هـ أغلب الأربعين ألف مقاتل المصريين بإفريقية [4]. وقد رجع عدد هامّ منهم لمصر والمشرق.

وجلب كلثوم بن عياض القشيري والي إفريقية من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ألفين أو ثلاثة آلاف مصري وشاميين يبلغ عددهم اثنا عشر ألف مقاتلا للقضاء على ثورات الخوارج [5]. وبعد هزيمة السّبو سنة 123 هـ، التحق المقاتلة الشاميّون بالأندلس، ورجع مقاتلة إفريقية والمقاتلة المصريّون إلى إفريقية [6].

واستنتج على هذا الأساس هشام جعيّط أنّ هجرة المقاتلة العرب كانت هامّة في عهد حسّان بن النّعمان، فقد نقص عدد المقاتلة بهجرة عدد منهم إلى الأندلس. كما استعمل البربر في القتال حيث انضوى عدد منهم بعد أن أسلموا وأصبحوا موالي في "جيش" عقبة بن نافع وأبو المهاجر [7]. وقد أدخل حسّان بن النّعمان ستة آلاف بربري للمساهمة في الجهاد مع المقاتلة العرب.

---

1) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 114-115.
2) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 207.
3) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 104-106-107.
4) ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ص 34.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 191.
6) ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ص 55.
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 296.
7) Djaït (H), *Idem*, p 105-107.

وقد تمّ إدخالهم عن طريق نظام الرّهائن، أي أنّهم يؤدّون أبناءهم عوضا عن المال. وقد استعمل موسى بن نصير نفس النظام مضيفا إليه الولاء فارتفع عدد المقاتلة [1]. من الغريب أنّ البربر سارعوا إلى الإسلام في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، فوضعت عنهم الجزية. فالانخراط في "الجيش"، يحتّم الدخول في الإسلام. بينما كان البربر في بداية التوسّع الإسلامي معادين للعرب. على هذا الأساس، غلب الإسلام على المغرب، وتوسّع الأمويّون بالأندلس بفضل دخول البربر في الإسلام [2]. لكن ستتعقّد هذه الوضعية في ما بعد وستظهر مشاكل بين العرب والبربر الذين أسلموا. فقد وفد هؤلاء الموالي على الخليفة هشام بن عبد الملك يشكون إليه عدم تحصّلهم على الأنفال أو الغنائم. واشتكوا أيضا محاباة القوّاد من العرب للمقاتلة العرب بمنحهم الغنائم ومنعهم من القتال في الصّفوف الأماميّة حتّى لا يموتوا. بينما قدّم الموالي من البربر. لكن لم يأذن الخليفة هشام لرسلهم في الدّخول عليه ولمّا نفدت نفقاتهم رجعوا وهم يشعرون بخيبة الأمل [3]. وهذا ما سيدفعهم لتصديق الخوارج فيما ذكروه من ظلم العمّال الأمويّين وتكليف الخليفة هشام هؤلاء العمّال باستغلالهم. فثاروا مع الخوارج [4].

ومنذ سنة 122 هـ، تناقص عدد الموالي البربر في المشاركة في القتال لأنّ القوّاد العرب لم يعودوا يثقون فيهم ويوظّفونهم [5].

ولم تذكر المصادر "اختصاصات" هؤلاء المقاتلة ما عدا تأسيس دار الصّناعة بتونس سنة 114 هـ من طرف عبيد الله بن الحبحاب مولى بني سلول والي إفريقية من قبل الخليفة هشام [6]. فقد كانت هناك قوّة بحرية بإفريقية تطوّرت منذ التوسّع على حساب الأندلس سنة 92 هـ. ولا شكّ أنّ الأمويّين تأثّروا بالبيزنطيّين في إنشاءهم لهذه البحرية بإفريقية والمغرب.

---

1) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 271.
ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ص 38.
2) Djaït (H), *Idem*, p 107.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 254.
4) فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 330.
5) Djaït (H), *Idem*, p 107-108.
6) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 62.
سالم والعبّادي، **مرجع مذكور**، ج 2، ص 39.
Khalil Athamina, *Idem*, p 204.

وأولى الأمويّون أهميّة للجهاد والاستقرار العربي بإفريقية حيث أسّس عقبة بن نافع الفهري والي إفريقية من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان القيروان سنة 50 هـ، وأقرّ بها المقاتلة (1).

وقد كانت القيروان نقطة انطلاق للتوسّع على حساب بلاد المغرب. كما مصّر موسى بن نصير اللّخمي طنجة. وكانت هذه الأخيرة قاعدة انطلاق للتوسّع على حساب السّوس والأندلس (2). وكان المقاتلة يتحصّلون على الأعطيات والأرزاق (3). لكن لم تذكر المصادر ما هي قيمة الأعطيات والأرزاق بإفريقية من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

تميّز التنظيم الإداري- العسكري بإفريقية بتواصله مع التنظيم العمري وبتأثّره بالطابع البيزنطي. وركّز الأمويّون أحد المقوّمات الإيديولوجيّة بإفريقيّة وهي الجهاد. كما جعلوا إفريقيّة قاعدة انطلاق للانتشار بالأندلس.

- **التنظيم الإداري- العسكري بالأندلس**

توسّع الأمويّون بقيادة طارق بن زياد على حساب الأندلس سنة 92 هـ. وكان عدد المقاتلة الذين ساهموا في هذا التّوسّع آثنا عشر ألف. وطلب طارق المدد العسكري من موسى بن نصير فأحضر له عشرة آلاف مقاتل تمكّن بواسطتها من التوسّع على حساب طليطلة. وهذا يرجع لنقصان عدد المقاتلة الذين رافقوه للأندلس سنة 92 هـ. واستقرّ أغلب هؤلاء المقاتلة بالأندلس (4). وتوالت هجرات البربر خاصّة القادة منهم بحثا عن الإثراء بواسطة الغنائم. وقد تخوّف الخليفة هشام من ازدياد هجرة البربر وتهديدها للعنصر العربي، فأصدر قرارا يمنع البربر من

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 240.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 420-421.
البلاذري، **فتوح**، ص 371.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 322.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 281.
3) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 288.
ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ص 58.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 468.
البلاذري، **فتوح**، ص 323.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 262.
ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 23.

الاستقرار على سواحل شبه جزيرة الأندلس [1]. لعب البربر دورا هامّا في التوسّع على حساب الأندلس. كما كانت الهجرة فيما بعد مكثّفة نسبيّا من طرف البربر. بينما لم يهاجر إلى الأندلس من المقاتلة العرب إلاّ مجموعتين صغيرتين. فقد هاجرت المجموعة الأولى مع الحرّ الثقفي سنة 94 هـ.

وهاجرت المجموعة الثانية بعد ستة سنوات مع السّمح الخولاني. وقد التحق بالأندلس عشرة آلاف مقاتل سوري سنة 123 هـ ممّن أرسلوا للقضاء على ثورة البربر بالمغرب لكنّهم انهزموا فأجبروا للعبور للأندلس، ونقلوا معهم مشاكل التعصّب القبلي التيّ ستؤدّي لانتشار الفوضى حتّى مجيء عبد الرحمن الداخل. ووزّع موسى بن نصير الأراضي على المقاتلة وأبقى مساحة كبيرة من هذه الأراضي تحت إشراف الدولة وسمّي هذا القسم من الأراضي الخمس. وقد قسّم هذا الخمس بين القادة العرب لكي يزرعوه وبالتالي فهم لا يمتلكون تلك الأراضي. وكان لديهم حقّ توارثها وسمّوا بـ"أهل الأخماس" و"أبناء أهل الأخماس" [2].

وقد استقرّ أهل الأخماس بالحصون المنيعة أو بالمناطق الحضرية. وكانوا بمثابة السّادة الإقطاعيين [3]. وكان أغلب المقاتلة مستقرّين بقرطبة وهي أكبر مركز إداري وعسكري للأمويين بالأندلس [4]. وقد أغضبت هذه القسمة للأراضي المقاتلة من البربر الذين رأوا أنّهم ظلموا من قبل موسى بن نصير. فقد منح هذا الأخير الأراضي الخصبة للعرب، ولم يمنحهم إلاّ أراضي تصلح للمرعى وأراضي صخريّة. ستخلق هذه الوضعية صراعات بين المقاتلة العرب والمقاتلة البربر في فترة لاحقة.

وقد كان هؤلاء المقاتلة يتلقّون العطاء في شكل قسم من المحاصيل الزراعية عوض مبلغ سنوي مثل ما هو الحال بالولايات الأخرى [5]. وهم لا يتلقّون أرزاقا.

تميّز التنظيم الإداري-العسكري بالأندلس ربّما بتأثّره بالتنظيم العسكري القوطي مع تواصل التنظيم العمري. كما اختلف هذا التنظيم عن التنظيمات العسكرية بالمشرق وبإفريقيّة. فقد تميّز استغلال المقاتلة للأراضي الفلاحيّة على غرار مقاتلة

---

1) ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 4.

2) ابن عبد الحكم، **مصدر مذكور**، ص 220.

ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 33.

3) K. Athamina, *Idem*, p206.

4) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 324-325.

5) E. Lévi-Provençal, **Histoire de l'Espagne Musulmane**, Paris 1944, p 85-87-88.

الشام ومصر. وقد ركّز الأمويّون أحد المقوّمات الإيديولوجيّة بالأندلس وهي الإقليميّة الشاميّة.

لم تذكر المصادر إلاّ معلومات متفرّقة حول مجهود الخلفاء الأمويّين (معاوية بن أبي سفيان وعبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد بن عبد الملك وهشام بن عبد الملك) ومجهود الولاة (كزياد بن أبي سفيان والحجّاج بن يوسف وأسد بن عبد الله بالنسبة إلى اللعراق وخراسان وعبد العزيز بن مروان بمصر) الذين أعادوا النّظر في التنظيم الإداري-العسكري. ونقل أغلبهم المقاتلة من ولاية إلى أخرى. ونظّموا العطاءات والأرزاق.

كما أسّس بعضهم مدن-معسكرات مكّنت من تقوية السلطة العسكرية والسياسيّة للأمويّين. فقد مهّد التنظيم العسكري الأموي لتطوّر التّنظيم العسكري العبّاسي. كما تميّز التنظيم العسكري الأموي بتأثّره بالتنظيم العسكري الإسلامي وكذلك التنظيم العسكري البيزنطي والفارسي والقوطي. أتى الأمويّون بالجديد على مستوى تنظيم هذه المؤسّسات الإداريّة-العسكريّة. كما أنّهم ركّزوا المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة للدّولة كالجهاد والإقليميّة. فالدولة الأمويّة هي دولة عسكريّة قامت على الجهاد وبالتالي على المقاتلة.

فهل أحدث الخلفاء الأمويون قطيعة أو تواصلا مع المؤسّسات الإسلامية السّابقة بالنسبة إلى اللقضاء ؟

7- القضاء

إنّ للقضاء في القرآن معاني عديدة، فهو القطع للأمور وإظهار الحقيقة وإصدار قانون إلهي [1]. ووجود هذه المعاني يدلّ على أنّ للقضاء جذورا قرآنية. فقد أسّس الرسول محمّد دينا جديدا -الإسلام- ودولة بالمدينة [2]، ويرتكز كلاهما على جذور قرآنيّة وتتمثّل مهمّة القضاء حسب الفقهاء في القيام بالأحكام الشرعيّة وتنفيذها على أوامر المشرّع، وقطع للمنازعات [3]. وسعى الرسول إلى توطيد الدولة الإسلامية

1) E.I², tIII *Kada*.

2) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 36-38.

3) الماوردي (أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب البصري البغدادي) 370-450هـ، **الأحكام السلطانيّة والولايات الدينيّة**، بيروت 1990، ص129.

بوضعه لدستور المدينة أو الصحيفة. تنظّم الصحيفة القضاء بوضعها لعدد من الأحكام التي تنظّم الحياة بمجتمع المدينة.

وقد نصّ القرآن على جعل القضاء في الأمور المتعلّقة بالأمن العام بيد الرسول وحده : "فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم، ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلّموا تسليما" [1]. نصّت الوثيقة على "أنّه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث اشتجار يخاف فساده فإنّ مردّه إلى الله وإلى محمّد رسول الله [2]".

على هذا الأساس، أسّس الرسول سلطة قضائية تطبّق على جميع المسلمين وهي ممركزة بيد الرسول وترجع إلى الله. وهي بذلك تتمتّع بطابع قدسي وقوّة تنفيذيّة لأنّ أوامر الرسول نابعة من الله والأوامر الإلهية يجب طاعتها [3]. ولم يقتصر تطبيق القضاء على المسلمين فقط بل شمل "المشركين من قريش وأهل يثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم [4]". كما شملت هذه الأحكام اليهود. انضوى هؤلاء المشركون واليهود تحت هذه القوانين بدون أن يكونوا مجبرين على اعتناق الإسلام. على هذا الأساس، فإنّ الرسول كان يمركز قضايا الأمن العام والحرب بالمدينة. بينما أوكل القضايا والخلافات الشخصيّة أي القانون المدني من زواج وطلاق وميراث ومعاملات تجارية إلى أشخاص آخرين [5].

وكلّف الرسول علي بن أبي طالب ثم معاذ بن جبل ثم أبا موسى الأشعري بأن يقضوا بين أهل اليمن. ولم يذكر وكيع قضاة قضوا في القانون المدني بالمدينة في عهد الرسول. وقد اعتمد كل من هؤلاء القضاة في الحكم بين الناس على كتاب الله وسنّة الرسول وعلى الاجتهاد [6]. وبعد وفاة الرسول، تبوّأ الخلفاء الأوائل السلطة

---

1) النساء 65/2.

2) العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 80.

3) العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 80.

W Montgomery Watt, **Idem**, p 474 et suivantes.

4) العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 80.

5) العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 81-82.

W Montgomery Watt, **Idem**, p 476-477.

6) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص84-96.

ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 438.

ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 78.

القضائية إلى جانب اضطلاعهم بالسّلطة الدينية والسياسيّة ؛ فقد قال أبي بكر الصدّيق لعمر ولابن عبيدة الجرّاح بعد أن تولّى الخلافة : "إنّه لا بدّ لي من أعوان فقال له عمر : أنا أكفيك القضاء [1].

ولم يذكر وكيع تنظيما للقضاء في عهد الخليفة أبي بكر. فهذا الأخير اهتمّ أساسا بالقضاء على الردّة في مدّة خلافته القصيرة. ويبدو أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب هو أوّل من نظّم القضاء حسب بعض الكتّاب كالجاحظ [2]. وقد استند في ذلك إلى رسالة بعثها الخليفة عمر بن الخطّاب لأبي موسى الأشعري. وقد أرسى عمر في هذه الرسالة جملة من القوانين التي يجب اتّباعها عند القضاء بين الناس. لكن دراسة دقيقة لهذا النص بيّنت أنّ هذه الرسالة نسبت خطأ إلى عمر. وهذا يرجع حسب تيان Tyan إلى وجود عناصر متأخّرة في هذه الرسالة [3]. فقد ذكر عمر العناصر الثلاثة التي يعتمد عليها القاضي في أحكامه وهي : القرآن والسنّة والقياس، مع أنّ القياس، كمصدر تقنين وتأويل، لم يتكوّن إلاّ في منتصف القرن الثاني للهجرة.

كما أنّ القضاة في القرن الأوّل الهجري كانوا يجهلون العديد من المسائل التي تخصّ العلم أي المعرفة الدقيقة بالقرآن والسنّة. وأقوى دليل على ذلك خبر أورده الكندي حول عابس بن سعيد المرادي قاضي مصر من قبل عبد العزيز بن مروان والي مصر في عهد الخليفة مروان بن الحكم. فقد سأل هذا الأخير عابس-وقد كان عابس أميّا ولا يكتب- إن كان جمع كتاب الله فأجاب بلا. وسأله إن أحكم الفرائض فأجاب بلا. فسأله بما يقضي فأجاب بأنّه يقضي بما علم ويسأل عمّا جهل. فأجابه الخليفة مروان بن الحكم بأنّه قاض جيّد [4].

على هذا الأساس، فإنّ علم الحديث والسنّة كان في القرن الأول في فترة تكوّنه وبالتالي لم يوفّر قوانين يستند إليها القضاة في أحكامهم، كما أنّ إسناد هذه الرسالة

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 102-104-105-110.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص195.
2) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص 33-34.
Tyan (E), Histoire de l'Organisation Judiciaire en Pays d'Islam, T 1, p 98.
3) Tyan (E), Idem, T 1, p 110.
4) الكندي، قضاة، ج 1، ص 312.
ابن عبد الحكم، فتوح، ص 234.
وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 223.

ضعيف [1]. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ شريح روى الحديث عن عمر ولكنّه لم يذكر هذه الرسالة وقد كان أكثر اطلاعا على قرارات عمر [2].

على هذا الأساس، فإنّ هذه الرسالة التي تنسب إلى الخليفة عمر بن الخطّاب تنتمي إلى فترة متأخّرة وبالتالي فهي قد اخترعت. كما ذكر وكيع أنّ الرسول وأبو بكر وعمر لم يتّخذوا قضاة حتى قال عمر بن الخطّاب ليزيد بن أخت النّمر "اكفني بعض الأمور" أي صغارها، وهو يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن عبد الله بن الحارث الولاّدة وقد أسلم بعد الفتح وروى عن الرسول. كما استعمل عمر زيد بن ثابت على القضاء وفرض له رزقا وزيد هو من جلّة أصحاب الرسول وأعلمهم بالفرائض. كما أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب "هو أوّل من استقضى القضاة في الأمصار [3]".

إنّ تمصير الخليفة عمر للأمصار وإنزال العرب بها وبالتالي توسّع مجال الدولة الإسلامية عن طريق حركة التوسّع الإسلامي أدّت إلى وجوب تعيين قضاة ينظرون في النزاعات بين المقاتلة العرب وأهل الذمّة. إنّ عمر نظّم الإدارة والتنظيم العسكري واهتمّ بالجهاد ولكنّه لم ينظّم القضاء بل اكتفى بتعيين قضاة في الأمصار وكان ينظر في أمور القضاء بنفسه ما عدا بعض الأمور كان يقوم بها القاضي. ولم يتّخذ الخليفة عثمان بن عفان قاضيا. ويبدو أنّ شريح كان قاضي الخليفة علي بن أبي طالب بالكوفة [4].

إنّ فترة تأسيس الدولة الإسلامية والدين الإسلامي وفترة الخلفاء الأوائل كانت فترات حفظ اعتماد للقرآن وللسنّة اللّذان سيوفّران مصادر للقضاء في العهد الأموي. فكيف تطوّر القضاء من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بمركز الخلافة بالشام وبالولايات الأمويّة ؟

---

1) Tyan (E), **Histoire de l'Organisation Judiciaire en Pays d'Islam**, T I, p 111.
E.I², tII *Fiqh*.

2) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 191.
Tyan (E), Idem, T I, p 110.

3) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 105-107-108.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 3، ص 214.
E.I², tII *Fiqh*.

4) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 110 وج 2، ص 195.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 3، ص 214.

(أ) القضاء بعاصمة الخلافة الأمويّة

اتّبع الخلفاء الأمويّون الاجتهاد أو إعمال الرأي عندما تعرّضوا لصعوبات تتمثّل في انعدام الأحكام في القرآن والسنّة. على هذا الأساس، فإنّ القضاة بالشام وبغيرها من الولايات لعبوا دورا هامّا في تأسيس الفقه الإسلامي عن طريق الأحكام التي أصدروها. إنّ الفقه يشمل كلّ مظاهر الحياة الدينية والسياسيّة والخاصّة إضافة إلى القوانين التي تضبط العبادات والحلال والحرام. ويحتوي الفقه أيضا على القوانين التي تضبط القانون العائلي وقانون الوراثة وقانون الملكية أي كلّ القوانين التّي تخصّ الحياة الاجتماعيّة. كما يشمل الفقه القوانين التي تنظّم إدارة الدولة وقيادة الحرب. إنّ السلطات المكلّفة بالقضاء وبمراقبة الحياة الدينية أجبرت على أن تلجأ إلى رأيها الخاصّ وهو ما يعرف بالاجتهاد [1]. وكان الاعتراف بالرأي يعدّ مصدر قانون منذ عهد الرسول والخلفاء الأوائل.

كما أنّ جذور الفقه ترجع إلى الفترة التي عاش فيها الصحابة حيث ابتدأ الخلفاء الأوائل وبعض الصحابة العلماء بالدين والفقهاء يستخرجون نتائج واستنتاجات من القرآن والحديث كما يتذكّرونه أو كما نقل إليه. ودعّمت بقية الصحابة استنتاجاتهم بصفة مباشرة أو غير مباشرة ففرضت على الأمة. وقد واصل التابعون العمل بالاجتهاد.

وشهدت الأجيال التي أتت مباشرة بعد التابعين تأسيس الفقه وذلك في آخر القرن الأوّل الهجري وأساسا في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز [2]. وظهر اختصاصيون في الفقه أو القانون الديني.

وكان ورعهم الشديد يدفعهم إلى التعمّق في دينهم، فاستنتجوا كلّ شيء من الآيات القرآنية ثم من الأحاديث وترجع هذه الأحاديث إلى عصر قديم جدّا [3]. كما

---

1) Ignaz Goldziher, **Muslim Studies Muhammedanische Studien**, London 1971, V2, p 80.
E.I², tII 2, *Fiqh*.
E.I², tII 2 *Fatwa*.

2) يوسف شاخت، **أصول الفقه**، بيروت 1980،ص 57.
. **E.I²**, tII 2 *Fiqh*

3) **E.I²**, tII 2 *Fiqh*.
يوسف شخت، *ثلاث محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي*، **مجلة المشرق**، مجلد 33، 1935، ص 89-119.

أنّهم توصّلوا إلى نتائج بفضل نقاشات بينهم وبين أصحابهم الذين لديهم نفس التوجّه الديني. وقد ظهرت الأحاديث التشريعية سنة 100 و125 هـ على يد الفقهاء الذين سيتبوّؤون مناصب قضاة بعد أن احتكّوا قبل ذلك بالخلفاء الأمويّين بالشام وبغيرها من الولايات، كما أنّ الخلفاء الأمويّين والولاة شرّعوا قوانين الأمّة طيلة القرن الأوّل الهجري نظرا لارتباط النّشاطات الإدارية والتّشريعية في الحكم الإسلامي [1]. يبدو أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان التجأ إلى زيد بن ثابت الفقيه في الدين والعالم في السنّة أي أنّه كان متضلّعا في أحكام القرآن والسنّة وكان فقيها أي قادرا على استنباط أحكام جديدة. واضطرّ معاوية لذلك بعد أن عجز هو والصحابة عن إيجاد حلّ لهذه المشاكل في القرآن والسنّة ولم يدل زيد إلاّ برأيه الخاص في ذلك [2]. استشار الخليفة معاوية الصحابة في حكم استعصي عليه. وأرسل قاضي مصر من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز عياض بن عبيد الله للخليفة في حكم صبي افترع صبية، فكتب إليه عمر بأنّه لم يبلغه شيء في هذه القضية وأن يقضي فيها برأيه [3].

على هذا الأساس، نستنتج أنّ القاضي أو الخليفة يعجزان عن إيجاد حكم لأمر ما لعدم وجوده في القرآن والسنّة فيتّبعان الرأي أو الاجتهاد.

كما اجتهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في الميراث حيث ورّث المسلم من الكافر [4]. وكان شريح لا يقضي بذلك لأنّه لايرى أن تتوارث ملّتان وكان إذا قضى بذلك يقول بأنّ هذا أمر أمير المؤمنين أو أمر زياد [5]. إنّ هذا الخبر يبيّن أنّ القاضي كان خاضعا لسلطة الخليفة والوالي في عهد الخليفة معاوية وواليه على العراق زياد بن أبي سفيان. لكنّ معاوية لم يورّث الكافر من المسلم.

وقد أخذ بذلك الخلفاء من بعده فورّثوا المسلم من الكافر. ولمّا تولّى الخليفة عمر بن عبد العزيز راجع السنّة الأولى أي سنة الرسول وأبو بكر وعمر وعثمان

---

1) يوسف شاحت، أصول الفقه، ص 57.

E.I², tII 2. *Fiqh* .

2) روى الخليفة معاوية أحاديث عن الرسول ورغم ذلك عجز عن إيجاد حلّ للمشكلة التي اعترضته ابن سعد، مصدر مذكور، ج7، ص285.

E.I², tII 2 *Fiqh*.

3) الكندي، قضاة، ج 2، ص 334.

E.I², tII 2 *Fiqh*.

4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 234-235.

5) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 234-235.

وعلي والتي تنصّ على عدم توريث المسلم من الكافر ولا الكافر من المسلم [1]. واتّبعه في ذلك الخليفة يزيد بن عبد الملك فلمّا تولّى الخليفة هشام أخذ بسنّة الخلفاء الأمويّين أي أنّه ورّث المسلم من الكافر [2]. نستنتج من خلال هذا التطوّر للميراث أنّ الخليفة معاوية اجتهد لتوريث المسلم من الكافر، واتّبعه في ذلك جميع الخلفاء ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز. ويبدو غريبا اتباع الخليفة يزيد بن عبد الملك لسنّة الرسول لأنّه كان أموي السياسة. المهمّ أنّ الخليفة معاوية أقرّ حكما جديدا باجتهاده في الميراث وتواصل تطبيق هذا الحكم من عهده إلى آخر عهد الخليفة هشام.

واجتهد الخليفة عبد الملك بن مروان فأفتى في قضية ميراث بعد التثبّت من علاقة أخوّة بين شخصين عن طريق ثلاثة شهود موثوق بشهادتهم [3]. واجتهد الخليفة عمر بن عبد العزيز في الميراث بالنسبة إلى اللرجل المسلم بإعطاء عطاء الرجل إن مات لورثته [4]. ولم تذكر المصادر ما هي السياسة التي اتّبعها الخلفاء الأمويّون في ما يخصّ هذه النقطة، فلعلّهم كانوا يحتفظون بأعطيات المقاتلة المتوفين ببيت المال. وهذا الاجتهاد الذي اتّبعه الخليفة عمر بن عبد العزيز يتنزل في إطار مشروع كامل قام به هذا الخليفة وهو "ردّ المظالم عن أهلها" بقطع النظر عن الجانب المالي أي تحصّل الخليفة على أموال على حساب المقاتلة كما كان يفعل بقية الخلفاء الأمويّين.

وسعى الخليفة عمر بن عبد العزيز بردّ المظالم إلى أهلها إلى أن نفدت أموال بيت المال بالعراق في ردّ المظالم وحمل إليه المال من الشام. كما أنّه كان يسمح للمظلومين بالدخول عليه من غير إذن [5]. واجتهد الخليفة عمر بن عبد العزيز في تحسين الوضعية القانونية للموالي [6]. ولم تذكر المصادر إن ورّث الخلفاء الأمويّين

---

1) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 88.
مالك بن أنس، **مصدر مذكور**، ص 352.
ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج 9، ص 232.
2) ابن كثير، **مصدر مذكور**، ج 9، ص 232.
3) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 29.
E.I², tII 2 Fatwa.
4) ابن سلاّم، **كتاب الأموال**، القاهرة 1347 هـ، ص 240.
البلاذري، **فتوح**، ص 646.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 267.
5) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 41-111.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 263-264.
6) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 436.

الموالي. كما يبدو أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز ربّما اجتهد في أمر آخر لم يجتهد فيه بقية الخلفاء الأمويّين وهو حقّ استغلال الأرض الذي يمكن أن يتحوّل إلى حقّ ملكية حيث ذكر ابن سلاّم أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز كان يقضي في الرجل إذا أخذ الأرض فعمّرها وأصلحها ثم جاء صاحبها يطلبها أنّه يقول لصاحب الأرض "إدفع إلى هذا ما أصلح فيها فإنّما عمل لك فإن قال لا أقدر على ذلك قال للآخر ادفع إليه ثمن أرضه" [1].

واتّبع الخليفة سليمان بن عبد الملك سنّة الخليفة عبد الملك بن مروان في الحجّ بعد أن اختلف الفقهاء الذين سألهم عن فرائض الحجّ [2]. فهل اجتهد الخليفة عبد الملك بن مروان في العناصر الثانوية للحجّ؟ لم تذكر المصادر هذا الاجتهاد في الحجّ من طرف الخليفة عبد الملك بن مروان.

كما أنّنا يجب أن نحترز من هذه المعلومة المعزولة التي قدّمها اليعقوبي. واجتهد الخلفاء الأمويّون في تطبيق الحدود حيث عفا الخليفة معاوية على سارق ولم يقطع يده بعد تدخّل أمّ السارق لدى الخليفة. راعى معاوية الجانب الإنساني لكنّه لم يهمل الجانب الديني أي إقامة الحدّ فتصدّق بمائة ألف درهم [3]. وأراد الخليفة عبد الملك بن مروان أن يقطع يد طهمان بن عمرو لأنّه قطع يد لصّ، لكنّ تدخّل أمّ طهمان لدى الخليفة لكي يعفو عنه دفعه إلى التراجع عن حكمه إكراما لأمّه العجوز [4].

خلاصة القول إنّ الخلفاء الأمويّين اجتهدوا في الأحكام وأفتوا في بعض الحالات وأساسا الخليفة معاوية والخليفة عبد الملك بن مروان وخاصّة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي كان أفقه الخلفاء الأمويّين وأعلمهم [5]. وأدّى ذلك إلى تطوير الفقه والأحاديث التشريعية انطلاقا من 100 هـ إلى 125 هـ أي آخر فترة الخليفة هشام، فيما يخصّ الحدود والميراث والطلاق والزواج والملكية العقّارية.

---

1) ابن سلاّم، مصدر مذكور، ص 289.
2) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 358.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 178.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 124.
4) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 106.
5) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 320.

لكنّ تطوير الفقه والقضاء من طرف الخليفة عمر بن عبد العزيز لا ينفي عدم تطوير الاجتهاد من طرف الخلفاء الأمويّين الآخرين. وأحدث الخليفة عبد الملك بن مروان مؤسّسة جديدة مرتبطة بالقضاء وهي ديوان المظالم الذي ترفع فيه الخصومات بين الناس، وعيّن الخليفة على هذا الديوان بدمشق ابنه الوليد [1]. لكنّ المصادر لم تذكر ما هي مهمّة هذه المؤسّسة ومدى ارتباطها بالخليفة كما أنّها لم تذكرها في فترات أخرى.

على هذا الأساس، كان القضاة في مركز الخلافة والولايات يقضون بين الناس بدون أن يكون لهم أدنى اتصال بديوان المظالم. والخليفة كان أعلى سلطة قضائية وهو يعيّنه القضاة في مركز الخلافة وفي الولايات. فقد ذكر وكيع أنّ الخليفة معاوية هو أوّل من اتّخذ قاضيا "وكان الخلفاء قبل ذلك يباشرون كلّ شيء من أمور الناس بأنفسهم [2]".

لا يمكننا أن نسلّم بهذه المعلومة لأنّ الرسول والخلفاء الأوائل عيّنوا قضاة وأساسا الخليفة عمر بن الخطّاب. أتمّ الاجتهاد الأحكام التي ورثها الخلفاء الأمويّون عن الرسول والخلفاء الأوائل.

وكانت السلطة القضائية شديدة التمركز بيد الخليفة المؤسّس للدولة الأمويّة. فقد جاءت امرأة إلى سمرة بن جندب الفزاري وهو والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان فقالت إنّ زوجها لا يستطيعها، وذكر زوجها العكس. ولم يستطع سمرة أن يقضي في هذا الأمر. فكتب للخليفة معاوية الذي أمره بأن يزوّج الرجل امرأة جميلة ويدفع لها صداقها من بيت المال. فدفع لها أربعة آلاف درهم ثم أدخلها عليه. فجاء الرجل من الغد فزعم أنّه تمكّن منها بينما قالت المرأة العكس فأجبر سمرة هذا الرجل على تطليق زوجته الأولى [3]. يبيّن هذا الخبر أنّ والي البصرة يرجع بالنّظر إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان في الأحكام المستعصية عليه. كما أنّ هذا الخبر يعطينا فكرة عن "علم" الخليفة معاوية ومعرفته بأحكام القرآن والسنّة أو استشارته للعلماء فيما يخصّ الطلاق.

---

1) الماوردي، قوانين الوزارة وسياسة الملك، بيروت 1979، ص 19.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 37.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 111.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 240-241.

وأرسل مروان بن الحكم والي المدينة من قبل الخليفة معاوية لهذا الأخير كتابا ذكر له فيه بأنّه أتي بمجنون قتل رجلا، فكتب إليه الخليفة معاوية بأن يعقله ولا يقده منه لأنّه ليس على مجنون قود [1]. وذكر مالك بن أنس أنّ مكاتبا كان لابن المتوكّل مات في مكّة وترك عليه بقيّة من كتابته وديونا للناس وترك ابنته. فاستعصى على عامل مكة القضاء في هذه المعضلة وكتب للخليفة عبد الملك بن مروان يسأله عن ذلك. فكتب إليه هذا الأخير أن يبدأ بديون الناس ثم يقضي ما يبقى من كتابته ثم يقسم ما بقي من ماله بين ابنته ومولاه [2]. يتنزّل هذا الخبر يتنزّل في إطار الأخبار المذكورة آنفا والتي تبرز مركزة السّلطة القضائية بيد الخليفة الأموي.

ولم يذكر مالك إن كان الخليفة عبد الملك أعمل رأيه أم استشار العلماء في الدين. كما أنّ عاملا للخليفة عمر بن عبد العزيز أخذ أناسا في حرابة ولم يقتلوا أحدا فأراد أن يقطع أيديهم أو يقتلهم فكتب إلى الخليفة عمر في ذلك، فكتب إليه أن يسهّل حكمه [3]. يثبت هذا الخبر أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز مركزالسلطة القضائية بيده.

في نفس هذا الإطار، كلّف الخليفة يزيد بن عبد الملك والي المدينة من قبله عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهري أن يجمع بين عثمان بن حيّان المرّي وأبي بكر بن عمرو بن حزم في الحدّين اللذين جلدهما أبو بكر لعثمان فإن وجد أبا بكر ظلمه أقاده منه [4]. لكنّ عبد الرحمن بن الضحّاك تحامل على أبي بكر فجلده حدّين قودا بعثمان. على هذا الأساس، فإنّ الخليفة يزيد بن عبد الملك أصدر قراره في ما يخصّ هذا الأمر لكنّه لم يراقب تنفيذ الحكم. وأخيرا، خاصم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب في صدقة الرسول لدى الخليفة هشام بن عبد الملك [5].

ذكرت المصادر استمرار مركزة القضاء بيد الخليفة الأموي من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. إضافة إلى مركزة

---

1) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 612.
2) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 560-561.
المكاتب العبد يتّفق مع سيّده على أنّه يدفع له مالا معينا مقابل عتقه.
3) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 601.
4) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 375.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 505.

القضاء بيد الخليفة الأموي، فإنّ هذا الأخير يشرف إشرافا مباشرا على قضايا رعاياه بمركز الخلافة. فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يجلس بالمسجد- الجامع بدمشق فيتقدّم إليه الضعيف والأعرابي والصبي والمرأة ومن لا أحد له فيقول " ظلمت فيقول أعزّوه ويقول عُدي عليّ فيقول ابعثوا معه، ويقول صُنع بي فيقول انظروا في أمره" [1].

كان الخليفة معاوية يخصّ ضعاف الحال والأعراب من بلاد الشام وربّما من غيرها من الولايات بحلّ مشاكلهم والنظر في قضاياهم. ولم يذكر المسعودي ما هي نوعية هذه المظالم. وخرج الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى الحميمة من عمل جند دمشق لكي يعاين بنفسه جريمة قتل [2]. على هذا الأساس، فإن الخليفتين معاوية بن أبي سفيان والوليد بن عبد الملك كانا يشرفان إشرافا مباشرا على أمور القضاء بالشام.

إنّ هذا النقص في المعلومات بالمصادر يؤدي إلى انعدام مراحل واضحة في هذه الدراسة. وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يراقب مراقبة صارمة تطبيق الأحكام حيث أجبر روح بن الوليد بن عبد الملك على ردّ الحوانيت التي أقطعها له أبوه إلى أهلها بعد أن قامت لهم البيّنة أنّهم يملكون هذه الحوانيت [3]. راقب الخليفة عمر بن عبد العزيز تطبيق حكمه على أحد آل بيته لتأكيد العدل كمفهوم قرآني [4].

لم تذكر المصادر مراقبة الخليفة لسير القضايا بمركز الخلافة ما عدا مثال في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز. لكنّ هذه الوضعية لا تتنافى مع وضعية أخرى وهي تواصل مؤسّسة القضاء بمركز الخلافة الأمويّة لعهد الرسول والخلفاء الأوائل.

واجتهد الخلفاء الأمويّون في وضع أحكام جديدة ليس لها ذكر في القرآن أو في السنّة وهذا من شأنه أن يطوّر الفقه. وتتمثّل نقاط التواصل مع الفترة الإسلامية السابقة في اتّباع طريقة "القود في القسامة" إذا قتل قتيل ولم تثبت التهمة على أحد. ويبدو أنّ الخليفة عثمان بن عفّان طبّق القسامة، حيث قتل أحد شباب الكوفة جار أحد الصحابة الذي رحل إلى الخليفة ليشهد على عمليّة القتل، فأحدث عثمان القسامة أي أنّ القاتل

---

1) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 29-30.
2) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 347-348.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 307.
3) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 58.
4) محمّد فؤاد عبد الباقي، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، بيروت 1987، ص 448.

وأولياءه (يبلغ عددهم خمسين رجلا) يحلفون ببراءة القاتل فإذا نقص منهم رجلا واحدا تثبت التهمة على القاتل بعد أن يحلف أولياء المقتول (يبلغ عددهم كذلك خمسين رجلا [1]).

وطبّق الخليفة معاوية بن أبي سفيان نفس هذه الطريقة بعد أن عرضت له مشكلة. فقد قتل شخص يدعى ابن هبّار من قبيلة أسد، واتّهم أربع أشخاص مصعب بن عبد الرحمن بن عوف ومعاذ بن عبيد الله التيمي وأبو جعفويه ابن شعوب، بقتله في الفتنة الكبرى. وطالب عبد الله بن الزبير بعد وصول معاوية إلى السلطة بدم ابن هبّار، وطالب عبد الرحمن بن أزهر ببراءة مصعب بن عبد الرحمن.

ولإثبات التهمة طلب معاوية من ابن الزبير أن يسمّي القاتل ويحلف خمسين يمينا. لكنّ ابن الزبير رفض ذلك لأنّه لم ير بنفسه عمليّة القتل بل قيل إنّ المدّعى عليه كان في مكان الجريمة. ثم طلب معاوية من المدافعين على المتّهم أن يحلفوا خمسين يمينا أنّ صاحبهم بريئا من هذا الإدّعاء ورفضوا أن يحلفوا فبقيت القضية بدون حلّ [2]. لم يبتدع معاوية القسامة كما ذكر وكيع بل هو اتّبع عثمان بن عفّان في الأخذ بها. واتّبع الخليفة سليمان بن عبد الملك طريقة القسامة بينما تخلّى عنها الخليفة عمر بن عبد العزيز [3].

اتّبع الخلفاء الأمويّون القسامة كوسيلة للحكم بين الناس من عهد الخليفة معاوية إلى عهد الخليفة سليمان. وسلك الخليفة معاوية مسلك الخلفاء الأوائل في التثبّت عند إقامة الحدود حيث ارتكب روح بن زنباع الجذامي والي بعلبك من قبل الخليفة معاوية تجاوزا برجمه امرأة ورجلا دون التثبّت من الفعلة التي ارتكباها. فأرسل له الخليفة معاوية كتابا ينصحه لتطبيق الشريعة الإسلامية أي شهادة علنية أو أربعة شهود يدلون بشهادتهم في السرّ [4]. كما طبّق الخليفة معاوية المبادئ القرآنية كمبدإ القصاص عندما كتب إليه مروان بن الحكم أنّه أتي بسكران قد قتل رجلا، فكتب إليه معاوية أن اقتله [5].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 272.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 121-123.
3) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 282.
4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 86.
5) البقرة 178/2.
مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 629.

واتّخذ الخليفة عبد الملك بن مروان قرارا يتمثّل في تطبيق القصاص أو القود، حيث أقاد ولي رجل من رجل قتله بعصا فقتله وليّه بعصا [1].

وضرب الخليفة هشام بن عبد الملك خصيّا لابنه وشتم هذا الأخير لأنّ الخصي ضرب رجل نصرانيا واقتصّ لنفسه منه بدون رجوع للقاضي [2]. لم يتسامح الخليفة هشام بن عبد الملك مع ابنه لأنّه أضرّ بنصراني من رعيته.

كما يبدو التواصل مع فترة الرسول ومع فترة الخلفاء الأوائل في قضايا الميراث. فقد ذكر مالك أنّ الخليفة معاوية كتب إلى زيد بن ثابت يسأله عن ميراث الجدّ فأجابه زيد بأنّه حضر الخليفتين قبله أي علي وعثمان اللّذين كانا يعطيان الجدّ النصف مع الأخ الواحد والثلث مع الاثنين، فإن كثرت الإخوة لم ينقصوه من ثلث [3].

استشار الخليفة معاوية أحد الصحابة العالمين بالفرائض وبالتالي فهو حريص على اتباع أحكام الرسول والخلفاء الأوائل. واشتكت امرأة للخليفة عبد الملك بن مروان من تحصلّها من ميراث أخيها على دينار واحد بينما بلغ هذا الميراث ستمائة دينار. فأجابها الخليفة عبد الملك بأنّ هذا حقّها. وأرسل للشعبي يسأله عن هذا الحكم إن كان صحيحا.

فأجابه الشّعبي بأنّ هذا الحكم صحيح بما أنّ الرجل خلّف ابنتين فلهما الثلثان أي أربعمائة وأمّا فلها السدس أي مائة وزوجة فلها الثمن واثني عشر أخا فلهم أربعة وعشرون فبقي للأخت دينارا واحدا [4]. كان للخليفة عبد الملك بن مروان معرفة بالعلم أي ما ينصّ عليه القرآن والسنّة وهذا يرجع لمجالسته الفقهاء والعلماء حفظ عنهم عندما كان شابّا بالمدينة [5]. كما استشار الخليفة عبد الملك بن مروان الشّعبي لعلمه حتى يتأكّد من صحّة الحكم الذي قضى به. وورّث الخليفة عمر بن عبد العزيز العيالات حسب السنّة [6]. ماهو المقصود بالسنّة؟ هل هي سنّة الرسول أم هي سنّة سنّها الخلفاء الأوائل؟

---

1) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 628.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 202.
3) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 344.
E.I², tIII. *Mirath.*
4) السيوطي، مصدر مذكور، ص 243.
5) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 175.
6) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 367.
E.I², tIII *Mirath.*

ولم يذكر اليعقوبي كيف كان توريث العيالات في عهد الخلفاء الأمويّين الآخرين. ولم تذكر المصادر الأخرى هذا القرار الذي اتّخذه الخليفة عمر بن عبد العزيز.

ولعلّ هذا الحكم نسب إليه لأنّه اتّبع أكثر من بقيّة الخلفاء الأمويّين سنّة الرسول والخلفاء الأوائل. كما اتّبع الخلفاء الأمويّون إقامة الحدود كأسلافهم من الخلفاء والرسول. فقد حدّ الخليفة يزيد بن معاوية خالد بن اسماعيل بن الأشعث لأنّه لاط غلاما له، وهذا يتنافى مع ما روّجته المصادر من أنّ الخليفة يزيد بن معاوية كان فاجرا وفاسقا [1].

وضرب الخليفة هشام بن عبد الملك ابنه وحلف أنّه لن يلي له أي عمل لفجوره حيث كان واليه على جند حمص، وكان يشرب الخمر ويزنى [2]. لم يتسامح الخليفة هشام مع ابنه لأنّه ارتكب محرّمات. على هذا الأساس، فإنّ الخلفاء الأمويّين كانوا حريصين على تطبيق الحدود. وفي نفس هذا الإطار أي التواصل مع فترة الرسول والخلفاء الأوائل كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على الكوفة "أن أقض باليمين مع الشاهد" [3]. واتّبع الخليفة هشام بن عبد الملك نفس الطريقة، فقد ادّعى يزيد بن خالد القسري مالا قبل زيد بن علي ومحمد بن عمر بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العبّاس ابن عبد المطّلب وابراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأيوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقد كتب يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان للخليفة هشام بن عبد الملك بهذه القضيّة.

فكتب الخليفة هشام ليوسف بن عمر أنّه قدم عليه فلان وفلان يجمع بينهم ويزيد بن خالد القسري فإن هم أقرّوا بما ادّعى عليهم يسرّح يوسف بن عمر بهم للخليفة. وإن هم أنكروا فإنّ الوالي يطالب يزيد بن خالد القسري ببيّنة فإن هو لم يقم البيّنة فإنّ الوالي يستحلفهم بعد العصر بالله الذى لا إله إلاّ هو ما استودعهم يزيد بن خالد القسري شيئا ولا له قبلهم شيئا ثم أمره بتخلية سبيلهم. وقد طبّق يوسف بن عمر أمر الخليفة هشام بن عبد الملك [4]. إنّ القسم بالمسجد-الجامع هو وسيلة للتأكّد من

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 297.
2) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور،ج 4، ص 442.
3) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 511.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 161-162.

براءة أشخاص ادّعي عليهم. أقرّ الخلفاء الأمويّون القسم لإثبات براءة أو تورّط شخص ما في جناية معينة.

كما أقرّ الخلفاء الأمويّون العادة التي سنّها الخليفة عمر بن الخطّاب وهي أن يساوي الخلفاء أقلّ الخصوم في مجلس القاضي ويجرى عليهم الحكم الشرعي كما يجرى على سائر الناس. فقد كان بين الخليفة عمر بن الخطّاب وأبي بن كعب خصومة فجعلا بينهما زيد بن ثابت "وأتياه وقال له عمر في بيته يؤتى الحكم [1]".

وذهب الخليفة معاوية بن أبي سفيان لقاضي دمشق ليبتّ في خلاف بينه وبين عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب [2]. وخاصم رجل من حلوان مصر الخليفة عمر بن عبد العزيز وتوجّها معا إلى مجلس القاضي، فساوى بينهما في كلّ شيء وقضى للرّجل عليه [3]. كما تحاكم الخليفة هشام بن عبد الملك مع صاحب حرسه أمام القاضي في دار الخلافة [4]. كان الخليفة الأموي متساويا أمام القضاء مع بقية المقاتلة أو الأمّة. ولم تذكر هذه المصادر تطوّر هذه الظاهرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

اتّبع الخلفاء الأمويّون أحكاما مستنبطة من أحكام الرسول والخلفاء الأوائل. هذا التصرّف ليس غريبا على الخلفاء الأمويّين وعن طبيعة الدولة الأمويّة كدولة إسلامية بالدرجة الأولى.

وحدّد الخليفة عمر بن عبد العزيز الخصال التي يجب أن تتوفّر في القاضي من بينها العلم بالسنّة والسؤال عمّا لا يعلم [5]. فهذا "التّكوين" كان ضروريا بالنسبة إلى الهم للقضاء بين الناس. فقد كان فضالة بن عبيد الأنصاري في دمشق من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان يحفظ الحديث عن الرسول بما أنّه شهد أحدا والخندق والمشاهد كلّها مع الرسول [6]. كما أنّ هذه الوضعية مكّنته بدون شك من حفظ

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 108.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4،ج 1، ص 132.
3) الجاحظ، كتاب التاج في أخلاق الملوك، القاهرة 1914، ص 161.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 2، ص 293.
4) الجاحظ، مصدر مذكور، ص 161.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 1، ص 29-30.
وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 212.
5) ابن الجوزي، سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد، بيروت 1984، ص 275.
6) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 281-282.
وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 201.

القرآن. كما كان أبو إدريس الخولاني قاضي الخليفة معاوية بن أبي سفيان تابعيًا أي ممّن أدرك حياة الرسول ولم يهاجر إليه [1]. كما أنّه أدرك بعضا من الصحابة كعبادة بن الصامت وأبا الدرداء وشدّاد بن أوس [2].

وكان أبو إدريس قاضي الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك والخليفة سليمان بن عبد الملك والخليفة عمر بن عبد العزيز والخليفة يزيد بن عبد الملك والخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّ الزهري وهو قاضي الخليفة عمر بن عبد العزيز بدمشق ثم قاضي الخليفة يزيد بن عبد الملك جلس فحفظ الحديث ورواه [3].

كما أنّ بلالا بن أبي الدرداء قاضي الخليفة عبد الملك بن مروان على دمشق، كان ابنا لأبي الدرداء وهو من "علية" أصحاب الرسول وقد حدّث عن الرسول أحاديث كثيرة [4]. إنّ أغلب قضاة دمشق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كانوا من الصحابة أو من التّابعين وكانوا ذوي علم وفقه بالقرآن والسنّة، وقد مكّنهم هذا العلم من القيام بشؤون القضاء عن طريق اتّباع سنة الرسول والخلفاء الأوائل أو الاجتهاد. فقد ظلّ سليمان بن حبيب المحاربي قاضي الخلفاء ثلاثين سنة يقضي باليمين مع الشاهد متّبعا السنّة [5].

وأفتى قاضيا الخليفة يزيد بن عبد الملك على دمشق الزهري وسليمان بن حبيب في قضية مع بعضهما [6]. وأخيرا، اجتهد الفقيه والقاضي يزيد بن أبي مالك الهمداني قاضي دمشق من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك في ترتيب الديات والشجاج [7].

كان قضاة دمشق يتبوّؤون منصبا إداريًا يستنبطون فيه الأحكام وذلك خاصّة فيما بين 100 و125 هـ [8]. كما كان القضاة عالمين بالقرآن والسنّة فيجتهدون بصفة فردية أو ثنائية في بعض الأحكام لكنّهم يستشيرون الخليفة أو الفقهاء في بعض

---

1) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 207.
2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 271-274-281.
3) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 312.
4) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 275.
5) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 249.
6) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 211.
7) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 206.
8) Joseph Schacht, **An Introduction to Islamic Law**, London 1964, p 24-25.

الأحكام الأخرى. بالإضافة إلى ذلك فإنّ تعيين القضاة يخضع أيضا إلى عامل آخر وهو التحلّي بالأخلاق الحميدة. فقد اشترط الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يكون القاضي حليما وعفيفا ومتّزنا وشجاعا في اتّخاذ الأحكام [1]. لذلك جمعت مهمّتان لبعض قضاة دمشق حيث كان فضالة بن عبيد الأنصاري قاضي دمشق من قبل الخليفة معاوية كما أنّه قاد المقاتلة الشاميّين في الجهاد. وكان بلال بن أبي الدرداء ينوب الخليفة عبد الملك في الصلاة بالناس.

وكان أبو إدريس الخولاني قاضيا وقاصّا. إنّ القاصّ هو شخص يعيّنه الخليفة يعظ الناس ويفسّر القرآن والسنّة بالمسجد، وهو يخطب في الناس كامل أيّام الأسبوع ماعدا يوم الجمعة حيث يخطب الخليفة. كما أنّ القاصّ يدعّم الإيديولوجيا الأمويّة ومهمّته مرتبطة بمهمّة القاضي.

ستمهّد رتبة القاصّ لرتبة الواعظ التي ستظهر في آخر القرون الوسطى [2]. كما ذكرت المصادر مثالا طريفا لقاضيين بدمشق من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك وهما الزهري وسليمان بن حبيب المحاربي وكانا يقضيان مع بعضهما أو كلّ على حياله [3]. وقد نتساءل لماذا عيّن الخليفة يزيد بن عبد الملك قاضيين على دمشق؟ هل كانت القضايا متعدّدة يعجز قاض واحد عن النظر فيها؟ ربّما كان هذا الافتراض صحيحا كما أنّ بعض القضاة تولّوا القضاء بدمشق للعديد من الخلفاء أو لدى خليفتين وهذا يرجع لكفاءاتهم. فقد كان أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني قاضي دمشق من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتولّى القضاء في عهد الخليفة يزيد بن معاوية وفي عهد الخليفة مروان بن الحكم وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان [4].

---

1) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 287.
ابن الجوزي، **مصدر مذكور**، ص 275.
2) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 202.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 232-233.
Irit Bligh-Abramski, *The Judiciary Qadis as a Governmental-administrative*, p 44-45-47.
3) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 350.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 195.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 132-354.
المسعودي، **التنبيه**، ص 312.

تبوّأ البعض من قضاة دمشق منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك مناصب متنوّعة وهامّة ذات طابع سياسي وديني. لكنّ المصادر لم تمكّننا إلاّ من معلومات متفرّقة. كما أنّ هذه المصادر لم توفّر لنا إلاّ معلومة واحدة حول مرتّبات قضاة دمشق. فقد كان زرعة بن أيّوب المعرّي قاضي دمشق من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك لا يأخذ على القضاء رزقا وكان عطاؤه مائتي دينار وقد كانت حجّته على رفض هذا الرزق بأنّ القضاء علم علّمه له الله (1). فهذا الرفض ينبع من قناعات دينية لكنّنا لا نستطيع أن نتبيّن تطوّر الرزق أو أرزاق قضاة دمشق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك نظرا لعدم وجود معلومات بالمصادر.

لكنّ هذه الأخيرة ذكرت معلومات حول الانتماء القبلي لقضاة دمشق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. نستنتج أنّ أغلبية القضاة الذين عيّنهم الخلفاء الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ينتمون إلى اليمن وهذا راجع لاعتماد الخلفاء الأمويّين على اليمنيين المستقرّين بالشام منذ عهد تأسيس الدولة الأمويّة.

كان قضاة دمشق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك عاملين بالقرآن والسنّة وكانوا يقضون حسب سنّة الرسول والخلفاء الأوائل كما كانوا يجتهدون ويفتون في بعض الأحكام الأخرى وهم يستشيرون الخليفة أو الخلفاء الأمويّين وكذلك الفقهاء. وكان البعض منهم يتبوّأ منصبا آخر إضافة إلى منصب القاضي وهذا دليل على تعدّد كفاءاتهم. وقد انتمى هؤلاء القضاة إلى اليمن أساسا لكنّ المصادر لم تذكر أرزاق هؤلاء القضاة والانتماء القبلي للبعض منهم وطريقتهم في الحكم والقضاء بين الناس وعلاقتهم بالخليفة الأموي، ممّا جعلنا لا نستطيع أن نحصر تطوّر هذه العناصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فهل تمكّننا هذه المصادر من دراسة القضاء بأجناد الشام؟

---

1) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 202

ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 376.

ذكرت المصادر معلومات متفرّقة عن قضاة الأجناد من بينها ما جاء في "أخبار القضاة" لوكيع حول قاض بفلسطين وهو عبد الله بن موهب. لكنّ وكيع لم يذكر الانتماء القبلي لهذا القاضي والوالي الذي عيّنه على القضاء. ويبدو أنّ هذا القاضي معاصر لرجاء بن حيوة الكندي الذي ذكر في خلافة عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وأساسا في خلافة سليمان بن عبد الملك وخلافة عمر بن عبد العزيز [1].

إنّ قاضي حمص هو سليمان بن حبيب المحاربي وذلك في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان، كما كان قاضي الخليفة عبد الملك بدمشق. فهل ولاّه على دمشق ثم ولاّه على حمص [2] ؟ هذا ما لم يثبته وكيع.

وأرسل الخليفة عبد الملك لسليمان بن حبيب يسأله عن عقوبة اللّواط. فكتب إليه أنّ عليه أن يرمي بالحجارة كما رجم قوم لوط وقد قال الله تعالى : "فلمّا أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجّيل منضود [3]". فقبل عبد الملك ذلك منه. عامل الخليفة سليمان بن حبيب معاملة خاصّة بما أنّه استشاره في معضلة عرضت له وهذا يبيّن أنّ عبد الملك عجز عن إيجاد العقاب المناسب في سورة هود رغم علمه بالفرائض. كما كان يزيد بن خليفة اليحصبي قاضيا من قضاة حمص ونرجّح أنّه شغل القضاء في فترة الخليفة سليمان بن عبد الملك [4].

وأرسل إليه مسلمة بن عبد الملك برجل أكل لحم بشر في عام القسطنطينية فأفتى يزيد بن خليفة بأنّه لا عقوبة عليه "لأنّ أمّة جاعت أكلت بعضها بعضا" [5]. كلّف هذا القائد العسكري يزيد بن خليفة بهذه المهمّة لعلمه. فقد أعمل رأيه في مشكلة لم يوجد لها نصّ واضح بالقرآن والسنّة.

اتّبع الخلفاء الأمويّون وقضاة دمشق نفس الأحكام التي طبّقها الرسول والخلفاء الأوائل وبالتالي فإنّ هناك تواصل بين الفترة الإسلامية الأولى والفترة الأمويّة. لكنّ هذا التّواصل لم يمنع الخلفاء الأمويّين وقضاة دمشق من استنباط الأحكام والاجتهاد

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 213.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 316.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 210.
3) هود 11/ 82.
وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 210.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 212-213.
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 213.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 531.

خاصّة في آخر القرن الأوّل وبداية القرن الثاني الهجري أي فترة الخليفة عمر بن عبد العزيز. فمهّد هذا الأخير لظهور مدرسة الفقه بالشام على يد الأوزاعي [1]. فهل أنّ مؤسّسة القضاء بالعراق وبغيرها من الولايات شهدت نفس التطوّر؟

(ب) القضاء في الولايات

- ✓ **القضاء بولاية العراق**

  - o **القضاء بالبصرة**

كان الولاة يولّون من أرادوا على القضاء، وكان القاضي لا يقرّر قرارا دون استئذان الوالي [2]. فقد كان زياد بن أبي سفيان يقوم بدور القاضي وبالتالي فإنّ الوالي بالبصرة كان يراقب السلطة القضائية ويحدّ من استقلالية القاضي [3]. وإذا أراد القاضي الاستقلال عن الوالي فإنّ الوالي يعاقبه أو يدبّر له المكائد. فقد قضى إيّاس بن معاوية قاضي البصرة من قبل عدي بن أرطاة والي البصرة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز بين امرأة وزوجها لصالح المرأة لأنّ زوجها ظلمها. فحكم لها القاضي بالطلاق مخالفا مصالح الوالي الذي كان متعصّبا للزوج لأنّه ينتمي لقيس. ودبّر الوالي مكيدة للقاضي هو وحاشيته فهرب إيّاس خوفا من تسلّط الوالي [4].

ونستنتج أنّ والي البصرة أراد إجبار القاضي على تنفيذ أحكامه لكنّ القاضي سعى لتطبيق الحدود بقطع النظر عن المصالح الشخصية. إنّ القاضي بالبصرة مثل ما هو الحال بالنسبة إلى الشّام كان موظّفا بالإدارة الأمويّة حيث يعيّن من طرف والي البصرة. لكنّ هذا لا يعني عدم تدخّل الخليفة إذ هو القاضي الأعلى بالأمّة، على هذا الأساس، فإنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز عيّن بنفسه الحسن بن أبي الحسن البصري قاضيا بالبصرة وقرّع عدي بن أرطاة (والي البصرة) بقوله : "ما أنت والقضاء فرّق بينهما" [5].

---

1) E.I², tII 2. *Fiqh*.

2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 141.

3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 201.

وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 42.

NJ Coulson, *Doctrine and Practise in Islamic Law One Aspect of the Problem*, **B. S.O.A.S** Vol. XVIII, Part 2 1956, p 212.

4) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 314.

5) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 316.

وتعتبر هذه البادرة بادرة ثورية اتّخذها الخليفة عمر بن عبد العزيز. كما أنّ الخليفة الأموي يصدر قراره الأخير في حكم معيّن إذا ما اختلف قاضيين، حيث اجتهد كلّ من إيّاس بن معاوية والحسن البصري فكان اجتهادهما مختلفا فتدخّل الخليفة ليحسم الأمر [1]. وعيّن الخليفة هشام بن عبد الملك ثمامة بن عبد الله قاضيا على البصرة [2].

واتّبع الولاة والقضاة بالبصرة سنّة الرسول والخلفاء الأوائل في الأحكام مثلهم في ذلك مثل الخلفاء الأمويّين بدمشق وقضاتهم حيث دفع زياد بن أبي سفيان بقريبه لكي يقتصّ منه. فقد قتل ابن أخ لزياد دهقانا بالسواد فدفعه زياد إلى قريب الدهقان الذي عفا عنه. فزياد لا يحابي أقاربه إذا كان الأمر يتعلّق بإقامة الحدود [3]. وضرب بلال بن أبي بردة قاضي البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسري شاعرا رمى امرأة [4]. وكان الحسن بن أبي الحسن البصري قاضي البصرة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز من أعلم الناس بالحلال والحرام [5].

إنّ الولاة بالبصرة وهما زياد بن أبي سفيان وبلال بن أبي بردة اتّبعا سنّة الرسول والخلفاء الأوائل وكذلك قاضي البصرة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز. على هذا الأساس، لم نستطع أن نكوّن فكرة عن تطوّر هذه الظاهرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكن من المؤكّد أنّ ولاة وقضاة البصرة قد اتّبعوا سنّة الرسول والخلفاء الأوائل في أحكامهم. ولم يكتف ولاة وقضاة البصرة بذلك بل اجتهدوا. إنّ أربعة من قضاة البصرة لم يقضي بالبصرة مثلهم وهم هشام بن هبيرة قاضي البصرة من قبل عبيد الله بن زياد والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثم والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية ثم قاضي البصرة من قبل الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان [6].

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 330.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 20.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 236.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 42.
5) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 120.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 321.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 201.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 15.

والقاضي الثاني هو عبد الرحمن بن أذينة العبدي قاضي البصرة من قبل عبيد الله بن زياد والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ثم قاضي البصرة من قبل الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان [1]. والقاضي الثالث هو الحسن بن أبي الحسن البصري قاضي البصرة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز [2]. والقاضي الرابع هو إيّاس بن معاوية قاضي البصرة من قبل عدي بن أرطاة الفزاري والي البصرة من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز [3].

اجتهد كلّ القضاة في الأحكام استنادا إلى القرآن والسنّة. إنّ إيّاس بن معاوية جاءته امرأتان فقالت إحداهما إنّ أختها زعمت بأنّها أحقّ بالميراث منها. وقالت الأخرى بأنّها اشترت أباها وأعتقته. فقال إيّاس الثلثان بينكما بالميراث وللأخرى (أي التي أعتقت أباها) الثلث بالولاء [4]. كما كان إيّاس بن معاوية يتحاور مع قضاة آخرين في مسائل معرفته بالقرآن والسنّة، فقد تحاور إيّاس مع ابن شبرمة وهو قاضي الكوفة من قبل يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك. فسأل ابن شبرمة إيّاس عن اثنتين وسبعين مسألة لم يختلفا إلاّ في مسألتين أو ثلاث أو أربع ردّه فيها إيّاس للقرآن [5]. ونستنتج أن محاولات الاجتهاد تطوّرت والأحكام وكذلك العلم بالقرآن والسنّة. وبالإضافة إلى إيّاس بن معاوية، فإنّ الحسن بن أبي الحسن البصري كان له دور كبير إذ كان جامعا وعالما وكبير العلم وفقيها [6].

فهو إن تحاور مع إيّاس بن معاوية وغيره من العلماء بالبصرة، يفوقهم في العلم والفقه. كما أنّه من أفقه الفقهاء بالبصرة [7]. وقد كان الحسن بن أبي الحسن

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 300.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 15.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 304.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 15.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 15، ص 338.
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 358-359.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 175.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 3، ص 179.
6) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 115.
7) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 13.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 124-126.

يفسّر القرآن [1]. وهذا ما ساعده على أن يقضي بين الناس ويجتهد في الأحكام. وفي هذا الإطار، سأل رجل الحسن بن أبي الحسن "أرأيت ما تفتي الناس أشياء سمعت أم برأيك" فأجابه الحسن ليس كلّ ما يفتي به سمعه ولكنّه يجتهد [2].

وقد اتّبع القضاة فيما بعد أحكام الحسن البصري. فقد نفّذ ثمامة بن عبد الله قاضي البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك قضاء كان يقضي به الحسن ويبدو أنّه أرسل في طلب كتب الحسن ثم قضى قضاءه [3].

وجمعت فتاوي الحسن في سبع كتب، ونظّمت حسب أبواب الفقه [4]. إن كان هذا صحيحا فإنّ الحسن ترك وثائق مكتوبة ستكون مرجعا هامّا للقضاة وستساهم في تطوّر الفقه بالبصرة وفي الأمّة بصفة عامة. وباختصار، فإنّ الحسن بن أبي الحسن البصري كان أبرز وأهمّ قاض بالبصرة حيث استنبط الأحكام وساهم في تأسيس الفقه.

إضافة لتفسيره للقرآن، فإنّ عبد الملك بن يعلى الليثي قاضي البصرة من قبل عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك وقد عرف عبد الملك بن يعمر اللّيثي، إضافة إلى تفسير القرآن بتضلّعه في الفتوى [5]. كما كان قضاة البصرة يستشيرون غيرهم من القضاة في الأمور التي تستعصي عليهم، فقد أرسل هشام بن هبيرة قاضي البصرة من قبل القباع عامل عبد الله بن الزبير على البصرة لشريح قاضي الكوفة قائلا له أنّه وُلي القضاء على حداثة سنّه وقلّة عقله وأنّه لا بدّ أن يسأله في الأمور التي تعرض له، وكان شريح يجيبه [6].

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 14.
2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 122.
E.I², tII 2 *Fatwa.*
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 22.
4) E.I², tII 2 *Fiqh.*
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 350، ص 15، ص 17-20.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 162.
6) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 298-299.

كان هذا القاضي بالبصرة يستشير قاضي الكوفة. وكان زياد بن أبي سفيان يحضر معه شريح إلى البصرة ليقضي فيها فأعجبهم قضاءه. على هذا الأساس، نستنتج أنّ هناك تواصل وتعاون بين البصرة والكوفة على مستوى القضاء، لكنّ المصادر لا تذكر استشارة والي البصرة لوالي الكوفة أو قضاء والي الكوفة بالبصرة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

اتّبع قضاة البصرة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سنّة الرسول والخلفاء الأوائل في الحكم بين الناس. واجتهدوا واستنبطوا أحكاما ستكون أساس الفقه الإسلامي [1]. ولم يتوصّل هؤلاء القضاة إلى استنباط هذه الأحكام إلاّ بفضل تكوين معيّن اكتسبوه. وكانوا كالقضاة في الشام لديهم تكوين يتمثّل في العلم بأحكام القرآن والسنّة. فقد كان عميرة بن يثربي الضبي يروي الحديث ولو أنّه يروي القليل منه [2].

وكان عمران بن الحصين الخزاعي من الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكّة وغزوا غزوات مع الرسول وبالتالي مكّنته هذه المكانة من الرسول أن يكون عالما بالقرآن والسنّة [3]. كما أنّ أباه كان من صحابة الرسول، وقد أرسله الخليفة عمر بن الخطّاب "يفقّه" أهل البصرة [4]. كما كان زرارة بن أوفى يروي الحديث وهو ثقة [5].

وكان هشام بن هبيرة قليل الحديث لكنّه كان عالما بأحكام القرآن والسنّة [6]. وورث "النضر" بن أنس بن مالك رواية الحديث عن أبيه أنس بن مالك خادم الرسول، وهو من صحابته [7]. لكنّ أخاه موسى بن أنس كان قليل الحديث [8].

---

1) E.I², tII 2 *Fiqh*.
2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 109.
3) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 6-215.
4) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 7
وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 292.
5) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 110.
6) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 110.
7) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 13 إلى ص 19 - ص 142.
8) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 143.

بالإضافة إلى ذلك، كان إيّاس بن قرّة المزني عالما بالقرآن والسنّة. كما أنّه كان فطنا، فتعلّم عن أبيه القرآن والحديث تسع سنين [1]. وكان الحسن البصري منذ صغر سنّه يحفظ الحديث عن الخليفة عثمان بن عفّان وعن عمران بن الحصين وسمرة بن جندب وأبي هريرة وابن عمر وابن عبّاس [2]. وصحب ثمامة بن عبد الله بن أنس بن مالك جدّه أنس بن مالك ثلاثين سنة [3].

تحصّل قضاة البصرة على تكوين ثري وأساسا الحسن البصري وإيّاس بن معاوية. وكان الحسن البصري يكتسب سلطة روحية كفقيه بالبصرة ممّا دفع بالخليفة عمر بن عبد العزيز لتعيينه قاضيا [4]. ولم يعيّن الخلفاء والولاة القضاة لكفاءاتهم الشخصيّة فقط بل كذلك لعوامل أخرى حيث عيّن زياد بن أبي سفيان زرارة بن أوفى صهره (أخ زوجته) على القضاء [5].

وتظهر الامتيازات التي تمتّع بها القضاة على مستوى تنوّع الوظائف حيث جمّع قاض واحد العديد من الوظائف وهو بلال بن أبي بردة قاضي البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسري الذي عيّنه على الشرطة والأحداث والصلاة سنة 110 هـ وحافظ على كلّ هذه المناصب إلى سنة 120 هـ.

كما ورث بلال هذه الوظيفة عن أبيه وجدّه. إنّ تجميع بلال لهذه الوظائف غذّى غروره ودفعه لاتّباع سياسة عنيفة وحابى مواليه وأصدقاءه [6]. ويبدو أنّ القاضي كان له أعوان يساعدونه حيث كان سعد بن حيّان اليحمديّ ينفذ أقضية بلال بن أبي بردة.

---

1) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 175.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 3، ص 179.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 326.
2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 114-115.
3) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 3، ص 321.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 22-23.
4) رضوان السيد، *التدوين والفقه والدولة نظرات في نشوء الفقه الإسلامي*، **الاجتهاد**، عدد 2، شتاء 1989، ص 109.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 224.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 66-122.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 25-28-36.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 3، ص 321.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 94-277-278.

ولعلّ هذا التعيين يرجع لكثرة المسؤوليّات التي كان بلال يتحمّلها [1]. كما كان لبلال كاتب يكتب وراءه وهذا دليل على تطوّر القضاء كوظيفة إدارية بالبصرة في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكنّ المصادر لم تذكر متى تأسّست هذه الوظيفة [2].

ارتبطت وظيفة الحرس بوظيفة القاضي حيث رافق أحد حرّاس إيّاس بن معاوية بعد تولّيته من طرف عديّ بن أرطاة [3].

هل كان الحرس يقومون على رؤوس كلّ القضاة الأمويّين بالبصرة في الفترة التي ندرسها ؟

إنّ سكوت المصادر يجعلنا لانستطيع أن نجزم إن كان الحرس يقومون بوظيفة مرتبطة بالقضاء. وكان القضاة يتحصّلون على مرتّبات أو أرزاق مقابل عملهم حيث كان إيّاس بن معاوية يأخذ رزقا يبلغ مائة درهم كل شهر إضافة إلى إعطائه ولم يكن الحسن البصري يأخذ أجرا على القضاء من باب الورع والزهد [4].

ويمنعنا سكوت المصادر من مقارنة مختلف الأرزاق. وكان القضاة يباشرون أعمالهم بالمسجد-الجامع بالبصرة أو بالطريق أو في سوق البصرة وستتواصل هذه العادة في العهد العبّاسي [5]. كما وفّرت المصادر أسماء القضاة بالبصرة وانتماءاتهم القبليّة من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام.

إنّ تعيين الأغلبيّة من القضاة بالبصرة كان من مضر أساسا ويخضع للتّركيبة القبليّة الخصوصيّة بالبصرة. فالأغلبيّة تمثّلها مضر.

وقد تردّد ذكر أسماء بعض القضاة كعبد الله بن فضالة الليثي وعاصم بن فضالة وعبد الرحمن بن أذينة وهشام بن هبيرة وموسى بن أنس في عهود مختلفة. ويعود توظيفهم لعدّة مرّات لكفاءتهم. ساهم قضاة البصرة إلى جانب قضاة دمشق في إثراء القضاء وتطويره بإنشائهم للفقه أساسا من طرف الحسن بن أبي الحسن البصريِ

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 36.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 28.
3) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 3، ص 183.
ابن خيّاط، تاريخ، ص 253.
4) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 3، ص 179.
وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص8-342.
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 22-125.

أو استنباطهم للأحكام. وقد طبّق ولاة البصرة وخاصّة قضاتها من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الأحكام التي كان الرسول والخلفاء الأوائل قد طبّقوها أي أنّ هناك تواصلا بين الفترة الإسلامية الأولى والفترة الأمويّة. كما شابه قضاة البصرة في تطبيقهم لهذه الأحكام قضاة دمشق. ولم يتوقّف قضاة البصرة وولاّتها على هذا فقط بل اجتهدوا. وساهم أحدهم وهو الحسن البصري في تأسيس الفقه وما سيعرف بالمدارس الفقهية في القرن الثاني الهجري. فكيف تطوّرت مؤسّسة القضاء بالكوفة؟

- **القضاء بالكوفة**

كان الولاة الأمويّون بالكوفة كالولاة بالبصرة يولّون من أرادوا على القضاء. وكان القاضي لا يقرّر قرارا دون استئذان الوالي [1]. على هذا الأساس، فإنّ والي الكوفة كان يمركز السلطة القضائية بيده. من ذلك أن شريحا قاضي الكوفة من قبل زياد بن أبي سفيان قضى في قضيّة، لكنّ المحكوم عليه اشتكى لزياد، فأبطل هذا الأخير هذا الحكم لأنّه رآه ظلما للرجل أو المحكوم عليه [2]. كما حصل أن تمرّد القاضي على الوالي ورفض تنفيذ حكمه. وقع هذا مع نفس القاضي حيث لم يرد شريح طاعة عبيد الله بن زياد في رجل كلّمه فيه ليخرجه من السجن [3].

ولكن يبقى هذا المثال مثالا شاذّا لأنّ المصادر لم تذكر محاولة القضاة الاستقلال في قراراتهم في الفترة التي ندرسها. بل ساهم قضاة الكوفة في فرض إيديولوجيا الدولة الأمويّة حيث شهد شريح ضمن الشهود الذين كلّفهم الوالي زياد بتحميل حجر بن عدي الكندي وأصحابه مسؤولية خلع الطاعة ومفارقة الجماعة [4]. كما ساعد شريح عبيد الله بن زياد في تهدئة مذحج التي هبّت لتخليص هانئ بن عروة المرادي من قبضة الوالي بعد أن حبس لإيوائه ابن عمّ الحسين بن علي. وقد قرّر الوالي قتله وكان شريح مدركا لهذه الحقيقة لكنّه دخل في اللعبة السياسيّة [5].

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 141.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 216 ؛ ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 267.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 308.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 269.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 350-361-367-368.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 57.

نستنتج أنّ قاضي الكوفة كان يخدم المصالح الإيديولوجيّة للدولة الأمويّة. لكنّ المصادر لم تذكر تطوّر هذا الدور الإيديولوجي للقاضي منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ علاقة والي العراق بقاضي الكوفة هي علاقة تعاون وتكامل، إذ يستشير الوالي القاضي إذا عرضت له مشكلة. ويستشير القاضي الوالي إذا صادفته معضلة. وكان زياد بن أبي سفيان لا يقرّر في أمر دون استشارة شريح. كما أنّ زيادا عندما كان يقضي يقول لشريح، الذي كان يجلس معه أن يصلح حكمه إن كان خاطئا [1]. وقد ذكرت المصادر مثالا واحدا استشار فيه قاضي الكوفة الشّعبي بشر بن مروان والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان [2]. نستنتج أنّ هناك ارتباطا وترابطا بين السلطة القضائية والسلطة السياسيّة. لكنّ المصادر لا تذكر تطوّر هذه الظاهرة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

ولم يقتصر عمل بعض قضاة الكوفة على العمل بالكوفة بل تجاوزها إلى أمصار أخرى. فقد كان شريح يقدم إلى البصرة مع زياد ويقضي بها [3]. وأرسل عمر بن هبيرة الشّعبي على البريد لمسلم بن سعيد والي خراسان من قبله [4].

اكتسب قاضي الكوفة سلطات قضائية تتجاوز مصره وهذا يرجع لأهميّة منصبه وبالإضافة إلى ذلك، اجتهد الولاة والقضاة بالكوفة كولاة وقضاة البصرة والخلفاء وقضاة دمشق. فقد كان شريح يقضي ويفتي وهو يستشير مسروق بن الأجدع إذا عجز في الحكم. استنبط شريح الأحكام في إطار منصبه الإداري [5]. وكان الشّعبي قاضي الكوفة من قبل الحجّاج يفتي اعتمادا على القرآن والسنّة. وكان للشّعبي حلقة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 289.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 276.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 5، ص 10.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 172-173.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 235.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 426.
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 251-293.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 138-144-145.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 306.
ابن سلاّم، مصدر مذكور، ص 293.
محمّد بن حسن الشيباني، الآثار، مخطوط عدد 249 بدار الكتب الوطنية، ص 110.

بالكوفة بها أصحاب الرسول، وكانوا يتدارسون الفقه [1]. ساهم الشّعبي في تطوّر الفقه بفضل المجادلات بينه وبين أصحابه في مسائل الدين وكذلك بفضل اجتهاده الشخصي.

وتواصل الاجتهاد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك حيث كان ابراهيم النّخعي قاضي الكوفة من قبل الحجّاج يعطي رأيه في مسائل تخصّ الفرائض والزكاة والزواج والطلاق. وهو يعتبر من أقدم وأول المختصّين في الفقه الإسلامي في آخر القرن الأول الهجري [2]. وكان ابن شبرمة وابن أبي ليلى يفتيان وهما قد تولّيا القضاء بالكوفة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [3]. استنبط قضاة الكوفة أحكاما في إطار منصبهم الإداري قضاة البصرة وقضاة دمشق وبالتالي فهم قد اجتهدوا اعتمادا على القرآن والسنّة. وفي آخر القرن الأول الهجري، أسّس أحدهم وهو ابراهيم النّخعي ما سيعرف فيما بعد بالفقه الإسلامي.

كما أنّ ولاة وقضاة الكوفة كانوا يتّبعون نفس الأحكام التي كان يتّبعها الرسول والخلفاء الأوائل. وهم يشبهون بذلك قضاة دمشق وقضاة البصرة. فقد قضى شريح بالكوفة باليمين مع الشاهد. وأقام الشّعبي الحدّ على رجل بالمسجد-الجامع بالكوفة [4]. خلافا لذلك، فإنّ خالد بن عبد الله لم يقطع يد سارق لتدخّل جارية محبّة له لدى الوالي حتى يعفو عنه. ولا نعرف إن تصدّق خالد بماله الخاصّ لأنّه لم يطبّق هذا الحدّ مثلما فعل الخليفة معاوية. وقد راعى خالد الجانب الإنساني بعدم تطبيقه لهذا الحدّ [5].

اتّبع قضاة الكوفة القرآن وسنّة الرسول لكي يقضوا بين الناس. وتبوّأ كلّ هؤلاء القضاة هذا المنصب الهام لكونهم لديهم تكوين معيّن يمكّنهم من حسن اختيار الأحكام. فقد كان شريحا تابعيّا وروى عن الخليفة عمر بن الخطّاب. وروى أبوبردة بن أبي موسى قاضي الكوفة من قبل الحجّاج الحديث عن أبيه وهو تابعيّ.

---

1) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 421-428.
الشيباني، **مصدر مذكور**، ص 421-427.
الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج 2، ص 219.
2) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 279.
E.I², tII 2 *Fiqh*.
3) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 46.
4) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 310-415.
5) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 77.

وكان الشّعبي تابعيّا حيث أدرك خمسمائة من أصحاب الرسول، فحفظ عنهم الحديث. وكان ابراهيم النّخعي يحفظ الكثير من الحديث [1]. مكّن هذا التكوين قضاة الكوفة أن يكونوا عالمين بالقرآن والسنّة.

كما مكّنهم من تبوّء مهام أخرى إضافة إلى مهمّة القاضي. فقد كان سعيد بن جبير يقصّ بالمسجد-الجامع بالكوفة كلّ يوم مرّتين. وكان الشّعبي عاملا للمظالم بالكوفة لدى بشر بن مروان [2]. كما ارتبطت وظائف أخرى بوظيفة القاضي مثل ما هو الحال بدمشق وبالبصرة. فقد كان لشريح جلوازا أو شرطيّا وهو يقف على رأسه وبيده سوط [3]. ودخل شريح على عبيد الله بن زياد بصحبة الشرط وذلك بعد أن تجمّعت مذحج لتنقذ هانئ بن عروة [4]. وربّما كان الشُرَط يحرسون القاضي من الاعتداءات التي يمكن أن يتعرّض إليها. ولكن هل كانوا قادرين أن يحموا شريحا في مصر مدجّج بالسلاح؟ إنّ هذا الافتراض بعيد عن الواقع، كما أنّ السلاح الذي يستعمله الشُرط بسيط جدّا. كذلك كان للقاضي كاتب وقد كان سعيد بن جبير كاتب القاضي أبي بردة بن أبي موسى.

وتولّى بعض القضاة بالكوفة مهمّة القاضي لمدّة طويلة كشريح الذي تولّى القضاء لمدّة ستين سنة فقد ولاّه الخليفة عمر بن الخطّاب وأقرّه علي بن أبي طالب، كما ولاّه زياد وعبيد الله بن زياد ثم الحجّاج [5]. كما ذكرت المصادر تولّي قاضيين مع بعضهما مهمّة القضاء بالكوفة وهما أبو بردة بن أبي موسى وسعيد بن جبير من قبل الحجّاج وفي خلافة عبد الملك بن مروان [6]. إنّ تبوّء قاضيين لهذه المهمّة هو

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 6-411-421-427-428.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 182-266-279.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 305-312.
ج 7، ص 176-178.
Lammens (H), **Etudes sur Le Siècle des Omaiyades**, p 70.
2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 270.
الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 2، ص 309.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 215.
ج 3، ص 277-320.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 361.
5) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 305، ج 7، ص 178.
ابن حبيب، مصدر مذكور، ص 378.
6) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 411.

دليل على اختصاص كلّ منهما في قضايا معيّنة وقد ذكرت المصادر تولّي قاضيين لهذه المهمّة بدمشق.

تولّى قضاة الكوفة وظائف أخرى إضافة لمنصب القاضي كما أنّ هناك وظائف مرتبطة بالقضاء. إنّ قيام القضاة بمهامّهم جعل الولاة يمنحونهم أرزاقا مثلهم في ذلك مثل القضاة بدمشق والقضاة بالبصرة. فقد رفض مسروق بن الأجدع أن يأخذ على القضاء رزقا وذلك من باب الورع [1]. وكان ابن شبرمة قاضي الكوفة من قبل خالد بن عبد الله يتلقّى مائة درهم [2]. إنّ مقدار الرزق الذي تلقّاه ابن شبرمة يشبه مقدار الرزق الذي تلقّاه إيّاس بن معاوية قاضي البصرة في عهد الخليفة عمر.

ولم توفّر المصادر معلومات عن أرزاق قضاة دمشق لكي نقارن بينها وبين أرزاق القضاة بالبصرة وبالكوفة. كان القضاة بالكوفة يقومون بمهامّهم في مكان معيّن ألا وهو المسجد-الجامع كالقضاة بالبصرة والقضاة بدمشق [3]. إنّ المكان الذي يقضي فيه قضاة الكوفة هو العصب السّياسي والإيديولوجي للدولة الأمويّة بالأمصار. وذكرت المصادر مثالا واحدا للتّوقيت الذي يقضي فيه أحد القضاة بالكوفة وهو شريح حيث كان يقضي في العشيّ [4]. ولم تذكر المصادر معلومات أخرى حول التّوقيت الذي يقضي فيه القضاة بالكوفة في الفترة التي ندرسها. ولم تذكر ذلك بالنسبة إلى القضاة دمشق وقضاة البصرة. كما ذكرت المصادر أسماء القضاة وانتماءاتهم القبليّة.

انتمى أغلب القضاة إلى اليمن، مثل ما هو الحال بالنسبة إلى القضاة دمشق [5]. في مرتبة ثانية، مثّل القضاة مناصب هامّة بالكوفة مثل ما هو الحال بالبصرة. طبّق قضاة الكوفة طبّقوا الأحكام التي كان الرسول والخلفاء الأوائل يتّبعونها لكنّهم استنبطوا الأحكام في إطار منصبهم الإداري، ووضعوا أساس الفقه الإسلامي على يد ابراهيم النّخعي. وسيؤدّي هذا المجهود إلى ظهور "مدرسة" فقهيّة بالكوفة

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 397.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 90.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 316-427.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 6، ص 264-281-304.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 336.
5) Djaït (H), *Les Yamanites à Kufa au 1er siècle de l'Hégire*, p 157-159-161.

وتطوّر الفقه في العهد العبّاسي على يد أبي حنيفة والشافعي [1]. وبالإضافة إلى ذلك، فإنّ المصادر ذكرت معلومات حول القضاء بواسط.

- القضاء بواسط

لم تذكر المصادر معلومات فيما يخصّ القضاء بواسط إلاّ بعض الأسماء للقضاة كأبي السكينة زياد بن مالك السمراى الذي تولّى القضاء في ولاية الحجّاج بن يوسف الثقفي للعراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك. كما تولّى أبو سكينة القضاء في ولاية يزيد بن المهلّب للعراق وخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك ولم تذكر المصادر ما هو الانتماء القبلي لهذا القاضي وما هو تكوينه وما هي أحكامه [2].

كان ابن العدّاء الكندي قاضيا بواسط من قبل عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك. وقد عزل عمر بن هبيرة هذا القاضي لأنّه كان يقبل الرشوة [3]. على هذا الأساس، فإنّ الوالي، والي العراق وخراسان، كان المشرف المباشر على القضاء بواسط وبالتالي كان لديه حقّ عزل القاضي إذا قام بإحدى التّجاوزات. فهل أنّ هذا المثال أي قبول هذا القاضي للرشوة كان مثالا شاذّا أم أنّه كان شاملا لكلّ قضاة واسط؟ إنّ قلّة المعلومات بالمصادر لا تمكّننا من الإجابة عن هذا التساؤل. كما نلاحظ أنّ هذا القاضي ينتمي إلى كندة أي أنّه ينتمي إلى اليمن [4]. وثالث قضاة واسط هو هاشم بن بلال الحبشي [5]. لكن لم يذكر في ولاية من تولّى هذا الشخص القضايا الفقهية والمذاهب الفقهية للعهد العبّاسي.

لم تذكر المصادر تطوّر بعض النقاط كالأرزاق التي يتلقّاها هؤلاء القضاة بالكوفة والبصرة وواسط ولم نعثر إلاّ على معلومات قليلة فيما يخصّ القضاء بواسط.

فكيف كان تنظيم القضاء بخراسان؟

---

1) يوسف شخت، *ثلاث محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي*، ص 97-98-101.
E.I², tII 2 *Fiqh*.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 307.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 315.
4) ابن حزم، مصدر مذكور، ص 425-429.
5) ابن دريد، مصدر مذكور، ص 22.
وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 315.

o القضاء بخراسان

ذكرت المصادر أنّ القضاة بخراسان كانوا كغيرهم من القضاة يتبعون سنّة الرسول والخلفاء الأوائل ويجتهدون في صورة عدم وجود أحكام في القرآن والسنّة. فقد ذكر ابن سعد أنّ يحيى بن يعمر الليثي قاضي خراسان (ولم يذكر ابن سعد في أي فترة تولّى القضاء) كان يقضي باليمين مع الشاهد وضرب جهم بن زحر الجعفي رجلا حدّا لأنّه أتى به سكرانا [1]. كما أنّ يحيى بن يعمر أفتى في حكم ووافقه في ذلك سعيد بن المسيّب مؤكّدا أنّ أصحاب الرسول كانوا يقولون ذلك أو يفعلونه [2].

لكنّ المصادر لم تذكر أحكام القضاة أي اتباع سنّة الرسول والخلفاء الأوائل أو الاجتهاد وتطوّر هذه الأحكام منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما ذكرت المصادر معلومات متفرّقة حول تكوين هؤلاء القضاة. فقد كان يحيى بن يعمر الليثي نحويّا وصاحب علم بالعربيّة والقرآن. وكان عبد الله بن بريدة بن الحصيب الأسلمي تابعيّا وهو ابن الصحابي بريدة بن الحصيب [3]. كما روى حسين بن واقد الحديث عن عبد الله بن بريدة ولم تذكر المصادر في أي فترة تولّى هذا القاضي القضاء بخراسان. كذلك روى يعقوب بن القعقاع الحديث وهو قاضي خراسان من قبل أسد بن عبد الله القسري والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك وهو بدون شكّ لديه علم بالقرآن والسنّة [4]. وعلى العكس من ذلك، فإنّ القاضي الغير متكوّن يعزل كما هو الحال بالنسبة إلى الأبي المبارك الكندي الذي عزله أشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك لأنّه ليس له علم بالقضاء. واستشار هذا الوالي مقاتل بن حيّان وهو شخص روى الحديث ولديه معرفة برجال خراسان - استشاره في تعيين قاض بمرو - فأشار عليه بمحمد بن يزيد فاستقضاه [5].

---

1) والي خراسان من قبل يزيد بن المهلّب والي العراق وخراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 606.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 260.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 305.
3) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 309-310.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 165.
4) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 262.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص42-52.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 264.

ذكرت المصادر الانتماءات القبليّة لهؤلاء القضاة [1]. نستنتج أنّ القضاة ينتمون إلى قبائل متنوّعة ولم يحتكر القضاء أشخاص من نفس الانتماء القبلي. لكنّ المصادر لم تذكر كلّ القضاة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وذكرت المصادر المكان الذي يقضي فيه هؤلاء القضاة.

قد كان يحيى بن يعمر يقضي بالمسجد-الجامع بمرو [2]. كما أنّه كان يقضي في السوق وفي الطريق. وربّما جاءه الخصمان وهو على حمار فيقضي بينهما [3]. وكان عبد الله بن بريدة يطوف القرى على حمار يقضي بين الناس [4]. ولم يكن القاضي يقضي بين أهل مرو فقط بل كذلك بين أهل القرى وهذا دليل على مركزة القضاء بيد قاضي خراسان أو قاضي مرو وربّما كان ذلك لعدم وجود قضاة في القرى، يقضون بين الناس وهذا احتمال أوّل. والاحتمال الثاني هو وجود قضاة بالقرى لكنّ المسائل المحورية يقضي فيها قاضي مرو على شاكلة تنظيم القضاء الفارسي [5].

إنّ عدم توفّر المعلومات بالمصادر لا يمكّننا من الإجابة عن هذه التساؤلات هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، ذكر الطبري أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك ردّ مظلمة عن ورثة حيّان النّبطي حيث أرجع لهم أموالا افتكّها منهم يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك [6]. على هذا الأساس، نستنتج أنّ الخليفة الأموي يتدخّل في شؤون القضاء بخراسان خاصّة في القضايا الهامّة. كما أنّ والي خراسان يقضي في بعض القضايا كإقامة الحدود. بينما يتكفّل قاضي خراسان بأمور أخرى. فالسلطة القضائية مقسومة بين ثلاثة أشخاص : الخليفة والوالي والقاضي مثل ما هو الحال في بقية الولايات.

ولم تذكر المصادر مقادير أرزاق هؤلاء القضاة وطريقة دفعها. كذلك لم تذكر تطوّر القضاء منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 38.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 306.
3) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 260.
وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 305.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 306.
5) كريستنسن، مرجع مذكور، ص 285-286.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 126.

عبد الملك. فلم تذكر المصادر معلومات كثيرة حول تكوين هؤلاء القضاة وأحكامهم (اتّباع سنّة الرسول والخلفاء الأوائل أو الاجتهاد).

ولم تذكر أنّ المصادر رواتب أو أرزاق هؤلاء القضاة وأسماءهم وانتماءاتهم القبليّة ما عدا بعض الأسماء الغير واضح انتماؤها القبلي والفترة التي تولّوا فيها القضاء. كما أنّ هذه المصادر لم تذكر إن كان التنظيم الفارسي للقضاء تواصل في العهد الأموي. على هذا الأساس، لم نستطع أن نضع قائمة للقضاة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. رغم قلّة المعلومات بالمصادر فإنّه يمكننا استنتاج أنّ القضاء بخراسان يشبه القضاء بمركز الخلافة الأمويّة وبالولايات الأخرى.

وقد ذكرت المصادر معلومات متفرّقة عن القضاء ببلاد ما وراء النهر عن القضاء بالمناطق التّابعة لخراسان سعيدأ بن عمرو الحرشي والي خراسان من قبل عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك كلّف قاضي خجندة وهي مدينة تابعة لفرغانة من بلاد ما وراء النهر بالتثبّت من قتل أحد رجال السغد لامرأة من نساء العرب المحتجزات لديهم ففعل القاضي وتأكّد أنّها قتلت [1]. ويدلّ هذا على أنّ قاضي خجندة يخضع لسلطة والي خراسان. كما أنّه يتأكّد من وقوع الجرائم على عين المكان.

كما أنّ كلّ مدينة من مدن بلاد ما وراء النهر كان بها قاضٍ يخضع لسلطة والي خراسان في القرارات الهامّة. لكنّ المصادر لم تذكر معلومات حول اسم هؤلاء القضاة. فقد ذكر الطبري أنّ سليمان بن أبي السري عامل سمرقند على الخراج من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر جُميع بن حاضر القاضي الناجي – وهو قاضي سمرقند – أن يجلس لأهل سمرقند بعد أن طلبوا من الخليفة أن يرجع لهم حقوقهم. فقد احتلّ قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج والي العراق وخراسان في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سمرقند غدرا. على هذا الأساس، أراد أهل سمرقند استرجاع حقوقهم. وقد حكم لهم القاضي بأن يخرج عرب سمرقند إلى معسكرهم فيكون صلحا جديدا أو ظفرا عنوة.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص9.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 347.
كفر السغد ونقضوا العهد الذي بينهم وبين المسلمين فحاربهم سعيد بن عمرو الحرشي وهزمهم ثم اشترط عليهم شروطا من بينها عدم قتل النساء العرب اللّذين بين أيديهم.

إنّ هذا القاضي قضى بين العرب المسلمين وأهل سمرقند وبالتالي حكم لأهل سمرقند. إنّ هذا الحكم ليس غريبا في فترة الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تميّز بسياسة ذات طابع إسلامي. ولم تذكر المصادر الانتماء القبلي لهذا القاضي وتكوينه وأحكامه وأسماء القضاة ببلاد ما وراء النهر من التوسّع الإسلامي في ولاية قتيبة بن مسلم إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

فكيف كان تنظيم القضاء بالحجاز؟

✓ **القضاء بالحجاز**

○ **القضاء بالمدينة**

كان القضاء بالمدينة ممركزا بيد الخليفة الأموي على شاكلة القضاء بعاصمة الخلافة والقضاء بالولايات الأخرى كالعراق وخراسان. استشار أبان بن عثمان بن عفّان والي المدينة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان، هذا الأخير في أقضية عبد الله بن الزبير يمضيها أم يردّها. فوافق الخليفة عبد الملك على إنفاذ أقضيته لأنّه لم يعب عليه هذه الأقضية بل محاولة افتكاك الملك الأموي [1].

حرص الوالي الأموي على استشارة الخليفة في مسألة سياسية وإيديولوجيّة، وطبّق فيما بعد قرار الخليفة. وأخذ سعيد بن زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري قاضي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك مالا من الوالي اغتصبه هذا الأخير وتصدّق به على فقراء المدينة. وأراد الوالي عزل هذا القاضي فلم يستطع.

تدخّل الخليفة يزيد بن عبد الملك لفائدة القاضي وعلى حساب الوالي، ورغم أنّ هذا الأخير يعيّن القضاة لكنّ الخليفة يتدخّل في المسائل الحسّاسة [2]. إنّ هذا الموقف ناتج عن وضعية إدارية معيّنة تتمثّل في تعيين ولاة المدينة لمن أرادوا على القضاء. وكان القاضي لا يقرّر قرارا دون استئذان الوالي. كما أنّ القاضي خاضع للوالي لأنّه ليس له استقلالية في القرار [3]. وفي هذا الإطار، استأذن أبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة من قبل والي المدينة عثمان بن حيّان المرّي في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك في عدم الجلوس للناس في الغد فأذن له الوالي.

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 129-130.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 167-168.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 141.

استشار القاضي والي المدينة واستأذنه للتحصّل على عطلة يومية. كما أنّ محمّد بن صفوان الجمحي قاضي المدينة من قبل خالد بن عبد الملك بن الحارث والي المدينة في عهد الخليفة هشام، قضى لآل الحسين بن علي على حساب خال الخليفة [1]. لكنّ تمركز السلطة القضائية بيد والي المدينة لم يمنع القاضي من إبداء استقلاليته حيث أعجب مروان بن الحكم بحكم عبد الله بن الحارث قاضي المدينة من قبله لأنّه حكم ضدّ آل مروان. فقد أنفذ القاضي الحكم على عبد الله بن حنطب زوج فاطمة بنت الحكم أخت مروان فأرسل الوالي إليه قائلا : "عجلت عليه في القضاء". فأجابه القاضي : "أقضى الله قضاءه عليه قبل قضائي عليه" [2].

كان القاضي بالمدينة كالقضاة بدمشق وبالعراق وبخراسان خاضعا للوالي. وتطوّرت الأحكام بالمدينة نتيجة اجتهاد الولاة والقضاة أو اعتمادهم على اجتهاد الصحابة والعلماء والتابعين. فقد أفتى ابن عبّاس مروان بن الحكم أن لا يقطع يد نابش القبور وطبّق مروان هذه الفتوى [3]. كما جلد أبو بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم قاضي المدينة من قبل عمر بن عبد العزيز والي المدينة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك عبدا قذف حرّا ثمانين جلدة. وقد تجاوز هذا القاضي سنة الخليفة عمر بن الخطّاب التي اتّبعها الخلفاء والولاة من بعده. كان هذا القاضي أحد فقهاء المدينة السبع وبالتالي فقد أثرى هذا الفقيه القضاء باجتهاده [4].

وفي حالات أخرى، يلجأ القاضي إلى فتوى الفقهاء، فقد قضّى أبو بكر بن محمّد أيّاما في البحث عن حلّ للنزاع بين نجاري وفهري كانت بينهما أرضا يستغلاّنها وكلّ شخص لديه نصفها. فطلب أبو بكر بن حزم الفتوى من بعض فقهاء المدينة وهما سعيد بن المسيّب وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام اللّذان حكما بتسليمها للنجاري [5].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 505.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 172-174.
3) الشيباني، مصدر مذكور، ص 89.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 139.
E.I², tII 2 *Fiqh*.
5) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 159.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 574-575.

كان القضاة بالمدينة يستشيرون الفقهاء ويطبّقون فتاويهم. وتبوّأ الصحابة والعلماء والفقهاء والتابعين مكانة هامّة بالمدينة على شاكلة العلماء والفقهاء بعاصمة الخلافة وبالعراق وبخراسان حيث اجتهدوا واستنبطوا أحكاما جديدة طبّقها القضاة بالمدينة ممّا أدّى إلى تطوير القضاء والفقه. وكان لفقهاء المدينة السبع مساهمة أساسية في تأسيس الفقه بالمدينة وهم سعيد بن المسيّب وعروة بن الزبير وأبو بكر بن عبد الرحمن وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وخارجة بن زيد بن ثابت وسليمان بن يسار والقاسم بن محمّد بن أبي بكر [1].

كان هؤلاء الفقهاء أشخاصا متديّنين، وقد تمكّنوا من استنباط أحكام عن طريق مجهودهم الشخصي. كما اجتهد قضاة المدينة في إطار منصبهم الإداري على شاكلة القضاة في عاصمة الخلافة وفي العراق وفي خراسان وبالتالي فقد وفّروا أحكاما للقضاة في العهد العبّاسي. ولم يلتزم القضاة بالمدينة على سنّة الرسول والخلفاء الأوائل وعلى الاجتهاد فقط بل اعتمدوا كذلك على الإجماع أو ما أجمع عليه فقهاء المدينة. إنّ محمّد بن أبي بكر كان يقضي في حالات معيّنة بإجماع فقهاء المدينة ويخالف القرآن والحديث [2].

كما اتّبع الولاة والقضاة بالمدينة أحكاما اتّبعها الرسول والخلفاء الأوائل وبالتالي قد اعتمد الولاة والقضاة على القرآن والسنّة. وهم يشبهون في ذلك القضاة بدمشق وبالعراق وبخراسان. فقد خرجت للناس صكوك في ولاية مروان بن الحكم من طعام الجار فتبايع الناس تلك الصكوك بينهم قبل أن يستوفوها وكلّم زيد بن ثابت وبعض الصحابة مروان قائلين له إن كان يحلّ بيع الرّبا [3]. فأرسل مروان بن الحكم الحرس ينتزعونها من أيدي الناس ويردّونها إلى أهلها [4]. كما حرص مروان بن الحكم على تطبيق الحدود كالعقل والقصاص حتى من ذوي قرباه إن كانوا مخطئين5. فقد لطم عبد الرحمن بن الحكم أخ مروان بن الحكم مولى لأهل المدينة فشكاه هذا

---

1) يوسف شخت، *ثلاث محاضرات*، ص 95.
ابن خيّاط، **طبقات**، ص 424.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 89-132-136-142-159-201.
2) E.I², tII 2 *Fiqh*.
3) البكري، **معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع**، القاهرة 1945، ج 1، ص 355.
4) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 166-167.
5) مالك بن أنس، **مصدر مذكور**، ص 621.

الأخير للوالي فطلب مروان من المولى أن يلطم عبد الرحمن بن الحكم [1]. وحدّ عمرو بن سعيد بن العاص والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية عبد العزيز بن مروان لشربه الخمر [2].

وجلد عمر بن عبد العزيز والي المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفر لأنّه وجده في بيت امرأة [3]. كما اتّبع القضاة سنّة الرسول والخلفاء الأوائل وطبّقوا القرآن والسنّة حيث أجلس أبو هريرة الخصمين إلى جانب بعضهما لأنّها سنّة الرسول [4].

كما كان عبد الله بن الحارث بن نوفل بن عبد المطلب قاضي المدينة من قبل مروان بن الحكم يقضي باليمين مع الشاهد وقضى به أبو بكر بن حزم قاضي المدينة في عهد الخليفة سليمان [5]. كما اتّبع محمّد بن أبي بكر قاضي المدينة من قبل محمّد بن هشام والي المدينة في عهد الخليفة هشام في قضية تتمثّل في رمي غلام لغلام آخر فمات، قضى بقسامة أوليائه قسامة خمسين رجلا [6].

فقد اتّبع هذا القاضي بذلك سنّة الخليفة معاوية بن أبي سفيان. لم يستعمل القضاة في أحكامهم القرآن والسنّة فقط، بل اتّبعوا الأحكام التي طبّقها الخليفة معاوية. وهذا دليل على التواصل والترابط في الأحكام بين فترة الخليفة معاوية وآخر فترة الخليفة هشام.

ولا يعني اتباع هذه الأحكام أنّ الولاة والقضاة بالمدينة كانوا عالمين بكلّ القضايا والمعضلات بل إنّهم اعترضتهم صعوبات، فاستشاروا الصحابة والتابعين. فقد كان مروان بن الحكم والي المدينة في عهد الخليفة معاوية يستشير الصحابة ويجمعهم عندما تعترضه معضلة [7].

---

1) الأصفهاني، مصدر مذكور، ج 13، ص 268.
2) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 6، ص 349.
3) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 184.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 113.
قاضي المدينة من قبل مروان بن الحكم والي المدينة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان.
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 113-118.
6) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 177.
7) ابن كثير، مصدر مذكور، ج 8، ص 258.
مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 197-620.

وأرسل عمر بن عبد العزيز والي المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك رسولا إلى سعيد بن المسيّب يسأله عن مسألة، وسعيد تابعي يعرف "بـــعالم العلماء" و"فقيه الفقهاء" (1). وأخيرا استشار عبد الواحد بن عبد الله بن قنيع النضري والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك أبا الزنّاد في من سيولّيه على القضاء، فاقترح عليه أبو الزنّاد سعد بن ابراهيم فعيّنه الوالي (2).

وكان الولاة والقضاة بالمدينة يستشيرون الصحابة والتابعين والمحدّثين في الأمور التي تستعصى عليهم مثلهم في ذلك مثل الخلفاء والولاة والقضاة بدمشق والعراق وخراسان.

اعتمد قضاة المدينة على القرآن والسنّة واستنبطوا الأحكام بفضل تكوين معيّن. فقد كان عبد الله بن الحارث قاضي المدينة من قبل الخليفة مروان بن الحكم من "صلحاء المسلمين" وفقهائهم، وهذا ما مكّنه من أن يكون "صحيحا في حكمه" (3). كما أنّ نوفل بن مساحق كان من التابعين. وكان سعد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري قاضي المدينة من قبل عبد الواحد بن عبد الله النضري والي المدينة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك، ممّن حمل عنه العلم الكثير (4). كان لقضاة المدينة تكوين معيّن وهو حفظ الحديث أو العلم بما جاء في القرآن والسنّة، وهو تكوين يشبه تكوين قضاة دمشق وقضاة العراق وقضاة خراسان. كما وجدت وظائف مرتبطة بالقضاء بالمدينة حيث كان أبو بكر بن محمّد يقضي بين الناس بالمسجد ومعه حرسيّان، وكان معهم سياط يدفعون الناس بها. كما كان لسعد بن ابراهيم حارس هو شعبة مولاه (5).

وكان هذا الحرسي ينفّذ العقوبة التي ينصّ عليها القاضي. كان هؤلاء الحرّاس ينفّذون عقوبات القضاة ويحرسونهم، لكنّ دورهم محدود. إضافة إلى ذلك، فإنّ القضاة

---

1) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 27.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 91.
2) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 151.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 415.
3) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 113-115.
4) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 125-151.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 82.
5) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 145-158.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 335.

كانوا يتلقّون أرزاقا مقابل خدماتهم. إلاّ أنّ عمر بن خلدة كان لا يرتزق من القضاء شيئا. رفض هذا القاضي أن يتلقّى مرتّبا وهذا الموقف ليس غريبا من هذا القاضي المتديّن [1]. وقد كان المسجد-الجامع بالمدينة المكان الذي يقضي فيه الولاة والقضاة [2]. يشبه قضاة المدينة في ذلك قضاة دمشق والعراق وخراسان. كما ذكرت المصادر الانتماءات القبليّة لقضاة المدينة منذ عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

ينتمي أغلبية القضاة إلى قريش وهذا ليس غريبا بالنسبة إلى المدينة التي يوجد فيها عدد كبير من رجال قريش. ويتنزّل الأنصار في مرتبة ثانية وهذا مرتبط بطبيعة الاستقرار بالمدينة فالأنصار هم سكّان المدينة قبل هجرة الرسول إليها.

اتّبع قضاة المدينة وولاّتها القرآن والسنّة في الحكم بين الناس كما أنّهم اجتهدوا أو استشاروا الفقهاء الذين كوّنوا مدرسة أهل المدينة والتي انحدر منها مذهب مالك بن أنس في القرن الثاني للهجرة.

على هذا الأساس، فإنّ القضاة بالمدينة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ساهموا في تطوير القضاء وفي تطوير الفقه الإسلامي.

فهل تنطبق هذه الاستنتاجات على قضاة مكّة ؟

- **القضاء بمكّة**

ذكرت المصادر معلومات متفرّقة عن القضاء بمكّة، فقد ذكر قاضي ابن الزبير على مكّة وهو عبد الله بن عمير الليثي [3]. وذكر قاضي الطائف من قبل عبد الله بن الزبير وهو عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة [4]. ولم تذكر المصادر إلاّ

---

1) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 132-133.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 213.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 164.
وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 145.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 213-335.
3) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 410.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 300.
4) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 262.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 24.
ابن خيّاط، **طبقات**، ص 492.

قاضيين تولّيا القضاء في العهد الأموي وهما طلحة بن هرم قاضي مكّة من قبل خالد بن عبد الله القسري والي مكّة من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك وداود بن عبد الله الحضرمي قاضي مكّة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز [1].

كما ذكرت المصادر قضيّة واحدة قضى فيها طلحة بن هرم وقد اختصم إليه رجل من بني شيبة يقال له الأعجم مع ابن أخ له في أرض لهما، فقضى للشيخ على ابن أخيه. وكان هذا الأخير متّصلا بخالد بن عبد الله وأقبل إليه وأخبره فحال خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي. فكتب القاضي كتابا إلى سليمان يشكوله خالدا ووجّه الكتاب إليه مع محمّد بن طلحة فكتب سليمان إلى خالد بأن لا يتعرّض للأعجم ولولده. فقدم محمّد بن طلحة على خالد وقال له بأن لا يمسّهم بسوء وأعطاه كتاب الخليفة، فأمر خالد أن يضرب مائة سوط قبل أن يقرأ كتاب الخليفة فبعث القاضي ابنه المضروب إلى الخليفة فأمر هذا الأخير بقطع يد خالد. لكنّ يزيد بن المهّلب تدخّل لفائدته ومع هذا عوقب خالد بضربه مائة سوط [2].

نستخلص من هذه الرواية أنّ الخليفة سليمان بن عبد الملك كان حريصا على تطبيق قرارات القاضي وأحكامه وحماية سلطة القاضي من تجاوزات الوالي.

وعلى هذا الأساس، نلاحظ أنّ القضاء ممركز بيد الخليفة الأموي كما أنّ القاضي لديه استقلالية عن الوالي في أحكامه.لكنّ المصادر لم تذكر تطوّر هذه الظاهرة منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما تطوّر الفقه بمكّة أساسا على يد الصحابي عبد الله بن عبّاس3. لم توفّر المصادر معلومات فيما يخصّ تطوّر القضاء بمكّة منذ عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

فكيف تطوّر القضاء بمصر ؟

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 264.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 428.
2) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 428-429.
3) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 241.
ابن خيّاط، طبقات، ص 29.
E.I², tII 2 *Fiqh.*

o القضاء بمصر

درست المصادر وأساسا الكندي القضاء وتحدّث عن القضاة بمصر في كتابه قضاة مصر إضافة لمصادر أخرى كابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر. وقد بيّنت هذه المصادر أنّ الخليفة الأموي كان ممركزا قضاء مصر بيده حيث كتب الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى سليم بن عتر قاضي مصر من قبل عمرو بن العاص والي مصر من قبله يأمره بالنظر في الجراح وأن يرفع ذلك إلى صاحب الديوان وكان سليم أوّل من نظر في الجراح وحكم فيها. وقد كان الرجل إذا جرح أحضر بيّنة على الذي جرحه فيكتب القاضي بذلك الجرح لصاحب الديوان فإذا أحضر العطاء اقتصّ من أعطيات عشيرة الجارح ما وجب للمجروح ويستخلص ذلك في ثلاث سنين [1].

كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يتدخّل تدخّلا مباشرا في شؤون القضاء بمصر. وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز أيوب بن شرحبيل والي مصر من قبله أن يعيّن عبد الله بن يزيد بن خذامر على القضاء لأنّه يخاف الله [2]. نستنتج أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز تدخّل ليعيّن بنفسه قاضي مصر. وفي نفس هذا السياق أي تمركز السلطة القضائية بيد الخليفة الأموي. نذكر خبرا عن الخليفة هشام بن عبد الملك في عدم إنصاف يحيى بن ميمون الحضرمي ليتيم، فقد ردّ يحيى أمر اليتيم لعريف قومه وعندما بلغ اليتيم تظلّم من العريف للقاضي يحيى بن ميمون، فلم ينصفه هذا الأخير وأتى اليتيم ببيّنة من قومه فشهدوا أنّه مظلوم. فلم يستمع إليه يحيى فهجاه اليتيم في شعر. وعندما بلغ يحيى الشعر سجن اليتيم. وقد سمع الخليفة هشام بالخبر "فعظم ذلك عليه وكتب بصرفه". وأمر هشام واليه على مصر أن يختار قاضيا عفيفا ورعا سليما من العيوب حريصا على حدود الله [3].

نستنتج من هذا أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك كان حريصا على تطبيق الحدود بولاية مصر. لكنّ المصادر لم تذكر فيما يخصّ تطوّر مركزة القضاء بمصر بين الخليفة الأموي منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإنّ والي مصر كان يعيّن ويعزل القضاة مثله في ذلك مثل الولاة في الولايات الأخرى [4]. فقد عزل عبد الله بن عبد

---

1) الكندي، قضاة، ج 1، ص 309.
2) الكندي، قضاة، ج 2، ص 338.
3) الكندي، قضاة، ج 2، ص 341.
4) الكندي، قضاة، ج *1*، ص 328.

الملك والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك عمران بن عبد الرحمن عن القضاء لأنّه شهد عنده على كاتب لعبد الله بن عبد الملك أنّه سكر فأراد حدّه. لكنّ عبد الله بن عبد الملك منعه من ذلك.

وقال عمران بن عبد الرحمن بأنّه لا يقضي إلاّ بعد إقامة الحدّ، فلم يستطع ذلك فعزل [1]. كان والي مصر ممركزا السلطة القضائية بيده ومنع القاضي من تطبيق الحدّ. كما أنّ هذا الأخير أراد تطبيق الحدّ باستقلالية عن الوالي. لكنّ السلطة السياسيّة كان لها الكلمة الأخيرة في النهاية.

ولكنّ المصادر لم تذكر تطوّر مركزة السلطة القضائية بيد والي مصر منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ المصادر ذكرت أنّ قضاة مصر اتّبعوا في أحكامهم القرآن والسنّة على شاكلة القضاة في الولايات الأخرى. فقد ذكر ابن حجيرة الأكبر وهو قاضي مصر من قبل عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان أنّ عمر بن الخطّاب قال لا رضاع بعد فصال ومن مصّ من ثدي فإنّهم يتحارمون [2]. اعتمد ابن حجيرة على الخليفة عمر بن الخطّاب في التّشريع الذي يخصّ العلاقات العائلية (الرضاعة والزواج). كما أنّ توبة بن نمر قاضي مصر من قبل الوليد بن رفاعة والي مصر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كان يقضي بيمين صاحب الحقّ مع شاهده في الشيء اليسير [3].

كان القضاة بمصر يتّبعون في أحكامهم القرآن والسنّة وكذلك سنّة الخلفاء الأوائل. كما تطوّر منصب القاضي بمصر وأصبح منصبا إداريا مثل ما هو الحال بالنسبة إلى اللولايات الأخرى. فقد قضى سليم بن عتر قاضي مصر من قبل عمرو بن العاص بين ورثة اختصموا في ميراث ثم تناكروا فعادوا إليه فقضى بينهم وكتب كتابا بقضائه وأشهد فيه شيوخ الجند. فكان بذلك أوّل القضاة بمصر سجّل سجلاّ بقضائه [4].

---

1) NJ Coulson, *Doctrine and Practise in Islamic Law*, p 214.

2) الكندي، قضاة، ج 1، ص 319.

3) الكندي، قضاة، ج 2، ص 344-355.

وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 231.

4) الكندي، **ولاة**، ص 311.

نستنتج أنّ الكتابة والتدوين في القضاء تطوّرا بمصر في أوّل عهد الدولة الأمويّة لكنّ القضاة بمصر لم يطوّروا الفقه عن طريق الاجتهاد بل اعتمدوا على فقهاء المدينة والعراق والشام. وهذه الظاهرة لا تخصّ القضاء بمصر فقط بل القضاء في كلّ الولايات البعيدة عن عاصمة الخلافة (1). فقد قضى توبة بن نمر قاضي مصر من قبل الوليد بن رفاعة والي مصر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بشهادة الرجل الواحد وقد اعتمد على الزهري للقضاء بين الناس (2). كما اعتمد خير بن نعيم قاضي مصر من قبل حنظلة بن صفوان والي مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك على فقيهي المدينة عروة بن الزبير وسليمان بن يسار للقضاء في ميراث مكاتب (3).

ولم تذكر المصادر إلاّ مثالا واحدا لقاض اجتهد في حكم وهو عياض بن عبيد الله قاضي مصر من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز. فقد كتب هذا القاضي كتابا للخليفة عمر بن عبد العزيز في صبي افترع صبية. فكتب إليه عمر بأنّه لم يبلغه شيء في هذه القضية وأن يقضي فيها برأيه فقضى عياض على الغلام بخمسين دينارا (4).

بقي قضاة مصر طوال الفترة التي ندرسها تابعين لفقهاء المدينة والعراق والشام، فلم يستنبطوا أحكاما جديدة عن طريق الاجتهاد إلاّ في حالات نادرة. كما كان القضاة بمصر يعيّنون من طرف الولاة أو الخلفاء حسب معايير معيّنة. فقد عيّن الخليفة عبد الملك بن مروان مالك بن شراحيل الخولاني قاضيا على مصر لأنّه ساهم في القضاء على ثورة ابن الزبير، كما كان مقرّبا من الخليفة عبد الملك بن مروان (5).

عيّن هذا القاضي لأنّه ركّز أحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة. وتوجد معايير أخرى كاكتساب الشخص لكفاءات خاصّة تؤهّله لكي يصبح قاضيا. فقد كان عابس بن سعيد القاضي وصاحب شرطة والي مصر وإفريقية من قبل الخليفة يزيد بن معاوية

---

1) Djaït (H), La Wilaya d'Ifriqiya, p 104.
2) الكندي، قضاة، ج 2، ص 346.
3) مالك بن أنس، مصدر مذكور، ص 560.
الكندي، قضاة، ج 2، ص 350.
4) الكندي، قضاة، ج 2، ص 334.
5) الكندي، قضاة، ج 1، ص 321 ; وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 225.

مسلمة بن مخلّد ذكيّا وسريع البديهة [1]. كما أنّ هناك معيارا أساسيّا وهو التكوين الذي يتلقّاه القاضي على شاكلة القضاة بعاصمة الخلافة وبالولايات الأخرى. فقد كان سليم بن عتر التجيبي "أحد العبّاد المجتهدين، وكان يقوم في ليله فيبتدأ القرآن حتى يختمه" [2]. وكان ابن حجيرة قاضي مصر من قبل عبد العزيز بن مروان والي مصر في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان عالما بالقرآن والسنّة بشهادة عبد الله ابن عبّاس كما أنّه كان متضلّعا في الفقه [3].

وأخيرا كان خير بن نعيم الحضرمي قاضي مصر من قبل حنظلة بن صفوان الكلبي والي مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك، أفقه قضاة مصر [4]. كان قضاة مصر عالمين بالقرآن والسنّة، كما أنّهم أخذوا الفقه عن فقهاء المدينة والعراق والشام. إنّ التكوين الخاصّ لبعض القضاة سيدفع بالولاة لجمع وظيفة أخرى لهم. فقد ولّى عمرو بن العاص سليم بن عتر على القضاء والقصص، كما عيّن عبد العزيز بن مروان عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني على القضاء والقصص وبيت المال.

وولّى عبد الله بن عبد الملك والي الخليفة عبد الملك بن مروان عمران بن عبد الرحمن على القضاء والشرط. كما كان عياض بن عبيد الله الأزدي قاضي مصر من قبل أسامة بن زيد التنوخي والي مصر في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك عاملا على الهري إلى جانب مهمّة القضاء [5].

تولّى قضاة مصر وظيفة أو وظيفتين إلى جانب القضاء وهذه الوظائف متنوّعة دينية وإيديولوجيّة كالقصص وعسكرية كالشرطة ومالية كبيت المال. إنّ تجانس المقاتلة بمصر أي انتمائهم لقبائل وعشائر يمنية دفع بالوالي لتعيينهم في هذه

---

1) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 234.
الكندي، **قضاة**، ج 1، ص 224.
2) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 224.
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 232.
الكندي، **قضاة**، ج 1، ص 308.
3) الكندي، **قضاة**، ج 1، ص 314-316.
4) الكندي، **قضاة**، ج 2، ص 348.
5) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 225
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 235-238
الكندي، **ولاة**، ص 79
الكندي، **قضاة**، ج 1، ص 315، ج 2، ص 333
NJ Coulson, *Doctrine and Practise in Islamic Law*, p 214.

المناصب الهامّة دون أن يخاف منهم على منصبه. وإن كان جمع الوظائف للقاضي لا يقتصر على مصر بل شمل عاصمة الخلافة والعراق والمدينة. كما كان القضاة بمصر يوظّفون كتّابا حيث ذكر كاتبان في آخر عهد الخليفة هشام.

وكان القضاة يشغلون هذه الوظائف مقابل أرزاق يتلقّونها مثلهم في ذلك مثل القضاة بعاصمة الخلافة وبالعراق وبخراسان وبالحجاز. فقد كان عبد الرحمن بن حجيرة الخولاني على القضاء والقصص وبيت المال، فكان يأخذ رزقه على القضاء مائتي دينار وعلى القصص مائتي دينار وعلى بيت المال مائتي دينار، وجائزته مائتا دينار. وبالتالي فإنّه كان يتلقّى ثمانمائة دينار [1].

وكان عياض بن عبيد الله الأزدي قاضي مصر من قبل أسامة بن زيد التنوخي والي مصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك وعامله على الهري فلم يعزله أسامة وكان يجري عليه رزقهما [2].

ولم يذكر الكندي كم بلغ الرزق الذي يلقّاه عياض. على العكس من ذلك، لم يقبض عبد الله بن يزيد بن خذامر من القضاء درهما ولا دينارا [3]. نستنتج أنّ المصادر لم تذكر تطوّر مقادير الأرزاق التي كان القضاة بمصر يتلقّونها منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّ مقادير الأرزاق المذكورة تشبه أرزاق القضاة بالولايات الأمويّة الأخرى. إضافة إلى ذلك، فإنّ المصادر ذكرت المكان الذي كان يقضي فيه قضاة مصر. فقد كان خير بن نعيم قاضي مصر من قبل حنظلة بن صفوان والي مصر في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يقضي في المسجد بين المسلمين. ثم يجلس على باب المسجد بعد العصر فيقضي بين النصارى أي الأقباط. كما كان لخير بن نعيم مجلس على الطريق على باب داره فكان يجلس فيه فيسمع ما يجري ما بين الخصوم من كلام [4].

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 225
ابن عبد الحكم، فتوح، ص 235
الكندي، قضاة، ج 1، ص 317.
2) الكندي، قضاة، ج 2، ص 333.
3) الكندي، قضاة، ج 2، ص 339
قاضي مصر من قبل أيوب بن شرحبيل والي مصر في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز.
4) الكندي، قضاة، ج 2، ص 351.

نستنتج أنّ المسجد – الجامع هو المكان الذي يقضي فيه قضاة مصر (أو على الأقلّ هذا القاضي في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك) وكذلك قضاة دمشق والعراق وخراسان والمدينة. كما أنّ هذا القاضي لم يقض فقط بين المسلمين بل كذلك بين النصارى. لكنّ المصادر لم تذكر المكان الذي يقضي فيه قضاة مصر منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك هذا من ناحية، لكن من ناحية أخرى، فإنّ المصادر ذكرت الانتماء القبلي لقضاة مصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

ينتمي أغلبية القضاة في هذه الفترة إلى قبائل وعشائر يمنية وهذا يرجع لاستقرار القبائل اليمنيّة بمصر منذ التمصير. وكان أحد هؤلاء القضاة اليمنيين وهو يونس بن عطية من سادات حضرموت أي أنّه ينتمي إلى النخبة القبليّة [1].

وهكذا اتّبع قضاة مصر منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك في أحكامهم القرآن والسنّة وسنّة الخلفاء الأوائل لكنّهم لم يستنبطوا أحكاما جديدة ولم يجتهدوا بل اعتمدوا على فتاوي واجتهاد فقهاء المدينة والشام والعراق.

فهل تنطبق هذه الاستنتاجات على القضاء بإفريقية ؟

- **القضاء بإفريقية**

لم تذكر المصادر معلومات مفّصلة عن القضاء بإفريقية منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ولقد اعتمدنا على دراسة هشام جعيّط لولاية إفريقية. كان الولاة الأمويّون يعيّنون القضاة وكانوا يحتكرون السلطة السياسيّة [2]. فقد عيّن موسى بن نصير أبا الجهم عبد الرحمن ابن رافع التنوخي [3]. لكنّ الخلفاء كانوا ممركزين السلطة القضائية بإفريقية مثل الولايات الأخرى.فقد عيّن الخليفة عمر بن عبد العزيز عبد الله بن المغيرة بن أبي بردة قاضيا

---

1) الكندي، قضاة، ج 1، ص 322-323.

2) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 100-101.

3) المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيراون وإفريقية وزّهادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، بيروت 1983، ج1، ص110 "من فضلاء المؤمنين روى عن جماعة وروى عنه جماعة. سكن القيروان وانتفتع به خلق كثير. وهو أول من استقضي بها بعد فتحها ولاّه عليها موسى بن نصير سنة ثمانين من الهجرة وهو أحد العشرة التابعين.

على إفريقية [1]. إنّ السلطة الدينية للقاضي وتدخّل الخليفة الأموي في شؤون القضاء، تركا للقاضي بإفريقية نوعا من الاستقلالية تجاه الوالي [2]. ذكرت المصادر معلومات متفرّقة عن القضاء بالقيروان فقد كان القاضي يقضي بين الناس في المسجد-الجامع، وكان للقاضي خاتم خاصّ وديوان [3].

كما كان له أعوان وموظّفون، ويبدو أنّ القضاة لم يكونوا يتلقّون أرزاقا. كان الولاة يوزّعون عليهم هبات وفي بعض الحالات يتلقّون هدايا من الناس الذين يقضون بينهم هذا من ناحية [4]، ومن ناحية أخرى لم تذكر المصادر أنّ قضاة إفريقية منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك قد اجتهدوا وساهموا في تطوير الفقه الإسلامي. على هذا الأساس، بقي المغرب الإسلامي خاضعا للمشرق الإسلامي في مستوى الفقه [5].

كما ذكرت المصادر أسماء القضاة بإفريقية من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. إنّ المصادر لم تذكر إلاّ الانتماء القبلي لقاضيين كما أنّها ذكرت تعيين الخليفة هشام بن عبد الملك لقاضي الجند وهو ليس بقاضي المقاتلة بل هو قاضي الولاية وربّما كانت لديه مهامّ معيّنة لكنّ المصادر لم تذكرها [6].

كان القضاء بإفريقية ممركزا بيد الخليفة الأموي مثل ما هو الحال في كلّ الولايات. وكان الوالي يحتكر السلطة القضائية في الولاية. لكنّ المصادر لم تذكر يخصّ أحكام هؤلاء القضاة واجتهادهم في هذه الأحكام منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

وهكذا فإنّ القضاة بعاصمة الخلافة الأمويّة وببعض ولايات أساسا العراق والمدينة استنبطوا الأحكام في إطار منصبهم الإداري وساهموا في تأسيس الفقه الإسلامي. وفي نفس الوقت، اتّبعوا القرآن والسنّة النبوية وسنّة الخلفاء الأوائل

---

1) المالكي، مصدر مذكور، ص 82.

Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 99. (2

3) المالكي، مصدر مذكور، ص 100-111.

4) المالكي، مصدر مذكور، ص 100.

Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 103.

Ibid, p 104. (5

6) المالكي، مصدر مذكور، ص 75.

Irit Bligh-Abramski, *The Judiciary as a Gouvernmental Tool in Early Islam*, p 45.

فساهموا بذلك في ظهور المذاهب الفقهية في العهد العبّاسي. على هذا الأساس، نستنتج أنّ هناك ولايات ساهمت مساهمة أساسية في تطوّر القضاء والفقه منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وهي عاصمة الخلافة الأمويّة دمشق والعراق والمدينة. بينما انعدم اجتهاد القضاة في الولايات الأخرى كمصر وإفريقية.

وأخيرا، فإنّ القضاء في العهد الأموي كان متّصلا وبالفترة الإسلامية الأولى أي فترة الرسول والخلفاء الأوائل. وكان يمثّل استمرارها لكنّه كان مرتبط بالقانون العرفي العربي القديم – الذي تضمّن كثيرا من العناصر الدخيلة من روميّة وبابلية ويمنية الذي ظلّ يسير في الإسلام سيره الطبيعي ودخلت عليه بعض التغييرات لتلائم بينه وبين الظّروف الإقليمية للعرب (1).

فهل حدثت نفس هذه التأثيرات بالنسبة إلى التنظيم الجهوي؟

8- التنظيم الجهوي

(أ) التنظيم الجهوي بعاصمة الخلافة وبالولايات

✓ التنظيم الجهوي بعاصمة الخلافة

انقسم الشام في العهد الأموي إلى أجناد، والجند هو لفظ فارسي يعني مجموع العسكر (2). وأطلق "الجند" على ولايات الشام منذ عهد الخليفة أبي بكر الصدّيق الذي أسّس بالشام أربعة أجناد وهي جند حمص ودمشق والأردن وفلسطين (3).

وذكر البلاذري أنّ المسلمين سمّوا فلسطين جندا لأنّه جمع كَورًا وكذلك دمشق والأردن وحمص مع قنسرين (4). وأعطى البلاذري مفهوما للجند فقال" إنّ كلّ

---

1) Tyan (E), **Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam**, T 1, p 99, **E.I², tII 2** *Fiqh*.

2) Irfan Shahid, *Heraclius and the theme System : New light from the arabic* **Byzantion Revue Internationale des Etudes Byzantines** LVII 1987, pp 391-401.
E.I², tII 2 *Djund*.

3) **E.I²**, tII 2 *Djund*.

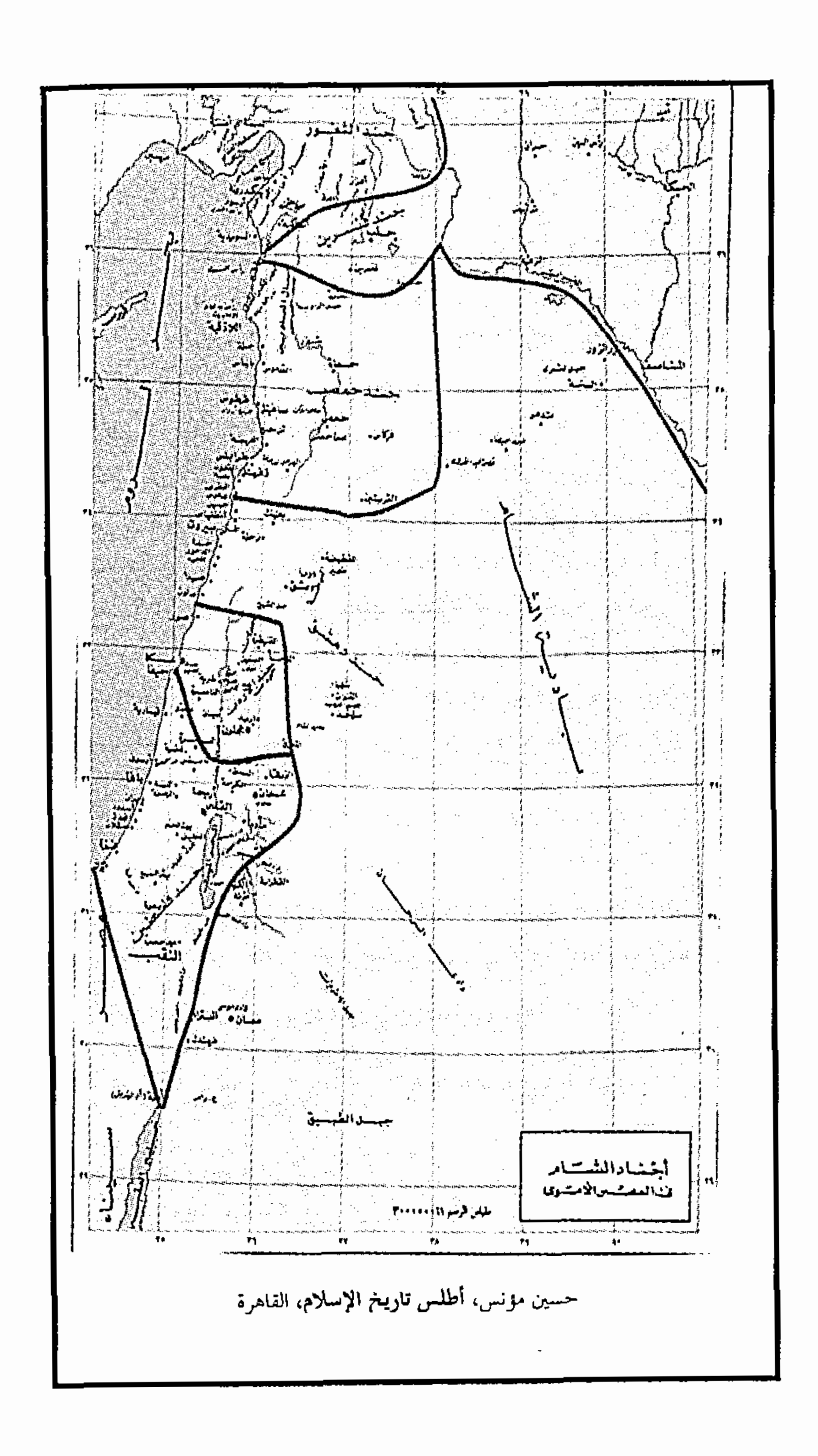
4) البلاذري، فتوح، ص 180.
إنّ الكورة هي وحدة إدارية داخل ولاية وهي ترجع لأصل يوناني. واختلف مفهوم الكورة حسب الجغرافيين حيثُ ذكر ابن خرداذبة أنّ في حمص بالشام هناك كور وأقاليم وهما لفظان يعنيان نفس الشيء. لكنّ كلّ الجغرافيين اتفقوا على أنّ الإقليم هو الجهة أو الولاية. وداخل الولاية يوجد كور وداخل الكور يوجد الطسّوج أو الرستاق .
E.I², tI *Kura*.

ناحية يقبض فيها الجند أعطياتهم من خراجها تسمّى جندا". حافظ العرب المسلمون بعد الانتشار الإسلامي بالشام على التنظيم الإداري البيزنطي المعروف بـ"Thèmes".

أسّس هذا التنظيم الجهوي العسكري قبل الانتشار العربي لمواجهة هجومات الفرس. فأقرّ الجند بأربعة ولايات أو Thèmes وهي ولايات حمص ودمشق والأردن وفلسطين [1]. وحافظ الخلفاء الأمويّون على التنظيم وأحدثوا عليه بعض التغييرات حيث أسّس الخليفة يزيد بن معاوية جند قنسرين بعد أن كانت هذه الأخيرة تابعة لجند حمص وعاصمة قنسرين أو قصبتها حسب المقدّسي هي حلب [2]. وانقسمت قنسرين إلى ستّة كور منها معرّة مصرين وكورة حلب [3]. أسّس الخليفة يزيد بن معاوية هذا الجند حتّى يراقب القيسيين ويحدّ من الصراعات القبليّة التي ازدادت حدّة بعد موت الخليفة معاوية بن أبي سفيان [4]. وكانت الجزيرة الفراتية تابعة لقنسرين فجنّدها الخليفة عبد الملك بن مروان أي جعلها مستقلّة فصار جندها يأخذون أعطياتهم من خراجها [5]. وذكر الجغرافيون العرب الأجناد والكور التي تكوّنها. فقد كانت عاصمة جند حمص حمص نفسها. ويتكوّن هذا الجند من ستّة وثلاثين كورة [6]. وكانت عاصمة جند دمشق دمشق نفسها وهو يتركّب من واحد وعشرين كورة تقريبا [7].

---

1) G. Ostrogorsky, Idem, p 164.
Irfan Shahid, *Heraclius and The Theme System Further Observations*, **Byzantion** LIX 1989, pp 208-243.
2) المقدّسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن 1906، ص 154-155.
الاصطخري، **مصدر مذكور**، ص 46.
Henri Lammens, **Le Califat de Yazid 1er**, Beyrouth 1921, pp 441-442 .
E.I², tIV 2 *Yazid B Mu` wiya.*
E.I², t 2 *Djund.*
E.I², tIV 1 *Al-Sha'm.*
3) ابن خردانبة، **المسالك والممالك**، ليدن 1889، ص 75.
4) Lammens (H), **Le Califat de Yazid 1er**, p 451.
5) البلاذري، **فتوح**، ص 180.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 134-135.
6 ابن خردانبة، **مصدر مذكور**، ص 154.
اليعقوبي، **كتاب البلدان**، النجف د ت، ص 81.
7 ابن خردانبة، **مصدر مذكور**، ص 77.



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة

واحتوى جند الأردن على ثلاث عشر كورة وعاصمة هذا الجند هي طبرية [1]. تركّب جند فلسطين من تسعة كور وعاصمة هذا الجند هي الرملة [2].

ورث الخلفاء الأمويّون التنظيم الجهوي للشام عن البيزنطيّين. لكنّهم أضافوا أجنادا جديدة كقنسّرين والجزيرة نظرا لظهور ظروف جديدة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية والخليفة عبد الملك بن مروان. لكنّ المصادر لم تذكر إن تطوّر هذا التنظيم من عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

فهل كان تنظيم الأجناد يشبه التنظيم الجهوي في الولايات؟

✓ **التنظيم الجهوي بالولايات**

o **التنظيم الجهوي بالعراق**

حافظ العرب المسلمون بعد انتشارهم بالعراق على التنظيم الجهوي الفارسي القديم [3]. وأبقى الأمويّون على التقسيمات الإدارية الفارسية وأسماءها وهي الأستانات والكور والطساسيج. إنّ الإستان هو اللفظ الفارسي للكورة. وينقسم الإستان إلى عدّة رساتيق ويحتوي الرستاق على عدّة طساسيج. وينقسم الطسّوج بدوره إلى عدّة قرى [4].

كان العراق مقسّما إلى اثني عشرة وحدة أو كورة أو إستان. ويتكوّن كلّ منها من وحدات أصغر تسمّى الطساسيج ويحتوي كلّ طسّوج على عدد من الرساتيق [5].

كانت هذه التقسيمات الإدارية في نفس الوقت وحدات جبائية [6]. وحافظت الإستانات على أسماءها القديمة وهي أسماء حكّام العراق قبل الانتشار الإسلامي.

---

1) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 79.
المقدّسي، **مصدر مذكور**، ص 155.
2) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 78.
المقدّسي، **مصدر مذكور**، ص 155.
الاصطخري، **مصدر مذكور**، ص 43-44.
3) كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 128-129.
العلي، **دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولى**، ص 155-156.
4) **E.I², tV1**, *Kùra.*
5) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 5-15.
العلي، **دراسات في الإدارة**، ص 179.
6) العلي، **مرجع مذكور**، ص 179.

وكانت أسماء الطساسيج الستّين متنوّعة. فمنها من هي مسمّاة بأسماء أعجمية للأماكن كروستقباذ مثلا. ومنها المسمّاة بأسماء حكّام العراق قبل الإسلام كسابور مثلا. وهناك طساسيج مسمّاة بأسماء أنهار كنهر جوبر وأخرى مسمّاة بأسماء عراقية لمواقع وأنهار كمسكن وأخرى مسمّاة بأسماء عربيّة كعين التمر [1]. وحافظ المشرق أو المناطق التّابعة للكوفة والبصرة من العالم الإيراني على التّقسيمات الإدارية الفارسية مثل العراق [2].

حافظ الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك على التنظيم الإداري الفارسي. وهذا دليل على إعجاب الأمويّين بهذا التنظيم وخدمته لمصالحهم خاصّة الجبائية.

فهل حافظت الولايات الأخرى على التّنظيم الإداري القديم الفارسي أو غيره؟

- **التنظيم الجهوي بالموصل**

إنّ الموصل هي القاعدة الإدارية للجزيرة الفراتية. مصّرها الخليفة عمر بن الخطّاب سنة 20 هـ وأسند لها الخلفاء الأمويّون أهميّة خاصّة نظرا لكونها منفذا لجيوش الروم إلى بلاد الشام والعراق، وهي متّصلة بأرمينية وأذربيجان [3]. لذلك ألحقها مروان بن محمّد بالأمصار العظام، وكاد أن يجعلها عاصمة لحكمه [4]. وحافظت الموصل على التقسيم الإداري الساساني وكانت مقسّمة إلى ثماني عشر كورة منها تكريت ونينوي [5]. وانقسمت الجزيرة إلى ديار ربيعة التّي احتوت على خمسة كور منها نصيبين وديار مضر التي انقسمت إلى ثماني كور كالرقة وحرّان6.

- **التنظيم الجهوي بخراسان**

كانت خراسان في العهد الساساني مقسّمة إلى أربعة أقسام إدارية يحكم كلّ قسم منها مرزبان : ربع إلى مرزبان مرو الشاهجان وأعمالها وربع مرزبان بلخ

---

1) العلي، **مرجع مذكور**، ص 180.
2) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 2-45 الجبل والسواد مثلا تابعان للكوفة والأهواز تابع للبصرة.
3) البلاذري، **فتوح**، ص 464.
4) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 5، ص 223.
5) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 94.
عبد الماجود أحمد السلمان، **الموصل في العهدين الراشدي والأموي**، بغداد، 1985، ص 139.
6) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 95.
الاصطخري، **مصدر مذكور**، ص 54.

وطخارستان وربع مرزبان هراة وبوشنخ وباذغيس وسجستان وربع مرزبان ما وراء النهر [1]. وبعد الانتشار الإسلامي، حافظت خراسان على هذا التقسيم الإداري حيث عيّن زياد بن أبي سفيان والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان عمّالا على الأربعة أرباع. تولّى أمير بن أحمر مرو وعيّن قيس بن الهيثم على مرو الرّوذ والطالقان والفارياب. وتولّى خليد بن عبد الله الحنفي أبرشهر. وعيّن نافع بن خالد الطاحي على هراة وباذغيس وبوشنخ وقادس [2]. وكانت ولاية ما وراء النهر بلاد الهياطلة تابعة لوالي خراسان وأصبحت ولاية سجستان ولاية مستقلّة بذاتها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بعد أن كانت تابعة لخراسان [3].

على هذا الأساس، فإنّ تنظيم الكورة أُدخل إلى خراسان في فترة متأخّرة [4]. وبقي تنظيم الأرباع بخراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك. وأدخل عمر بن هبيرة الفزّاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك تنظيما جديدا داخل تنظيم الأخماس. فقد أمر عامله على خراسان مسلم بن سعيد أن يتّخذ عمّال العذر. ويقع اختيار كلّ واحد منهم من طرف أهل ذلك البلد "فإن كان خيرا كان لك وإن كان شرّا كان لهم دونك، وكنت معذورا" [5]. إنّ عمّال العذر كانوا يختارون من السكّان المحلّيين وهم يلعبون دور الوساطة بين السلطة الأمويّة التي يمثّلها والي خراسان والسكّان المحلّيين. وقد حمّلهم عمر بن هبيرة المسؤولية كاملة حتّى لا يأخذ الوالي (والي خراسان) بمساوئ السياسة الأمويّة. حافظ الخلفاء والولاة الأمويّون على التنظيم الجهوي الفارسي لأنّه كان يخدم مصالحهم.

فهل كان التنظيم الجهوي بالحجاز يشبه هذا التنظيم بخراسان؟

---

1) قحطان عبد الستّار الحديثي، **أرباع خراسان**، البصرة 1990، ص 19.

2) البلاذري، **فتوح**، ص 576.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 350-351.

3) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 351.

الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 320.

4) ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 39.

قحطان عبد الستّار الحديثي، **مرجع مذكور**، ص 23-24.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 35.

ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 19.

- التنظيم الجهوي بالحجاز

لم تذكر المصادر وجود تنظيم الكور بالحجاز [1]. وكانت ولاية الحجاز تنقسم إلى ثلاثة مناطق : ولاية المدينة وولاية مكّة وولاية الطائف. وكان الخلفاء الأمويّين يجمعون الحجاز لوال واحد أو يعيّنوا وال على كلّ ولاية وذلك طيلة الفترة الممتدّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

فهل كان التنظيم الجهوي باليمن مشابها للتنظيم الجهوي بالحجاز؟

- التنظيم الجهوي باليمن

انقسمت اليمن من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك إلى ثلاثة أعمال : عمل صنعاء وعمل الجند وعمل حضرموت [2].

وكان الخلفاء الأمويّين يجمعون أحيانا عمل صنعاء والجند لوال واحد أو أنّهم كانوا يربطون ولاية اليمن بولاية العراق كما حدث بالنسبة إلى اللحجّاج بن يوسف الثقفي [3]. ولم يحدث الخلفاء الأمويّون تغييرا آخر بولاية اليمن من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

فهل كان التنظيم الجهوي بمصر مشابها للتنظيم الجهوي باليمن؟

- التنظيم الجهوي بمصر

كانت مصر قبل الانتشار الإسلامي خاضعة للتقسيم الإداري البيزنطي [4]. وأبقى المسلمون على التقسيم الإداري المتمثّل في كور. وتشبه مصر في ذلك العراق والشام. تنقسم مصر إلى قسمين : الصعيد بالجنوب وأسفل الأرض بالشمال. ويحتوي الصعيد على عشرين كورة ويحتوي أسفل الأرض على ثلاث وثلاثون كورة [5].

---

1) ابن خردانبة، **مصدر مذكور**، ص 128-134.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 2، ص 218-219.

2) ابن خردانبة، **مصدر مذكور**، ص 136-144.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 5، ص 447-448.
Daghfous Radhi, **Le Yaman Islamique des Origines jusqu'à l'avènement des Dynasties Autonomes (I-III Siècles/ VII-IX Siècles)**, Tunis 1995, T II, p 580.

3) Daghfous Radhi, **Idem**, T II, pp 588-602

4) Bréhier (L), **Les Institutions de l'Empire Byzantin**, T1, p 166.

5) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 5، ص 139.

وحافظ الخلفاء الأمويّون على هذا التقسيم الإداري البيزنطي. كما أبقوا الموظفين الأقباط أو الموازيت وهم رؤساء الكور في وظائفهم. لكنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز أمر بنزع هؤلاء الموازيت واستعمل المسلمين عليهم [1].

حافظ الخلفاء الأمويّون إلى عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك على موظفين أقباط على رأس الكور نظرا لبقاء الكثير من الأقباط على دينهم المسيحي. كما أنّ الخلفاء الأمويّين كانوا ربّما منشغلين بالانتشار وبتنظيم الدولة من الناحية الإدارية والمالية. وسعى الخليفة عمر بن عبد العزيز لتركيز الإسلام على مستوى التنظيم الجهوي.

فهل كان التنظيم الجهوي بإفريقية يشبه التنظيم الجهوي بمصر؟

التنظيم الجهوي بإفريقية :

إنّ ولاية إفريقية تأسّست سنة 55 هـ وبعد محاولات عديدة من طرف عقبة بن نافع الفهري والي إفريقية من طرف الخليفة معاوية بن أبي سفيان لفرض الإسلام بالمزاق بالإضافة لاختطاطه القيروان [2].

وكانت ولاية إفريقية أو المغرب بصفة عامّة مرتبطة بولاية مصر حيث جمع الخليفة معاوية بن أبي سفيان لمسلمة بن مخلّد خراج وصلاة مصر والمغرب. إنّ مصر هي الولاية الأمّ بالنسبة إلى الإفريقية نظرا لأنّها أرض جهاد لها [3]. ولم تستقلّ إفريقية عن مصر إلاّ بعد أن توسّعت في الأندلس [4].

وقد ورث العرب المسلمون أو الأمويّون التنظيم الجهوي البيزنطي الذي يتميّز بطابعه العسكري الدفاعي [5]. ووقع المحافظة على الوحدات الإدارية الكبرى

ابن خردانبة، **مصدر مذكور**، ص 81-82.

المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 737.

1) الكندي، **ولاة**، ص 90.

2) البلاذري، **فتوح**، ص 320.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 229.

3) الكندي، **ولاة**، ص 60-61.

Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 81.

4) Djaït (H), *Idem*, p 85.

5) Djaït (H), *Idem*, p 94.

كالبروقنصلية والمزاق الذين أصبحتا تمثّلان ما يعرف بإفريقية وطرابلس والزاب التي تشمل ما يعرف بنوميديا في العهدي البيزنطي والروماني والسوس الأدنى والسوس الأقصى [1].

تبقى دراسة تطوّر التنظيم الجهوي منقوصة لسكوت المصادر. وذكر الجغرافيون العرب أنّ الكورة هي الوحدة الأساسية في التنظيم الجهوي بإفريقية حيث ذكر ابن خرداذبة كورة تونس وذكر اليعقوبي عمل بجاية وتحدّث ابن عذاري عن كور إفريقية [2]. وكان عامل الكورة ممثّل السلطة الأمويّة حيث يجمع الخراج ويحرص على الأمن [3]. واقترح هشام جعيّط تقسيما إداريّا للمغرب في عهد الولاة.

التقسيم الإداري بالمغرب في عهد الولاة [4]

1. جهة إفريقية (البروقنصلية والمزاق)	المركز : القيروان
الكور	مركز إقليم
تونس	تونس
جزيرة شريك	نوبة
باجة	باجة
صطفورة	صطفورة
طبرقة	طبرقة
القيروان	القيروان
قمودة	منكورة
قسطيلية	توزر

1) Djaït (H), *Idem*, p 97.
انظر جدول التقسيم الإداري بالمغرب في عهد الولاة.
2) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 102.
ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 132.
ابن خرداذبة، **مصدر مذكور**، ص 87.
3) Djaït (H), *Idem*, p 96.
4) Djaït (H), *Idem*, p 96-97-98.

1. جهة إفريقية (البروقنصلية والمزاق)	المركز : القيروان
قفصة	قفصة
قابس	قابس
نفزاوة	بشري
2. طرابلس	**المركز : طرابلس**
طرابلس	طرابلس
لبدة	لبدة
سرت	سرت
فزان	قرمة
زويلة	زويلة
3. الزاب	**المركز : طبنة**
ميلة	ميلة
بجاية	بجاية
سطيف	سطيف
نقاوس	نقاوس
مقرّة	مقرّة
بلزمة	بلزمة
4. السوس الأدنى	**المركز : طنجة**
5. السوس الأقصى	**المركز : طرقلة**

- **التنظيم الجهوي بالأندلس**

كانت الأندلس ولاية تابعة لإفريقيّة إداريّا ويختار والي إفريقيّة حاكمها. واستمرّ ذلك معظم عصر الولاة. وقد ضُبط التنظيم الجهوي بالأندلس سنة 125هـ/743 م في خلافة هشام بن عبد الملك [1] على يد الوالي الحسام بن ضرار بن سلامان الكلبي (أبو الخطّار).

1) ابن الأبّار، كتاب الحلة السيرّاء، القاهرة 1963، ص61-62-63.
ابن الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، القاهرة 1973، ج1، ص102-103.

وقُلّد هذا التنظيم عن الأجناد thèmes بالشام عاصمة الخلافة وتواصل هذا التنظيم في فترة الخلافة الأموية. ويبدو أنّ هذا التنظيم جاء لحسم الصرّاع الذي كان دائرا بين الداخلين على يد موسى بن نصير – الداخلون هم البلديّون– والداخلون بعدهم مع بلج بن بشر القشيري المسمّون بالطالعة البلجيّة سنة خمس وعشرين ومائة [1].

وكان البلديّون يطالبون البلجيّة بالخروج عن بلدهم الّذين فتحوه لأنّه حسب اعتقادهم "لا يحملهم وإيّاهم" [2].

أنزل أبو الخطّار في كورتي أكشونبة وباجة (جنوب البرتغال العالي) جند مصر مع البلديّين الأول، وأُنزل باقيهم في كورة تدمير (جهة مرسية). وأنزل في كورة شذونة [3] والجزيرة جند فلسطين، وأنزل في كورة ريّة [4] جند الأردن، وأنزل في كورة إلبيرة [5] جند دمشق، وأنزل في كورة جيّان [6] جند قنسرّين، وأهل حمص بإشبيليّة [7]. وقد ساعد هذا التنظيم العسكري الاقليمي المقاتلة على الاستقرار بالأندلس إلى جانب تشابه جغرافيا البلاد وخصبها مع الشام.

حافظت إفريقية والمغرب والأندلس على التنظيم الجهوي البيزنطي كما أنّها كانت متكوّنة من كور كولايات العراق والشام ومصر. وتواصل هذا التنظيم من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وحافظ الخلفاء الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن

E. Lévi-Provençal, **Histoire de l'Espagne musulmane**, Paris 1999, T1, p 48.

1) ابن الخطيب، **مصدر مذكور**، ج1، ص102.

2) ابن الخطيب، **مصدر مذكور**، ج1، ص102.

3) شذونة مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس وهي منحرفة عن موزور إلى الغرب مائلة إلى القبلة.
ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج3، ص329.

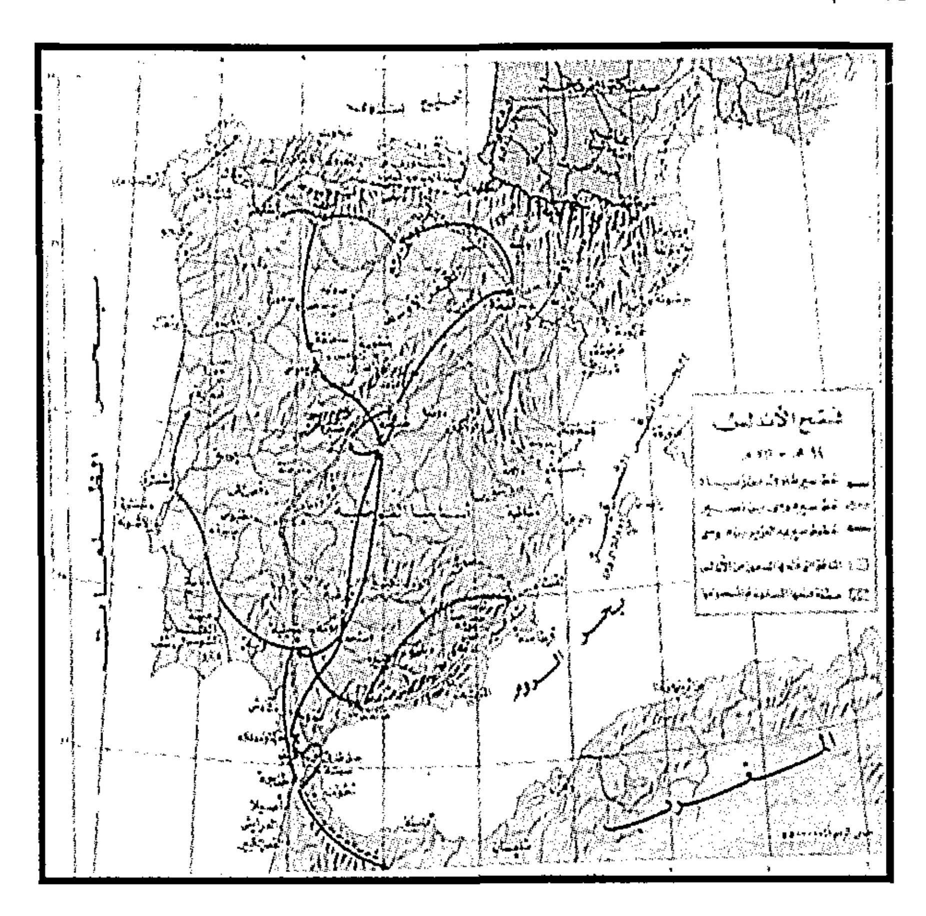
4) ريّة : اسم كورة عاصمتها أرشذونة حسب ابن القوطيّة. وقد اختفت الكورة في عهد الطوائف.

5) إلبيرة : جهة غرناطة.

6) جيّان : مدينة لها كورة واسعة بالاندلس تتصل بكورة إلبيرة مائلة عن إلبيرة من ناحية الجوف في شرقي قرطبة بينها وبين قرطبة سبعة عشر فرسخا.... وكورتها متّصلة بكورة تدمير، وكورة طليطلة، ياقوت الحموي الحموي، **مصدر مذكور**، ج2، ص195.

7) إشبيلية : "مدينة كبيرة عظيمة... تسّمى حمص أيضا... وإشبيلية قريبة من البحر يطلّ عليها جبل الشرف... وهي على شاطئ نهر عظيم... يقال له وادي الكبير".
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج1، ص195.

عبد الملك حافظوا على التنظيم الجهوي البيزنطي أو الفارسي بالشام والعراق وخراسان ومصر وإفريقية والأندلس. يرجع الإبقاء على هذا التنظيم لتماشيه مع الإيديولوجيا الأمويّة وفي إطار هذا التنظيم الجهوي ظهرت علاقات معيّنة بين الخلفاء وولاتهم.



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص 123

(ب) علاقة الخليفة بولاّته

كان الخليفة الأموي يربط علاقات معينة مع ولاّته. فمن ناحية، كان الخليفة تربطه بولاّته علاقة صداقة ومن ناحية أخرى كان يتّبع معهم بعد عزلهم إجراءات إدارية وهي المقاسمة أو الاستكشاف. وقد ذكرت المصادر أسماء ولاة أجناد الشام حيث توجد عاصمة الخلافة.

يبدو أنّ ولاة أجناد الشام ينتمون أساسا لقبائل وعشائر يمنيّة ولقريش خاصّة البيت الأموي.

وعيّن الخلفاء الأمويّون أبناءهم أو إخوتهم كولاة بأجناد الشام. ويرجع هذا التعيين لتمرين الأمويّين خاصّة أولياء العهد على الحكم. كما أنّ تعيين أشخاص من قبائل يمنية يعود لتعويل الخلفاء الأمويّين على أهل اليمن بالشام والذين يمثّلون السكّان بالشام. ولم تذكر المصادر ما هي علاقة الخلفاء الأمويّين بولاة أجناد الشام.

وقد ركّزت المصادر دراستها على علاقة الخليفة الأموي بولاة العراق نظرا لأهميّة هذه الولاية بالنسبة إلى اللدولة الأمويّة وكذلك لكثرة الثورات بها طيلة الفترة الأمويّة. على هذا الأساس، اختار الخلفاء الأمويّون ولاة ينتمون أساسا لقبيلة ثقيف وجمعوا لهم ولاية العراق وخراسان كزياد بن أبي سفيان والحجّاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك.

حينئذ فإنّ الولاة الذين ينتمون لقبيلة ثقيف لعبوا دورا هامّا في العراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد عيّن الخليفة معاوية بن أبي سفيان المغيرة بن شعبة الثقفي واليا على الكوفة وكان مشهورا بالدّهاء والطموح والوصولية [1]. فرغم مساهمته في حركة الانتشار الإسلامي في الشرق (الأهواز ميسان) فإنّه اشترك في عمليّة زنا في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب. وتمكّن هذا الأخير بفضل قوّة شخصيّته وهيبته من رفع التّهمة عنه.

واعتزل المغيرة بن شعبة الفتنة [2]. واستطاع بعد تولّيه الكوفة في عهد الخليفة معاوية أن يكفيه أمرها [3]. وعيّن الخليفة معاوية بن أبي سفيان زياد بن أبي سفيان وهو كذلك ينتمي لثقيف ولأسرة بكرة بالبصرة. وهو من أصل متواضع بما أنّه كان ينسب لأمّه سميّة وكان أباه مجهولا. لكنّه كان يحذق الكتابة والحساب فتمكّن من قبض الفيء وقسمته على المقاتلة بالبصرة. وتفطّن الخليفة عمر بن الخطّاب إلى مواهبه وتحصّل زياد على مناصب هامّة في عهد علي حيث استخلفه عبد الله بن

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 217-218.
فلهاوزن، **مرجع مذكور** ، ص 107-108.
2) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 97-98.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 131.
Lammens (H), **Etudes**, p 27.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 108-109.

عبّاس عليها لمّا خرج إلى علي بالكوفة. فأخمد زياد ثورة تميم بالبصرة التي تسبّب فيها معاوية. كما أنّه تمكّن من القضاء على تمرّد أهل فارس باتباعه سيرة كسرى.

وأراد الخليفة معاوية احتواءه بعد تولّيه الحكم، لكنّ زياد احتمى هو وأصحابه بقلعة باصطخر ولم يصل حبله بحبل معاوية سنة 42 هـ إلاّ بعد إقناع المغيرة بن شعبة له بضرورة مصالحة معاوية [1]. وسارع الخليفة معاوية لإكساب زياد نسب شريف بما أنّ الناس لم يكونوا ليقبلوا أن يتولّى عليهم شخص من أصل غير كريم. فاستلحق معاوية زيادا بنسبه على أساس أنّ أبا سفيان زنى في الجاهلية مع سميّة فأنجبت زيادا أي أخ معاوية [2]. وأثار هذا الاستلحاق غضب الأمويّين كيزيد بن معاوية وتهكّم الناس. لكنّ زياد كان بمثابة الوزير للخليفة معاوية حيث أحسن إدارة شطر الامبراطورية أي العراق وخراسان بذكاء ومقدرة. وكانت تربطه بالخليفة معاوية علاقة الندّ للندّ [3].

وتمكّن زياد من تأكيد الملك للخليفة معاوية بالعراق وبخراسان. وسيخلفه ابنه عبيد الله بن زياد في هذه المهمّة حيث سيعيّن وال للعراق من طرف الخليفة يزيد بن معاوية للقضاء على ثورة الحسين بن علي. ولم يكن الخليفة يزيد بن معاوية يحبّ عبيد الله بن زياد لكنّه استجاب لنصائح سرجون بن منصور مستشاره الذي بيّن له حبّ الخليفة معاوية لزياد وآله واختياره لهم لتولّي المهمّات الصعبة [4].

وقد قضى عبيه الله بن زياد على ثورة الحسين بن علي. وعيّن الخليفة عبد الملك بن مروان الحجّاج بن يوسف الثقفي واليا على العراق وخراسان بعد قضائه

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 69-77-543-544، ج 5، ص 110-113-137-138-167-170-176-180.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 187- 190.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 113- 114.
Lammens (H), **Etudes**, p 27-161.
K.A Fariq, *Remarkable early Muslim Governor*, p 1-2-3.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 149.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص191-192.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 84-214-215.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 348.
البلاذري، مصدر **مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 240-241.

على ثورة عبد الله بن الزبير. فتمكّن الحجّاج من إخماد الثورات بالعراق كثروات الخوارج وثورة ابن الأشعث [1].

لكنّ الخليفة عبد الملك بن مروان كان يوبّخ الحجّاج على تبذيره للأموال وتقتيله للنّاس بعد واقعة دير الجماجم وبأنّه لا يستطيع أن يحتمل ذلك لأحد، وأنّه يحكم عليه في الدّماء أن يدفع في الخطأ الديّة وفي العمد القود وأن يردّ الأموال إلى مواضعها. وتهدّده بأنّه لا يقبل منه الخطأ وأمره بالطاعة. فأرسل الحجّاج للخليفة يبيّن له انّه لم يخطأ في قتل العصاة وفي صرف الأموال على المطيعين له "ولا أعطياتهم إلاّ لك ولا قتلت إلاّ فيك" [2].

فعفا عنه الخليفة عبد الملك بن مروان وكان يقول "أنّ الحجّاج جلدة ما بين عينيّ" [3]. وأوصى الخليفة عبد الملك ابنه الوليد بإكرام الحجّاج لأنّه أكّد لهم الملك [4]. وقد طبّق الخليفة الوليد وصيّة أبيه، فكان الحجّاج مسموع الكلمة لديه بل وازداد نفوذه [5].

وقد عزل الخليفة الوليد ابن عمّه عمر بن عبد العزيز عن ولاية الحجاز، بعد أن ذكر له الحجّاج أنّ الخارجين عن الدولة التجؤوا للحجاز وأنّ هذا إضعاف للحكم الأموي. حقد الحجّاج على عمر بن عبد العزيز لرفعه شكوى ضدّه للخليفة الوليد بأنّه متعسّف وظالم وقد انتقم لنفسه من عمر [6].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 259-379.
2) البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1181 (مخطوط).
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 134-135.
3) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص 242.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 252.
Périer (J), **Vie d'Al-Hadjdjadj Ibn Youssof**, p 67- 267.
Governor Z.I Oseni, *A Reconsideration of the Demeanour of a Prominent Umayyad, Al-Hajjaj Ibn Al-Thaqafi*, p 31-33.
4) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص 262.
5) محمّدعبد الحيّ شعبان، صدر الإسلام والدولة الأمويّة 600-750 هـ، بيروت 1987، ص 131.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 481-482.

وقرّب الخليفة هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الله القسري فمنحه ولاية العراق وخراسان، لتدخّله لفائدته لدى الخليفة يزيد بن عبد الملك حتّى لا يعزله عن ولاية العهد [1]. وكان خالد ينتمي لعشيرة ضعيفة، لكنّه اكتسب كفاءات شخصيّة هامّة ومقدرة سياسية لا سيّما انّه من تلاميذ الحجّاج [2].

وربط الخلفاء الأمويّون علاقات عضويّة مع قبيلة ثقيف. وقد أكّد هؤلاء الولاة الملك للخلفاء الأمويّين بالعراق.

وكان الخليفة الأموي يربط علاقات إدارية مع الوالي المعزول. فقد اتّبع الخليفة معاوية بن أبي سفيان عادة اتّبعها الخليفة عمر بن الخطّاب مع عمّاله وهي تتمثّل في مقاسمة العمّال أموالهم حتّى يقضي بذلك على الإثراء على حساب الدولة [3]. فقد طلب الخليفة معاوية من خالد بن عبد الله بن أسيد عندما أراد عزله عن الكوفة، بأن يحاسبه مقابل أن يعطيه مكافأة تبلغ ألف ألف درهم. فقبل خالد أن يحاسبه معاوية ويكافئه [4]. لكنّ ظاهرة المقاسمة تطوّرت إلى ظاهرة الاستكشاف. واتّخذ الاستكشاف طابع التّعصّب القبلي والعنف في استخراج الأموال من الولاة المعزولين.

فقد كلّف الخليفة سليمان يزيد بن المهلّب واليه على العراق أن يعذّب عمّال الحجّاج [5]. وأمر الخليفة هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر الثقفي واليه الجديد على العراق أن يعزل خالد بن عبد الله القسري وعمّاله وينتقم منهم ويطالبهم بالأموال6. اتّبع الخلفاء الأمويّون منهجين في علاقتهم بولاة العراق. فقد عوّلوا على البعض منهم، لكنّهم اتّبعوا مع البعض الآخر الاستكشاف.

---

1) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 379.
2) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 316-319.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 168.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 28.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 264.
ابن عبد الحكم، فتوح، ص 146.
4) البلاذري مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 178.
5) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 353.
شعبان، مرجع مذكور، ص 134.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 149-153.
Hawting (GR), **The First Dynasty**, p 82

واتّبع الخلفاء الأمويّون علاقة مختلفة مع ولاة الحجاز وولاة مكّة والمدينة والطّائف. فيبدو حسب أسماء الولاة التي وردت في المصادر أنّهم ينتمون أساسا لبني أميّة. كان الخلفاء الأمويّون يحترمون هذه المنطقة التي تتميّز بطابع قدسي، لوجود الكعبة ومسجد الرسول [1]. فعيّن الخليفة معاوية ومن بعده الخلفاء الأمويّون إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ولاة ينتمون لبني أميّة (بني العاص) الذين تداولوا السلطة تحت مراقبة الخليفة معاوية والخلفاء الأمويّين.

فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يخاف من تقوّي سلطة هؤلاء الولاة من قبيلته فكان يعيّن مروان بن الحكم ويعزله ليعيّن سعيد بن العاص، كما كان يغري بينهما [2]. ولعلّ الخلفاء الأمويّين اتّبعوا المقاسمة. وقد ذكرت المصادر اتباع الخليفة الوليد بن عبد الملك سياسة استصفاء أموال والي المدينة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان [3]. على هذا الأساس، كانت ولاية الحجاز طيلة العهد الأموي بيد ولاة من البيت الأموي.

وكانت تربط الخليفة معاوية علاقة خاصّة بعمرو بن العاص والي مصر من قبله. فقد ساعد عمرو معاوية للوصول للحكم. وكان يشير عليه عند اتّخاذه للقرارات خاصّة أنّ عمرو كان معروفا بدهائه. وكان عمرو يتعامل مع الخليفة معاوية تعامل النّدّ للندّ. كما كان واليا بارعا حيث كفى الخليفة معاوية أمر مصر [4]. ولم يقاسمه الخليفة معاوية في أمواله بعد موته نظرا لعلاقة الصداقة والحلف التي تربطهما. ينتمي أغلبيّة الولاة بمصر للقبائل اليمنيّة.

ويرجع ذلك لاستقرار الكثير من القبائل اليمنيّة بمصر. كما منح الخلفاء الأمويّون منصب والي مصر لأقاربهم. على هذا الأساس، كانت للخلفاء الأمويّين علاقات وطيدة بولاة مصرمن عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد

---

1) Hawting (GR), *The Umayyads and the Hijaz*, **Proceeding of the Seminar for Arabian Studies**, London 1970 1973, V1-3, p 39-46.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 293-295.

فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 130.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 335.

وكيع، مصدر مذكور، ج 1، ص 138.

4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 31-80.

فلهاوزن، **مرجع** منكور، ص 131.

Lammens (H), **Etudes**, p 13-25

الخليفة هشام بن عبد الملك. واتّبع الخليفة سليمان بن عبد الملك سياسة الاستكشاف مع موسى بن نصير اللّخمي والي إفريقية والمغرب والأندلس من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ومن قبله فأغرمه مائة ألف دينار وتتبّع أبناءه [1].

وذكرت المصادر أنّ ولاة المغرب والأندلس اختيروا من قبائل يمنية. ترجع هذه الأغلبيّة اليمنيّة لتعيين الخلفاء لولاة من مصر حيث تمثّل قبائل اليمن أغلبية السكّان أو ولاة ينتمون ليمن الشام. فقد ربط الخلفاء الأمويّون علاقات "متنوّعة" مع ولاتهم وتحالفوا مع ولاة العراق خاصّة منهم الذين ينتمون لثقيف. واتّبعوا كذلك سياسة المقاسمة التي تطوّرت إلى سياسة الاستكشاف مع ولاتهم.

اتّسم ولاة الأندلس بانتمائهم لليمنية أساسا وبأصولهم الشاميّة. ويعيّن ولاة الأندلس والي افريقيّة والمغرب والأندلس. ولم تقتصر هذه العلاقة على الخلفاء مع ولاتهم بل شملت علاقة الولاة بعمّالهم.

(ج) علاقة الولاة بعمّالهم

ذكرت المصادر أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك كانت تربطه بواليه بخراسان قتيبة بن مسلم الباهليّ علاقة تحالف وصداقة وطيدة فقد كان قتيبة بمثابة التلميذ غير المجرّب عندما عيّنه الحجّاج على خراسان. لكنّه تعلّم الكثير وبقي مدينا للحجّاج ومكرما له. على هذا الأساس، قال الحجّاج عن قتيبة "فما زدته ذراعا إلاّ زادني باعا" [2]. واتّبع ولاة العراق سياسة المقاسمة والاستكشاف مع ولاة خراسان. فقد طالب الحجّاج المهّلب بن أبي صفرة الأزدي واليه على خراسان بألف ألف درهم من خراج الأهواز.

وقد كان المهّلب واليا عليها فاستقرّض المهّلب ودفع المبلغ للحجّاج [3]. وكان عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك غليظا مع عمّال مسلمة بن عبد الملك [4]. وعيّن ولاة على العراق وعلى خراسان ينتمون أساسا لقيس عشرة ولاة ولليمن (عشرة ولاة) وخمسة ولاة من بني أميّة ووال من قريش وواليين من تميم ووال من مضر ووال من بكر بن وائل ووال لم تذكر

---

1) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 353.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 459-460.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 320-321.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 616.

المصادر ما هو انتماؤه القبلي. ويخضع هذا الاختيار للتعصّب القبلي لوالي العراق وخراسان.

نستنتج أنّ علاقة الولاة بعمّالهم وخاصّة علاقة ولاة العراق بولاة خراسان اشتملت على عنصر التّحالف وعلى عنصر المقاسمة والاستكشاف.

وقد أحدث الخلفاء والولاة الأمويّون مؤسّسات جديدة وطوّروا المؤسّسات الموجودة منذ عهد الرسول والخلفاء الأوائل. تقوّت هذه المؤسّسات شيئا فشيئا من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث أصبحت كثيرة التدرّج ومتعدّدة الاختصاصات. ومكّنت هذه المؤسّسات الدولة من السيطرة على امبراطورية ممتّدة الأطراف ولم يتوقّف التّأثير البيزنطي والفارسي على المؤسّسات فقط بل شمل مظاهر السلطة.

مظاهــــر السلــــطة

1- مظاهر السلطة بعاصمة الخلافة

هي كلّ الأشكال الماديّة التي تعبّر عن سلطة الخليفة أو ما يعرف برموز السلطة. وقد بدأت هذه المظاهر تتكوّن منذ عهد الخليفة عثمان بن عفّان كإثراء الخليفة [1]. لكنّ الخلفاء الأمويّين طوّروها ومن بين هذه المظاهر إثراء الخليفة.

*** ثروات الخلفاء**

فقد اصطفى الخليفة معاوية بن أبي سفيان أراضي الصوافي بالعراق [2]. وهي أراضي كان يملكها كسرى وآله. وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يتلقّى ستّين ألف درهم من هذه الأراضي أو مائة ألف درهم وهو مبلغ هامّ نسبيًا [3].

وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان أوّل من جمع الصوافي ليس بالعراق فحسب بل بمكّة والمدينة والشام والجزيرة واليمن كذلك وأقطعها أهل بيته وخاصّته. ومكّنت هذه الصوافي الخليفة من أن تكون له قاعدة مالية لحكمه منها يمنح عطاياه. وذكر البلاذري أنّ الصوافي في السواد كانت جملة مداخيلها سبعة آلاف ألف درهم في السنّة. فلمّا كان يوم الجماجم وأحرق الديوان افتكّ الناس كلّ ما يليهم وأضافوه لأرضهم [4]. نستنتج أنّ أراضي الصوافي في العراق افتكّت بعد واقعة دير الجماجم. ولم تذكر المصادر إن استردّ الخلفاء الأمويّون هذه الأراضي فيما بعد أولا.

---

1) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 81-82

2) البلاذري، فتوح، ص 411 .
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 258-259 .
ابن جعفر، مصدر مذكور، ص 169.

3) البلاذري، فتوح، ص 411 .
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 277-278 .
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 265-266.

4) البلاذري، فتوح، ص 217 عند ثورة ابن الأشعث على الحجّاج.

تأثّر الخليفة معاوية بن أبي سفيان بملوك الفرس والبيزنطيّين في اصطفائه لهذه الأراضي. فلم تقتصر ثروة الخليفة الأموي على الصوافي بل شملت كذلك الضياع حيث اشترى الخليفة أرضا بالطائف من اليهود [1]. يمكن أن نقول إنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان كان يمتلك ملكية عقّارية بالحجاز واتّخذ أيضا أراضي خصبة بالبطنان بفلسطين [2]. لم يذكر الجهشياري ما هي الوضعية القانونية لهذه الأراضي هل هي أراضي صوافي أم يمتلكها أشخاص معيّنون.

وكان الخليفة مروان بن الحكم يمتلك أرضا بذي خشب قرب المدينة وامتلك أيضا أراضي بقرى الرّها واتّخذ الضياع [3]. ولم تذكر المصادر إن اتّخذ هذه الضياع بالشام أو بالعراق. وإن كانت هذه الضّياع هي من أراضي الصوافي. وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يمتلك مزرعة قريبة من دمشق [4]. لكنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز اتّبع سياسة مخالفة لأسلافه حيث تخلّى عن قطيعة له وهي جبل الورس.

---

1) البلاذري، فتوح، ص 75.

2) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 26.

ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 4، ص 122.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 496-497.

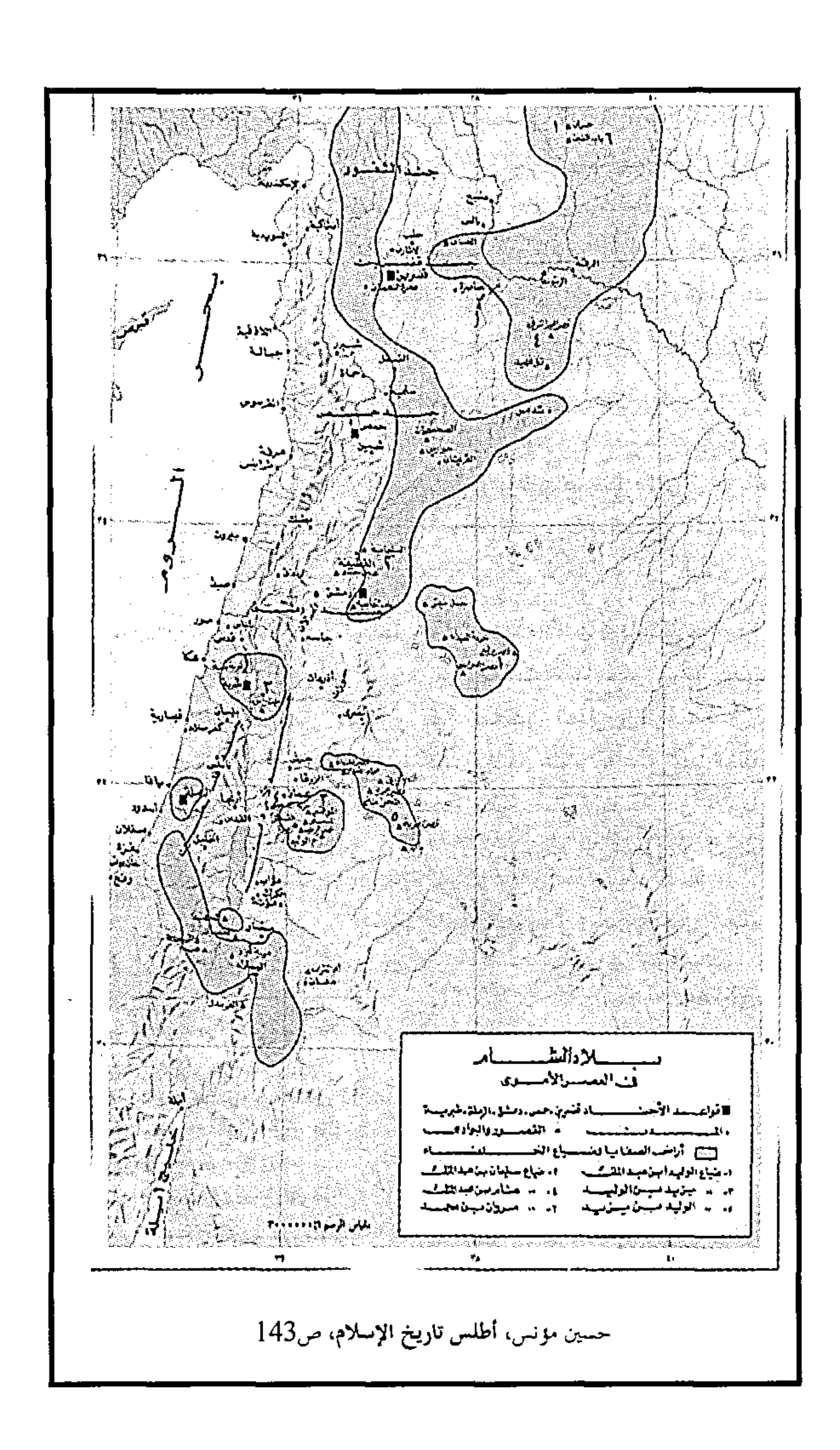
البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 372.

البلاذري، فتوح، ص 249.

ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 4، ص122-469.

ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 533.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 264 ؛ ج 8، ص 214.



حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام، ص143

وتخلّى عن مزرعة خيبر بردّها فيئا للمسلمين كما تركها الرسول [1]. وقد ورث عمر بن عبد العزيز هذه المزرعة عن أبيه الذي ورثها بدوره عن أبيه مروان بن الحكم. وعندما تولّى الخليفة يزيد بن عبد الملك أعاد السياسة الأمويّة السالفة حيث كلّف عامله على العراق عمر بن هبيرة بجمع له القطائع من أراضي البصرة. فجعل عمر يمسح الأراضي ويأخذها إلى أن سخط الناس على هذه السياسة، فأقلع عنها [2]. وأراد الخليفة يزيد بن عبد الملك تملّك الأراضي وافتكاكها بالقوّة من أصحابها، لكنّه فشل في ذلك.

وكان الخليفة هشام بن عبد الملك يملك العديد من الضيّعات بالشام يحتوي البعض منها على غراسة الزياتين [3]. كما كان يمتلك ضياعا بالعراق باستصلاحه لأراضي من البطائح التي فاض فيها دجلة والفرات. وعيّن الخليفة هشام فرّوخ أبا المثنّى على ضيعة من هذه الضياع وهي تسمّى رستاق الرمان أو نهر الرمان [4].

وكان الخليفة هشام يتلقّى أرباحا هامّة من هذه الضياع باحتكاره السوق حيث كان يأمر خالد بن عبد الله أن لا يبيع من الغلات شيئا حتى تباع غلات أمير المؤمنين [5]. فارتفعت الأسعار وتضرّر بقية الملاكين العقاريين. نلاحظ أنّ الخليفة الأموي منذ عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام ما عدا عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، أصبح لديه شيئا فشيئا قاعدة مالية ضخمة ناتجة عن الأرباح التي يتلقّاها من ملكياته العقّارية. استأثر الخليفة الأموي بهذه الأراضي أو القطائع على حساب المقاتلة.

---

1) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 56-58.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 510.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 203.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 16.
البلاذري، **فتوح**، ص 249.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 59.
ابن جعفر، **مصدر مذكور**، ص 315.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 142.
البلاذري، **فتوح**، ص 411.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 219.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 450.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 154-203.

وهذا الاستئثار هو أحد مميّزات الملك. إضافة إلى الصوافي والضياع، فإنّ الخلفاء الأمويّين أثروا من غنائم الانتشار الإسلامي في خراسان وفي الأندلس. فقد أمر زياد بن أبي سفيان والي خراسان من قبله أن يجمع كلّ الذهب والفضّة حتّى يعطيها للخليفة [1].

فهل كان الخليفة معاوية يحتفظ بكلّ هذه الأموال لنفسه أو يحتفظ بقسط منها ويودع القسم الآخر ببيت المال ؟

وتحصّل الخليفة معاوية على غنائم من صقليّة وهي تتمثّل في أصنام من ذهب وفضّة فباعها، وتحصّل على ثمنها فأنكر النّاس ذلك [2]. كان الخليفة معاوية يسعى للإثراء بكلّ الطرق حتّى المكروهة في الإسلام.

وكان الخليفة يزيد بن معاوية يتلقّى هدايا من غنائم الانتشار فقد أرسل له والي خراسان بهدايا من خوارزم وسمرقند [3]. وأرسلت للخليفة عبد الملك بن مروان هدايا من بعض مناطق الانتشار [4]. وكان الخليفة هشام بن عبد الملك يجمع الأموال من جرّاء الانتشار الإسلامي.

فقد أرسل له بشر بن صفوان الكلبي والي إفريقية والمغرب والأندلس أموالا ضخمة وهدايا [5]. كما أرسل له عبيدة بن عبد الرحمن السّلمي والي إفريقية والمغرب والأندلس هدايا متنوّعة من الإماء والعبيد والدوابّ والخصيان والذهب والفضّة والآنية [6]. إضافة إلى غنائم والي إفريقية والمغرب والأندلس، فإنّ الخليفة هشام بن عبد الملك "كان يتلقّى جلود ألف شاة" بصفة دائمة [7].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 251-252.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 85.
2) ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 18.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 130.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 545.
4) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 120-121.
5) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 215.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 382.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 205.
6) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 217.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 175.
ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 51.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 382.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 254-255.

دفع هذا الاستغلال الاقتصادي القبائل البربريّة للثورة. وقد سبق اندلاع هذه الثورة، عمليّة تحضير قام بها زعماء القبائل البربريّة المشاركة في الثورة وخصوصا مطغرة وزناتة وبرغواطة. فبعد أن كوّنوا اتّحادا قبليّا، أرسلوا وفدا إلى دمشق يتزعّمه ميسرة زعيم مطغرة للتعرّف على حقيقة موقف الخليفة من أعمال ولاته. وقد عاد هذا الوفد دون أن يتمكّن من مقابلة هشام وكان ذلك كافيا لتبرير قيام الثورة [1].

إنّ هذا الرقم ليس بالضّرورة صحيحا. وبناء على ذلك، فإنّ الخلفاء الأمويّين أثروا من غنائم الانتشار الإسلامي من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز. كما أثروا من أموال الصوافي وأموال ضياعهم. وأصبح الخليفة الأموي يكتسب قاعدة مالية هامّة لملكه على شاكلة ملوك الفرس والبيزنطيّين. وهكذا أحدث الخلفاء الأمويّون قطيعة مع فترة الرسول والخلفاء الأوائل (ما عدا الخليفة عثمان بن عفّان).

• التشريفات

ولم تقتصر مظاهر السلطة على إثراء الخليفة الأموي بل شملت أيضا التشريفات أو البروتوكول. فقد أصبح الخليفة الأموي يكتسب على شاكلة الملوك البيزنطيّين والفرس برنامج عمل يومي. وهذا التّقسيم لليوم أو وضع برنامج عمل هو من واجبات الملك حسب الجاحظ [2]. فقد اكتسب الخليفة معاوية بن أبي سفيان برنامج عمل يومي [3].

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يجلس للنظر في شؤون الناس النهار كلّه. كما أنّه يستشير في الليل في أمور الحكم والسلطة إلى درجة أنّ رجاء بن حيوة الكندي لامه على ذلك لأنّه يتعب نفسه [4].

وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يخلو بنفسه يوما من أيّام الأسبوع فلا يلتقي فيه بالناس [5]، وأحدث عنصرا من عناصر التشريفات وهو إدخال الناس إلى

---

1) محمد حسن، **القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط**، تونس 1986، ص82.
2) الجاحظ، **كتاب التاج**، ص 151.
3) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 29-30-31.
(الجدول) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 105.
4) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 150-151.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 367.
5) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 83.

مجلسه بعد الإذن لهم في وقت معيّن [1]. كما كان الخليفة يزيد بن معاوية يأذن للناس [2]. وكان الخليفة مروان بن الحكم يأذن للناس في وقت معيّن وهو العشية [3]. ومنع كاتب الخليفة عبد الملك بن مروان محمّد بن يزيد الأنصاري بريدا أتى من مصر أن يدخل للخليفة "لأنّها ليست ساعة إذن" [4].

وأصبح الإذن أكثر تعقيدا في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث رفع الحجّاب الإذن لوفد من إفريقية للدخول للخليفة. واضطرّ هذا الوفد لطلب الوساطة من الأبرش الكلبي. وعندما طال انتظارهم رفعوا أسماءهم "للوزراء" حتّى ينظر الخليفة فيهم [5]. كان الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يأذنون للناس حتّى يدخلوا لمجلسهم. وكان القائم على هذه المراسم أو التشريفات أو الإذن موظّف يعيّنه الخليفة الأموي بعد أن يتأكّد من أمانته وهو الحاجب. ويسهر هذا الأخير على تنفيذ أوامر الخليفة فيدخل له الأشخاص الذين يرغب فيهم [6].

---

1) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 107.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 465.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 610.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 415.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 254-255.
6) E.I², tIII 1 *Hadjib*.

برنامج عمل معاوية (1)

الصلوات وقراءة القرآن	القاصّ الاستماع للأيام وغيرها	التشاور مع الوزراء وخاصّة الخاصّة	استقبال العامّة	الأكل	الدخول على أهل بيته وأسرته	استقبال الناس على مراتبهم الأشراف والسياد
• صلاة الفجر • يقرأ من مصحفه بعد الاستماع للقاصّ • يصلّي أربع ركعات بعد الدخول على أسرته في الفجر • يصلّي الظهر ثمّ يصلّي أربع ركعات • صلاة العصر • صلاة المغرب ويصلّي أربع ركعات بعدها يقرأ في كلّ ركعة خمسين آية • صلاة العشاء •يخرج يصلّي الصبح	• الجلوس للقاصّ بعد صلاة الفجر • يستمرّ إلى ثلث الليل في الاستماع لأخبار العرب وأيامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيتها بعد أن ينام يحضر غلمان يرتبون له الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد (يقرأها غلمان مرتبون حفظوا ذلك)	• بعد صلاة أربع ركعات للصبح يدخل عليه خاصّة الخاصّة فيحدّثونه ويحدّثهم ثم يدخل عليه وزراؤه فيتكلّمون إلى العشي • يحدث طويلا بعد الغداء الأصغر • يأذن لخاصّة الخاصّة بعد صلاة الظهر • يدخل إليه وزراؤه بعد صلاة الظهر فيأمرونه إلى صلاة العصر • يأذن لخاصّة الخاصّة والوزراء بعد صلاة العشاء يأمرونه صدرا من ليلتهم	بالمسجد بعد الراحة والغداء الأصغر يسند ظهره للمقصورة وينتصب الحرّاس ويتقدّم إليه الناس ليشكون له	• الغداء الأصغر : فضلة عشائه من جدي بارد أو فرخ • الغداء استقبال الأشراف فيملي على الكاتب (عند رأسه) ويقاسمه أصحاب الحاجات طعامه (أربعين شخصا) • بعد صلاة الظهر يأتي لخاصته بالأخبصة اليابسة والخشكنانج والأقراص المعجونة باللبن والسكر في الشتاء ؛ وفي الصيف الفواكه الرطبة • يؤتى بالعشاء ويفرغ منه مقدار ما ينادى بالمغرب • الطرف الغريبة من الحلوى من عند نسائه (في الليل)	• يدخل لمنزله فينام وينهي بعد أن يقرأ جزءا من القرآن • يدخل بيته بعد الغداء الأصغر • يدخل لمنزله بعد الغداء • يدخل لمنزله بعد صلاة العصر • الدخول لمنزله بعد صلاة المغرب إلى صلاة العشاء الآخرة •النوم ثلث الليل	• الجلوس على السرير • الأشراف "يا هؤلاء إنّي سمّيتكم أشراف لأنّكم شرّفتم من دونكم بهذا المجلس"[2] ويرفعوا إليه حوائج الناس فيأمر بأن يقضوا – في آخر أوقات العصر يجلس على سريره ويأذن للناس

1) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 29-30-31.
2) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 30.

لم يتّخذ الرسول والخلفاء الأوائل حجّابا حيث كان الخليفة عمر بن الخطّاب يشترط على عمّاله إذا عيّنهم أن لا يستعملوا حجّابا [1]. وقد عرف الخليفة عمر بن الخطّاب بتواضعه وبرفضه كلّ مظاهر الترف والمراسم. وهو مظهر من مظاهر الملك الفارسي والملك البيزنطي [2].

وقد تأثّر الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالتقاليد البيزنطيّة بالشام فكان أوّل من أقام البوّابين أو الحجّاب في الإسلام. كما أنّه كان أوّل من أرخى الستور أو الستائر ليفصل بينه وبين الناس [3]. وعلى هذا الأساس، اتّخذ الخليفة معاوية بن أبي سفيان الحاجب لأوّل مرّة في الإسلام. وكان الحاجب يعيّن من موالي الخلفاء الأكثر أمانة وتعقّلا وفهما وصدقا وحسن أداء بما أنّه يعتبر "وجه ولسان الخليفة" حسب تعبير الخليفة عبد الملك بن مروان. وكان الحاجب من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يدخل على الخليفة أفراد حاشيته والزائرين. وينظّم حفلات الاستقبال أو الإذن العامّ وهي التي يستقبل فيها الخليفة الوفود من الولايات ويجلس الحاضرون في صفّين متناظرين ويبقى الوسط فارغا لرؤساء الوفود حتّى يخاطبوا الخليفة [4]. كان الحاجب مقرّبا من الخليفة الأموي مثل الكتّاب.

ولم يكن الخليفة الأموي يتّخذ حاجبا واحدا بل عديد الحجّاب. وذكرت المصادر ذلك بالنّسبة إلى الخليفة معاوية بن أبي سفيان والخليفة عبد الملك بن مروان [5]. لكنّها لم تذكر كم بلغ عدد هؤلاء الحجّاب. وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز مختلفا عن بقية الخلفاء الأمويّين حيث كان يأذن للنّاس جميعا. وهذا ما جعل امرأة من العامّة تدخل لداره دون أن يمنعها أحد [6].

---

1) حذّر الرسول الولاة من الاحتجاب دون غيرهم.
الجاحظ، **رسائل،كتاب الحجّاب**، ج 2، ص 30.
الجاحظ، **رسائل**، ج 2، ص 30.
2) أ. كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 337.
Bréhier (L), **Idem**, T 1, p 85.
3) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 276.
4) **E.I²**, tIII 1 *Hadjib*
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 330.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 412.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 513.
6) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 149.

نستنتج أنّ الخلفاء الأمويّين اتّخذوا الحجّاب على شاكلة ملوك الفرس والبيزنطيّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فأحدث الخلفاء الأمويّون بذلك قطيعة مع عهد الرسول والخلفاء الأوائل ومكّنوا الخلفاء العبّاسيّين من تبنّي هذا المظهر من مظاهر السلطة وتطويره. وكان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يدخل الناس إلى مجلسه حسب تراتبية معينة تخضع للشرف القبلي [1]. وقد تبعه في ذلك ابنه الخليفة يزيد وبقية الخلفاء الأمويّين ما عدا الخليفة يزيد بن عبد الملك الذي "دفعه لهوه إلى تسوية الطبقة العليا بالطبقة السفلى" [2].

كما أحدث الخليفة معاوية بن أبي سفيان أحد عناصر المراسم أو التشريفات وهو إعلام الحاضرين بانتهاء المقابلة بينه وبينهم وهي حقّ من حقوق الملك حسب الجاحظ. فكان الخليفة معاوية إذا قال "ذهب الليل" قام سمّاره ومن حضره، وقد تبعه في ذلك الخلفاء الأمويّين إلى آخر عهد هشام بن عبد الملك [3]. كما طوّر الخلفاء الأمويّون عنصرا آخر من عناصر المراسم والتشريفات فقد قنّنوا تسمية الخليفة. وكان الوليد بن عبد الملك لا يسمّيه أحد باسمه وقد عاقب على ذلك [4].

إنّ ظاهرة الإبعاد بين الخليفة الأموي والناس على مستوى التسمية اتّخذت شكلا ملكيّا وصارما في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك. ورغم أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان أحدث ظاهرة الإبعاد بين الخليفة والناس فإنّه كان معرّضا دائما لتقريع النّاس وأساسا من الأشراف لإغلاظهم له [5].

إنّ رفع الكلفة بين الخليفة معاوية بن أبي سفيان والنّاس هو دلالة على عدم تعوّد الناس إلى المراسم والتشريفات. لكنّ الخليفة الوليد بن عبد الملك سيجبرهم على احترام هذا الإبعاد. وقضى الخليفة عمر بن عبد العزيز على هذا العنصر من عناصر المراسم [6]. وزجر الخليفة هشام بن عبد الملك رجلا أغلظ له قائلا : "ليس لك أن

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 332-333.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 465.
الجاحظ، **كتاب التاج**، ص 21-30.
3) الجاحظ، **كتاب التاج**، ص 119.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 461.
4) الجاحظ، **كتاب التاج**، ص 83-86.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 348.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 16-17-43-62-69.
6) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 39.

تغلظ لإمامك" [1]. حلُم الخليفة هشام بن عبد الملك عن هذا الشخص ولم يعاقبه وهو في ذلك يشبه الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

فقد بقى الناس على بداوتهم رغم تطوّر ظاهرة الإبعاد بين الخليفة والناس من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، فقد ظلّوا يعاملون الخليفة معاملتهم للسيد في القبيلة رافعين الكلفة.

وأحدث الخلفاء الأمويّون المراسم أو التشريفات وطوّروها كأحد مظاهر الملك بعاصمة الخلافة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فأحدثوا بذلك قطيعة مع عهد الرسول والخلفاء الأوائل بما أنّهم تأثّروا بملوك الفرس والبيزنطيّين وتركوا ميراثا ملكيّا للعبّاسيين.

*** التاج والعصا والخاتم**

ولم تقتصر مظاهر السلطة أو الملك على المراسم بل شملت مظاهر أخرى كالتاج. فقد لبس الخليفة عبد الملك بن مروان التاج حسب ابن قيس الرقيات2. لبس الخليفة عبد الملك بن مروان التاج كالملوك البيزنطيّين والفرس، وملوك الغساسنة بالشام [3].

وربّما أراد الخليفة عبد الملك بن مروان إبراز الطابع الملكي لحكمه عن طريق التاج على رأسه. لكنّ البلاذري لم يذكر إن كان الخليفة عبد الملك بن مروان هو أوّل من لبس التاج من الخلفاء الأمويّين وإن أبقى الخلفاء بعده لباس التاج إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وأحدث الخلفاء الأمويّون بلباس التاج قطيعة مع فترة الرسول والخلفاء الأوائل.

كما استعمل الخلفاء الأمويّون رمزا آخر من رموز السلطة أو الملك وهي العصا. استعمل العرب العصا في الجاهلية وخاصّة منهم الرعاة لجزر الماشية

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 26.
2) هو شاعر مدح الخليفة عبد الملك.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 1160 (مخطوط).
3) **Bréhier (L), Idem, T 1, p 234**
Bréhier (L), Idem, T 1, p 16
أكريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 429.

والبعير [1]. لكن استعمل الخلفاء الأمويّون العصا أو المخصرة أو قضيب الخيزران كشعار من شعار الملوك على شاكلة ملوك الفرس والبيزنطيّين [2]. فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان يمسك بمخصرة أو قضيب خيزران. وضرب الخليفة يزيد بن عبد الملك بخيزران في يده لمّا وصله خبر تعرّض عبد الرحمن بن الضحّاك والي المدينة من قبله لفاطمة ابنة الحسين [3].

وجاء البريد لهشام بن عبد الملك بالرصافة بالعصا والخاتم وسلّم عليه بالخلافة [4]. وأصبح شعار الخلافة العصا والخاتم في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بما أنّ المصادر لم تذكر الخاتم مع العصا إلاّ في عهد هذا الخليفة. وكان ملوك فارس وبيزنطة يتلقّون عند تتويجهم الخاتم مع العصا والتاج والصولجان وهي كلّها رموز للملك [5].

وقد طوّر الخلفاء الأمويّون تدريجيّا أحد عناصر رمزيّة الملك من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما استعمل الخلفاء الأمويّون أحد رموز الملك لدى الملوك البيزنطيّين والفرس وملوك الحيرة والغساسنة وهو السرير – سرير الملك – ويمكّن السرير الخليفة أن يجلس بمجلسه مشرفا على الحاضرين بما أنّ السرير يكون مرتفعا [6]. ويبدو أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو أوّل من استعمل السرير [7]. كما كان الخليفة عبد الملك بن مروان يجلس على

---

1) E.I², tI 1 *Assa*.

2) قضيب كالسوط كلّ عود ليّن

كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 78

Bréhier (L), Idem, T 1, p 20

كان الملوك البيزنطيّون يمسكون الصليب في شكل عصا.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 13.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 25 .

ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 124.

5) كريستنسن، **مرجع مذكور**، ص 78.

Bréhier (L), *Idem*, p 16

6) ابن خلدون، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 319.

7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 317 .

البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 98.

المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 14.

اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 276.

ابن خلدون، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 319.

السرير بمجلسه أو بالمسجد [1]. ونزل الخليفة يزيد بن عبد الملك من أعلى فراشه لشدّة غضبه على والي المدينة ومكّة عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهري [2]. وكان الخليفة هشام بن عبد الملك يجلس على سرير طويل وبه الكثير من الفرش [3].

كما كان الخلفاء الأمويّون يمشون في موكب على شاكلة الملوك البيزنطيّين والفرس. وقد كان معاوية بن أبي سفيان قبل تولّيه الخلافة وأثناء ولايته للشام في خلافة عمر بن الخطّاب يمشي في موكب، ممّا أقلق الخليفة الصارم عمر عند زيارته للشام.

لكنّ معاوية أجاب بدهاء أنّه يستعمل كلّ هذه الأبّهة لإخافة الأعداء أو الكفّار في ثغر من أهمّ الثغور الإسلامية فأفحم الخليفة عمر بهذه الإجابة [4]. وواصل الخليفة معاوية بن أبي سفيان السير في موكب بعد تولّيه الخلافة [5].

وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يمشي في موكب وتسايره خاصّته [6]. لكنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز زهد في مراكب الخلافة (البراذين والخيل والبغال التي تكوّن موكب الخلافة) [7]. وقد نبع هذا الرفض من اقتناع عميق بالمبادئ الإسلامية الدينية والسياسيّة التي اتّبعها الرسول والخلفاء الأوائل. لكنّ الخليفة هشام بن عبد الملك أرجع عادة الخلفاء الأمويّين في المشي في موكب [8].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 145-146-167.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 447 ؛ ج 5، ص 296.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 13.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 13-126-204-207.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 331.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 147.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 1، ص 13-14.
5) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 34.
6) البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1166.
7) الطبري، مصدر مذكور، ص 552-553.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 276.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 36.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 60.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 130.

وأحدث الخلفاء الأمويّون منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز قطيعة مع عهد الرسول والخلفاء الأوائل باتّخاذهم لأحد رموز الملك لدى البيزنطيّين والفرس. لكنّ لم يكتف الخلفاء الأمويّون بتقليد البيزنطيّين أو الفرس في شارات الملك أو مظاهر السلطة التي اتّخذوها بل أحدثوا أحد شارات الملك الإسلامي وهي المقصورة بالمسجد وتتمثّل في اتّخاذ سياج على المحراب فيحاز وما يليه [1].

إنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان هو أوّل من اتّخذ المقصورة ليصلّي فيها بعد أن نجا من عمليّة اغتيال من طرف خارجي [2]. لم يتّخذ الرسول والخلفاء الأوائل المقصورات. فقد قتل الخليفة عمر بن الخطّاب بالمسجد عندما كان يصلّي.

ورغم ذلك حافظ الخليفة عثمان بن عفّان على الصلاة بالمسجد دون حرّاس وكذلك علي بن أبي طالب الذي قتله أحد الخوارج في المسجد [3]. ويعبّر اتّخاذ معاوية للمقصورة بالمسجد عن نشأة عقلية جديدة في الحكم. فالانفراد والاقتصار على مكان معيّن دون عامّة المسلمين يبيّن تطوّر مظاهر السلطة أو الملك لدى الخلفاء الأمويّين (الإبعاد بين الخليفة والنّاس). كما صلّى الخليفة عبد الملك بن مروان بالناس في المقصورة [4]. وعلى الأرجح، صلّى الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك في المقصورة. وشملت مظاهر السلطة في عاصمة الخلافة النقود.

* النقود بعاصمة الخلافة الأمويّة

لم يضرب الخلفاء الأوائل نقودا. واستعملت الولايات التي انتشر على حسابها المسلمون كالعراق والشام ومصر التقنيات السّاسانيّة والبيزنطيّة في ضرب النقود. وحافظ الخلفاء الأمويّون إلى فترة معيّنة على هذه النقود الأعجميّة.

---

1) ابن خلدون، مصدر مذكور، ج 1، ص 328.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 149.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 190-194-352.
الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 149-215.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 144.

ويرجع هذا الاستعمال للنقود إلى عدم اكتساب العرب لتقاليد قديمة لصنع النقود والتطوّر الحضاري لمناطق الشام والعراق ومصر [1]. فكيف تطوّر ضرب النقود منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بعاصمة الخلافة الأمويّة وبالولايات؟

حافظ الشام بعد الانتشار الإسلامي على ضرب نقود شبيهة بالنقود البيزنطيّة نظرا لتوفّر معدن الذهب بمناطق كـتدمر [2]. وأبقى الخلفاء الأمويّون منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان على النّقود الأعجميّة [3]. وعرفت النقود في العهد الأموي بعاصمة الخلافة أو بالولايات ثلاث مراحل ضربت فيها النقود الذهبية والفضية والنحاسية [4].

1) Michael Bates, **Islamic Coins**, New York 1982, p 6.
Walker (John), **A Catalogue of the Arab-Byzantine and Post Reform Umaiyad Coins**, London 1956, p XV j.

2) Cécile Morrisson, *Le Monnayage Omeyyade et l'Histoire administrative et économique de la Syrie*, Tiré à part de **la Syrie de Byzance à l'Islam VII-VIII siècles**, Actes du Colloque International, Lyon Maison de l'Orient Méditerranéen, Paris Institut du Monde Arabe, Damas 1992.

3) Michael L Bates, *The Coinage of Syria Under the Umayyads 692-750 A.D,* **The IVth International Conference on Bilad Al-Shām 1987** II, Ed by M Adnan Bakhit and R. Schick, Amman, 1989, p 206.

4) M.L Bates, *Idem*, p 196

النقـــــود العربيـــــة-البيزنطيّـــــة

بعاصمة الخلافة



Châteaux Omayyades de Syrie, Collections du Musée National de Damas
16 Septembre 1990, 17 Mars 1991 Institut du Monde Arabe, Paris, p59

ضرب الخليفة عبد الملك بن مروان بدمشق أو ببلاطه في مرحلة أولى من سنوات 72 إلى 74 هـ نقودا متأثّرة بالنقود البيزنطيّة وهي النقود العربيّة-البيزنطيّة ونقود متأثّرة بالنقود السّاسانية وهي النقود العربيّة-السّاسانية: وكانت النقود العربيّة-البيزنطيّة ذهبية والنقود العربيّة-السّاسانية فضية [1].

وحافظ الخليفة عبد الملك بن مروان في هذه الفترة على الرموز ذات الطابع البيزنطي في ضربه للدينار والدراهم.احتوت الدنانير على الألقاب الامبراطورية البيزنطيّة باللغة اليونانية وعلى الصليب الذي حوّر إلى قضيب يمسك به الخليفة في الاحتفالات الدينية [2]. كما وجدت في نفس هذه الفترة أو المرحلة الأولى نقود تحمل من الوجه صورة الامبراطور البيزنطي محاطا بابنيه وتحيط بهم الشهادة "لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله".

وتميّزت الدراهم المضروبة في هذه الفترة الأولى بوجود الشهادة والتاريخ الهجري وصورة كسرى أبرويز (591-628 هـ) ونقش اسمه بالفهلوية [3]. كما ضربت بدمشق فلوس أي نقود نحاسية نقشت عليها كلمة دمشق باليونانية وكان بها صورة الامبراطور البيزنطي متربّعا على العرش [4]. وقلّد الخليفة عبد الملك بن مروان في هذه المرحلة النقود البيزنطيّة والسّاسانيّة على مستوى الصور والرموز والنقائش ما عدا تغيير طفيف في آخر هذه الفترة يتمثّل في إدخال النّقائش العربيّة وأساسا الشهادة. وسيمكّنه هذا التغيير من ضرب نقود في مرحلة ثانية من 74 إلى 77 هـ تحتوي على صور عربيّة إسلامية وهي تسمّى بمرحلة "الخليفة الواقف" حيث كان الخليفة يظهر على الدنانير واقفا متقلّدا سيفه تعلو رأسه الكوفية ويلبس لباسا عربيا [5].

ونقشت على هذه النقود (أي الدنانير والدراهم والفلوس) الشهادة يصحبها اسم الخليفة عبد الملك بن مروان مع لقب عبد الله وأمير المؤمنين وخليفة الله [6].

---

1) M.L Bates, *Idem*, p 195 ; Morisson (C), *Idem*, p 311.
2) Walker (J), **Idem**, p XXII, XXIV ; Bates (M.L), *Idem*, p 197-200 ; Morisson (C), *Idem*, p 311.
3) Bates ML, *Idem*, p 198 ; Morisson (C), *Idem*, p 311.
4) Bates ML, *Idem*, p 198 ; Morisson (C), *Idem*, p 311.
5) Walker J, **Idem**, p XXX-XXVIII, Morisson (C), *Idem*, p 313 Bates ML, *Idem*, p 196-200.
E.I², tII 2 *Dinar*.
6) Walker J, **Idem**, p XXXVI, XXXVII.
Morisson C, *Idem*, p 313 ; Bates ML, *Idem*, p 206-207.

نستنتج أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان استعمل الصور البشرية متأثّرا بالبيزنطيّين رغم أنّ الإسلام يحرّم الصور لكنّه بدأ يحضّر للنقود المنقوشة التي سيستقلّ فيها عن البيزنطيّين. كما ظهر من خلال هذه النقود أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان أكّد الإيديولوجيا الأمويّة وألقاب الخليفة. تمّت المرحلة الثالثة في ضرب النقود بدمشق في سنة 77 هـ للدنانير وسنة 79 هـ للدراهم. وتتمثّل هذه المرحلة في تعريب النقود. عرّب الخليفة عبد الملك بن مروان النقود للأسباب التالية.

كان العرب المسلمون في مصر يتّبعون تجارة المقايضة مع بيزنطة حيث يبيعون لها القراطيس وتعطيهم بالمقابل الدنانير. وابتدأ الخليفة عبد الملك بن مروان سياسته الرّامية للتعريب وتعميق الإسلام بزيادة "قل هو الله أحد" في القراطيس.

إنّ هذا الإنجاز شكّل خطرا كبيرا على بيزنطة ورأت فيه تحدّيا لسلطتها وهدّد الامبراطور جوستينيس الثاني بنقش رسوم على النقود تمسّ من حرمة الرسول [1].

لكنّ الخليفة عبد الملك بن مروان كان شجاعا وقبل التحدّي فقرّر التخلّص نهائيّا من التبعية البيزنطيّة فضرب دنانير عربيّة [2]. تعتبر هذه السياسة "ثورة هامّة" في تلك الفترة فلأوّل مرّة منذ ظهور الإسلام يقع التخلّي عن إحدى المؤسّسات البيزنطيّة الهامّة.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 256.
البلاذري، **فتوح**، ص 335-336.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 259.
ابن سلام، **مصدر مذكور**، ص 524-525.
ابن جعفر ، **مصدر مذكور**، ص 59.
Bates ML, *Idem*, p 204-205.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 256.
البلاذري، **فتوح**، ص 335-336-653-654.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 259-260.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 417.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 208.
Walker J, **Idem**, pl.
Bates ML, *Idem*, p 208.
Dixon (A.A), **The Umayyad Caliphate 65-86/684-705**, Londres 1971, p 50

وهذا يرجع إلى تجذّر الإسلام في نفس الخليفة عبد الملك بن مروان أكثر من الخلفاء الذين سبقوه. فقد ولد عبد الملك ونشأ بالمدينة فكان يعتبر من فقهائها نظرا لعلمه بالقرآن والسنّة.لكنّه بعد تولّيه الخلافة "جعل كلّ شيء خاضعا للسياسة"، وهذا ما دفعه لهدم الكعبة [1]. وبدافع السياسة أيضا كان يحترم المشاعر الدينية فقرّب منه رجاء بن حيوة الكندي الرجل الصالح الذي سيكون له دور في تولية الخليفة عمر بن عبد العزيز. "وحيثما كان الإسلام متمشّيا مع العروبة في الأغراض فإنّه كان يلائم أغراض عبد الملك" [2].

أكّد الخليفة عبد الملك بن مروان الهوية العربيّة الإسلامية للدولة الأمويّة وجذّرها، وجعل من الدولة الأمويّة دولة مواجهة حضاريا لبيزنطة التي لها مؤسّسات عريقة. كما أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان انتصر على البيزنطيّين في واقعة سيستوبوليس فمكّنه هذا الانتصار من تدعيم عناصر الإيديولوجيا الأمويّة بواسطة النقود وكذلك تركيز الإسلام [3]. ومكّنه من عدم دفع الإتاوة لبيزنطة وبذلك أكّد عبد الملك استقلاله الاقتصادي والسياسي والحضاري وميّز الدولة الأمويّة على المستوى العرقي والديني.

لم يركّز الخليفة عبد الملك بن مروان الإسلام والعروبة فقط بتعريبه للنقود بل ركّز أحد رموز السلطة. فأصبحت صورة تعبّر عن هويّة الخلفاء الأمويّين وإنجازاتهم وإيديولوجيتهم [4].

كما أنّ النقود تؤرخ لسيطرة الخلفاء الأمويّين على رقعة واسعة من العالم. وأثرت هذه الرمزيّة الدولة الأمويّة وجعلتها تنتقل من إطار التبعية لرمزيّة بيزنطيّة دينيّة وامبراطورية معينة بما أنّها مسيحيّة وكذلك بسلطة مؤسّسات الخلفاء الأوائل إلى إطار استقلالية رمزيّة سيرثها الخلفاء العبّاسيّون وستتواصل للعهد العثماني.

---

1) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 208.

2) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 209.

3) Bates ML, *Idem*, p 202

4) Anne-Marie Lecoq, *La Symbolique de l'Etat Les images de la monarchie des premiers Valois à Louis XIV*, in **Les Lieux de Mémoire**, ouvrage collectif publié sous la direction de Pierre Nora, Paris 1993, p 140-191.

وسيتبع هذا التغيير العميق على مستوى المفاهيم تغيير في النقوش على النقود. فسيعوّض الحرف العربي الكوفي البسيط الصور. كما أنّ القرآن كدستور للمسلمين وأساسا سورة الإخلاص سيكون المحور الأساسي والوحيد في النقود (الدنانير والدراهم والفلوس) بدمشق.

لا إله	الله أحد الله
إلاّ الله	الصمد لم يلد
وحده لا شريك له	ولم يولد

محمد رسول الله
أرسله بالهدى
ليظهره على الدين كلّه [1]

تمثّل سورة الإخلاص أو جزءا منها والشهادة التوحيد والإيمان بالله والرسول وهي أوّل الدعائم للدين الإسلامي. كما تبيّن عبارة "ليظهره على الدين كلّه" أحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة وهي إيديولوجيا الجهاد. وكان مفهوم التوحيد يوضع في كلّ النقود المضروبة بعاصمة الخلافة الأمويّة من دنانير ودراهم وفلوس [2]. وذكر الباحثون الأمريكيون دينارا فريدا من نوعه ضرب سنة 91 هـ بدمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك وبه عبارة "معدن أمير المؤمنين بالحجاز". يبيّن هذا الدينار أنّ المعدن (أي الذهب) استخرج من مناجم الحجاز [3]. فكان الخلفاء الأمويّون يتزوّدون من هذه المناجم لضرب الدينار.

وحافظت هذه الأخيرة على مفهوم التوحيد من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [4]. ولم تذكر المصادر إلاّ عاملا واحدا مكلّفا بالسكة وهو قبيصة بن ذؤيب الخزاعي. عيّن هذا العامل الخليفة عبد الملك بن مروان كما أضاف له مهمّة صاحب ديوان الخاتم [5]. واحتكر الخليفة

---

1) Walker (J), **Idem**, p 84.
Collection Lavoix, Cabinet des Médailles, Bibliothèque Nationale de Paris.
2) Bates (ML), *Idem*, p 212.
3) Georges C. Miles, *A Unique Umayyad Dinar of 91/H AD 709-10*, **Revue Numismatique** 6 E série XIV 1972, p 264-268 ; Bates (ML), *Idem*, p 209-210.
4). Bates (ML), *Idem*, p 208.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 416.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 513.

الأموي من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد هشام بن عبد الملك ضرب الدنانير والدراهم بقصره بينما كانت الأجناد وهي ولايات الشام تضرب الفلوس [1].

✓ **جند دمشق** : كان مركز الضرب دمشق وكذلك بعلبك لكنّ المركز الأساسي هو دمشق. وشهدت النقود بهذا الجند نفس المراحل التي مرّت بها النقود التي ضربها الخليفة الأموي [2].

✓ **جند حمص** : إنّ حمص هي المركز الأساسي لضرب الفلوس ثم أنطرسوس ولقد درسها باحثو النقود دراسة مفصّلة. فقد درسوا الفترة السابقة لتعريب النقود، وكذلك فترة تعريب النقود والفلوس [3].

✓ **جند قنسرين** : يوجد بها مركزين لضرب الفلوس قنسرين وحلب. وتميّزت نقود المرحلة الأولى بوجود نقش "خليفة الله أمير المؤمنين" مثل النقيشة الموجودة على نقود الخليفة عبد الملك بن مروان بدمشق [4]. وهذا دلالة على أنّ والي هذا الجند ركّز أحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة.

✓ **جند الأردن** : إنّ مركز الضرب الأساسي هو طبرية وتوجد مراكز ثانوية كصفورية وبيسان [5]. وضرب في هذا الجند النقود العربيّة البيزنطيّة والنقود العربيّة.

✓ **جند فلسطين** : إنّ مركز الضرب الأساسي هو الرملة والمراكز الثانوية جرش وعمان وعسقلان. ووجدت على بعض الفلوس العربيّة عبارة "لله الملك"6. وهذا يبيّن أنّ مفهوم التوحيد الذي ورد على نقود عاصمة الخلافة وقع تقليده واتباعه من طرف ولاة هذا الجند. نستنتج أنّ أجناد الشام عرفت حركية نقدّية هامّة هي عبارة عن تواصل للفترة البيزنطيّة السابقة. لكنّ تعريب النقود من طرف الخليفة عبد الملك بن مروان جعل كلّ جند يضرب نقودا أو فلوسا من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تؤكّد الإيديولوجيا الأمويّة.

---

1) Morisson (C), *Idem*, p 313.

2) Bates (ML), *Idem*, p 217.
Morisson (Ml), *Idem*. p 314.

3) WA Oddy, *The Constans II Bust Type of Arab Byzantine Coins of Hims*, **Revue Numismatique** 6 E, 6E série XXIX 1987 ; Bates (ML), *Idem*, p 220.

4) Bates (ML), *Idem*, p 221.

5) Bates (ML), *Idem*, p 223.

6) Bates (ML), *Idem*, p 226.

خلق الخليفة عبد الملك بن مروان شخصية أموية على مستوى النقود وأكّد الهوية العربيّة الإسلامية والإيديولوجيا الأمويّة تجاه بيزنطة والفرس، وأسّس أيضا الرمزيّة أو أحد عناصر الرّمزيّة في السلطة وفي النقود. واتّبعهم في ذلك العبّاسيّون الذين حافظوا لمدّة سبعين سنة الأولى من حكمهم على نفس النقود [1]. ومركز الخليفة عبد الملك بن مروان وغيره من الخلفاء الأمويّين سلطة ضرب الدنانير والدراهم بعاصمة الخلافة.

وركّز الأمويون العمارة كعنصر من عناصر مظاهر السلطة الأمويّة.

*** العمارة الدينيّة والمدنيّة بعاصمة الخلافة الأمويّة**

➢ العمارة الدينيّة

لم تذكر المصادر تشييد الخليفة معاوية بن أبي سفيان لمساجد. لكنّ الخليفة عبد الملك بن مروان بنى قبّة الصخرة بالقدس سنة 69 هـ [2]. هذا المسجد- الجامع بني على الصّخرة التي صعد منها الرسول إلى السماء ليلة الإسراء والمعراج [3]. تهدف أسلمة هذا المكان المقدّس اليهودي المسيحي من طرف الخليفة عبد الملك بن مروان لإبراز دور فلسطين والقدس على حساب مكّة.

ولم يقصد الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك تعويض الكعبة بقبّة الصخرة بل تركيز الإيديولوجيا الأمويّة على حساب معارضة ابن الزبير المعتصم بمكّة خاصّة وأنّ أحد فقهاء السلطة أفتى بالحجّ لقبّة الصخرة عوض الكعبة [4].

كما أنّه أراد تركيز الإسلام على حساب بيزنطة الحاضرة بالشام كجبهة جهاد [5]. وقد سبقت هذه العملية أي عمليّة بناء قبّــة الصخرة بالقدس عمليّة تعريب النقود والدواوين التي سيبرهن فيها الخليفة عبد الملك بن مروان عن استقلاليته عن بيزنطة. لكنّ الخليفة عبد الملك بن مروان تأثّر بالبيزنطيّين في تقنيات بناء هذا

---

1) Bates (ML), *Idem*, p 208.

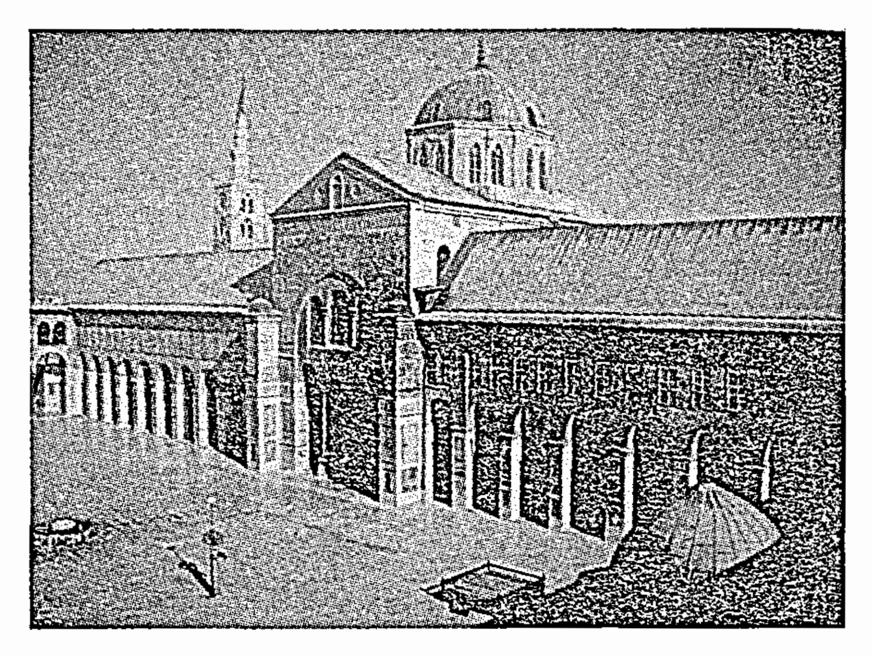
2) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 311.

3) Oleg Grabar, *The Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem*, **Ars Orientalis** 3, 1959, p 33-62.

4) O. Grabar, *Idem*, p 45.
Hawting, **Idem**, p 60.

5) O. Grabar, *Idem*, p 57.

المسجد وفي تخطيطه. يعود تخطيط هذا المسجد لتقاليد يونانية في بناء الكنائس. وتأثّر عبد الملك بن مروان بالبيزنطيّين حيث زيّن حيطان المسجد بالفسيفساء التي تحتوي على أشكال نباتية وعلى التيجان والجواهر وهي رموز الملكية البيزنطيّة والسّاسانيّة [1].



المسجـــد الأمـــوى بدمشـــق

ورأى قرابر أنّ هذه التيجان هي رموز لانتصار الإسلام على الامبراطورية البيزنطيّة التي تمثّل المسيحية والامبراطورية السّاسانيّة [2]. وتحتوي هذه النقيشة على حوار الإسلام مع أهل الكتاب (اليهود والنصارى) وعلى عالمية الدين الإســـلامي ووحدانية الله (سورة الإخلاص) والشهادتين. وسيستعمل هذا الخطاب الإيديولوجي في

---

1) O. Grabar, *What Makes Islamic Art Islamic,* **Art and Archaelogy Research Papers**, London April 1976, p 1-2.

2) O. Grabar, *Islamic Art and Byzantium*, **Dumbarton Oaks Papers** 18, 1964 ; **Studies in Medieval Islamic Art** London 1976, p 69-87.
O. Grabar, *Idem*, p 57.

ما بعد على النقود [1]. وواصل الخليفة الوليد بن عبد الملك تركيز الخطاب الإيديولوجي بواســطة العمارة حيث بنى المسجد-الجامع بعاصمة الخلافة بدمشق [2].

واستعمل الخليفة الوليد بن عبد الملك عمّالا بيزنطيّين أرسلهم له الملك البــيزنطي. كما أرسل له موادّ البناء من فسيفساء وذهب. فجعل أرض المسجد-الجامع رخاما وجدرانه رخاما وفسيفساء ومحرابه ذهبا مرصّعا بالجواهر [3]. ورأى قرابر أنّ إرسال هؤلاء العمّال هو تأكيد لتبعيّة بيزنطة للدولة الأمويّة [4].

أكّد الخليفة الوليد بن عبد الملك على سيطرة الإسلام على العالم. على هذا الأساس، فإنّ الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وضعا العناصر الأولى "لنسق مرئي رمزي" ميّز الهوية العربيّة الإسلامية وكوّنا لغة إيديولوجيّة ومعمارية وجمالية متكاملة [5]. وبنى الخليفة سليمان بن عبد الملك المسجد-الجامع بالرملة على شاكلة قبّة الصخرة والمسجد-الجامع بدمشق [6].

إنّ تقليد الخليفة سليمان بن عبد الملك لأخيه وأبيه في بناء هذا المسجد-الجامع هو دليل على تواصل تركيز خطاب إيديولوجي موجّه ضدّ بيزنطة.

وكاد الخليفة عمر بن عبد العزيز أن ينزع من المسجد- الجامع بدمشق كلّ ما فيه من الرخام والذهب والفسيفساء حتّى لا يشــتغل الناس بالنّظر إليه ولا يركّزون

---

1) Christel Kessler, *Abd Al-Malik's inscription in the Dome of the Rock A Reconsideration,* **Journal of the Royal Asiatic Society** 1, 1970, pp 2-14 ;
O. Grabar,*Idem*, p 80-81.
O. Grabar, *Idem*, p 52-55.
AbdelAziz Duri, *Baït al Maqdis in Islam*, **Studies in the History and Archaelogy of Jordan,** I, Edited by Adnan Hadidi, Jordan 1982, p 351-355.

2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 499.
البلاذري، فتوح، ص 47.
الاصطخري، المسالك والممالك، القاهرة 1961، ص 45.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 339.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 157.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 1217.

3) الاصطخري، مصدر مذكور، ص 45.

4) O. Grabar, **Islamic Art and Byzantium**, p 83

5) O. Grabar, **Islamic Art and Byzantium**, p 79

6) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 48-49.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 3، ص 69.

في صلاتهم. لكنّ بعضهم قال له بأنّ فيه مكيدة للعدوّ فعدل عن نزعه [1]. نستنتج أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز كان ضدّ مظاهر الترف في المسـجد-الجامع بدمشق التي وضعها الخليفة الوليد بن عبد الملك لتركيز الإسلام تجاه بيزنطة. كما تزهّد الخليفة عمر بن عبد العزيز ورفض كلّ هذه المظاهر من باب الزّهد. لكنّ قوّة الإيديولوجيا الأمويّة التي يمثّلها البيت الأموي غلبت روح التقشّف لدى الخليفة عمر بن عبد العزيز.

خلق الخلفاء الأمويّون عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك خلقا خطابا إيديولوجيا جديدا ببنائهما لقبّة الصخرة والمسجد-الجامع بدمشق. كما أنّهما أكّدا الهوية العربيّة الإسلامية للدولة الأمويّة تجاه بيزنطة. فهل أنّ نفس الخطاب الإيديولوجي استعمل في قصور الخلفاء بعاصمة الخلافة؟

➢ العمارة المدنيّة

بني الخلفاء الأمويّون قصورا على شاكلة الملوك البيزنطيّين والفرس لم يفكّر في بناءها الرسول والخلفاء الأوائل ما عدا عثمان بن عفّان [2]. فقد بنى الخليفة معاوية بن أبي سفيان الخضراء بدمشق من لبن وطين [3].

---

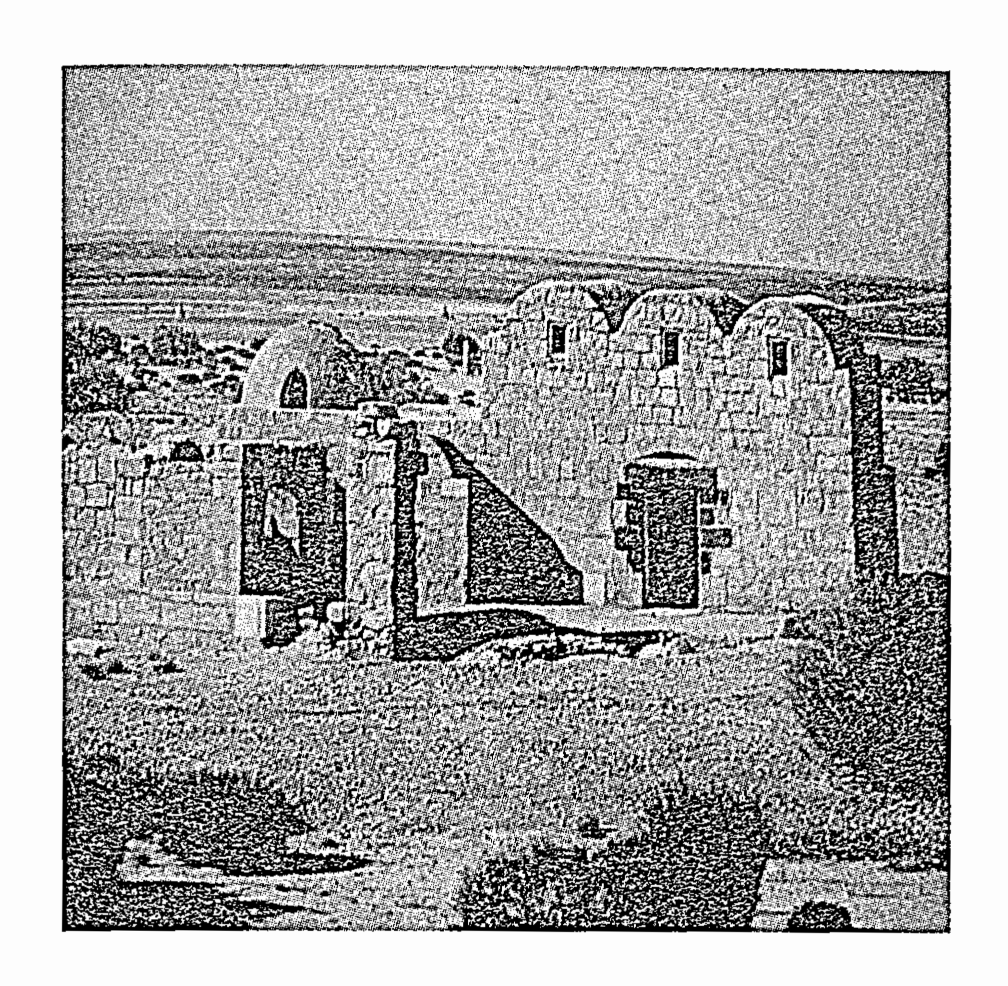
1) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 367-368.

2) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 81

3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 147 ، ج 5، ص 53

Lammens (H), **Etudes sur le Siècle des Omaiyades**, p 336

اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 276.



قصـيـــــر عمـــــــرة

وقدم عليه وفد الامبراطور البيزنطي وسألهم الخليفة معاوية عن رأيهم في إنجازه فأجابوه بأنّه بناء حسن لكنّه هــشّ فهدّم معاوية الخضراء وبناها بالحجارة. تأثّر الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالبيزنطيّين في اتّخاذه لمادّة بناء صلبة لقصره. فقد كانت الحجارة مادّة بناء الجوامع، واللبن والطين مادّة بناء العمارة الدنيوية. واستعملت موادّ فخمة في بناء هذا القصر كالمرمر [1]. وسيستعمل الخلفاء من بعده هذه الموادّ الفخمة في بناء قصورهم الصحراوية.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 18.

وكان الخلفاء الأمويّون الأوائل يؤثرون بطبعهم حياة البادية، ولم يتعوّدوا على المناخ الشتوي الرطب في مدن بلاد الشام. لذلك أخذوا يقضون أشهر الشتاء والربيع في الهواء الجاف في أطراف الصحراء.

وكان الخلفاء في بادئ الأمر، يكتفون بضرب الخيام في البادية حتّى استرعت أنظارهم بعض خرائب الرومان على تخوم تلك البادية وعلى طرق القوافل فرمّموا أوّلا بعضها ثم جاء دور بناء القصور الفخمة من الرقّة بالجزيرة الفراتية مرورا بدمشق وتدمر وجبال حوران إلى خليج العقبة. وهي منشآت فلاحية تحتوي على غراسات الزياتين أو قصب السكر وتعتمد الري عن طريق قنوات مرتبطة بمواجل أو عيون. فقد أصبح الخليفة الأموي ملاّكا عقاريا في أراضٍ عرفت في عهد تدمر أو بيزنطة للاستغلال الفلاحي [1].

لكنّ هذه القصور كانت رمزا للراحة حيث يقضي الخليفة الأموي أوقاتا للمتعة.فقد بنى الخليفة الوليد بن عبد الملك جبل أسيس سنة 88-89 هـ على بعد 115 كلم من دمشق وبالجنوب الشرقي منها. وكان الخليفة يختار قوّادا للمقاتلة وولاة من هذه المنطقة . وبيّنت الحفريّات الأثريّة أنّ هذا القصر يتكوّن من طابقين كقصر الحير الغربي الذي بناه الخليفة هشام بن عبد الملك وأنّ الكؤوس الزجاجية خاضعة للتأثير البيزنطي [2].

قد يكون الخليفة الوليد بن عبد الملك أسّس رمزيّة معيّنة باتّخاذه للقصور، وهو تأكيد للتلذّذ بالسلطة. ورفض الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يسكن القصور الذي بناها أسلافه من الخلفاء الأمويّين لأنّها بنيت "بمال الله وفيء المسلمين" وفضّل أن يسكن بداره [3]. ورفض السكن في القصور كما رفض كلّ مظاهر الترف. لكنّ الخلفاء الأمويّين سيعدلون عن هذه السّياسة من بعده حيث بنى الخليفة هشام بن عبد الملك قصرين بالرصافة العاصمة القديمة للغساسنة [4]. وكان أحد هذه القصور مفروشا

---

1) O. Grabar, *Umayyad Palace and Abbassid Revolution*, **Studia Islamica**, XVIII, 1962, p 63.
2) **Châteaux Omayyades de Syrie**, pp 11-14.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 553.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 136.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 368.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 207.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 6، القسم 2، ص 37.

بالرخام [1]. وبنى الخليفة هشام بن عبد الملك قصر الحير الغربي على بعد 60 كلم جنوب غرب تدمر بواحة صغيرة. أسّس هذا القصر سنة 109 هـ كما أثبتته نقيشة عثر عليها بالقصر.

واستعمل في بناء هذا القصر موادّ قديمة بيزنطيّة كبرج الحراسة. وعلى هذا الأساس، فإنّ القصر يظهر من الخارج كأنّه بناية عسكرية [2]. لكنّه يحتوي من الداخل على حمامات وغرف. وزيّنت الحيطان بالفسيفساء التي تمثّل مشاهد صيد على الطراز الساساني ومشاهد نباتية وهندسية [3]. كما أنّ العديد من العناصر النباتية التي تزيّن الخشب تنتمي للعمارة الهلينستية سوريا (أي الفنّ الروماني والفنّ التدمري والفنّ المسيحي بسوريا) [4]. ووجد بهذا القصر تمثال الخليفة هشام بن عبد الملك. كما رسم بقصير عمرة، وهو قصر نسب للخليفة الوليد بن عبد الملك وأكمل تشييده الخليفة هشام بن عبد الملك، بمجلس الخليفة شخص هو بدون شكّ الخليفة هشام بن عبد الملك جالسا على العرش على الطراز البيزنطي ويحيط به ستة أشخاص لابسين ثيابا مترفة وهم الامبراطور البيزنطي والامبراطور الساساني وملك الحبشة وآخر ملك قوطي بإسبانيا والامبراطور الصيني والهندي وكلّ هؤلاء هم أعداء الإسلام والذين انتصر عليهم الأمويّون [5].

سعى الخليفة هشام بن عبد الملك لتمجيد سلطته وصورته. واختلفت رمزية القصور عن رمزية المساجد والنقود لأنّ القصور أكثر انغلاقا وارتباطا بالحياة الخاصّة للخليفة أو كلّ ما هو متّصل باللهو كالصيد والألعاب والموسيقى والرقص [6].

نستنتج أنّ الخلفاء الأمويّين خاصّة منهم الخليفة هشام بن عبد الملك أكّدوا السلطة الأمويّة ببناء القصور. بينما أكّد الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد

---

1) الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 6، ص 73.

2) **Châteaux Omayyades de Syrie**, p 21-22.

3) Hana Chidiac, *Châteaux Omayyades de Syrie*, **Archaelogia** 262, Nov 1990, p 34-41.

4) Renata Holod, James Knatad, William Trousdale, Oleg Grabar, **City in the Desert Qasr al-Hayr East**, Harvard Middle Eastern Monograph Series, Cambridge 1978, T 2, p 16-27.

5) O. Grabar, Islamic Art, p 84 .

6) O. Grabar, Islamic Art, p 84 .
Edouard Pommier, *Versailles l'Image du Souverain*, in **Les Lieux de Mémoire**, ouvrage collectif publié sous la direction de Pierre Nora, Paris 1993, p 193-233.

بن عبد الملك الهوية العربيّة الإسلامية ببناءهما للجوامع بفلسطين وبعاصمة الخلافة الأمويّة. ومكّنت هذه الحركية من تطوير الفنّ الإسلامي في العهد العبّاسي.

اتّخذ الخلفاء الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز مظاهر السلطة أو شارات الملك الذي كان الملوك الفرس والبيزنطيون والغساسنة وملوك الحيرة يتّبعونها. فأحدثوا بذلك قطيعة نسبيّة مع فترة الرسول والخلفاء الأوائل وأحدثوا أحد شارات الملك الإسلامي باتّخاذ الخليفة معاوية بن أبي سفيان للمقصورة بالمسجد. ولم تقتصر مظاهر السلطة على عاصمة الخلافة بل شملت الولايات.

2- مظاهر السلطة بالولايات

*** ثروات الولاة**

كان الولاة الأمويّون على شاكلة الخلفاء الأمويّين يمتلكون الثروات. ومن بين هذه الثروات القطائع أو الضياع. فقد كان ولاة العراق يمتلكون القطائع كزياد بن أبي سفيان الذي تحيّل ليشتري أرضا من أحد أقارب الخليفة معاوية. وقد أقطع هذا الأخير أحد بني إخوته ولمّا جاء الفتى ليراها أرسل فيها زياد الماء. فتراجع الفتى عن التصرّف في هذه القطيعة لأنّها بطيحة واشتراها منه زياد وحفر أنهارها وأقطع منها [1].

نستنتج أنّ زياد كان ثريّا وكان يسعى لامتلاك الأراضي بالبصرة وكان بدوره يجود بالقطائع على حاشيته وقد كلّف وكيلا بقطائعه هو عبد الرحمن بن تبّع الحميري [2].

وكان زياد يمتلك العديد من القطائع. كما كان قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك لديه قطيعة بالبصرة [3].

وكان خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يمتلك ثمانية ضياع بالعراق كنهر خالد الذي بلغت غلّته خمسة آلاف

---

1) البلاذري، **فتوح**، ص 504.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 492.
3) البلاذري، **فتوح**، ص 506.

درهم وباجوّى وبارمّانا والمبارك والجامع وكورة سابور والصلح. ولتنمية هذه "المشاريع الفلاحية الضخمة" حفر خالد بن عبد الله أنهارا وجفّف المستنقعات. وكان يقول دائما "إنّي والله مظلوم، ما تحت قدمي من شيء إلاّ وهو لي" يعني أنّ الخليفة عمر بن الخطّاب جعل لبجيلة – قبيلة خالد بن عبد الله– ربع السواد [1].

وكانت غلّة ضياع خالد عشرين مليون درهم أو ثلاثة عشر مليون درهم [2]. فكان بذلك ينافس الخليفة هشام نفسه وكان ثراء خالد أحد أسباب عزل الخليفة هشام بن عبد الملك له.

وكان يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يمتلك مزرعة بالبلقاء بالشام [3]. اكتسب ولاة العراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك – ما عدا ربّما عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز– ضياعا أو قطائعا على شاكلة الخلفاء الأمويّين.

كما كان والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك يزيد بن المهلّب يمتلك ثروة عقّارية حيث اتّخذ بستانا في داره [4]. لكنّ الجاحظ لم يذكر ما هي قيمة غلّة هذا البستان.

ولم تذكر المصادر الملكيّات العقّارية لدى ولاة خراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا مثال يزيد بن المهلّب. كما أنّ ولاة مصر كانت لديهم ملكيّات عقّارية. فقد كان لعمرو بن العاص والي مصر من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان بستانا بالطائف وهو الوهط [5].

---

1) البلاذري، فتوح، ص 373-374.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 143-147-151-152.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 62.
Hawting (GR), Idem, p 81.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 320.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 274.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 1، ص 489.
4) الجاحظ، البيان والتبيين، ج 2، ص 55.
5) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 68-69.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 6، ص 301؛ ج 4، ص 431.

وكانت قيمة هذه الضيعة حسب المسعودي عشرة آلاف ألف درهم وهو مبلغ هامّ نسبيّا. وترك عمرو بن العاص عندما توفّي من الغلّة بمصر مائتي ألف دينار. فهو ربّما كان لديه مالا فوظّفه بغرسه شجرا ما [1]. لكنّنا يجب أن نحترز من تقديرات المسعودي. المهمّ أنّ عمرو بن العاص اكتسب ثروة. وغرس عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان نخلا بحلوان [2]. كما أقطع عبد العزيز ابنه الأصغر أرضا واسعة [3]. لم يثر الوالي عبد العزيز بن مروان لوحده بل أشرك ابنه في هذه الثروة. وأحيى قرّة بن شريك العبسي والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أرضا بعد أن كانت مواتا وغرس فيها قصبا [4].

نستنتج أنّ الولاة الأمويّين بالعراق وخراسان ومصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك -ما عدا فترة خلافة عمر بن عبد العزيز- أثروا نتيجة استغلالهم للقطائع على شاكلة الخلفاء الأمويّين وبالتالي طوّروا أحد مظاهر السلطة كالولاة البيزنطيّين أو الفرس. وقد قام هؤلاء الولاة بتجاوزات بما أنّهم ربّما استغلّوا أراضي الفيء. وهم بذلك طوّروا ظاهرة الاستئثار بالولايات مثلما طوّرها الخلفاء بعاصمة الخلافة.

كما تحصّل الولاة الأمويّون على أموال هامّة نتيجة الغنائم حيث ذكرت المصادر أنّ زياد بن أبي سفيان كانت لديه قاعدة مالية هامّة تمكّنه من شراء الضمائر [5]. وأثرى عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان في عهد الخليفة يزيد بن معاوية بعد استحواذه على الفيء أو الأموال التّي كانت ستدفع للمقاتلة والأرزاق للذراري. وكان هذا الاستحواذ بمثابة العقاب لمقاتلة البصرة لانضمامهم لثورة عبد الله بن الزبير [6].

وورّث عبيد الله بن زياد هذه الثروة لأبناءه. وقدأثرى عبيد الله في ظروف خاصّة وهي ثورة عبد الله بن الزبير. كما اكتسب بشر بن مروان والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان قاعدة مالية هامّة لحكمه وهي ناتجة عن الغنائم وموارد

---

1) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 23.
2) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 236.
3) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 138.
4) الكندي، **ولاة**، ص 86.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 220-221.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 508-509.

الخراج [1]. ويبدو أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك لم يترك إلاّ ثلاثمائة درهم عندما توفّي [2]. فربّما لم يثر الحجّاج على حساب أموال الدولة (الغنائم أو الخراج).

وكان مسلمة بن عبد الملك والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك يتحصّل على خراج العراق وخراسان ولم يدفع لأخيه الخليفة هذه الأموال. وتحرّج الخليفة من أخيه مسلمة فلم يطالبه بها لكنّه عزله فيما بعد [3]. اكتسب ولاة العراق قاعدة مالية "لملكهم" من الغنائم والخراج من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك -ما عدا عهد عمر بن عبد العزيز- فطوّر الولاة بالعراق على شاكلة الخلفاء الأمويّين أحد مظاهر السلطة أو الملك.

وأثرى ولاة خراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك من الغنائم أساسا. فقد تحصّل عبد الرحمن بن زياد بن أبي سفيان أو ابن أبيه والي خراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان على أموال كثيرة من الغنائم وربّما من الخراج حتّى أنّه كان يقول "أعيش مائة سنة وأنفق كلّ يوم ألف درهم" [4]. واحتفظ عبد الرحمن بهذه الأموال بعد عزله من باب "قرابته المزعومة" من الخليفة معاوية بن أبي سفيان. وأثرى يزيد بن المهلّب والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك من الغنائم حتّى أنّه كان يوزّع على الناس قطع الذهب والفضّة حتّى يكسبهم لصفّه عندما ثار على الخليفة يزيد بن عبد الملك [5].

واصطفى سعيد بن عمرو الحرشي والي خراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك أموال السغد وذراريهم فأخذ منها ما أعجبه ثم ولّى شخصا قسمة الغنائم [6]. كان هذا الوالي أنانيّا بما أنّه احتفظ بكلّ ما هو ثمين لنفسه. وأثرى ولاة خراسان كولاة العراق وكالخلفاء الأمويّين من أموال الغنائم الملك مطوّرين بذلك أحد

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 173-176.
الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 314.
2) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 84.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 580-615.
4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 371.
5) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 280.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 10.

مظاهر السلطة. وانتزع مروان بن الحكم والي المدينة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان من عبد الله بن عامر بن كريز أموالا كان سيسلّمها للخليفة معاوية بن أبي سفيان وهي ألف ألف درهم. فغضب الخليفة عليه عندما عرض هذا الأخير على الخليفة أن يعطيه هذه الأموال [1].

نستنتج أنّ مروان بن الحكم انتفع من أموال الدولة وأثرى على حسابها ولم تذكر المصادر ما عدا هذا الخبر إثراء ولاة الحجاز من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وأثرى ولاة مصر من أموال الغنائم والخراج حيث جعل الخليفة معاوية بن أبي سفيان طعمة لعمرو بن العاص والي مصر من قبله بعد عطاء جندها والنفقة على مصلحتها [2]. وخلّف عمرو بن العاص عند موته ثلاثمائة ألف دينار وخمسة وعشرون ألف ألف دينار [3]. لكن يجب أن نحترز من هذه المعلومات التي قدّمها المسعودي لأنّ الكندي ذكر معلومة مخالفة لها وهي أنّ عمرو بن العاص لم يترك إلاّ سبعة دنانير حين توفّي [4]. لا نستطيع أن نجزم بإثراء عمرو بن العاص بما أنّ الأخبار متضاربة.

كما كان عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان يحتفظ بالخراج ولم يسلّمه لأخيه الخليفة [5]. أثرى ولاة مصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بفضل أموال الخراج. لكنّ قلّة المعلومات بالمصادر لم تمكّنا من تكوين فكرة شاملة عن تطوّر هذه الظاهرة ظاهرة الإثراء. أثرى الولاة الأمويّون من أموال الغنائم والخراج فطوّروا بذلك أحد مظاهر السلطة وهي اكتساب ثروة مالية على شاكلة الخلفاء الأمويّين وذلك من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

* **التشريفات**

كما طوّر الولاة الأمويّون مظهرا آخر من مظاهر السلطة وهو التشريفات أو البروتوكول. فقد كان للولاة الأمويّين برنامج عمل يومي على شاكلة الخلفاء الأمويّين حيث ذكر الجهشياري أنّ زياد بن أبي سفيان كان يجلس للنظر في شؤون الدولة

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 65.
2) الكندي، **ولاة مصر**، ص 54.
3) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 23.
4) الكندي، **ولاة**، ص 57.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 414.

والحكم كلّ يوم ما عدا الجمعة فهو كان يخصّص يوما في الأسبوع للراحة [1]. وكان عبيد الله بن زياد لا يأذن للناس إلاّ بعد أن يرتفع النهار [2].

وكان بشر بن مروان والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان لا يجلس بالعشي للناس [3]. إنّ والي العراق أصبح كالخليفة الأموي لديه وقتا محدّدا لاستقبال الناس. كما أنّ والي العراق أصبح يبعد بينه وبين الناس على شاكلة الخليفة الأموي فهو لا يستقبلهم في مجلسه إلاّ بعد أن يطلبوا الإذن. فقد كان المغيرة بن شعبة الثقفي لا يدخل الناس إلاّ بعد الإذن [4]. وأرسل بلال بن أبي بردة والي البصرة من قبل خالد بن عبد الله القسري يطلب منه الإذن للقدوم عليه ومشافهته في أمر هامّ فسمح له خالد بذلك [5]. وغضب خالد بن عبد الله غضبا شديدا لقدوم طارق بن أبي زياد خليفته على الخراج بالكوفة عليه بواسط بغير إذن [6]. ويمكن أن نجزم أنّ طلب الإذن قد اكتسب أهميّة كبيرة كعنصر من عناصر التشريفات من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وكان الإخلال به يعتبر خطأ كبيرا. وتميّز بشر بن مروان بخصلة عدم حجب الناس عنه ممّا دفع بالشعراء لمدحه [7]. وعلى العكس من ذلك، كان بلال بن أبي بردة يترك الناس ينتظرون إلى حدّ أن تصيبهم الشمس [8].

ربّما تصرّف بلال عمدا نظرا لتطوّر وتعقّد ظاهرة الإبعاد بين الوالي والناس في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وأحدث زياد تغييرا على مستوى استقبال الناس في مجلسه فكان أول من دعى الناس النقرى وكانوا فيما قبل يدعون الجفلى9. وكان زياد يأذن للناس حسب تراتبيّة معيّنة متّبعا في ذلك ما سنّه الخليفة معاوية بن أبي سفيان. فهو يأذن لأهل السابقة والقدم أوّلا ثم يدعو أهل الشرف وذوي الأسنان ثانيا.

---

1) الجهشياري، مصدر مذكور، ص 25.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 570.
3) الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 2، ص 309.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 254-255.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 153.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 148.
7) الجاحظ، رسائل، ج 2، ص 81-82.
8) وكيع، مصدر مذكور، ج 2، ص 37.
9) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 220.

كما أنّه لا يأذن للناس في أربعة حالات:

- ✓ الحالة الأولى وهي المنادي للصلاة.
- ✓ الحالة الثانية وهي طارق الليل فهو جاء بأمر.
- ✓ الحالة الثالثة رسول صاحب الثغر فإن أبطأ ساعة فسد بإبطائه عمل سنة.
- ✓ الحالة الرابعة تتمثّل في دخول صاحب الطعام للوالي [1].

وضع زياد تراتبيّة معيّنة في الإذن للناس تخضع للعامل الإسلامي (السابقة والقدم) والعامل الجاهلي (مفهوم الشرف) ومنح زياد أهميّة لإقامة الفرائض كالصلاة والجهاد كعنصر من عناصر الإيديولوجيا الأمويّة. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ زيادا منح أهميّة أيضا للعنصر الدنيوي أو الطعام. وكان الحجّاج كزياد يدخل الناس حسب هذه التراتبيّة أي أهل السابقة والقدمة ثم أصحاب الشرف القبلي [2].

وكان الناس يدخلون ويجلسون حسب تراتبيّة معيّنة بمجلس خالد بن عبد الله القسري [3]. لكنّ الطبري لم يذكر ما هي نوعيّة التراتبيّة. نستنتج أنّ الإذن كعنصر من عناصر التشريفات أو البروتوكول تطوّر نحو التعقّد من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بالعراق مثلما تطوّر بعاصمة الخلافة. وكان الولاة بالعراق يتّخذون الحجّاب على شاكلة الخلفاء الأمويّين أي العمّال الساهرين على الإذن. واكتسب الحاجب أهميّة كبيرة لدى ولاة العراق حتّى أنّ الحجّاج قال بأنّ "حاجب الرجل وجهه" [4]. فالحاجب أصبح مرآة لسياسة الوالي.

وانتمى أغلب حجّاب العراق لعنصر الموالي نظرا لخبرة العجم في الحجابة. كما أنّ صلاح هؤلاء الموالي كان شرطا ضروريّا حتّى يتولّوا الحجابة5. وتبوّأ بعض الحجّاب عدّة وظائف لكفاءاتهم حيث كان أعين صاحب حمّام أعين حاجب وصاحب حرس بشر بن مروان [6]. وكان داود البربري على الحجابة والحرس وديوان

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 203.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 379.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 27.
4) الجاحظ، **رسائل**، ج 2، ص 40.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 35.
6) الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 309.

الرسائل لدى خالد بن عبد الله القسري [1]. كما كان داود البربري يؤثّر على قرارات خالد ويشير عليه في الأمور الهامّة [2].

كما كان لصاحب شرطة البصرة يزيد بن عمر حاجب هو محمّد بن غسان [3]. ويبيّن المثال أنّ صاحب الشرطة بالبصرة أصبح كالوالي بإمكانه اتّباع أحد عناصر التشريفات والإذن. وهذا دليل على تطوّر مظاهر الملك أو السلطة بالعراق وكان والي العراق يمنع رفع الكلفة بينه وبين الناس في مجلسه، فقد حذّر زياد رجلا من المزاح بمجلسه [4]. وطلب قتيبة بن مسلم الباهلي من الحجّاج عندما كان بمجلسه الإذن في الكلام فمنعه الوالي من ذلك [5]. وطوّر ولاة العراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك التشريفات على غرار الفرس وكذلك الخلفاء الأمويّين بعاصمة الخلافة. ولم يقتصر تطوير التشريفات على ولاة العراق بل شمل كذلك ولاة خراسان. فقد كان قتيبة بن مسلم الباهلي يأذن للناس للدخول إلى مجلسه [6]. واستعمل ولاة خراسان حجّابا للسهر على الإذن وهما ينتمان للموالي.

وكان والي خراسان يطلب من الناس الانصراف إذا انتهت المقابلة على شاكلة الخليفة الأموي حيث طلب سعيد خذينة أو سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص من الناس الذين حضروا بمجلسه أن يقوموا [7]. كما أنّ ظاهرة الإبعاد بين الوالي والناس تطوّرت حيث كان نصر بن سيّار اللّيثي يزور صديقا له وعندما أصبح واليا أرسل له شخصا يحضره [8].

نستنتج أنّ ولاة خراسان من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك طوّروا التشريفات كمظهر من مظاهر السلطة على شاكلة ولاة العراق والخلفاء الأمويّين. كما أنّ ولاة الحجاز اتّخذوا هذا المظهر من مظاهر

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 148.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 149.
3) الجاحظ، رسائل، ج 2، ص 53.
4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 205.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 272.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 478.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 607.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 155.

السلطة ألاَ وهو التشريفات. فقد كان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية لديه توقيت معيّن يجلس فيه الناس في مجلسه [1].

كما كان للحجّاج بن يوسف – والي الحجاز من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان– حاجب يرسله في بعض المهام [2]. على هذا الأساس، كان ولاة الحجاز يتّبعون التشريفات على غرار الخلفاء الأمويّين وولاة العراق وخراسان وتبعهم في ذلك ولاة مصر الذين اتّخذوا حجّابا ساهرين على الإذن كأحد عناصر التشريفات. وانتمى الحاجب الذي ذكرته المصادر للأشباء (حضرموت) أي لليمن.

تطوّرت التشريفات بمصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وهذا دليل على تعقّد دواليب الدولة وتطوّر الملك بعاصمة الخلافة وبالولايات. وكان مسلمة بن مخلّد والي مصر والمغرب متّخذا حاجبا وهو قيس بن كليب [3]. وهذا دليل أيضا على أنّ ولاية إفريقية تطوّر بها أحد عناصر التشريفات وهو الإذن. نستنتج أنّ التشريفات أو البروتوكول تطوّرت شيئا فشيئا بالولايات الأمويّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وكانت ولاية العراق أكثر الولايات تطويرا للتشريفات بما أنّها كانت تسير بصفة عامّة على نفس نسق عاصمة الخلافة.

*** السريـــــر**

ولم تقتصر مظاهر السلطة بالولايات على التشريفات بل شملت كذلك السرير. جلس الولاة الأمويّون على السرير على شاكلة الخلفاء. فقد ذكر البلاذري أنّ زياد بن أبي سفيان كان يجلس على السرير [4]. كما كان بشر بن مروان والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان ثم الحجّاج والي العراق والمشرق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان وعمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك وأخيرا خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك كانوا كلّهم يجلسون على السرير [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 339.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 361.
3) الكندي، **ولاة**، ص 76.
4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 242.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 129.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 384 .
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 5، ص 174.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 201.

وكان ولاة العراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يجلسون على السرير كالملوك أو ولاة الفرس والملوك والولاة البيزنطيّين، وطوّروا بالتالي أحد مظاهر السلطة أو الملك الأموي. ولم يقتصر اتّخاذ السرير على ولاة العراق بل شمل كذلك ولاة خراسان كقتيبة بن مسلم الباهلي وأسد بن عبد الله القسري ونصر بن سيّار الليثي [1].

واتّخذ ولاة مصر أيضا السرير مظهرا من مظاهر السلطة كعقبة بن عامر الجهني ومسلمة بن مخلّد وعبد العزيز بن مروان [2]. وجلس ولاة إفريقية على السرير حيث كان عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقية والمغرب والأندلس من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يجلس على السرير [3].

نستنتج أنّ الولاة الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كانوا على شاكلة ولاة الفرس والبيزنطيّين يجلسون على السرير وهو أحد مظاهر الملك التي تبنّاها أيضا الخلفاء الأمويّون. وكان الولاة الأمويّون يمشون في موكب على شاكلة الخلفاء الأمويّين حيث ذكر البلاذري أنّ زياد بن أبي سفيان كان يمشي في موكب [4].

كما أنّ الحجّاج كان يمشي في موكب مع الشّرط والوجوه [5]. كما كان ولاة إفريقية يمشون في موكب [6]. نستنتج أنّ الولاة الأمويّين، من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك، اتّخذوا أحد مظاهر السلطة وهو المشي في موكب.

* المقصورة

وتبنّى الولاة الأمويّون المقصورة كعنصر معماري أحدثه معاوية بن أبي سفيان بالمسجد وهو أحد مظاهر الملك الإسلامي. فقد اتّخذ أيضا زياد المقصورة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 478.
الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص122-139-174.
2) الكندي، ولاة، ص 60.
الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 1، ص 313.
3) ابن عذاري، مصدر مذكور، ج 1، ص 53.
4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 232.
5) الجاحظ، كتاب البغال، ص 67.
6) أبو العرب، طبقات علماء إفريقيّة، الجزائر، 1914، ص 46.

بالمسجد-الجامع بالكوفة عندما حصبه أهلها [1]. كما أنّ زياد أوّل من اتّخذ المقصورة بالمسجد بالبصرة [2]. واتّخذ مروان بن الحكم المقصورة بالمدينة ليصلّي فيها خوفا من الاغتيالات [3]. نستنتج أنّ الولاة الأمويّين اتّخذوا أحد شارات الملك الإسلامي وهي المقصورة وبالتالي فإنّهم أحدثوا تجديدا على مستوى مظاهر السلطة.

قلّد الولاة الأمويّون الخلفاء باتّخاذهم لمظاهر السلطة البيزنطيّة والسّاسانيّة وهذا من شأنه أن يطوّر الملك سواء بعاصمة الخلافة أو بالولايات.

واتّخذ الولاة النقود كالخلفاء في عاصمة الخلافة.

* **النقود بالولايات** ضرب الولاة الأمويّون بالعراق من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان نقودا عربيّة-ساسانية أو دراهم. وكان يمثّل على هذه النقود صورة الملك الساساني أو صورة الحجّاج بن يوسف الثقفي التي تشبه صورة الملك الساساني بالفهلوية على هذه الدراهم. وكان الحجّاج أوّل من كتب اسمه على هذه النقود [4].

وكان يكتب فوق هذه النقود :

بسم الله
لا إله إلاّ الله
وحده
محمد رسول الله [5]

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 236-256
2) البلاذري، فتوح، ص 485.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 215.
4) Bates (ML), **Islamic Coins**, p 12
5) Georges C. Miles, *Rare Islamic Coins*, Numismatic Notes and Monographs n°118, **The American Numismatic Society** 1950, p 1-33.
Bates (ML), *Idem*, p 6.
Walker (J), **Idem**, p li.

النقـــــــود العربيـــــة بعاصمة الخلافة

دينار ذهبي ضُرب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان سنة 80هـ
(سورة الإخلاص)









دينار ذهبي ضُرب في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك سنة 87هـ
(سورة الإخلاص)

Châteaux umayyades, p 54

وحافظ الولاة في مرحلة أولى على الصور والكتابة الفهلوية ثمّ غيّروها. وكتب الحجّاج بن يوسف الشهادة على الدراهم ووضع اسمه عليها. وستحضّر هذه المرحلة للتعريب. عرّب الحجّاج بن يوسف الثقفي النقود بالعراق بأمر من الخليفة عبد الملك ين مروان [1].

وتهدف هذه العملية للتخلّص من التبعيّة الفارسية بالعراق وما والاها وتأكيد الإسلام والعروبة. ونقشت فوق هذه الدراهم سورة الإخلاص أو الشهادتين كدراهم عاصمة الخلافة. واتّخذ الحجّاج دار ضرب وجمع فيها الطباعين بعد أن سأل عن تقنيات الفرس [2]. وختم الحجّاج على أيدي الطباعين حتّى لا يزيّفوا الدراهم. وَخلّص عمر بن هبيرة الفزّاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك الفضّة وجوّد الدراهم واشتدّ في العيار. ولمّا ولّي خالد بن عبد الله القسري والي العراق من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك تشدّد مع الطباعين وأصحاب العيار فقطع الأيدي وضرب ضربا مبرّحا كلّ من يقوم بتجاوزات.

كما اتّبع يوسف بن عمر نفس هذه السياسة [3]. وكانت النقود الهبيرية والخالدية واليوسفية من أجود نقود الأمويّين. اتّبع الولاة الأمويّون من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك سياسة متشدّدة مع الطباعين حتّى يحافظوا على جودة النقود. كما حصر الخليفة هشام بن عبد الملك ضرب السكة بواسط سنة 106 هـــ. وأبطل ضربها بالمدن الأخرى بالعراق وما والاها ضمانا لجودة النقود أيضا [4]. وكانت هذه النقود لا توزّع على كلّ الولايات. يمركز هذا القرار السلطة بيد الخليفة الأموي. وحافظت النقود الأمويّة المضروبة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 251.
البلاذري، فتوح، ص 656.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 417.
ابن جعفر، مصدر مذكور، ص 49.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 336.

2) البلاذري، فتوح، ص 656.
ابن جعفر، مصدر مذكور، ص 59-60.

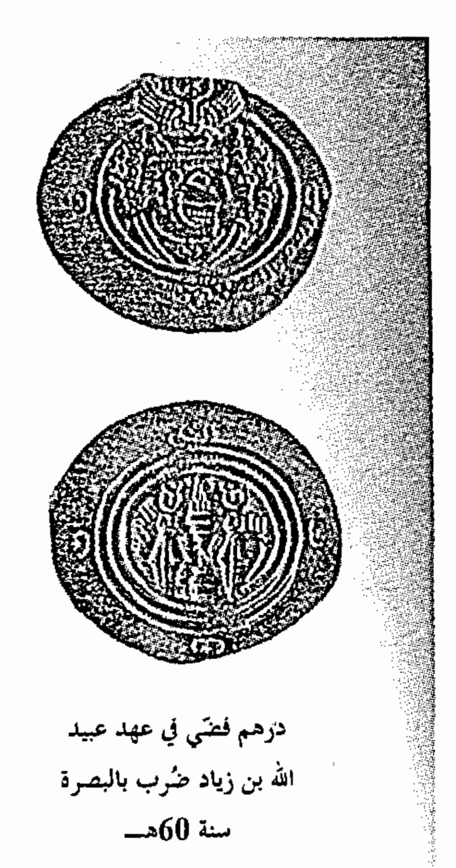
3) البلاذري، فتوح، ص 656-657.
ابن جعفر، مصدر مذكور، ص 59-60.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 417.

4) Walker (J), **Idem**, p lxiii.
E.I², tII 2 *Dirham*.

بالعراق على مفهوم التوحيد من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك مع اختلاف طفيف على مستوى الرسم حيث نقش كلّ وال دوائر. واختلفت هذه الدوائرمن حيث العدد حسب الولاة.

النقـــــود العربيــــة-الساسانيّــــة

بالولايات (العراق)

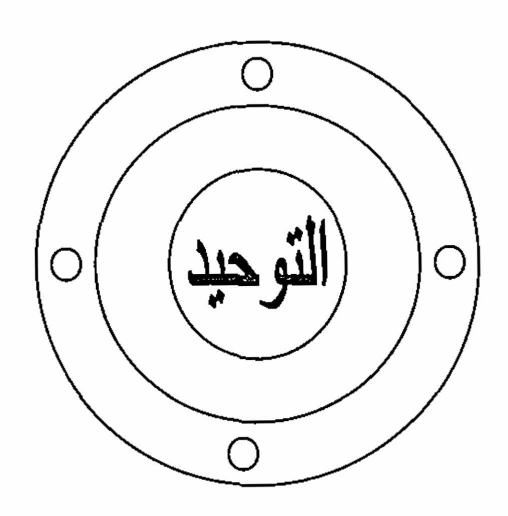


درهم فضّي في عهد عبيد الله بن زياد ضُرب بالبصرة سنة 60هـ

درهم فضّي لعبد الملك بن مروان ضُرب بدرابجرد سنة 72هـ



Châteaux umayyades, p 54



جدول علامات الدراهم من عهد يزيد بن المهلّب إلى آخر عهد يوسف بن عمر الثقفي [1]

الوالي	السنة	واسط	الكوفة	البصرة
يزيد بن عبد المهلّب (96-99)	99	o o o o o		
عبد الحميد بن عبد الرحمن بواسط والكوفة 99-102		o o o o o o		
عدي بن أرطاة بالبصرة 99-101	100		o o o o o	o o o o o
	101	o o o o o	o o o o o o	o o o o o
مسلمة بن عبد الملك	102		o o o o o o	
عمر بن هبيرة الفزّاري 102-105	103	o o o o o o		
	104	o o o o o o		

1) A.S Deshazo and Michael Bates, "The Umayyad Governors of al-Iraq and the Changing Annulet Patterns on their Dir-hams", **Reprinted from The Numismatic Chronicle Seventh Series**, Vol XIV, pp 110-118-1974.

البصرة	الكوفة	واسط	السنة	الوالي
		o o o o o o	105	
		o o o o o o o o o	106	خالد بن عبد الله القسري
		◎ ◎ ◎	107	
		◎ ◎ ◎	120	يوسف بن عمر الثّقفي
		o o o o o	126	

ركّز الحجّاج بن يوسف الثّقفي الهوية الإسلامية والعربيّة بتعريبه للنقود بالعراق وركّز الإيديولوجيا الأمويّة. وواصل الولاة من بعده إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تدعيم هذه الإيديولوجيا. حرص هؤلاء الولاة على جودة النقود التّي أصبحت أحد رموز السلطة الأمويّة بالعراق.كما كانت المناطق التّابعة للبصرة والكوفة تضرب النقود أساسا الدراهم والفلوس من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

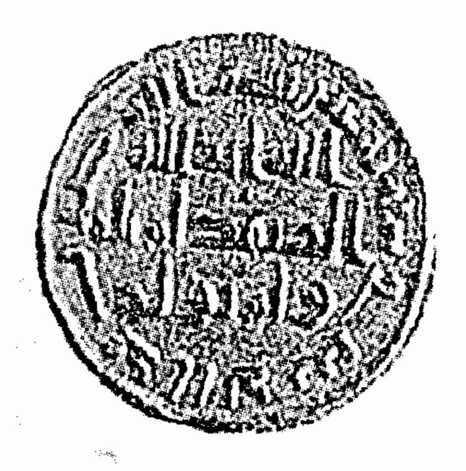
تشتمل الكوفة على أذربيجان والجبال وجنوب بحر قزوين. وتشتمل البصرة على فارس وكرمان وخراسان والمناطق التّابعة لها كسجستان. وكانت ولاية الموصل تشمل ولاية أرمينية وولاية الجزيرة [1]. واحتوت الدراهم والفلوس بهذه المناطق على مفهوم التوحيد (سورة الإخلاص أو الشهادة). كما احتوت في مرحلة أولى على صور كسرى [2]. إنّ وجود مرحلتين في تطوّر النقود بهذه المناطق دليل على توحّد الإيديولوجيا الأمويّة وتأكيد للهويّة العربيّة الإسلامية في المجال "الساساني". وحافظت ولاية مصر منذ الانتشار الإسلامي على النقود البيزنطيّة التي كانت تضرب بالإسكندرية وهي نقود نحاسية.

---

1) Bates (ML), *History, Geography and Numismatics in the First Century of Islamic Coinage*, **Revue Suisse de Numismatique**, 65, 1986, p 231-232.
2) Walker (J), Idem, p 84-293.



درهم ضُرب في عهد الخليفة
الوليد بن عبد الملك في درابجرد
91هـ



Châteaux umayyades, p 56

وكانت هذه النقود تحتوي على صورة الامبراطور البيزنطي والصليب والنقش اليوناني [1]. وانتقل مركز ضرب النقود للفسطاط [2]. وفي آخر القرن الهجري الأول، عرّبت النقود وأصبحت تحتوي على نقوش عربيّة (التوحيد والشهادة).

نستنتج أنّ مصر كانت كبقية الولايات الأمويّة تمثّل مرحلتين : مرحلة التبعيّة للبيزنطيّين ثم مرحلة الاستقلال وتأكيد الهوية العربيّة الإسلامية. وتوسّع العرب على حساب قرطاج في نفس فترة تعريب النقود بدمشق فضرب الولاة نقودا شبيهة بالنقود البيزنطيّة على مستوى الصور واللغة اللاتينيّة وتحتوي على مفهوم التوحيد. وعرّبت هذه النقود سنة 101 هـ في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك [3]. وكانت ولاية إفريقية تتلقّى النقود الذهبية من واسط بعد قرار الخليفة هشام بن عبد الملك سنة 106 هـ بحصر ضرب النقود بها. لكنّ هذا القرار لم يمنع الولاة من نقش أسماءهم على الفلوس [4]. وكانت ولاية الأندلس تحتوي على ثلاث مراحل نقديّة : الأولى بعد الانتشار الإسلامي سنة 92 هـ وتمثّلت في تقليد نقود البرابرة. وامتدّت المرحلة الثانية من سنة 97 هـ إلى سنة 98 هـ واحتوت على الحكّام البرابرة ونقائش بالعربيّة. وفي المرحلة الثالثة عرّبت النقود سنة 102 هـ واحتوت على مفهوم التوحيد والشهادة [5].

نستنتج أنّ ولايتي إفريقية والأندلس مرّتا بمرحلة تبعيّة للحضارة البيزنطيّة والقوطية ثم استقلّتا كبقية الولايات وعرّبتا النقود وبالتالي تركّزت العروبة والإسلام والإيديولوجيا الأمويّة بهاتين الولايتين.

ركّز الأمويّون الطابع الرمزي للنقود من حيث أنّها أحد رموز السلطة وذلك منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما عرّب الخليفة عبد الملك بن مروان النقود وبالتالي ركّز الهوية العربيّة الإسلامية

---

1) Bates (ML), **Islamic Coins**, p 7-8.
Walker (J), **Idem**, p xlvii.

2) Bates (ML), *History, Geography and Numismatics in the First Century of Islamic Coinage*, p 237.

3) Bates (ML), **Islamic Coins**, p 16.
Walker (J), **Idem**, p xlvii.

4) Djaït (H), *La Wilaya d'Ifriqiya*, p 100-101.

5) Walker (J), **Idem**, p xlvii.
Lavoix, n° 426 Cabinet des Médailles, BN Paris.

والإيديولوجيا الأمويّة بعاصمة الخلافة الأمويّة. وتواصلت هذه العملية من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

على هذا الأساس، تأثّر الخلفاء الأمويّون بالبيزنطيّين في ضربهم للنقود لكنّهم أسّسوا شخصية عربيّة إسلامية بواسطة النقود لم تكن موجودة في عهد الخلفاء الأوائل. كما ركّز الأمويون العمارة كعنصر من عناصر مظاهر السلطة الأمويّة.

*** العمارة بالولايات**

➢ **العمارة الدينيّة**

ذكرت المصادر أنّ الولاة بنوا المساجد في الولايات حيث بنى زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان المسجد-الجامع بالكوفة [1]. فقد وسّع فيه وبنى فيه قاعة الصلاة واتّخذ به مقصورة [2].

وبُنِيَ هذا المسجد-الجامع منذ عهد سعد بن أبي وقّاص. لكنّه أصبح يستوعب مجموع المقاتلة. وتأثّر زياد في بنائه لهذا المسجد-الجامع بالفرس (كبر الأعمدة وعلوّ السقوف واستعمال الآجر في البناء) [3]. كما بنى زياد المسجد-الجامع بالبصرة بالجصّ وسقّفه بالسّاج ووسّع فيه وتأثّر في بنائه بالفرس حيث جلب سواري المسجد من الأهواز [4].

وبنى الحجّاج بن يوسف والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان المسجد-الجامع بواسط [5]. وأدخل الأمويّون طابعا معماريًا جديدا على العراق خاصّة في فترة الحجّاج. فقد بنى هذا الأخير المسجد-الجامع بواسط على الطّراز

1) البلاذري، **فتوح**، ص 389.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 491.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 390.
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 213 (3
4) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 433؛ العلي، **خطط البصرة**، ص 66.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 384.
أحمدصالح العلي، *منطقة واسط دراسة طوبوغرافية مستندة إلى المصادر الأدبية*، سومر، ج 1-2، المجلّد السادس والعشرين 1970، ص 237-262.

الشامي (تأثيرات هلينستيّة) الطّراز السّاساني. فجسّد بذلك القوّة العسكريّة المهيمنة لأهل الشام والطابع الفني الصّرف [1].

نستنتج أنّ ولاة العراق بنوا المساجد بالأمصار لأنها تلعب دورا دينيّا وسياسيّا وإيديولوجيا. واهتمّ الخلفاء الأمويّون بالكعبة وبمسجد الرسول حيث أمر الخليفة عبد الملك بن مروان الحجّاج واليه على الحجاز أن يعيد بناء الكعبة على البناء الأول (بناء قريش وبناء عصر الرسول) [2].

إنّ إعادة بناء الكعبة أمر ذو رمزية كبيرة بما أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان قضى على ثورة عبد الله بن الزبير. فهذا البناء هو تأكيد للشرعيّة التاريخيّة الأمويّة ويتنزّل في نفس الإطار الذي بنيت فيه قبّة الصخرة بالقدس. وواصل الخليفة الوليد بن عبد الملك سياسة أبيه بتوسيع مسجد الرسول بالمدينة وتزيينه بالفسيفساء والذهب كما زيّن المسجد-الجامع بدمشق [3]. ووسّع عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان في المسجد-الجامع بالفسطاط [4]. كما وسّع قرّة بن شريك العبسي والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك بأمر من الخليفة في المسجد-الجامع بالفسطاط. وبنى عقبة بن نافع الفهري المسجد-الجامع بالقيروان بعد أن مصّرها [5].

نستنتج أنّ الخلفاء والولاة وأساسا الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد بن عبد الملك وولاتهم سعوا لتركيز الإسلام والهوية العربيّة الإسلامية للدولة ببناءهم للمساجد.

---

1) Grabar (O), *Al-Mushatta, Baghdad and Wasit,* in The World of Islam, **Studies in honor of Philip Hitti,** Londres 1960, p 99-108.
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 317.

2) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 373 .
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 83.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 436.
Elie Lambert, *Les Origines de la Mosquée et l'Architecture religieuse des Omeiyades*, **Studia Islamica,** VI 1955-56, p5-18.

4) الكندي، **ولاة**، ص 73.

5) البلاذري، **فتوح**، ص 326 .
الكندي، **ولاة**، ص 85-86 .
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 132.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 421.

لكنّ التطوّر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك غير واضح لعدم وجود معلومات بالمصادر.

➢ **العمارة المدنيّة**

واهتمّ الولاة بالعمارة المدنيّة حيث بنى زياد القصر بالكوفة وهو دار الإمارة وهو يشبه القصور الفارسية لكنّ الرسوم الحائطية لم تبق وبنى زياد دار الإمارة بالبصرة فهدّمها الحجّاج ليذهب ذكر زياد [1]. فبقي ولاة البصرة بدون دار إمارة إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك وبنى الحجّاج قصر واسط [2].

بنى الحجّاج بنى هذا القصر في فترة بلغت فيها العمارة الأمويّة أوج النضج الفني تسجيد القوّة والمجد. وتأثّر في بناءه للقبّة الخضراء بقبّة الصّخرة بالقدس. وبصفة عامّة، فإنّ بناء مدينة واسط كان تعبيرا عن تركيز الهيمنة العسكريّة الشاميّة على حساب أهل العراق بعد أن هدّدوا الحكم الأموي [3].

نستنتج أنّ قصور العراق كان لها دورا سياسيا فهي مراكز السلطة الأمويّة وليست مراكز لهو ومتعة مثل قصور الخلفاء بالشام. كما أنّ هذه القصور بالعراق بسيطة وفقيرة التزيين على عكس قصور الخلفاء بالشام [4]. ولم تذكر المصادر إن كانت دور الإمارة بالولايات الأخرى تشبه قصور العراق أم قصور الخلفاء. يبدو أنّ الخلفاء الأمويّين وجدوا ظروفا خاصّة بالشام جعلت قصورهم تكتسب طابع الترفيه وطابع اقتصادي فلاحي. فقد كان البيزنطيون يتّبعون الفلاحة في بوادي الشام وتركوا إنجازات مائية مكّنت الخلفاء الأمويّين من إشباع شعورهم كعرب بحبّ البادية. بينما لم تتوفّر هذه الظروف في ولايات أخرى.

طوّر الخلفاء والولاة الأمويون مظاهر السلطة متأثّرين بالملوك البيزنطيّين والفرس فأحدثوا قطيعة مع الماضي السياسي الإسلامي بتركيزهم للملك لكنّهم أكدّوا الهويّة العربيّة الإسلامية للدولة وستظهر هذه الهويّة في الإيديولوجيا الأمويّة.

---

1) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 433-434.
Djaït (H), **Al-Kufa**, p 215

2) البلاذري، **فتوح**، ص 407.

3) Djaït (H), **Al-Kufa**, P 317-319

4) O. Grabar, 1962-63, p 17
O. Grabar, *Islamic Art and Byzantium*, p 77.



المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة للدولة الأمويّة

إنّ الإيديولوجيا "تستعمل في معنى القناع في مجال المناظرة السياسيّة، تخلق تفكيرا وهميّا، تتضمّن تقريرات وأحكاما حول المجتمع، تنبع عن مصلحة وتهدف إلى إنجاز عمل معيّن وتقود إلى نظرية نسبيّة فيما يتعلّق بالقيم" [1]. ويرى نصّار أنّ الحاكم يستعمل الإيديولوجيا للبقاء في الحكم. فهو يحرّك الخطاب الإيديولوجي ضدّ الخصوم وفي اتّجاه الموالين. فالإيديولوجيا فيها تبرير وإقناع وحتّى أعمال لكن بصفة نسقيّة أو شبه نسقيّة وإلاّ كانت دعاية وقمعا. كما تلعب الإيديولوجيا دورا في صياغة الأفكار المتّجهة إلى الحفاظ على الأمن والدولة والجماعة [2]. كما يجب أن يتجاوز الموضوع الإيديولوجي مسألة الأمن إلى معركة بناء نظام اجتماعي أو الحفاظ عليه أو إصلاحه أو إعادة بنائه.

نشأت الإيديولوجيا الأمويّة بوصول الأمويّين للحكم [3]. فقد هبّ معاوية بن أبي سفيان أمير الشام من قبل الخليفة عثمان بن عفّان للمطالبة بدم الخليفة المظلوم وتطبيقا للمبدأ القرآني "القصاص" : "ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا" [4]. ورفض البيعة لعلي بن أبي طالب لأنّه آوى قتلة عثمان حسب رأيه. ونصب معاوية قميص عثمان بمنبر مسجد دمشق وأقنع مقاتلة الشام بشرعيّة خطابه [5].

وقد ساعده هذا الخطاب رغم ضعف سابقته وقدمته التاريخيّة بالمقارنة مع علي بن أبي طالب من خوض معركة صفّين والانتصار على علي في التحكيم [6]. وتقوّت إيديولوجيا معاوية بفضل طموحه السياسي الواسع وتغيّر الظروف لصالحه (ضعف علي نتيجة انشقاق الخوارج من "جيشه" وكذلك بروز فكرة "الأجدر" سياسيا لتولّي الخلافة) [7].

---

1) عبد الله العروي، **مفهوم الإيديولوجيا**، بيروت 1988، ص 13.
2) ناصيف نصّار، **منطق السّلطة مدخل إلى فلسفة الأمر**، بيروت 1994، ص 185-230.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 444.
4) الإسراء 33 /17.
محمّدفؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 438.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 444-560.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 67-71.
7) Djaït (H), **Idem**, p 399.

كما ساعده عمرو بن العاص بفضل دهائه وكذلك اعتماده على أهل الشام الذين كانوا ملتفّين حوله منذ ولايته الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب [1]. وكان موت علي وعجز الحسن بن علي عن تولّي أمور أهل العراق سببا مباشرا لتولّي معاوية الخلافة سنة 41 هـ [2]. وبالتالي كانت وجاهة المطلب أي القصاص لعثمان أحد عناصر الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة.

تتمثّل الشرعيّة التاريخيّة في توفّر شروط معيّنة في شخص يستحقّ بها تولّي الحكم أو الخلافة. وقد قسّم ماكس فيبر الهيمنة الشرعيّة لثلاثة أنواع : "أوّلا الهيمنة العقلانية التي ترتكز على الإيمان بشرعيّة القوانين وبحقّ الحكّام إصدار تعليمات. ثانيا الهيمنة التقليدية التي ترتكز على الإيمان بقدسيّة التقاليد الصالحة لكلّ زمان والإيمان بشرعيّة من يمسكون بزمام هذه الهيمنة وأخيرا الهيمنة الكارسمية التي ترتكز على الخضوع الخارق للعادة لشخص يتمتّع بالقدسيّة وبصفات بطوليّة ولكونه شخصا وضع قوانين وحقائق ابتكرها بنفسه [3]. ويمكن أن تخضع الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة للنّوع الثاني.

ينتمي معاوية بن أبي سفيان لفئة الطلقاء أي الذين أسلموا بعد فتح مكّة(8هـ) أو المؤلّفة قلوبهم [4]. وكان أبوه من أكبر المعارضين القرشيين للدّعوة المحمّدية. لكنّه بعد أن أسلم غفر له الإسلام ما سبق من أفعاله. وعيّن الرسول ابنه معاوية كاتبا له [5].

كما شارك أبو سفيان في الانتشار الإسلامي بالشام، هو وابناه يزيد ومعاوية [6]. وقد عيّن الخليفة عمر بن الخطّاب يزيدا واليا على الشام [7]. وكان هذا التعيين بمثابة المكافأة لأحد أفراد الأرستقراطيّة المكّية ممّن ساهموا في تركيز

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 560.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 158-161.
3) Max Weber, **Economic et Société**, Paris 1971, T. 1, p 222
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 3، ص 61.
ابن هشام، **سيرة النبي صلى الله عليه وسلّم**، القاهرة 1937، ج 4، ص 22.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 179.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 3، ص 61-397.
7) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 284-285.

الإسلام، رغم ضعف سابقته وقدمته [1]. ثمّ عيّن الخليفة عمر بن الخطّاب معاوية واليا على الشام بعد موت يزيد [2].

وأثبت معاوية طيلة ولايته في عهد الخليفة عمر ثمّ في عهد الخليفة عثمان مقدرة سياسية عالية وحبّا للإسلام بتركيزه للجهاد. ولم يكن معاوية يستطيع أن يحلم بتولّي الخلافة يوما خاصّة في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب الذي كان يعطي أهميّة للسّابقة والقدمة في الإسلام. لكنّ تولّي الخليفة عثمان واتباعه لسياسة المحاباة مع أفراد عشيرته سيقوّي ربّما الطموحات السياسيّة لمعاوية [3]. كما أنّ الانشقاق الذي حدث في حلقة الصحابة ضدّ عثمان وصراعهم على السلطة سيجعل هذه الحلقة ضعيفة في نظر معاوية [4]. وعلى هذا الأساس، لم يتراجع معاوية أو يهاب الخليفة عليّا بن أبي طالب عند رفضه البيعة له بدافع القصاص لوليّه الإمام المظلوم عثمان [5].

وقد وضع معاوية بذلك الأساس لشرعيّته التاريخيّة. كما قوّى معاوية شرعيّته التاريخيّة بعد أن أصبح الحسن بن علي رغم سابقته وقرابته من الرسول عاجزا عن إدارة الأمّة بعد اغتيال عليّ. فاعتبر معاوية نفسه "الوحيد" القادر على سياسة الأمّة لمقدرته السياسيّة وسنّه وتجربته [6]. كما أنّ مصالحة الحسن له وتسليمه الخلافة ومبايعة النّاس له سيمنحه شرعيّة قانونيّة [7]. إذن اكتسب الخليفة معاوية شرعيّة مكّنته من تولّي الخلافة سنة 41 هـــ. لكنّ الناس بقوا دائما يذكّرونه بضعف سابقته وقدمته.

وبرّر الخليفة معاوية ضعف سابقته أي إسلامه بعد فتح مكّة بقوله إنّ الإسلام دخل قلبه لكنّ والديه هدّداه بمنع القوت عليه إن أسلم [8]. ظلّ الخليفة معاوية يحسّ بنقص شرعيته التاريخيّة لضعف سابقته وقدمته وحمّل والديه مسؤوليّة هذا الضعف.

---

1) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 226.

Watt (N), **Islamic Political Thought**, p 38.

Sharon (M), *The Development of the Debate around the Legitimacy of Authority in Early Islam*, **Jerusalem Studies in Arabic and Islam**, 1984, p 121-141.

2) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 285.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 338.

Djaït (H), **Idem**, p 229-230.

4) Djaït (H), **Idem**, p 230.

5) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 444.

6) Djaït (H), **Idem**, p 399.

7) Djaït (H), **Idem**, p 403-404.

8) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 13.

وكان يدرك ضعف شرعيته التاريخيّة بالمقارنة مع أبناء الصحابة. فقد امتنع الخليفة معاوية من قضاء حوائج عبد الله بن الزبير فتهدّده هذا الأخير قائلا إنّه سيقعد على طريق الشام ولا يشتم الخليفة بل يذكر سيرة الخليفة أبي بكر والخليفة عمر فيقال هذا ابن حواري رسول الله فأسكته الخليفة معاوية وقضى حوائجه [1]. ويبدو أنّ معاوية أحسّ أنّه في وضعيّة الضعيف على مستوى الشرعيّة التاريخيّة، وهذا ما دفعه لشتم علي بن أبي طالب على المنابر. وكان متخوّفا على ابنه يزيد وليّ العهد من ثورة أبناء الصحابة كالحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر بن الخطّاب وعبد الرحمن بن أبي بكر [2].

كان يزيد بن معاوية بنظر هؤلاء منقوص الشرعيّة "لمجونه وفسقه" وتولّيه الحكم بصفة وراثية. فثار عليه الحسين بن علي حفيد الرسول وعبد الله بن الزبير حفيد أبي بكر [3]. وسعى الخليفة يزيد بن معاوية للقضاء على ثورة الحسين بن علي بقتله لفرض شرعيته. وفي هذا الإطار تندرج محاولاته العديدة للقضاء على ثورة عبد الله بن الزبير [4].

كما قضى الخليفة يزيد بن معاوية على ثورة أهل المدينة لتأكيد شرعيّته المنقوصة [5]. واكتسب مروان شرعيّة مثل الخليفة معاوية من كفاءاته الشخصيّة كالتجربة. فقد كان كاتب الخليفة عثمان [6]. وعمل واليا للمدينة وللحجاز لدى الخليفة معاوية بن أبي سفيان.

على هذا الأساس، فقد كان مروان الشخص الوحيد المسنّ والمجرّب وذا المقدرة السياسيّة الذي ينتمي لبني أميّة في الجابية والّذي اكتسب شرعيّة تاريخيّة لتديّنه [7]. فكان أقرأ الناس للقرآن وأكثرهم اعتزازا باتّباع تعاليمه وبعدم ارتكابه

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 66.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 322-323.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 100.
3) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 302.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص424-425-498-499.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 482-495.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 319.
7) الاجتماع الذي التقى فيه الأمويّون والقبائل اليمنيّة الموالية للخلافة الأمويّة بعد اندلاع الفتنة الثانية لانتخاب خليفة.
الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 535-536.

الفواحش [1]. وساهم الخليفة عمر بن عبد العزيز في إضعاف الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة لمحاولة تركيزه تمثالا دينيا إسلاميا افتقره الخلفاء الأمويّون.

تُحيل الشرعيّة الأمويّة على الجماعة لكون الدولة الأمويّة هي دولة إسلامية وارثة للانقلاب الإسلامي وساهرة على التراث. أمّا شرعيّتها الخاصّة، فهي تتمثّل في رفض الخاصّة الإسلامية من أبناء أولي السّابقة لحكم الأمويّين نظرا لنقص إسلاميّتهم.

يرجع هذا النّقص في الإسلامية للإقليميّة الشاميّة والاستحواذ على الأمر أي حصر الملك في سلالة. كان الخلفاء الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك يحسّون بنقص في شرعيّتهم التاريخيّة. فاتّخذوا فكرة القصاص لعثمان كمقوّم للشرعيّة ولعن علي لتقويتها.

يدخل لعن علي في تراث اللعن عند العرب. وقد جعل الخليفة معاوية بن أبي سفيان من لعن عليّا أو أبي تراب على المنابر سنّة. فقدّم الخليفة معاوية الخطبة قبل الصلاة لأنّ الناس كانوا يصلّون وينصرفون حتّى لا يسمعوا لعن عليّ [2].

كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يحسّ بنقص في شرعيّته التاريخيّة بالمقارنة مع عليّ بن أبي طالب. فهو ليست لديه سابقة وقدمة أو قرابة من الرسول في فترة تقوّى فيها الإسلام. كما أنّه كان ينتمي للأرستقراطيّة القرشيّة. فكلّ هذه الأسباب دفعته للعن عليّ حتّى يخفي هذا النقص [3].

وكان الخليفة معاوية يستخفّ بقرابة عليّ من الرسول وربّى أجيالا على الاستنقاص منه. وينبع شعور معاوية وبني أميّة بالنقص في شرعيّتهم التاريخيّة من المزاحمة السياسيّة لبني عليّ والهاشميين.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 125.

2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 96-97.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 265.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 290.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 32.

3) Djaït (H), Idem, p 410.
Hawting (GR), Idem, p 32.

ولم يقتصر شتم عليّ على عاصمة الخلافة في عهد الخليفة معاوية بل شمل كذلك الولايات. فقد ابتدأ بسر بن أبي أرطاة والي البصرة خطبته من أعلى المنبر بشتم عليّ [1]. وأمر الخليفة معاوية عامله على الكوفة المغيرة بن شعبة الثقفي بلعن عليّ على المنابر [2].

وواصل زياد بن أبي سفيان اتباع نفس هذه السياسة إذ كان يلعن عليّا ويلقّبه بأبي تراب ليحقّر من شأنه [3]. وجمع زياد أهل الكوفة حتّى ملأ منهم الرحبة والمسجد والقصر حتّى يتبرّؤوا من عليّ ومن رفض ذلك قتله [4].

وبنى زياد مساجد بالبصرة لشيعة بني أميّة ومن يكره عليّا بن أبي طالب وهي مسجد بني عديّ ومسجد بني مجاشع ومسجد الأساورة ومسجد الحدّان [5]. سعى زياد لتركيز الشرعيّة الأمويّة باستعمال القوّة. كما ركّز مروان بن الحكم والي المدينة إيديولوجيا لعن عليّ رغم أنّه كان يعترف بالسابقة والقدمة لعليّ. وفسّر مروان بن الحكم لعليّ بن الحسين سبب سبّه لعليّ بأنّه "لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك" [6]. إنّ تقوية الشرعيّة التاريخيّة المنقوصة للأمويّين كان يدفع مروان لشتم عليّ.

وركّز الخليفة يزيد بن معاوية وواليه على العراق عبيد الله بن زياد ظاهرة لعن عليّ [7]. فقد سارع شباب الكوفة (من عامّة القبائل) إلى قتل الحسين، لأنّ قتله من باب الإيمان بالله [8]. وترجع هذه النّظرة لتربية الولاة الأمويّين لهم على استنقاص عليّ.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 167-168.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 253-256.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 23.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 273.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 266-267.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 275.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 3، ص 473.
4) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 5، ص 424.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 26.
5) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 232.
6) الجاحظ، كتاب العثمانية، بيروت، 1991، ص 283.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 193.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 377-395.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 430-431.

وكان الحجّاج يعزل "أنصار أبي تراب". فقد عزل عبد الرحمن بن أبي ليلى عن القضاء بالكوفة لأنّه كان من "أنصار أبي تراب" (1). وأساء هشام بن اسماعيل المخزومي والي المدينة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك معاملة عليّ بن الحسين بن عليّ إساءة كبيرة (2). وتتنزّل هذه الإساءة في إطار تركيز ايديولوجيا لعن عليّ. وكان خالد بن عبد الله القسري والي مكّة من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك يشتم عليّا على المنابر (3).

وألغى الخليفة عمر بن عبد العزيز لعن عليّ على المنابر وكتب لعمّاله بإلغائه وقرأ مكانه "إنّ الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر" (4). لم يلعن الخليفة عمر بن عبد العزيز عليّا مخالفا الخلفاء الأمويّين لإيمانه بقناعات إسلامية مخالفة لهم. كما أنّه ظلّ يحترم عليّا لكونه صهر الرسول وابن عمّه. وقد عوّض الخليفة عمر بن عبد العزيز لعن علي بآية من القرآن تحضّ على التمسّك بمعالي الأخلاق وترك سفسافها. إنّ التخلّي عن لعن عليّ من طرف الخليفة عمر بن عبد العزيز هي عمليّة إضعاف للشرعيّة الأمويّة. ورجع الخليفة يزيد بن عبد الملك لتدعيم لعن عليّ. بينما كان للخليفة هشام بن عبد الملك موقف مختلف حسب هذا الخبر : فقد حجّ الخليفة هشام بن عبد الملك فطلب منه سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان أن يلعن أبا تراب عشيّة عرفة. فغضب الخليفة هشام بن عبد الملك وأجابه بأنّه لم يأت لسبّ الناس ولعنهم (5).

هل رفض الخليفة هشام بن عبد الملك لعن عليّ في الحجّ من باب احترام هذه الفريضة وليس من باب احترام عليّ؟ أم أنّ الخليفة هشام تخوّف من ردود فعل الفقهاء والمحدّثين إذا لعن عليّا ؟

---

1) وكيع، مصدر مذكور، ج 3، ص 407.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 428.
3) الجاحظ، كتاب العثمانية، ص 284.
4) النحل 90/16.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 290.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 184
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 366.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 36.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 116.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 130.

ربّما يكون هذان الافتراضان قريبين من الواقع. وركّز خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك لعن عليّ والحسين بن عليّ حيث كان يلعنهما على المنابر (1). ونسب يوسف بن عمر في إحدى خطبه "فتح باب الفتنة وسفك الدّماء" لعليّ (2). وكان خالد بن عبد الملك بن الحارث والي المدينة من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يحقّر ويشتم عليّا بن أبي طالب على منبر الرسول. كما أنّه كان يقول بأنّ الرسول استعمل عليّا رغم أنّه يعرف أنّه كذا وكذا ولكنّ فاطمة كلّمته فيه (3). كما حاول الأمويّون أن يقوّوا من شرعيّتهم التاريخيّة بشتم عبد الله بن الزبير. فبعد القضاء على ثورته، طلب الخليفة عبد الملك بن مروان من هشام بن اسماعيل بن الوليد أن يشتم آل الزبير (4). يعكس شتم عبد الله بن الزبير إحساس الخليفة عبد الملك بن مروان بضعف شرعيّته التاريخيّة بالمقارنة مع عبد الله بن الزّبير حفيد الخليفة أبي بكر الصدّيق - حواريّ الرسول - وابن الزبير بن العوّام أحد الصّحابة. كما أمر الحجّاج أحد المعارضين بلعن عبد الله بن الزّبير حتّى يعفو عنه (5).

حاول الخلفاء والولاة الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك تقوية النقص في شرعيّتهم التاريخيّة بلعن عليّ ولعن عبد الله بن الزبير. لكنّ هذه الشرعيّة ظلّت هشّة وهذا راجع لطبيعة أو ماهية الحكم.

1- ماهيـــــــة الحكـــــــم

استعملت كلمة حكم في الفترة الأمويّة عوضا عن كلمة دولة. وقد وردت كلمة حكم لأوّل مرّة على لسان الخوارج. فهم رجال علي الذين خرجوا من عسكره عند التحكيم، وأعلنوا أنّه لا حكم إلاّ للّه أي أنّهم قبلوا الرجوع إلى كتاب الله القرآن دون تدخّل الناس في هذا الحكم (6).

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 167.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 153.
ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 82.
الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 22، ص 23.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 243.
3) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 85.
4) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 168.
5) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 50.
6) **Djaït (H), La Grande Discorde, p 266**
عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 213.

على هذا الأساس، كان الحكم الأمويّ سياسيّا-دينيّا بما أنّ أصل السلطة في الإسلام هي سلطة دينيّة. وعرف هذا الحكم فترات قوّة وفترات ضعف من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام. ودعّم الخلفاء والولاة الملك. فقد حاول الخليفة معاوية طيلة فترة حكمه أن يكسب قلوب القبائل ببذل الأموال. فأقام نوعا من التوازن في الأمّة رغم عدم اقتناع الناس بشرعيّته التاريخيّة [1]. وأكّد زياد الملك بالعراق للخليفة معاوية بقضائه على الثّورات كثورة حجر بن عديّ. فقد بقي العراق مركزا دائما للثّورات لتعاطفه مع الشّيعة والخوارج. واتّبع زياد وابنه سياسة اتّسمت بالبطش [2]. وتطوّر هذا البطش في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان.

فقد قتل الخليفة عبد الملك ابن عمّته عمرو بن سعيد بن العاص بعد أن ثار عليه وطالبه بحقّه في الخلافة [3]. يتنزّل هذا القتل في إطار تأكيد الملك. وحاول الحجّاج تقوية الحكم الأمويّ بالعراق، فاتّبع سياسة صارمة في قمعه للثّورات [4].

تقوّى الحكم الأمويّ في هذه الفترة حتّى أصبحت الإدارة على درجة كبيرة من التراتبيّة. لكنّ هذا الحكم اتّصف بـــ"قلقه". وتقوّى الحكم الأمويّ بالعراق لتركيز قوّة عسكريّة شاميّة بواسط بعد ثورة ابن الأشعث. كما استند هذا الحكم على قاعدة ماليّة متأتّية من الخراج والفتوحات مكّنته من دفع أعطيات المقاتلة ومن تعريب النقود وبناء المساجد. وبلغ الحكم الأمويّ أوج قوّته في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك حيث أصبحت الدولة على درجة كبيرة من التراتبيّة. وتوسّعت رقعة الدولة الأمويّة من بلاد ما وراء النّهر شرقا إلى الأندلس غربا. وتحصّلت الدولة على موارد ماليّة من حركة الانتشار هذه. وتميّز هشام بمقدرة سياسيّة مكّنته من تأكيد ملكه.

كما تميّز الحكم الأمويّ بصفته الاستشاريّة إذ كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يستشير حاشيته كسرجون بن منصور الرومي وهو مولى [5]. كما يستشير

---

1) شعبان، صدر الإسلام، ص 102.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 218-570-571.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 140-148.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 202-209.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 330.
ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 1، ص 32.
الجاحظ، كتاب التاج، ص 21.

حبيب بن مسلمة الفهري والضحاك بن قيس الفهري وهما من حاشيته ومن أشراف الشام اللّذان كانا ينتميان لقريش [1].

واستشار الخليفة معاوية عمرو بن العاص في مشاكل عرضت له، وهي هجوم الروم على الشام وهرب عامل من عمّاله وهروب السجناء. فهوّن عمرو بن العاص الأمر عليه ونصحه بأن يرضي الروم بمال حتّى يتوقّفوا عن الهجوم عليه. وطلب منه أن يبعث من يبحث عن السجناء ونصحه بأن يعفوَ عن العامل حتى يرجع وعندها يطالبه بالأموال. وقد نفّذ الخليفة ما نصحه به عمرو [2].

وكان سرجون بن منصور مولى الخليفة معاوية مستشار الخليفة يزيد بن معاوية وكذلك روح بن زنباع الجذاميّ وهو أحد أشراف الشام وكذلك خاله حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي والنعمان بن بشير الأنصاري [3]. وتأثّر الخليفة يزيد بن معاوية بكلام الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (أي ابن عمّه) وبعض أفراد بني أميّة عندما ذكروا له أنّ والي مكّة عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق تهاون في إخضاع عبد الله بن الزبير - الذي رفض البيعة للخليفة يزيد بن معاوية - وكان بإمكانه القبض عليه وإرساله إلى الخليفة.

مثّل الوليد بن عتبة وأفراد بني أميّة بطانة الخليفة الذي كان يستجيب لنصيحتهم [4]. ونصح الخليفة عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز بن مروان والي مصر أن يستشير جلساءه لأنّ المشورة تفتح الأمور المبهمة [5]. وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يستشير رؤوس قريش وأهل الشام ومواليه مثلما حدث في ثورة بن الأشعث فقد نصحوه بعزل الحجّاج ليرجع أهل العراق للطاعة [6]. واستشار الخليفة عبد الملك قبيصة بن ذؤيب الخزاعي وكان على السكّة والخاتم في أمر عزل أخيه

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 51.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 29.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 47.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص348-459.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 379.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 301.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 477.
5) البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1166.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 347-348.

عبد العزيز عن ولاية العهد وتعيين ابنيه الوليد وسليمان فنصحه قبيصة أن لا يؤذي أخاه لأنّ الله سيكفيه إيّاه [1].

وكان الشّعبي القاضي والفقيه يشير على الخليفة عبد الملك بن مروان [2]. وكان وليّ العهد سليمان بن عبد الملك مستشارا ووزيرا للخليفة الوليد بن عبد الملك [3]. وكان رجاء بن حيوة الكنديّ وهو من صلحاء أهل الأردنّ وزيرا ومستشارا للخلفاء الأمويّين وأساسا للخليفة سليمان بن عبد الملك ثم للخليفة عمر بن عبد العزيز [4]. واستشار هذا الأخير أبا مجلز لاحق بن حميد في من يصلح لولاية خراسان بعد عرض شخصين عليه وهما عبد الرحمن بن عبد الله القشيريّ وعبد الرحمن بن نعيم الغامديّ وقرّر الخليفة بنفسه بعد هذه الاستشارة [5].

ولم تذكر المصادر من هو هذا الشخص أي أبا مجلز. واستشار الخليفة يزيد بن عبد الملك حاشيته فيمن سيعيّن على عذاب والي المدينة ومكّة عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهريّ فأشاروا عليه بعبد الواحد بن عبد الله بن بشير النضري فعيّنه على المدينة وعلى عذاب عبد الرحمن بن الضحّاك بن قيس الفهري [6]. كما كان مسلمة بن عبد الملك صاحب رأي الخلفاء الأمويّين ومن بينهم الخليفة يزيد بن عبد الملك [7].

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1188.
2) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 147.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 93.
3) ابن كثير، مصدر مذكور، ج 9، ص 178.
4) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 165.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 270.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 359-366.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 550.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 123.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 561.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 13.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1162.
7) البلاذري، أنساب، ج 7، ص 199، وصية عبد الملك إلى أبنائه بإكرام مسلمة واستشارته
البلاذري، أنساب، ج7، ص 215.

وقد كان هذا التكريم تعويضا لمسلمة لأنه لا يستطيع أن يتولّى الخلافة (أمه أمّ ولد) بينما الخلافة تنحصر في الأبناء من أمهات ذوات أصول قبلية عربيّة. وكان الأبرش الكلبي موضع سرّ الخليفة هشام بن عبد الملك وكان يتدخّل لفائدة كلّ من يكلّمه لدى الخليفة، وكان الخليفة يستجيب له [1]. واسم الأبرش هو سعيد بن الوليد الكلبي وهو من بني عامر كلب وقومه بــتدمر [2].

نستنتج أنّ الحكم الأموي في عاصمة الخلافة تطوّر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك إلى حكم استشاري. فالخليفة كان يستشير أقرب الناس إليه كحاشيته وأفراد الأسرة الأمويّة الذين ارتبطت مصالحهم بمصالح الدولة الأمويّة. ثمّ تطوّر هذا الحكم الاستشاري إلى حكم ممركز لدى الخليفة الأموي بعاصمة الخلافة. فكان الخليفة الأموي يقرّر في شؤون الولايات ولديه الكلمة الأخيرة في كلّ الأمور الهامّة. فقد أمر الخليفة معاوية بن أبي سفيان زيادا بتولية مضر الأعمال وحمل بعضهم على رقاب بعض كما أمره أن يكرم أشراف ربيعة عندها يطيع أفراد القبائل الأشراف كما أمر بإكرام اليمن في العلانية والتجافي عنهم في السرّ [3]. أشرف الخليفة معاوية بن أبي سفيان إشرافا مباشرا على شؤون ولاية العراق ومن بين هذه الشؤون علاقة السلطة بالقبائل.

وكتب الخليفة معاوية لمسلمة بن مخلّد الأنصاري والي مصر والمغرب من قبله أن لا يولّي عمله إلاّ أزدي أو حضرمي لأنّهم أهل أمانة [4]، ويبدو أنّ الخليفة معاوية كان يشرف بنفسه على شؤون ولاية مصر.

وكان الخليفة يزيد بن معاوية يشرف على الشؤون الداخلّية للكوفة أو العراق بصفة عامّة حيث نقض قرار والي العراق عبيد الله بن زياد بحبس المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي حاول أن ينصر ويغيث مسلما بن عقيل بن أبي طالب ابن عم الحسين بن علي. فقد كان الخليفة يزيد ينقض قرار الوالي إذا رأى ذلك أمرا

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 318.
الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج 1، ص 279.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 59.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 205.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 393.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 243.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 15.
4) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 125.

ضروريّا [1]. وقال الخليفة عبد الملك بن مروان لأخيه عبد العزيز بن مروان أنّ له نصف الرأي وللخليفة نصفه [2]. ونستنتج من ذلك أنّ السلطة كانت منقسمة بين والي مصر والخليفة.

وحرم الحجّاج أهل العراق أعطياتهم لأنّهم ساندوا ابن الأشعث وكتب إلى الخليفة عبد الملك فغضب هذا الأخير وأرسل للحجّاج يأمره أن يعطيهم أرزاقهم لأنّهم لن يطيعوا الخليفة ما داموا لم يتحصّلوا على أرزاقهم خاصّة الذراري [3]. وهذا يعني أنّ الخليفة عبد الملك بن مروان كان يتدخّل في شؤون ولاية العراق ويراجع قرارات الحجّاج [4].

وكاد موسى بن نصير والي المغرب والأندلس من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أن يقتل طارقا بن زياد وينسب لنفسه الانتشار بالأندلس فاشتكاه طارق للوليد. فأرسل الوليد لموسى بن نصير يتهدّده بالقتل إذا قتل طارق وبالضرب إذا ضربه [5]. فنستنتج أنّ الخليفة الوليد بن عبد الملك كان يشرف على شؤون ولاية المغرب والأندلس.

وطلب توبة العنبري وهو أحد الموالي الذين تبوّؤوا مكانة هامّة لدى والي البصرة الإذن من الخليفة سليمان بن عبد الملك أن يتّخذ حمّاما بالبصرة ويحتفر بئرا بالبادية فأجابه الخليفة إلى ذلك وكان لا يفعل ذلك أحد إلاّ بإذن الخليفة [6]. فنستنتج أنّ السلطة ممركزة بيد الخليفة سليمان بن عبد الملك.

وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز عامله على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن ابن زيد بن الخطّاب الأعرج القرشي أن لا يعجّل في قطع أو صلب إلاّ بعد استشارته في ذلك [7]. وطلب الخليفة يزيد بن عبد الملك من والي الكوفة من قبله محمّد بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط أن يضرب رقاب الأسرى [8].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 570-571.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 1166.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 1172؛ ج7، ص211- 222.
4) شعبان، **مرجع مذكور**، ص 128.
5) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 210.
6) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 178-179.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 569، اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 366.
8) وهم أسرى جيش يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي الذي ثار على الخليفة يزيد بن عبد الملك وخلعه وقد قتل يزيد بن المهلّب وأسر رجاله.

وقد طبّق الوالي أمر الخليفة. وطلب خالد بن عبد الله القسري من الخليفة هشام بن عبد الملك أن ينجز قنطرة على دجلة. فكتب إليه الخليفة هشام بن عبد الملك قائلا بأنّ هذا إن كان ممكنا لسبق إليه الفرس، ثم سمح له بأن يقوم بها. فنفّذ خالد العمل وأنفق عليه نفقة عظيمة فلم يلبث أن هدّمه الماء. فأغرمه هشام ما كان أنفق عليه [1]. نستنتج أنّ الخليفة هشام بن عبد الملك كان يتمتّع بسلطة شديدة التمركز فيما يخصّ علاقته بوالي العراق.واختار الخليفة هشام بن عبد الملك بنفسه عامل خراسان نصرا بن سيّار اللّيثي بعد موت أسد بن عبد الله القسري رغم أنّ ولاية العراق وخراسان بيد يوسف بن عمر الثقفي [2]. اختار الخليفة هشام بن عبد الملك بنفسه والي خراسان لأهميّة ولاية خراسان بالنّسبة إلى الدولة الأمويّة فهي ثغر مركزي.

نستنتج إذا أنّ مركزة السلطة بيد الخليفة الأموي ازداد قوّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك إضافة إلى أن الحكم تطوّر شيئا فشيئا إلى حكم تميّز بطابع متصلّب. ويمكن ملاحظة ثلاث فترات كبرى لتمركز السلطة : فترة الخليفة معاوية بن أبي سفيان وفترة الخليفة عبد الملك بن مروان والوليد وفترة الخليفة هشام بن عبد الملك كما أنّ هناك مجالات في السلطة أصبحت حكرا على الخليفة : كمعاقبة رجال الدولة أو القيام بإنجازات مائية. سيؤدّي إلى تكاثر المعارضة حوله، وهذا ما دفعهم لتأصيل سلطاتهم وتثبيتها بتدعيم أحد عناصر إيديولوجيتهم ألا وهو الارتباط بذكرى عثمان إماما شهيدا.

2- الارتباط بذكرى عثمان

جعل معاوية بن أبي سفيان من الطلب بدم عثمان الأساس الإيديولوجي لدولته [3]. فقد قام بذلك لأنّه قريبه ووليّ دمه (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليّه سلطانا فلا يسرف في القتل إنّه كان منصورا) [4]. لكنّ أعداءه كانوا دائما يلومونه

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 598.
البلاذري، **فتوح**، ص 408-409.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 155.
3) رضوان السيّد، *الخلافة والملك دراسة في الرؤية الأمويّة للسلطة*، **بحث في المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العهد الأموي)** 1987، نشر بمحاضر الندوة الثالثة، القسم العربي م / 96-142.
4) الإسراء 17/ 33.

على عدم نصرته لعثمان وعدم إرساله مددا عسكريّا لينقذه من محاصريه [1]. كان معاوية داهية لكنّه لم يذهب إلى حدّ ترك عثمان يموت للطلب بدمه [2].

وقد ركّز معاوية هذا الأساس الإيديولوجي بالشام قاعدة حكمه بعد موت الخليفة عثمان وأرسل أناسا ينعون عثمانا ويلعنون قتلته ومن خذله وقعد عن نصرته [3]. وأكمل الخليفة معاوية بن أبي سفيان تركيز إيديولوجيا الارتباط بذكرى عثمان بعد تولّيه الخلافة [4]. فقد دخل عليه عديّ بن حاتم الطائي – وقد كان من أنصار علي في صفّين – فقال له الخليفة معاوية بأنّه قد بقيت قطرة من دم عثمان عند قوم ولابدّ من أن يطالب بها. وقصد معاوية بهؤلاء القوم ربّما عديّا نفسه.

لكنّ هذا الأخير أجابه بأن يغمد سيفه لأنّ السيف إذا سلّ سلّت بعده عدّة سيوف. واستجاب معاوية لكلامه معتبرا رأي عديّ سديدا [5]. كان الخليفة معاوية دائما يعلن قرارا معيّنا وينتظر ردّ الفعل. فإن رفض ذلك القرار فإنّه يتراجع عنه.

وكلّف الخليفة معاوية بنفسه ابن أمّ الحكم واليه على الجزيرة بالقصاص للخليفة المظلوم من أحد قتلته وهو عمرو بن الحمق الخزاعي. فقتله الوالي بمشاقص مثلما طعن الخليفة المظلوم [6]. وقد كافأ الخليفة كلّ رجاله الذين ساعدوه على المطالبة بدم الإمام المظلوم كمسلمة بن مخلّد الأنصاري الذي منحه ولاية مصر والمغرب [7]. وكتب إلى الوليد بن عتبة واليه على المدينة أن يدفع إلى ورثة أبي هريرة عشرة آلاف درهم ويحسن جوارهم وأن يكرمهم لأنّ أباهم كان ممّن نصر عثمان يوم الدار [8]. والتفّ الأمويّون كآل عثمان بن عفّان وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة أخ الخليفة عثمان حول الخليفة معاوية لنصرة الإمام المظلوم [9].

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 204.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 16. البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 92-306
2) Djaït (H), **Idem**, p 230.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 85.
4) *Watt (M), **Islamic Political Thought***, p 38.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 119-120.
6) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 273.
7) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 197-198.
8) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 254.
9) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 294
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 29-46-125.

لم يكن الخليفة معاوية إمام الأمّة فقط بل سيّد بني أميّة بما أنّه دفعهم للانضواء تحت سلطته. ولم يقتصر تدعيم القصاص للخليفة المظلوم على عاصمة الخلافة وعلى الشام في عهد الخليفة معاوية بل شمل كذلك الولايات. فقد كلّف الخليفة معاوية والي الكوفة من قبله المغيرة بن شعبة الثقفي بمدح عثمان على المنابر [1]. وغفر زياد بن أبي سفيان لقيس بن يزيد الكندي انضمامه لحجر بن عديّ الكنديّ لأنّه كان يعتقد أنّ عثمانا قتل مظلوما [2]. وحرم مروان بن الحكم والي المدينة من قبل الخليفة معاوية ابن صهيب الصحابي عطاءه لأنّ أباه كان من بين المعارضين لسياسة الخليفة عثمان بن عفّان [3].

وسعى عبيد الله بن زياد والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن معاوية لتأكيد فكرة الارتباط بذكرى عثمان وقضيّته كإمام شهيد. فقد منع عبيد الله بن زياد الحسين بن علي من شرب الماء هو وأصحابه حتّى يقتصّ منه لاشتراك أبيه علي في قتل الإمام المظلوم [4]. كما أنّ قتل الحسين بن علي هو قصاص للخليفة المظلوم حسب رأي عمرو بن سعيد والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية [5]. وانتخب الأمويّون والقبائل اليمنيّة مروان بن الحكم خليفة لأنّه قاتل ودافع عن الخليفة المظلوم عثمان يوم الدار وقاتل عليّا بن أبي طالب يوم الجمل ورمى طلحة بن عبيد الله فاستقاد منه لعثمان [6].

إنّ الدفاع عن الخليفة المظلوم يوم الدار وقتال علي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله يوم الجمل لأنّهما تجاهلا عثمان ولم ينجداه، هي أسباب مشروعة لتولّي مروان بن الحكم الخلافة حسب رأي الأمويّين والقبائل اليمنيّة الشاميّة الموالية لبني أميّة. كما شهد الخليفة عبد الملك بن مروان "يوم الدار مع أبيه وهو ابن عشر سنين" [7]. إنّ هذا الحضور والدفاع عن عثمان أكسب عبد الملك بن مروان شرعيّة

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 243.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 263.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 108.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 412.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 466.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 530-532-534-536-537-540.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 134-135.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 304.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 419.

تاريخيّة لتولّي الخلافة. وركّز الخليفة عبد الملك بن مروان الارتباط بذكرى عثمان لمّا أكرم رجلا أصيبت عينه يوم الدار عند محاولته الدفاع عن الخليفة عثمان [1].

كما تضلّع ولاة الخليفة عبد الملك بن مروان بتركيز هذه الفكرة. فقد خطب الحجّاج بن يوسف والي الحجاز من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان في أهل المدينة فأهانهم وحقّر من شأنهم وقال لهم بأنّهم قتلة الخليفة عثمان بن عفّان [2].

لم يغفر الأمويّون لأهل المدينة تواطؤهم ضدّ الخليفة عثمان. وقد ذهب الحجّاج إلى حدّ إهانة المحدّثين وأهل الورع والتقوى بالمدينة. فقد سأل سهل بن سعد عن أسباب عدم نصرته للخليفة المظلوم ولم يسمع منه رغم أنّه صارحه بمناصرته لعثمان وختم في عنقه برصاص [3]. وبعد تولّيه ولاية العراق، قتل الحجّاج عمير بن ضابئ التميمي لمشاركته في قتل الخليفة المظلوم عثمان بعد أن تخلّف هذا الرجل عن محاربة الخوارج [4]. وعدّد عبد الله بن هانئ وهو شريف من أشراف أود [5] ذكر مناقب قومه للحجّاج، ومن بين المناقب عدم سبّ الخليفة المظلوم عثمان بن عفّان [6].

وقد أجبر الحجّاج الناس على الأخذ بقراءة عثمان وترك قراءة ابن مسعود وأبيّ بن كعب. وتوعّد النّاس إن تركوا قراءة عثمان بالعقاب. فنشأ الناس على هذه القراءة [7]. ركّز الحجّاج الإسلام والارتباط بذكرى الإمام الشّهيد بإبقائه على قراءة عثمان. وبقي الخلفاء والولاة الأمويّون يؤكّدون هذه الذّكرى إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 1194.
2) البلاذري، **مصدر مذكور** ج 5، ص 373.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 195.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 7.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 207.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 129-130.
5) وهي عشيرة يمنية.
6) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 144.
7) هذه القراءات تكون سببا لزوال ملكهم حسب الجاحظ لأنّها تظهر مناقب عليّ.
الجاحظ، **كتاب العثمانية**، ص 285.
E.I², tIII *Al Hadjdjadj b. Yusuf*.

فقد حجّ هذا الأخير فقال له سعيد بن عبد الله بن الوليد بن عثمان بن عفّان "إنّ الله لم يزل ... ينصر خليفته المظلوم" (1). وهكذا، دعّم الخلفاء والولاة الأمويّون خاصّة منهم ولاة العراق الأساس الإيديولوجي للدولة الأمويّة على أساس الارتباط بذكرى عثمان وقضيّته باعتباره إماما شهيدا. لكنّ هذا الأساس الإيديولوجي ظلّ هشّا، بما أنّه كان عرضة لهجومات المعارضة. ولم تقتصر الإيديولوجيا الأمويّة على الارتباط بذكرى عثمان بل شملت فلسفة الحكم.

3- فلسفة الحكم

(أ) تأسيس الأمويّين "لفلسفة في الحكم"

أسّس الخلفاء الأمويّون فلسفة في الحكم لم تكن موجودة في عهد الرسول وفي عهد الخلفاء الأوائل. وترتكز هذه الفلسفة على الملك (2). فقد أطلق على الأمويّين لقب ملوك لأنّهم كان لديهم نظام حكم مختلف اختلافا طفيفا عن نظام الحكم الإسلامي المتمثل في الإمامة (3). وقد تأثّر معاوية بفلسفة الحكم البيزنطيّة وبفلسفة حكم الغساسنة بالشام منذ أن كان واليا بالشام، وكان الخليفة عمر بن الخطّاب يقول عن معاوية "هذا كسرى العرب" (4).

ولمّا أصبح معاوية خليفة كان يقول "أنا أوّل الملوك" (5). وأورد الطبري في نفس السياق تحليلا لفترة الخلفاء الأوائل وفترته وقارن بينهم وبينه. فقد كان أبو بكر زاهدا في الدنيا كما تبعه عمر في ذلك رغم توفّر الملذّات الدنيويّة. فقد أدرّت الفتوحات عليه وعلى المسلمين جوهرا وذهبا وفضّة بعد سقوط الامبراطورية الساسانيّة. وفتح عثمان عهدا جديدا بتغييره لطبيعة الحكم السائد حيث أدخل "الدنيويّة"

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 36.

2) Watt (M), **Islamic Political Thought**, p 39.

E.I.J Rosenthal, **Political Thought in Medieval Islam**, p 26.

Goldziher (I), **Muslim Studies**, p 40.

3) E.I², tIII Malik.

4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 147.

السيوطي، مصدر مذكور، ص 234.

Ostrogorsky (G), Idem, p 55-57.

5) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 276.

السيوطي، مصدر مذكور، ص 238.

في حكمه بإثرائه وتقريبه لبني أميّة. وغيّب معاوية عليّا وانتقل إلى فترته فذكر أنّه تمتّع بالملذّات الدنيوية حتّى طغت هذه المظاهر على الطابع الديني للدولة. لكنّ معاوية سرعان ما تدارك هذا الخطأ لأنّه سيوجد حجّة ضدّه وألّب الناس عليه فأكسب ملكه شرعيّة إلاهيّة [1].

لم تكن الظاهرة الملكيّة غريبة عن العرب حيث عرفوا خلال فترة الجاهلية ملوك اليمن والحيرة والغساسنة "كان العرب إذن يعرفون دولة طبيعية دنيوية دهريّة هدفها في ذاتها، بمعنى أنّها كانت تتوخّى الشهرة والمال والقهر" [2]. كما تأثّر الأمويّون بالامبراطورية الساسانيّة والبيزنطيّة ولم يتأثّروا بالامبراطورية الرومانية (فهذه بنيت على أسس قانونية وليس على الملك) [3].

لا شكّ أنّ الخليفة معاوية تأثّر بكل ذلك. وتعتبر فلسفته في الحكم تواصلا لفلسفة عثمان في الحكم. فرغم إدراك معاوية مقت العرب لفكرة الملك فقد أرسى قواعد "دولة الملك السياسي". ورغم أنّ الخليفة معاوية ركّز الإسلام فإنّه أسّس الدنيويّة في الحكم. وتواصل تأكيد هذه الفلسفة من طرف الخلفاء المروانيين حيث ذكر الطبري أنّه "استقرّ لمروان بن الحكم الملك" [4]. وذكر الخليفة سليمان بن عبد الملك (عندما كلّمه عمر بن عبد العزيز في مسألة محاولة نقل منبر الرسول من مسجد المدينة من طرف الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك)، أنّ الخليفتين الأمويّين تطاولا على منبر الرسول وبأنّ الخلفاء الأمويّين بصفة عامّة "أخذوا الدنيا فهي في أيديهم" [5].

بيّن الخليفة سليمان بن عبد الملك أنّ الخلفاء الأمويّين مسكوا بزمام الدنيوي أو الملك. وتعرّض الملك الأموي لضربة قاسية في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي اتّبع فلسفة إسلامية في الحكم [6]. ثمّ استأنف الخلفاء الأمويّون إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك اتباع هذه الفلسفة في الحكم.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 334.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 49.
2) عبد الله العروي، **مفهوم الدولة**، ص 91.
3) قائد الجيوش لدى الرومان Imperator وهو يعيّن لمدّة معيّنة وRex وهو الملك.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 544.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 239.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 571.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 299.

نستنتج أنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان أسّس فلسفة في الحكم تعتمد على الملك. وهي فلسفة ذات طابع دنيوي وجدت لدى الساسانيّين والبيزنطيّين وملوك الحيرة والغساسنة وملوك اليمن قبل الإسلام. فاختلف نظام الحكم بذلك عن الشّيخين (أبي بكر وعمر)، لكنّ الأمويّين لم يحدثوا قطيعة كبيرة مع الماضي. وجّه أعداء الخلفاء الأمويّين إليهم تهمة تغيير الخلافة إلى كسرويّة وقيصريّة بينما اتّبع الخلفاء العبّاسيّون نظاما كسرويّا تجاوز من حيث مظهره ومحتواه أو فلسفته الملكيّة الأمويّة. كما اتّبع الأمويّون ظاهرة جديدة في الحكم وهي مبدأ الوراثة.

(ب) الفكرة الأسرويّة

➢ الفرع السفياني

أدخل الخليفة معاوية بن أبي سفيان مبدأ الوراثة في الحكم لأوّل مرّة في الإسلام ويرجع هذا التوريث للخلافة إلى عدّة عوامل [1]. ربّما بسبب تأثير خارجي تأثّرا بالامبراطورية السّاسانية. ذلك أنّ البيزنطيّين كانوا يورّثون أحد ابنائهم أو أحد أقاربهم من الذّكور أو شخص لا ينتمي للأسرة الحاكمة. عندها فإنّ الامبراطور مجبر على استلحاق هذا الشّخص بنسبه فيصبح ابنه بالتبنّي [2]. ويتمثّل الاحتمال الثاني في أنّ الفكرة الأسروية هي أمر طبيعي عندما يستتبّ الحكم. لعلّ هذه الفكرة الجديدة كانت تتماشى مع تطوّر المجتمع الإسلامي لكن لا تتماشى مع الأمّة الإسلامية القديمة.

فالتوريث بدعة لدى العرب وفي الإسلام. لكن هناك تقليد ابتدأ من عهد أبي بكر يجعل للأمير الحقّ في تعيين خليفة فعهد إلى عمر، أمّا البيعة المسبّقة فلم تكن موجودة.

---

1) ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 13.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 28.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 235.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 134.
محمّدالجويلي، الزعيم السياسي في المجال الاسلامي بين المقدس والمدنّس، تونس 1992، ص55.

Arnold Thomas , The Caliphate, London 1967, p 22.
Hawting, Idem, p 43.
Djaït (H), Idem, p 411.
Bréhier (L), Les Institutions , T1, p22. (2

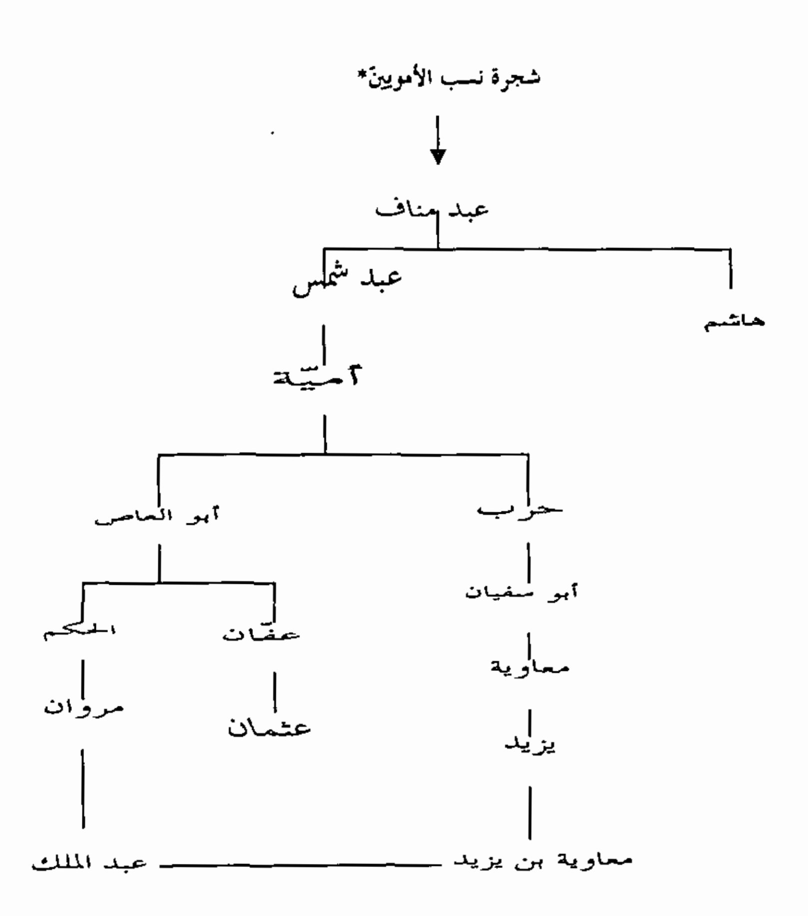
طرح الخليفة معاوية فكرة البيعة ليزيد في عهد زياد بن أبيه أو بن أبي سفيان لمّا استشار زيادا في أمر البيعة ليزيد وذلك لمكانة زياد لديه. ولم يكن معاوية واثقا من قبول الناس لهذه الفكرة الجديدة إضافة لعدم توفّر الشروط في ابنه يزيد نظرا "لفسقه ومجونه". فاستشار زياد عبيد بن كعب النميري وهو صاحب عقل ودين، ذلك أنّ زيادا لم يكن يحبّذ هذه الفكرة لأنّ يزيدا غير كفء لمثل هذا المنصب. وكاد يخبر معاوية برأيه في يزيد لولا تدخّل عبيد بن كعب النميري الذي منعه من ذلك حتّى لا يحصل خلاف بينهما أي بين زياد ومعاوية. اقترح عبيد حلاّ وهو أن يذهب ليزيد ويخبره بمحتوى رسالة معاوية لزياد وينصح يزيد بالعدول عن لهوه لكي تسهل البيعة له من الناس. فقد أراد عبيد أن يحصل أمران إرضاء معاوية وإرضاء الله. ونفّذ هذا التخطيط وبعث زياد لمعاوية يأمره بالتريّث قبل اتّخاذ القرار. وتلقّى عبيد مكافأة لنجاح الخطّة التي أشار بها على زياد [1]. كان لزياد دور كبير في تحضير الرأي العام بالعراق بيعة يزيد لأنّ المشكلة لم تكن تطرح بالشام (أهلها أهل طاعة وكذلك تعوّدهم بالفكرة الأسرويّة).

ولم يعلن الخليفة معاوية بيعة ابنه يزيد إلاّ بعد موت زياد سنة 51 هـ. لماذا هذا الإعلان بعد موت زياد مباشرة ؟ هل أحسّ معاوية أنّ زيادا - كرجل سياسي قدير- لا يعتبر يزيدا كفئا للخلافة ؟ لعلّ معاوية كان يدرك في قرارة نفسه أنّ ابنه تنقصه الصفات اللاّزمة لتولّي هذا المنصب. لكنّه كان يسعى لضمان هذا الميراث له كأنّه ميراث عائلي. وقد بايع جميع الناس يزيدا ولم يبق إلاّ أبناء كبار الصحابة كالحسين بن عليّ وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمرو وعبد الرحمن بن أبي بكر. فهناك رواية تقول أنّ معاوية أتى للحجّ وأحاط بهؤلاء الرافضين ووقعت بينه وبينهم مشادّة. وأجبرهم على البيعة بقوّة السيف [2]. لا يمكن قبول هذه الرواية لما نعرفه عن حلم معاوية. الأقرب إلى الواقع أنّ معاوية أخذ البيعة ليزيد من طرف وجوه الأمصار لتكون البيعة في أعناقهم وأنّ أبناء الصحابة بالحجاز لم يعطوا بيعتهم.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 302-304.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 361-362.
2) ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 4، ص 368-371-372.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 245.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 137.

لذلك عهد معاوية ليزيد بما يجب عليه أن يفعل لهؤلاء النفر عن طريق الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المرّي لأنّ يزيدا كان غائبا [1]. وعندما مات معاوية قامت مشكلة كبيرة حيث أراد والي المدينة أن يأخذ هؤلاء النفر بالبيعة قبل أن يعلموا بموت معاوية، لذلك ستقع اصطدامات كبرى زمن يزيد بن معاوية.



*) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 29.

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 323-324.

تتمثّل في الفتنة الثانية. فرض الخليفة معاوية بن أبي سفيان الحكم الأسروي [1]. وقد أثار هذا التقليد الجديد أو "بيعة يزيد الخليع" سخط الأجيال اللاّحقة على معاوية [2]. وكان الخليفة يزيد بن معاوية تلميذا ممتازا لأبيه حيث طبّق قانون الوراثة في الحكم فاختار ابنه معاوية رغم أنّ هذا الأخير لم تتوفّر فيه أهمّ صفة تقليدية لتولّي الحكم وهي السنّ [3]. قد هدّم الخليفة معاوية بن يزيد قاعدة الحكم الأسرويّ السفياني لأنّه لم يوص بالخلافة لأخيه مثلا. كما كان الفرع السفياني سيشهد لا محالة هذه الأزمة نتيجة قلّة أبناء الخليفة معاوية من الذكور.

إذن أحدث موت الخليفة معاوية بن يزيد حربا أهلية بالشام ولم تخمد نيرانها إلاّ بانعقاد مؤتمر الجابية الذي انتقلت فيه الخلافة من الأسرة السفيانيّة إلى الأسرة المروانيّة لكنّها بقيت منحصرة في البيت الأموي.

- **الفرع المرواني**

استحقّ مروان بن الحكم تولّي الخلافة بالجابية لأنّه كبير بني أميّة ولاكتسابه أسرة واسعة ولمساندة قبيلة كلب له. فقد دفع حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي القبائل لاختيار مروان حتّى تحافظ هذه القبائل على مصالحها [4].

وتحمّس مروان بن الحكم لفكرة مقاومة الضحّاك بن قيس الفهري – ممثّل ابن الزبير بالشام– وإعادة دور الشام مركزا للخلافة الأمويّة [5]. وعمد مروان بن الحكم

---

1) Djaït (H), **Idem**, p 89.

2) المقريزي، **كتاب النزاع والتّخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم، رسالة للجاحظ في بني أميّة**، القاهرة 1988، ص 124.

Lammens (H), **Le Califat de Yazid**, p 28.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 503.

البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 291-292.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 530-534.

البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 141.

المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 86.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 530-534-540-541.

البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 131.

كان الضحاك بن قيس الفهري يهوى هوى ابن الزبير وكان حسّان بن مالك بن بحدل خال يزيد بن معاوية يهوى هوى الأمويّين.

Lammens (H), **L'Avènement des Marwanides et le Califat de Marwan Ier**, Mélanges de l'Université de Saint-Joseph, Beyrouth Liban, Tome XII, Fasci. 2, Beyrouth 1927, p 74 .

بالعهد لابنيه بعد أن وصلته أخبار حول تعالي مطالب كلّ من مالك بن هبيرة السكّوني الذي قال إنّ مروان وعده بمرج راهط مقابل مشاركة قومه معه في الحرب أن يعطيه كورة البلقاء.

كما كان عمرو بن سعيد بن العاص يعتبر أنّ لديه حقّا في الخلافة لمشاركته مروان في الوصول للحكم. وكان خالد بن يزيد بن معاوية يرى أنّه بحكم انتسابه للعائلة السفيانيّة له الحقّ في الخلافة. فلجأ الخليفة مروان بن الحكم لحسّان بن مالك بن بحدل ليكفيه خصومه وبالتالي للوصاية بالعهد لابنيه عبد الملك وعبد العزيز. وقد فرض حسّان على الأشراف وعلى الأمويّين البيعة لعبد الملك ولعبد العزيز. ولم يرفض أحد هذه البيعة لأنّ رفض البيعة هو خلع للطاعة وخرق لوحدة الجماعة [1].

إذن حافظ مروان بن الحكم على نفس التصوّر السفياني للحكم وحافظ على الفكرة الأسرويّة من التّلاشي لصالح عشائر أو قبائل أخرى. وستبلغ هذه الفكرة الأسرويّة أوجها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. فقد خلق هذا الخليفة تقليدا سيعزّزه الحظّ. وتواصل الاستقرار إلى آخر خلافة هشام أي أربعين عاما باستثناء فترة عمر القصيرة التي هي تعويض عن وصيّة مروان لابنه عبد العزيز. وأراد عبد الملك حصر الخلافة في ابنيه من بعده الوليد وسليمان لكنّه لم يستطع أن ينفّذ ذلك ما دام أخوه على قيد الحياة.

وقد شجّع الحجّاج بن يوسف وروح بن زنباع الجذامي الخليفة عبد الملك على إزاحة عبد العزيز عن ولاية العهد وتعيين الوليد [2]. فأرسل عبد الملك لعبد العزيز - وهو والي مصر من قبله - وطلب منه أن يبايع لابن أخيه الوليد. فألحّ الخليفة عليه "أن يجعلها له من بعده" أي للوليد. لكنّ عبد العزيز رفض وقال أنّ ابن أبا بكر بن عبد العزيز تحقّ له الخلافة أيضا أو ولاية العهد كالوليد بن عبد الملك.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 610.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 442.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 150.
البلاذري، مصدر مذكور(مخطوط)، ج 1، ص 1159-1162.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 189.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 88-89.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 306.
Lammens (H), L'Avènement des Marwanides, p 128.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 413-414.

عندها طالبه الخليفة عبد الملك بخراج مصر. فكتب إليه عبد العزيز أن "لا يغثّث عليه بقيّة عمره" [1].

وقد نصح قبيصة بن ذؤيب -كاتب الخليفة عبد الملك على ديوان الخاتم- الخليفة عبد الملك بعدم خلع أخيه لأنّه سيخلق خلافا داخل الأسرة الأمويّة كما أنّه طمأنه بإمكانيّة موت عبد العزيز فتحلّ هذه المشكلة [2]. فتراجع الخليفة عبد الملك عن إقلاق خصمه وأوكل بيعة ابنيه للقدرة الإلهيّة [3]. لكنّ موت عبد العزيز سهّل عليه هذه المهمّة. وبايع عبد الملك لبنيه بعد يوم من وفاة عبد العزيز. وقد كتب عهدا للوليد ثمّ من بعده لسليمان حتّى لا يحصر الوليد الملك في ابنائه [4]. تقنّن الحكم الأسروي منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إذ أصبح الخليفة يترك قرارا مكتوبا يسمّى عهدا. فوصيّة الخليفة مدعّمة بإمضاء شهود ثقات، وأصبحت القرار الأساسي للتّعيين على حساب "حفل" البيعة [5].

احترم الأمويّون العهد وبالتالي حفظت القوانين السلاليّة الأسرة المروانيّة، خاصّة أبناء الخليفة عبد الملك من الاختلاف [6]. لكن رغم هذا التقنين، حاول الخليفة الوليد بن عبد الملك خلع أخيه سليمان وتولية ابنه عبد العزيز. لكنّ الناس جميعا احترموا قواعد وراثة الحكم ولم يوافقه إلى الخلع إلاّ رجاله المقرّبون منه كالحجّاج بن يوسف وقتيبة بن مسلم الباهلي. وقد عرض على سليمان أن يبايع لعبد العزيز فرفض فنصحه عبّاد بن زياد ألاّ يولّي ابنه لأنّ الناس سيقتلونه.

نلاحظ أنّ الأسرة الأمويّة تمثّل قوّة ضغط كبيرة وتضرب على يد كلّ من أراد أن يفتكّ السلطة ويخترق القوانين السلاليّة التي وضعها عبد الملك. ونصح عبّاد

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 414.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 183.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1188.
ابن خيّاط، مصدر مذكور، ص 223.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 335.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 412-413.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 214.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 414.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 416.
5) E.I², tII *Khalifat*.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 416.

بن زياد الوليد أن ينادي سليمان ليبايع عبد العزيز من بعده أمام الناس. فأبطأ سليمان في القدوم على الوليد وتوفّي هذا الأخير قبل أن يحقّق أغراضه [1]. فحفظت بذلك القوانين الأسرويّة من التّلاشي.

ونقض الخليفة سليمان بن عبد الملك العهد الذي قطعه على نفسه ووعد به أباه الخليفة عبد الملك بن مروان في البيعة من بعده ليزيد بن عبد الملك ولمروان بن عبد الملك. فقد تحيّن فرصة موت أخيه مروان بن عبد الملك ليبايع ابنه أيّوبا بولاية العهد.

كما عادى الخليفة سليمان بن عبد الملك أخاه يزيد بن عبد الملك وبقي متربّصا به وتمنّى له الموت. لكن الشخص الذي هلك هو ابنه ووليّ عهده أيّوبا [2]. ثمّ استشار الخليفة سليمان بن عبد الملك رجاء بن حيوة الكندي - وهو من صلحاء الأردنّ ومن أقرب رجال حاشيته - في تولية ابنه الآخر داود بن سليمان بن عبد الملك. لكنّ رجاء بن حيوة بيّن له أنّ داود يجاهد البيزنطيّين بالقسطنطينية ولا يعرف إن كان حيّا أو ميّتا. عندها طلب الخليفة سليمان بن عبد الملك من رجاء أن يرشده إلى شخص آخر يتولّى الخلافة بعده. فترك له رجاء سلطة القرار.

واقترح الخليفة سليمان ابن عمّه عمرا بن عبد العزيز وتجاهل أخاه هشام بن عبد الملك. فأقرّ رجاء بصفة غير مباشرة بأنّ عمرا بن عبد العزيز يصلح لهذا المنصب. فقرّر الخليفة سليمان أن يبايع عمرا بن عبد العزيز ومن بعده ليزيد بن عبد الملك. بايع الخليفة سليمان يزيدا بن عبد الملك حتّى لا تتشتّت الأسرة الأمويّة وتتفرّق لعدم تولية أبناء الخليفة عبد الملك بل ابن عمّهم. عيّن الخليفة سليمان عمرا بن عبد العزيز لصلاحه وورعه وتقواه [3].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 498-499.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 104.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 157.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 274.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 531-532.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 33.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 550-551.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 34.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 257.
محمّد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام، ص 148.

وكانت بيعة عمر بن عبد العزيز بيعة خاصّة. فقد بايع الأمويّون لمن في وصيّة الخليفة سليمان بن عبد الملك وبحضوره وهو على فراش الموت بدون أن يعلموا من سيتولّى الخلافة (كان الكتاب مكتوبا بيد رجاء بن حيوة الكندي). فقد عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك لعمر بن عبد العزيز على حساب إخوته أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان وقد تخوّف من رفضهم له. لذلك كانت سريّة الوصيّة لازمة. وكانت هذه البيعة الأولى. وبايعوا مرّة ثانية بعد موت الخليفة سليمان دون أن يتفطّنوا إلى ذلك. ثمّ بايع الأمويّون بيعة ثالثة في مسجد دابق رغم استغرابهم من ذلك. لكنّ رجاء بن حيوة الكندي أقنعهم بالبيعة مرّة ثالثة. عندها أخبرهم رجاء بن حيوة بموت الخليفة وقرأ الكتاب. فبايع الأمويّون البيعة الرابعة لعمر بن عبد العزيز. وقد رفض هشام بن عبد الملك أن يبايع عمرا لعدم توليته من طرف الخليفة سليمان. ولم يبايع إلاّ بعد أن تهدّده رجاء بن حيوة [1].

إنّ هذه البيعة هي بيعة مميّزة لأنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز لا ينتمي لأبناء الخليفة عبد الملك ولأنّ البيعة تمّت على ثلاث مراحل. وتولّى يزيد بن عبد الملك الخلافة حسب وصيّة سليمان بن عبد الملك. فكتب عهدا لأخيه هشام بن عبد الملك ولابنه الوليد بن يزيد. لكنّ يزيدا ندم بعد ذلك وتمنّى لو أنّه عيّن ابنه قبل أخيه هشام [2]. لكنّه لم يغيّر هذا العهد.

وتولّى الخليفة هشام بن عبد الملك فأراد التوصية بولاية العهد لابنه معاوية بن هشام على حساب الوليد بن يزيد بن عبد الملك. لكنّ معاوية بن هشام مات [3]. وتشجّع الخليفة هشام على التوصية لابنه مسلمة بن هشام بالعهد على حساب الوليد بن يزيد نظرا لفسقه ومجونه [4]. وحرّض الزهري – وهو محدّث ومن حاشية الخليفة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 551-552.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 34-35.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 359-360.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 209.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 377.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 207.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 209.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 334.

هشام – الخليفة هشام على خلع الوليد. لكن هشاما احترم القوانين الأسرويّة والسلاليّة ولم يخلع الوليد [1].

تدعّمت قاعدة الحكم الأسروي من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك رغم انتقال الملك من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني. كما انحصر الحكم الأسروي في الفرع المرواني في أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز. ترجع قوّة الفكرة الأسرويّة طيلة هذه الفترة لاحترام الخلفاء الأمويّين لقاعدة الحكم الأسروي رغم أنّهم حاولوا حصر الخلافة في أبنائهم ونزعها عن إخوتهم. وعندما تخلّى الخليفة الوليد بن يزيد على قاعدة الحكم الأسروي بتعيين ابنيه الغلامين على حساب عتيق بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، يحدث انهيار للفكرة الأسرويّة وانشقاق داخل الأسرة الأمويّة أديّا إضافة إلى عوامل أخرى للفتنة الثالثة وسقوط الدولة الأمويّة [2].

"ورغم نجاح الأمويّين في إدخال مبدأ توريث الحكم، إلاّ أنّهم لم يستطيعوا إيجاد ميكانيكية ثابتة لذلك كما في أوربا الاقطاعيّة حيث كانت الثورات العقّارية وغيرها بالإضافة إلى ولاية الحكم تورّث حسب مبدأ الـ Primogéniture الذي يعطي كلّ شيء للابن الأكبر، وبالتالي كانت وراثة الحكم والثروة محدّدتين حسب نظام دقيق من القرابة. لم يكن هذا الأمر ممكنا في الإسلام بسبب المساواتية النابعة من مبدأ الأخوّة" [3]. وأخيرا، ترك الخلفاء الأمويّون "ميراثا" للعبّاسيين اقتدوا به وطوّروه. ويتمثّل هذا الميراث في الحكم الأسروي. أدخل الأمويّون على نظام الحكم في الإسلام ظاهرة الحكم الأسروي. كما أفسح الأمويّون المجال للمرأة (زوجات وجواري الخلفاء) للتدخّل في أمور الحكم.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 213.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 301.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 232.
3) الفضل شلق، *الجماعة والدولة جدليّات السلطة والأمّة في المجال العربي الإسلامي*، الاجتهاد، العدد 3 ربيع 1989، ص 15-100.

(ج) دور المرأة في الحكم

✓ دور المرأة في الحكم بعاصمة الخلافة

أثّرت نساء الخلفاء الأمويّين سواء الزوجات منهنّ أو الجواري على قرارات الخلفاء من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد لامت فاختة بنت قرظة على زوجها الخليفة معاوية لأنّه يحلم على الناس رغم أنّهم يغلظون له القول ونصحته بأن يقهرهم ويذلّهم. لكنّه أجابها بأنّ العرب لديهم عزّة وأنفة.

ومازال المجتمع يحتوي على أشراف وأسياد. وعلى هذا الأساس، لم يستطع الخليفة معاوية أن يكون صارما. لكن أكّدت له زوجته من جديد أنّه قادر على إخضاع جميع الناس. فقال لها معاوية بأنّه سيريها صحّة كلامه. فأدخلها بيتا وأسدل عليها ستره ثم أمر حاجبه بإدخال رجل من الأشراف الواقفين على بابه. فأدخل عليه شريفا من قيس فحقّر معاوية من شأنه حيث اتّهمه بالطعن في الخلافة والتنقيص من أهلها وتهدّده. فردّ عليه الشريف من قيس بأنّه سيقاتله وأنّه إن لم يعترف بالجميل للأشراف الذين أعطوه الخلافة فهو سينــزع باحتقار. فأمر الخليفة معاوية بإخراج هذا الشريف.

وأمر الخليفة معاوية بإدخال شريفين وتصرّف معهما كما تصرّف مع الشريف الأوّل. فأجاباه بنفس طريقة الشريف القيسي. وأخيرا، تأكّدت فاختة من صحّة وجهة نظر الخليفة معاوية وهي سياسة الناس برفق وحلم.

كما أدركت أنّ لوم الخليفة غير جائز [1]. تدخّلت زوجة الخليفة معاوية فاختة بنت قرظة في طريقة حكم زوجها وأعطت رأيها في هذه الطريقة. كما أشرك الخليفة معاوية زوجته في الحكم نوعا ما بما أنّه حاول إقناعها بوجهة نظره وأطلعها بصفة مباشرة على طبيعة العلاقات في المجتمع الأموي والوسائل التي يجب اتّباعها. كما تدخّلت فاختة بنت قرظة لدى الخليفة معاوية لفائدة الشعراء الذين يمدحون ابنها عبد الله بن معاوية حتّى يكرمهم ويجود عليهم [2]. إنّ تأثير فاختة على الخليفة معاوية في اتّخاذ بعض القرارات دفع عمرا بن العاص إلى تعييره بأنّ زوجته غلبته. فأجابه

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 106-107.

2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 284.

الخليفة معاوية "إنّهن يغلبن الكرام ويغلبهنّ اللئام". يؤكّد هذا الخبر دور فاختة في الحكم وافتخار معاوية بذلك [1]. وتواصل دور المرأة في الحكم في عهد الخلفاء المروانيّين حيث أشارت عاتكة بنت يزيد بن معاوية زوجة الخليفة عبد الملك بن مروان عليه بأن لا يقاتل بنفسه مصعب بن الزبير لأنّها لم تر خليفة غزا بنفسه بل يوكّل شخصا آخر. لكن أصرّ الخليفة عبد الملك على الذهاب بنفسه [2]. استغلّت عاتكة حبّ الخليفة لها لتتدخّل في شؤون الحكم. وطلب الخليفة عبد الملك بن مروان من واليه بالمدينة هشام بن اسماعيل بن الوليد أن يشتم آل الزبير وآل عليّ. لكن قدمت زوجة عبد الملك - وكانت ابنة هشام بن اسماعيل - على أبيها وطلبت منه أن يكلّف آل عليّ يشتمون الزبير ويكلّف آل الزبيريشتمون عليّا حتّى لا يهلك عشيرته. وقد نفّذ هشام رأيها [3].

تدخّلت زوجة الخليفة في قرار سياسي وإيديولوجي للخليفة عبد الملك بن مروان فحوّرته حتّى تحمي عشيرتها. وتواصل دور المرأة في الحكم في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك. فقد حجّ محمّد بن يوسف والي اليمن من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك - في نفس السنة التي حجّ فيها الخليفة - وأهداه هدايا فطلبت أمّ البنين زوجة الخليفة الوليد أن يصرف إليها الهدايا [4]. فأمر الخليفة بصرفها إليها. وبعثت رسلها إلى والي اليمن تطلبها منه. لكنّ هذا الأخير رفض تسليمها إليها حتّى يراها الخليفة. على هذا الأساس، اختلقت زوجة الخليفة تهمة ألصقتها بوالي اليمن حتّى تنتقم منه.

فذكرت للخليفة أنّها لا تريد الهدايا التي أمر بصرفها إليها لأنّ محمّدا بن يوسف غصبها للناس أي افتكّها ظلما وعدوانا، وصدّقها الخليفة. وعندما أتاه الوالي بهذه الهدايا أخبره الخليفة أنّه افتك هذه الهدايا . ولم يقبل من محمّد بن يوسف إلاّ بعد أن حلف بين الركن والمقام بالكعبة أنّه لم يغصب أحدا في جمع هذه الهدايا. عندها فقط قبل الوليد هذه الهدايا [5]. أثّرت زوجة الخليفة الوليد بن عبد الملك عليه في اتّخاذ القرار إذ أصبحت تلعب دورا سياسيا. وتواصل دور المرأة في التّأثير على الخليفة

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 35.
2) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 335.
3) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 168.
4) أمّ البنين هي ابنة عبد العزيز بن مروان.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 498
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 158-159-160.

الأموي. فقد كان الخليفة يزيد بن عبد الملك مقرّبا لجاريته حبابة حتّى أنّه كان يقضي معها أغلب أوقاته [1]. واستغلّ عمر بن هبيرة الفزاري غلبة حبابة على الخليفة يزيد بن عبد الملك. فكان يرسل إليها الهدايا وإلى الخليفة حتّى عملت له في ولاية العراق فولاّه الخليفة [2].

كما تدخّلت حبابة للأحوص الشاعر لدى الخليفة يزيد بن عبد الملك. فقد جفاه الخليفة عمر بن عبد العزيز. وعندما تولّى يزيد كلّم الأحوص حبابة فغنّت أبياتا من شعره وهوّنت أمره لدى الخليفة فقبل منها هذا الأخير ومنحه الأمان وأعطاه مائة ألف درهم [3]. فقد أثّرت زوجات وجواري الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك على قرارات الخلفاء وبالتالي كنّ يلعبن دورا سياسيّا. ولم يقتصر هذا الدور السياسي على نساء الخلفاء بل شمل نساء الولاة.

✓ **دور المرأة في الحكم في الولايات**

إنّ نساء والي البصرة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية عبيد الله بن زياد كلّمنه بعد أن طلبت منهنّ أمّ برثن أن يعيّن ابنها. فاستجاب عبيد الله بن زياد لهنّ وعيّن هذا الشخص [4]. يؤثّر نساء عبيد الله بن زياد عليه في اتّخاذ قرارات معيّنة كتعيين عامل مثلا.

وعيّن الحكم بن أيّوب والي البصرة من قبل الحجّاج وختنه عيّن محمّد بن رياط كرّي زينب بنت يوسف بن الحكم زوجته على شرطة البصرة بعد أن كلّمته هذه الأخيرة [5]. وطلبت هند بنت أسماء بن خارجة الفزاري من زوجها الحجّاج أن يؤمّن شاعر مضر جريرا بن الخطفى فاستجاب لها الحجّاج وقبل شفاعتها [6]. ونفّذ الحجّاج طلب زوجته رغم اتّصافه في العادة بالصرامة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 22-24.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 196-199.
الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 15، ص 101-103.
2) ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 99.
الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 15، ص 99.
3) الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 4، ص 252.
4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 296.
5) الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 6، ص 189.
6) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 152.

فقد لعبت نساء الولاة الأمويّين دورا سياسيّا من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك على شاكلة نساء الخلفاء. وسيمهّد نساء الأمويّين للدور السياسي الأكثر أهميّة الذي سيلعبه نساء الخلفاء العبّاسيّين. بالإضافة إلى ذلك، فإنّ الخلفاء الأمويّين أنشؤوا ما يعرف بلذّة الحكم.

(د) لذّة الحكم ولذّاته

✓ لذّة الحكم

إنّ صاحب السلطة والحكم هو صاحب لعبة سحريّة لكونه مركز استقطاب وإخضاع للضّمائر والمشاعر واحتكار للمجد والخلود. فقد قال الأديب التشيكي Kundura أنّ شخصين كتب لهما الخلود المفكّر والسياسي.

وذكرت المصادر أمثلة عن افتخار الأمويّين باكتسابهم للسلطة. فقد رفض الخليفة معاوية بن أبي سفيان تزويج ابنته لابن أخته – وهو ابن أمّ الحكم – لأنّه من ثقيف وليس من قريش ولانتماء الخليفة معاوية لطبقة الملوك بينما كان أبو سفيان ينتمي لعامّة الناس فزوّج ابنته لثقيف [1]. كان الخليفة معاوية معتدّا بانتمائه لفئة الملوك ولقريش.

على هذا الأساس، لا يربط الخليفة معاوية علاقات مصاهرة إلاّ مع قريش وطبقة الملوك. ولم تحتوي لذّة الحكم لدى الأمويّين على هذا الجانب فقط (أي اكتساب المجد إلخ ...) بل كانت تحتوي على نوع من المرارة لأنّ الخليفة يضطرّ إلى أن يكون مستبدّا ويقتل من يهدّد حكمه. فقد اضطرّ الخليفة عبد الملك بن مروان لقتل صديقه مصعب بن الزبير لأنّه هدّد ملكه ووضع بين قوسين مشاعر الودّ والمحبّة لكي يحمي ملكه. وعبّر الخليفة عبد الملك بن مروان عن هذه المرارة بقوله : "واروه فقد والله كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة، ولكنّ هذا الملك عقيم" [2].

والمقصود بالملك العقيم أنّه لا ينفع فيه نسب لأنّ الأب يقتل ابنه بسبب الملك. والعقم القطع. والملك عقيم لأنّه تقطع فيه الأرحام بالقتل والعقوق [3]. كما أحسّ الخليفة

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 139.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 161.
3) ابن منظور، مصدر مذكور، ج 2، ص 848.

عبد الملك بن مروان بنفس المرارة عندما قتل ابن عمّته عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق لمنازعته على الحكم [1].

لم يقتصر الإحساس بلذّة الحكم على الخلفاء الأمويّين بل ورثه الخلفاء العبّاسيّون وطوّروه. فقد أصبح الخليفة العبّاسي لا يرى ويغطّى بحجاب. كما أنّه أصبح كثير البطش. ولم يتمتّع الخلفاء الأمويّون بلذّة الحكم فقط بل كانوا يتمتّعون بلذّاته أيضا.

✓ لذّات الحكم

تتمثّل لذّات الحكم في شرب الخمر والتمتّع بالأكل الطيب وامتلاك الجواري.

○ لذّات الحكم بعاصمة الخلافة

لم تكن هذه اللّذات موجودة لدى الرسول والخلفاء الأوائل الذين اتّبعوا البساطة في حياتهم. على هذا الأساس، فقد تأثّر الخلفاء الأمويّون بملوك الحيرة والغساسنة والملوك الفرس والبيزنطيّين في تمتّعهم بلذّات الحكم [2]. فقد كان الخليفة يزيد بن معاوية يشرب الخمر ممّا دفع بأعدائه إلى وصفه بالماجن والفاسق والسكّير [3]. فهذا الوصف المتحامل من طرف الشيعة أساسا والعبّاسيّين ناتج عن قتل يزيد للحسين بن عليّ حفيد الرسول ورميه الكعبة بالمنجنيق وقتله أهل الحرّة.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 147.

2) Bréhier (L), Idem, T1, pp 106-113-115

كريستنسن، مرجع مذكور، ص 425.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 475-480.

البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 286-287.

الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 17، ص 222.

المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 67.

ابن عبد ربّه، مصدر مذكور، ج 6، ص 348.

السيوطي، مصدر مذكور، ص 249.

اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 271.

ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 127.

الجاحظ، كتاب التاج، ص 150-152.

فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 147.

Lammens (H), Le Califat de Yazid 1er, p 28.

لم يكن الخليفة يزيد بن معاوية ماجنا أو فاسقا بل إنّ شربه الخمر يتنزّل في إطار تقليد يعود لعصور قديمة. فشرب الخمر لا يقتصر إلاّ على الملك الإله [1].

على هذا الأساس، فإنّ شرب الخمر هو من مميّزات الملك وسيتّبع الخلفاء الأمويّون هذه العادة الملكيّة ما عدا الخليفة عمرا بن عبد العزيز الذي كان لا يشرب الخمر لأنّه محرّم [2]. طوّر الخلفاء الأمويّون هذه العادة الملكيّة القديمة. وقد وصفهم أعداؤهم بالفسّاق متناسين "المجون والفسق" الذي سيتّبعه الخلفاء العبّاسيّون. فقد تأثّر العبّاسيّون بالأمويّين لكنّهم بالغوا في شربهم للخمر.

ولم يقتصر التلذّذ بالحكم لدى الخلفاء الأمويّين على شرب الخمر بل شمل التمتّع بالأكل الطيّب. فقد كان الخليفة معاوية أكولا نهما يدعو الناس لطعامه ويأكل معهم عدّة مرّات [3]. وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك يأكل دفعة واحدة جديا وخمسة دجاجات ومآكل أخرى [4].

ربّما بالغت المصادر في ذكر نهم الخليفة سليمان بن عبد الملك حتّى تبيّن دنيويّة الأمويّين. وقد رفض الخليفة عمر بن عبد العزيز التلذّذ بالأكل الطيّب كبقيّة الخلفاء الأمويّين فكان يأكل كلّ يوم عدسا وبصلا [5]. اتّبع الخليفة عمر بن عبد العزيز الرسول والخلفاء الأوائل الذين كانوا يأكلون مآكل بسيطة. كان الخلفاء الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد

---

1) René Girard, **La Violence et le Sacré**, Paris 1972, pp 170-200.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 210.
الجاحظ، **كتاب التاج**، ص 150-152.
الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 74.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 340.
ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 86.

3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 42.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 22.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 525.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 301.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 175.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 269.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 359.

5) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 121.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 280.

الملك – ما عدا الخليفة عمرا بن عبد العزيز – يأكلون المآكل الطيّبة على شاكلة ملوك الفرس والبيزنطيّين. كما قلّد الخلفاء الأمويّون ملوك الفرس والبيزنطيّين باكتسابهم العديد من الجواري.

فقد ذكر البلاذري أنّ الخليفة معاوية صنّف أنواع الجواري فقال "من أراد اللّذاذة فعليه بالبربر" [1]. يرجع أصل الجواري للجهاد. فهنّ يأخذن في الغنائم كسبي. وكان الخليفة يزيد بن معاوية يمتلك العديد من الجواري [2]. وذكر الخليفة عبد الملك بن مروان أنّه أتى النساء إلى درجة أنّه لم يعد يبالي بهنّ [3].

وكان الخليفة سليمان بن عبد الملك "صاحب نكاح" حتّى أنّ الناس تأثّروا به [4]. وأحدث الخليفة عمر بن عبد العزيز قطيعة مع الفترة السابقة حيث خيّر جواريه بين أن يعتقهنّ أو يمسكهنّ لأنّه أصبح منشغلا عنهنّ بالخلافة [5]. يتنزل هذا التصرّف في إطار الزّهد والورع الذي اتّبعه الخليفة عمر بن عبد العزيز. ورجع الخلفاء الأمويّون لاتّخاذ الجواري في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك والخليفة هشام بن عبد الملك.

وعرف الخليفة يزيد بن عبد الملك بلهوه ومجونه لعلاقته الوطيدة بجاريته حبابة [6]. اتّخذ الخلفاء الأمويّون الزوجات والجواري على شاكلة ملوك الفرس والبيزنطيّين – ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز– فألمّوا بجميع جوانب التلذّذ بالحكم. لكنّ هذا التمتّع بالنساء كان نسبيّا بالمقارنة مع الخلفاء العبّاسيّين الذين يملكون الآلاف من الجواري ولم تقتصر لذّات الحكم على الخلفاء الأمويّين فقط بل شملت ولاتهم.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 16.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 480.
3) البلاذري، مصدر مذكور (مخطوط)، ج 1، ص 1167.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 263.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 149.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 497.
5) السيوطي، مصدر مذكور، ص 280.
ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 49-50.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 22-24.
المسعودي، التنبيه، ص 320.

o لذّات الحكم بالولايات

تلذّذ الولاة الأمويّون بالحكم أو تمتّعوا بلذّاته على شاكلة الخلفاء الأمويّين. فقد كان بشر بن مروان مغرما بالشراب. وكانت حالة السكر تدفع به إلى المجون [1]. وفضح بلال بن أبي بردة والي البصرة وقاضيها وصاحب شرطتها من قبل خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك بالشراب [2].

كما كان الجنيد بن عبد الرحمن والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يشرب المزّاء [3]. وكان الوليد بن عتبة بن أبي سفيان (والي المدينة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان ومن قبل الخليفة يزيد بن معاوية) يشرب الخمر [4]. وأخيرا كان قرّة بن شريك العبسي والي مصر من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك "ماجنا وخليعا" لشربه الخمر [5]. ولم يقتصر تلذّذ الولاة بالحكم على الخمر بل شمل الأكل.

فقد ذكر البلاذري أنّ عبيد الله بن زياد كان يأكل خمسة مرّات في اليوم. فهو يأكل جديا أو خروفا كلّ يوم. ويختم أكله بجبنة بعسل. وقد تغدّى يوما عند رجل من بني أسد فأكل عشرين بطّة وزبيلين من عنب وجديا.

وقد اعتبرت المصادر ذلك نوعا من الفسق والترف [6]. ربّما بالغت المصادر في وصف شراهة عبيد الله بن زياد للتعتيم عليه بسبب قتله الحسين بن عليّ. لكن لا شكّ أنّ هذا الخبر يحتوي على عناصر من الصحّة. فقد أصبح عبيد الله بن زياد بمثابة الملك الفارسي يتلذّذ بالسلطة بتمتّعه بالأكل الطيّب. كما كان الولاة الأمويّون يملكون العديد من الجواري حيث ذكر الطبري أنّ يزيدا بن المهلّب والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك كان يعطي الجارية من جواريه مثل سهم ألف رجل.

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 167-171-172.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 36.
2) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 349.
3) المزّاء : الخمر اللّذيذة الطعم، سمّيت بذلك للذعها في الفم.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 87.
4) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 116.
الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 213.
5) الكندي، **ولاة**، ص 85-86.
6) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 384-385.

وكان هذا التصرّف يغضب عمرا بن عبد العزيز. فهو يعتبر يزيدا بن المهلّب غير مراع لمشيئة الله [1].

كان يزيد بن المهلّب يكتسب الكثير من الجواري. وكان يشركهنّ في الغنائم. كما كان الجنيد بن عبد الرحمن المرّي والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يمتلك العديد من الجواري اللاّتي خرجن معه عندما خرج لقتال الترك [2].

فقد تمتع الخلفاء والولاة الأمويّون تمتّعوا بلذّات الحكم متأثّرين بالملوك البيزنطيّين والفرس. لكنّ تمتّعهم بهذه اللّذات نسبي وبسيط بالمقارنة مع الخلفاء العبّاسيّين الذين بالغوا في التمتّع بلذّات الحكم إلى حدّ "المجون" رغم أنّهم يكتسبون شرعيّة تاريخيّة تنحدر من عمّ الرسول. ولم تقتصر فلسفة الحكم لدى الأمويّين على لذّة الحكم ولذّاته بل شملت أيضا الاستماع لأخبار العجم والعرب والشعر.

(هـ) الاستماع لأخبار العجم والعرب والشعر

أحدث الخلفاء الأمويّون تقليدا سياسيّا في البلاط الأموي اعتمادا على الموروث الجاهلي وعلى التقاليد السياسيّة المجاورة. فقد وفد عبيد بن شرية الجرهمي -وهو يمني من صنعاء- على الخليفة معاوية بن أبي سفيان فسأله عن الأخبار المتقدّمة وملوك العرب والعجم. ولم يتوقّف الخليفة معاوية على السماع فقط بل أمر بتدوين كلّ هذه الأخبار ونسبتها لعبيد بن شرية [3].

ويؤكّد المسعودي ما قاله ابن النديم من أنّه كان للخليفة معاوية غلمان مرتّبون يقرؤون له دفاتر تحتوي على أخبار العرب وأيّامها والعجم وملوكها وسياستها لرعيّتها وسير ملوك الأمم وحروبها ومكايدها وسياستها لرعيّتها [4]. كما كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان كالسيّد العربي في اهتمامه بأنساب العرب حيث سأل حاشيته عن أيّ العرب أكرم بعد قريش وأيّهم أشجع وأفصح وأفرس وأدهى [5]. إنّ النخّار العذري أو العجلي كان ناسبا. وكان معاوية يرجع إليه لمعرفة أنساب العرب.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 528.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 75.
3) ابن النديم، **مصدر مذكور**، ص 132.
4) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 30.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 29.
الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج 2، ص 60.

أسّس الخليفة معاوية ثقافة سياسيّة تمكّنه من حسن سياسة قبائل العرب معتمدا في ذلك على الثقافة الجاهليّة (أيّام العرب وأخبارها وأنسابها). وهذا التصرّف ليس غريبا من شخص ينتمي لقريش. ويعتبر هذا الإحياء للتقاليد الجاهلية من طرف الخليفة معاوية بن أبي سفيان تجديدا وتواصلا مع الفترة الجاهلية. وهو بذلك يختلف عن الخلفاء الأوائل.

كما أنّ انفتاح الخليفة معاوية على الثقافات السياسيّة الفارسيّة والبيزنطيّة وغيرها سيخلق ثقافة سياسيّة جديدة لم تكن موجودة في عهد الخلفاء الأوائل. وسيتواصل هذا التنوّع في الثقافة السياسيّة الأمويّة في عهد الخلفاء الأمويّين. فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان حسب الشّعبي أخصب جليسا في حفظ الشعر [1].

وكان حمّاد بن ميسرة أو حمّاد بن سابور مقرّبا من الخلفاء الأمويّين [2]. فقد قدّموه وآثروه وآستزاروه. فكان يفد عليهم وينادمهم ويسألونه عن أيّام العرب ويجزلون صلته [3]. لكنّ الخليفة عمرا بن عبد العزيز كان يستمع لخاصتّه الذين يذكرون له القرآن والحديث [4]. اتّبع الخليفة عمر بن عبد العزيز تقاليد إسلامية صرفة فاختلف بذلك عن سائر الخلفاء الأمويّين.

نستنتج أنّ الخلفاء الأمويّين ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز تبنّوا تقليدا سياسيّا مزدوجا مرتكزا على سياسة الملوك العجم وعلى الثقافة السياسيّة الجاهليّة. لكنّ هذا التأسيس لثقافة سياسية جديدة لا يعني أنّ الخلفاء الأمويّين لم يتشبّثوا بالثقافة الإسلامية. فقد كانوا يستمعون للقرآن والحديث. وسيركّز الخلفاء العبّاسيّون حكمهم على الثقافة السياسيّة الفارسيّة. ولم يقتصر الاستماع لأخبار ملوك العجم والعرب والشعر على الخلفاء بل شمل الولاة. فقد كان بشر بن مروان والي الكوفة من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان أديبا ويحبّ الاستماع إلى الشعر [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 420.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 258.
2) هو مولى بني شيبان. وكان من أعلم الناس بأيّام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغتها.
3) الاصفهاني، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 68.
4) السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 285-286 .
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 367.
5) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 110-111.

واتّخذ الحجّاج سميرا ومحدّثا له وهو سميرة بن الجعد من بني شيبان وكان يسأله عن الشعر والنجوم [1]. كما كان خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك يسامر ويحدّث داود وعيسى ابني عليّ بن عبد الله بن عبّاس اللّذين كانا يسامرانه ويحدّثانه وهما من أعوان السوق بالعراق. وربّما كانا يحفظان أخبار العرب والعجم والشعر [2]. كان ولاة العراق أساسا يتلقّون ثقافة سياسيّة عربيّة وأعجميّة ساسانية وغيرها على شاكلة الخلفاء الأمويّين.

اتّخذ الخلفاء الأمويّون فلسفة في الحكم تعتمد على الملك والحكم الأسروي والتلذّذ بالسلطة وتشريك المرأة في الحكم والاستماع لأخبار العجم والعرب والشعر فأحدثوا قطيعة مع عهد الرسول والخلفاء الأوائل وتقليدا للملوك العرب (ملوك الحيرة والغساسنة) والملوك البيزنطيّين والفرس. وسيضاهيهم في ذلك الخلفاء العبّاسيّون ويتجاوزونهم.

وستكون هذه الفلسفة الخاصّة بالأمويّين في الحكم من بين النقائص الموجّهة إليهم من طرف أعداءهم والتي ستضعف من إيديولوجيّتهم. فهل تمكّن الخلفاء والولاة الأمويّون بفضل إيديولوجيا الطاعة من تأطير المقاتلة أو الأمّة؟

4- إيديولوجيا الطاعة

أسّس الخلفاء الأمويّون إيديولوجيا الطاعة اعتمادا على القرآن 59 ﴿ وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ﴾ [3]. ويقترن مفهوم الطاعة بمفهوم الجماعة ولا يرد هذا المفرد في القرآن لكن يمكن استخلاصه من مثل قوله تعالى "واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرّقوا" [4]. فحبل الله تعني الجماعة. كما استعمل هذا اللّفظ من طرف قريش في مواجهة النبي بالقول إنّه فرّق جماعتهم [5]. فقد تولّى معاوية بن أبي سفيان الخلافة "عام الجماعة" سنة 41 هـ. واستعمل الأمويّون هذا اللّفظ في مقابلة مفرد "الفتنة" التي طبعت خلافة عليّ والسنة الأخيرة من حكم عثمان.

---

1) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 135-136.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 202.
3) النساء 4/ 59.
محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 430.
4) عمران 3/ 103.
5) رضوان السيّد، *رؤية الخلافة وبنية الدولة في الإسلام*، **الاجتهاد** عدد 13، خريف 1991، ص 11-45.

لكنّ الأمويّين لم يقصدوا بعهد الفتنة إلاّ عهد عليّ في مقابل السلام والاستقرار السياسي والاجتماعي في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [1]. وقد استخدم الأمويّون الجماعة بمعنى "الاجتماع على الإمام" أي أنّ مركز القرار هو الخليفة القائم. وسعى الأمويّون لتنفير الناس وتخويفهم من الفتنة والدعوة إلى الجماعة نظرا إلى الآلام التي عانت منها الأمّة والدماء الّي سفكت في عهدي عثمان وعليّ [2]. كما استعمل الخليفة معاوية إيديولوجيا الطاعة مستندا إلى كلمة الخليفة عمر بن الخطّاب "يا معشر العرب ! الأرض الأرض ! إنّه لا إسلام إلاّ بجماعة، ولا جماعة إلاّ بإمارة ولا إمارة إلاّ بطاعة..." [3]. يتضمّن الإسلام في الوقت نفسه الطاعة لرئيس يستمدّ سلطته وشرعيّته من مقامه الديني، والعضوية في الأمّة التي يقودها ذلك الرئيس [4].

يرجع تأكيد الأمويّين على الطاعة لضعف شرعيّتهم ولانقسام الأمّة مع الفتنة ووجود بذور فتن. فالطاعة ليست دينيّة فحسب بل أيضا لأنّها ضرورة لبقاء الأمّة متماسكة وغازية. وذكرت المصادر استخدام الخلفاء والولاة الأمويّين لإيديولوجيا الطاعة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد اشترط الخليفة معاوية على عمرو بن العاص بعد أن منحه ولاية مصر طعمة بأن لا ينقض شرط طاعة [5].

إنّ منح الخليفة معاوية لعمرو بن العاص امتيازات معيّنة تؤدّي إلى تخلّي والي مصر عن طاعته للخليفة. وقضى المغيرة بن شعبة الثقفي والي الكوفة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان على ثورة الخوارج بقيادة المستورد بن علفة لأنّهم فارقوا الجماعة [6].

ودعا زياد بن أبي سفيان أهل البصرة في خطبته المشهورة "بالبتراء" إلى الطاعة أي طاعة الوالي وطاعة الخليفة "أيّها النّاس إنّا أصبحنا لكم ساسة، وعنكم ذادة، نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا، ونذود عنكم بفيء الله الذي خوّلنا، فلنا عليكم

1) رضوان السيّد، **مقال مذكور**، ص 27.
2) رضوان السيّد، **مقال مذكور**، ص 27.
3) رضوان السيّد، *الخلافة والملك دراسة في الرؤية الأمويّة للسلطة*، ص 100.
4) إيرا لابيدوس، *الدين والدولة والتطوّرات المبكّرة في الاجتماع الإسلامي الوسيط*، **الاجتهاد**، عدد 2 شتاء 1989، ص 115-151.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 95-96.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 262-263.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 189.

السّمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولّينا" (1). كما دعا زياد أهل الكوفة إلى الطاعة وعاقب زياد عقابا صارما (قطع الأيدي) كلّ من رفض الاستجابة لأمره (2). وخطب عبيد الله بن زياد في الناس بعد أن حبس هانئ بن عروة المرادي مخافة أن يثوروا عليه بخطاب إيديولوجي. فربط طاعة الله بطاعة الأئمّة أي الخلفاء الأمويّين (3). فالطاعة هامّة لربط النّاس بالدولة. على هذا الأساس، ليس لديهم حقّ في الإعلان عن ثورتهم أو عصيان الأمويّين لأنّهم تربطهم بالدولة طاعة لها أصل إلهيّ. فالله أوصى الناس بطاعة الأئمّة وبالتالي عدم التفرّق وبثّ الفتنة والاختلاف. وحذّرهم عبيد الله مغبّة الاختلاف والفرقة التي تؤدّي إلى العقاب الصارم من طرف الدولة التي تكتسب حقّا إلاهيّا في استعمال القوّة (4).

وحرّض عمرو بن الحجّاج الزبيدي مقاتلة الكوفة على ملازمة الطاعة والجماعة وقتال المارق عن الدين والمخالف للإمام (5). واعتمادا على قوّة هذا الخطاب الإيديولوجي قضى المقاتلة على ثورة حفيد الرسول. وكان مقاتلة الشام ينادون الطاعة الطاعة عندما هاجموا الكعبة للقضاء على ثورة ابن الزبير في عهد الخليفة يزيد بن معاوية. لذلك "غلبت الطاعة الحرمة" أي حرمة الكعبة (6). وحرّض مسلم بن عقبة المرّي – قائد مقاتلة الشام الذين أرسلهم الخليفة يزيد بن معاوية للقضاء على ثورة أهل المدينة – مقاتلة الشام على قتال أهل المدينة معتمدا على خطاب إيديولوجي يرتكز على مفهوم الطاعة والاستقامة. فأهل المدينة هم مارقون عن الدين لأنّهم خلعوا الخليفة يزيدا بن معاوية. فالخروج عن طاعة الخليفة أو عن الجماعة يعني حسب الإيديولوجيا الأمويّة إلحادا لأنّ الجماعة دينيّة في الأصل ولا بدّ من إمام وإلاّ انخرم الدين (7).

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 218-220-221.

2) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص198-225.

3) هو أحد أشراف مذحج بالكوفة. وقد آوى في بيته مسلم بن عقيل بن أبي طالب (ابن عمّ الحسين بن عليّ) الذي كان يدعو الناس للبيعة للحسين.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 368-369-372.

5) قائد ميمنة المقاتلة الذين أرسلهم عبيد الله بن زياد للقضاء على ثورة الحسين بن عليّ .
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 435.

6) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 300.

7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 488-489.

وذكر مسلم بن عقبة عند احتضاره أنّه أطاع الخليفة يزيدا بن معاوية بقتله لأهل الحرّة [1]. وفي نفس هذا الإطار أي فرض إيديولوجيا الطاعة، خاطب روح بن زنباع الجذامي – قائد مقاتلة الشام الذين كانوا يحاربون ابن الزبير من قبل الخليفة يزيد بن معاوية – مقاتلة الشام الذين ثاروا بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية قائلا بأنّهم لم يأتوا لتأكيد الطاعة لرجل من جذام أو لخم أو بلقين أو كلب ولا غيرهم من العرب أو الموالي بل لطاعتهم لرجل من قريش وهو الخليفة يزيد بن معاوية [2]. بيّن روح بن زنباع الجذامي لمقاتلة الشام أنّ الطاعة للخليفة يزيد بن معاوية هي المحرك الأساسي لهم للقتال حتّى في صورة وفاة الخليفة. كان مقاتلة الشام يعتبرون من طرف الخلفاء الأمويّين وولاتهم "أهل الطاعة" لعمق ارتباطهم بالحكم الأموي منذ نشأته.

وتواصل تركيز إيديولوجيا الطاعة في عهد الخلفاء المروانيّين. فقد شجّع الحجّاج بن يوسف مقاتلة الشام على ضرب الكعبة بالمنجنيق للقضاء على ثورة عبد الله بن الزبير "معظّما عندهم أمر الخلافة وطاعة الخلفاء" [3]. بيّن الحجّاج للمقاتلة أهميّة الطاعة لأنّها تحمي الأمة من الفتنة. وعلى هذا الأساس، فإنّ طاعة الخلفاء الأمويّين واجبة. وذكر خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد لمقاتلة العراق – بعد أن رفض عدد منهم بما فيهم رؤساء أرباع الكوفة قتال الأزارقة – ذكر لهم أنّ طاعة "ولاة الأمر والقوّام بالحقّ" هي من طاعة الله فمن عصاهم قد عصى الله [4]. واستخدم الخلفاء الأمويّون القرآن الذي دعا إلى طاعة الرسول وأولي الأمر.

كما أنّهم كانوا "خلفاء الله" وبالتالي فإنّ طاعتهم واجبة. وخطب الحجّاج بن يوسف والي العراق وخراسان من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان في الناس فقال لهم "واسمعوا وأطيعوا" للخليفة عبد الملك بن مروان [5]. وجعل الحجّاج من الطاعة للخليفة عبد الملك بن مروان وله "الحقيقة الأزلية" أو "الحقّ" [6]. أي وظّف الحجّاج لفظا قرآنيّا قصد به الله الحقّ الإلهي وأسقطه على "الحقّ الأموي". كما شجّع زائدة بن

---

1) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 299.
2) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 83.
3) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 363.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 198 ; خليفة والي العراق من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان – بشر بن مروان على البصرة.
5) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 143.
6) محمّدفؤاد عبد الباقي، معجم مذكور، لفظ الحقّ، ص 208-212
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 204.

قدامة الثقفي –قائد المقاتلة الذين كلّفهم الحجّاج بن يوسف بقتال شبيب الخارجي– بتذكيرهم أنّهم أهل طاعة وجماعة بينما الخوارج هم أهل فرقة [1]. بالإضافة إلى ذلك، شجّع الحجّاج مقاتلة الشام قبل قتالهم لشبيب الخارجي بوصفهم بأهل الطاعة والسّمع والصبر واليقين [2].

وأعطى هذا الخطاب الإيديولوجي أكله حيث تمكّنوا من الانتصار على الخوارج. ودعا المهلّب بن أبي صفرة الأزدي والي خراسان عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث إلى لزوم الجماعة وعدم نكث البيعة بعد أن خلع الخليفة عبد الملك بن مروان والحجّاج [3]. وتواصل تركيز إيديولوجيا الطاعة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي حرّض الناس بعد أن بايعوه على الطاعة ولزوم الجماعة [4].

ودعا الحجّاج بن يوسف الناس، حين تولّى الخلافة الوليد بن عبد الملك، إلى الطاعة [5]. وألقى خالد بن عبد الله القسري والي مكّة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك خطبة أوّل ما تولّى الولاية بمكّة دعا الناس فيها إلى الطاعة ولزوم الجماعة. وقد ركّز خالد على هذا المفهوم الأساسي في علاقة الناس بالخليفة. فقد ذكر خالد ثلاثة مرّات لفظ الطاعة. وبيّن أنّها نابعة من المشيئة الإلهية لأنّ الله منح الأمويّين الخلافة.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الناس يجب أن يطيعوا الخليفة بدون تقاعس [6]. وحذّر خالد أهل مكّة من سكنى منازل آل الزبير بن العوّام – المارقين عن الدين والخارجين عن الجماعة – ومن يسكنها فهو يعاقب لأنّ سكنى هذه المنازل يعني الخروج عن الطاعة ومخالفة الجماعة [7]. كما حرّض عثمان بن حيّان المرّي والي المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك أهل المدينة تحريضا كبيرا على لزوم الطاعة كأحد المقوّمات الإيديولوجيّة للدولة الأمويّة. فالطاعة تجلب الأمن السياسي والاجتماعي والاقتصادي. وهي تبعد شبح الفتنة التي يذهب بالدين والمال والولد.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 245.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 269-270.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 338.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 423.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 338.
5) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 339.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 464.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 464-465.

وتتنزّل هذه الخطبة في إطار وجود عراقيين ثائرين على الحكم الأموي بالمدينة [1]. وقتل قتيبة بن مسلم الباهلي وصلب ابنين لملك من ملوك العجم لأنّه نقض الصلح وخلع الطاعة [2].

يدلّ هذا العنف في القضاء على أبناء ملك العجم على أهميّة الطاعة كأحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة. واستهجن المقاتلة بخراسان من خلع الخليفة سليمان بن عبد الملك من طرف قتيبة بن مسلم الباهلي. "فخلع الخليفة فيه فساد الدين والدنيا" [3]. كما تسري الطاعة من خراسان إلى الشام حيث أوعز الخليفة سليمان بن عبد الملك بقتل عبد العزيز بن موسى بن نصير والي الأندلس لأنّه خرج عن الطاعة فقتل وأحضر رأسه للخليفة بدمشق [4].

إنّ القضاء على الوالي الخالع للطاعة هو دليل على قوّة إيديولوجيا الطاعة. وأوصى الخليفة سليمان بن عبد الملك الأسرة الأمويّة في وصيّته أن يطيعوا الخليفة عمر بن عبد العزيز ويسمعوا له. وقد تخوّف الخليفة سليمان بن عبد الملك من تفرّق الأسرة الأمويّة بعد سماعهم بخبر تولية عمر بن عبد العزيز وبالتالي خروج الخلافة من أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان.

على هذا الأساس، أكّد الخليفة سليمان بن عبد الملك على لزوم الأسرة الأمويّة الجماعة والطاعة حتّى لا تحدث الفتنة [5]. وتواصل فرض إيديولوجيا الطاعة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيزحيث أمر عامله على الكوفة بالطاعة [6]. كما ركّز الأمويّون الطاعة في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك لمّا أرسل عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيدا بن عبد الملك إلى الفقهاء الحسن بن أبي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشّعبي ومحمّد بن سيرين وقال لهم عند حضورهم بمجلسه بأنّ يزيد بن عبد الملك هو "خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ ميثاقهم بطاعته" [7]. إنّ طاعة "خليفة الله" يزيد بن عبد الملك واجبة بما أنّ سلطته مستمدّة من الله.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 486.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 454.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 511.
4) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 211-212.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 551.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 569.
7) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 201.

وذكر أهل إفريقية في الرّسالة التي أرسلوها للخليفة يزيد بن عبد الملك بعد قتلهم للوالي يزيد بن أبي مسلم وتعيينهم لمحمّد بن يزيد مولى الأنصار أنّهم لم يخلعوا الطاعة بقتلهم ليزيد بن أبي مسلم [1]. وبهذا تسري إيديولوجيا الطاعة من إفريقية إلى دمشق. ونصح الخليفة هشام بن عبد الملك يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان من قبله بأن لا يخاف من أهل الكوفة الذين اجتمعوا على زيد بن عليّ لأنّ الوالي "داع إلى طاعة وحاضّ على جماعة ومشمّر لدين الله" [2].

دعا الخليفة هشام بن عبد الملك عامله على العراق إلى تركيز الطاعة كأحد المقوّمات الإيديولوجيّة الأمويّة. وخطب جديع بن عليّ الكرماني والي خراسان من قبل يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك في أهل خراسان فحثّهم على الطاعة وعلى لزوم الجماعة [3]. فقد ركّز الخلفاء والولاة الأمويّون إيديولوجيا الطاعة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك بعاصمة الخلافة وبالولايات. وقد نجح الأمويّون بما فيهم معاوية وزياد وعبد الملك والحجّاج وهشام وخالد في تأطير المقاتلة بما أنّ الطاعة كانت تسري من الشام إلى خراسان شرقا وإلى الأندلس غربا. فهل تمكّن الأمويّون من تأطير المقاتلة بفرض إيديولوجيا المقدرة الإلهيّة ؟

5- توظيف المقدرة الإلهية

وظّف الخلفاء الأمويّون المقدرة الإلهيّة لتركيز إيديولوجيتهم. فقد ابتدعوا لقبا جديدا وهو لقب خليفة الله [4]. وقد اهتمّ الدارسون للدولة بدراسة لقب خليفة الله وهو اللّقب الرسمي للخلفاء الأمويّين. وكان غولدزيهر Goldziher أوّل من درس المسألة فاستنتج أنّ معنى اللّقب : خليفة رسول الله المثبّت من الله وهو نفس المعنى الذي

---

1) قتل أهل إفريقية الوالي لأنّه وظّف الجزية من جديد على من أسلم منهم.
الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 617.
الجهشياري، مصدر مذكور، ص 57.

2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 170.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 154.

4) Crone (P), Hinds (M), **God's Caliph Religious Authority in the First Centuries of Islam**, Cambridge 1986, p 11.

توصّل إليه المؤرّخون المسلمون قديما [1]. لكن توصّل الدارسون فيما بعد إلى أنّ معنى اللّقب : المستخلف من الله أو المعيّن من الله [2].

إنّ هذا التأويل الثاني أصحّ لأنّ المصادر أكّدت ذلك. كما أنّ لقبي خليفة رسول الله وأمير المؤمنين قديمان أيضا. يتعارض لقب خليفة الله حسب رضوان السيّد مع فكرة الشورى والطابع التّعاقدي للسلطة وهما مسألتان قديمتان في الإسلام الأول [3].

على هذا الأساس، اعتبر تيان أنّ اللّقب ذو أصول بيزنطيّة وفارسية [4]. ووافقه في ذلك Rudi Paret مع التأكيد على العناصر البيزنطيّة [5]. بينما ذهب كلّ من P. Crone & M. Hinds أنّ اللّقب ذو أصول سامريّة يهوديّة لكون المسلمين يرجعون في ذلك إلى داود [6]. لكنّ فكرة الاستخلاف في الأرض والنبوّة والسلطة تنتشر في الإسلام كلّه ولا تقتصر على داود بل إنّ المقصود بالخليفة في قوله تعالى : "إنّي جاعل في الأرض خليفة" في نظر المفسّرين المسلمين آدم نفسه [7]. إذن هذا المفهوم هو مفهوم قرآني. المهمّ أنّ الأمويّين استعملوا هذا اللّقب لتثبيت سلطتهم. وقد استعمل الخلفاء الأوائل هذا اللّقب بصفة مختلفة عن الأمويّين. فقد رفض الخليفة أبو بكر تسمية خليفة الله ورضي أن يكون خليفة رسول الله [8].

---

1) Ignaz Goldziher, *Du Sens Propre Des Expressions Ombre de Dieu Khalife de Dieu,* in **Revue de l'Histoire des Religions** 35 (1897). W. Montgomry *Watt, God's Caliph Qu'rãnic Interpretations and Umayyad Claims*, **in Iran and Islam in Memory of the late Vladimir Minorsky** 1971, p 565-574

رضوان السيّد، *الخلافة والملك*، ص 130.

2) W. Montgomry Watt, *God's Caliph*, p 565-574

3) رضوان السيّد، **مرجع مذكور**، ص 131.

4) Tyan (E), **Institutions du droit public musulman, le Califat**, Paris 1954, Vol. I, p 202.

5) Paret (R), *Halifat Allah - Vicarius Dei*" **Mélanges d'Islamologie** 1974

6) ص 38/ 26.

Crone (P) & Hinds (M), **Idem**, pp 114-115

7) البقرة 30/2.

رضوان السيّد، **مرجع مذكور**، ص 131.

8) عليّ عبد الرزاق، **الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام**، بيروت 1966، ص 42.

Thomas Arnold, **The Caliphate**, p 31.

وكان للخليفة عمر بن الخطّاب لقب شرفي خليفة خليفة رسول الله، فاتّخذ لقبا جديدا وهو أمير المؤمنين. ولهذا اللّقب شحنة عسكريّة أساسا [1]. وكان الخليفة عثمان بن عفّان يعتبر الخلافة لباسا ألبسه له الله "سربال سربلنيه الله" [2].

على هذا الأساس، وفّر الخليفة عثمان - وليّ معاوية المظلوم - للخليفة معاوية وللخلفاء الأمويّين من بعده أحد عناصر إيديولوجيّتهم التي تتلخّص في لقب خليفة الله. ورد هذا اللّقب العديد من المرّات بالمصادر. فقد قال أبو بكرة (أخ زياد بن أبيه) للخليفة معاوية عندما أتى إليه لكي يشفع في أبناء زياد حتّى لا يقتلهم بسر بن أبي أرطاة (مبعوث الخليفة معاوية للبصرة) "فإنّك قد تقلّدت عظيما، خلافة الله في خلقه" [3]. ولقّب الشاعر حارثة بن بدر الغدّاني معاوية بخليفة الله [4]. وقال معاوية "الأرض لله وهو خليفة الله" [5].

وتواصل استعمال هذا اللّقب في عهد الخليفة يزيد بن معاوية. فقد جاء وجوه الناس ووفود البلدان وأمراء الأجناد لدمشق لتعزية الخليفة يزيد بن معاوية بعد وفاة الخليفة معاوية. فقالوا له بأنّه "رزأ في خليفة الله ومنح خلافة الله وهبة الله" [6].

وورد هذا اللّقب على النقود بعد أن عرّبها الخليفة عبد الملك بن مروان إذ لقّب هذا الأخير بخليفة الله على نقود فضّية عثر عليها بمعرّة مصرين ومنبج بالشام [7]. ومدح الفرزدق الخليفة سليمان بن عبد الملك بوصفه "بخليفة الله الذي يستسقى به المطر" [8]. وأرسل يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي والي خراسان من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك رسالة إلى هذا الأخير بعد انتظاره بجرجان وطبرستان فذكر لقب خلفاء الله وهو يقصد به الخلفاء الأمويّين من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك [9].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 4، ص 208-209.
E.I², tI *Amir AlMuminin*.
Arnold (T), Idem, p 31-32 .
2) Djaït (H), Idem, p 151
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 169.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 223.
5) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 43.
6) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 65.
7) Walker, Idem, p 31 planche VII
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 548.
9) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 544.

لكنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز رفض أن ينادى بهذا اللّقب. فقد ناداه رجل بقوله "ياخليفة الله" فأجابه الخليفة عمر بن عبد العزيز بأنّه يسمّى عمر ولديه كنية وهي أبا حفص وهو يلقّب بأمير المؤمنين. وهو يجيب كلّ ما ناداه باسمه أو بكنيته أو بلقب أمير المؤمنين.

وقد بيّن للرجل أنّه ليس بخليفة الله في الأرض ولكنّ خلفاء الله في الأرض داود (يا داود إنّا جعلناك خليفة في الأرض) [1]. رفض الخليفة عمر بن عبد العزيز تركيز أحد المقوّمات الإيديولوجيّة الأمويّة وهي توظيف المقدرة الإلهيّة بواسطة لقب خليفة الله. وأكّد الخليفة عمر بن عبد العزيز الرؤية القرآنية التي تجعل داود الرسول المبعوث من الله خليفة لله على الأرض. على هذا الأساس، أضعف الخليفة عمر بن عبد العزيز من الإيديولوجيا الأمويّة برفضه الرؤية الأمويّة للحكم. وأعيد توظيف هذا اللّقب في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك حيث قال عمر بن هبيرة الفزاري - والي العراق وخراسان من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك - للحسن بن أبي الحسن البصري وعامر بن شرحبيل الشّعبي ومحمّد بن سيرين بأنّ يزيدا بن عبد الملك هو خليفة الله [2]. وأخيرا لقّب الخليفة هشام بن عبد الملك بخليفة الله [3].

وذهب أحد الشّعراء إلى أبعد من ذلك حيث جعل من خليفة الله هشام أكرم على الله من رسوله [4]. فقد مجّد هذا الشّاعر الخليفة هشاما تملّقا منه وكذلك حاول تركيز أحد المقوّمات الإيديولوجيّة الأمويّة. ويتعارض إسناد هذا اللّقب لآدميين مع العقيدة الإسلامية. لكنّ الخلفاء الأمويّين رجعوا إلى القرآن لإيجاد شرعيّة لهذا اللّقب [5].

---

1) ص 38/ 26.
ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 51-52.
2) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 301.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 258.
ابن الأثير، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 263.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 258.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 227.
Goldziher (I), *Idem*, p 335 (5

ولم يقتصر الخلفاء الأمويّون وأنصارهم على استعمال لقب خليفة الله بل استعملوا ألقاب أخرى. فقد قال الحجّاج بعد القضاء على ثورة ابن الأشعث "بأنّ سلطان الله عزيز" [1]. إنّ الحجّاج عظّم حقّ السلطان أو الخليفة عبد الملك بن مروان وجعل هذا الحقّ مستمدّا من الله.

ولقّب أبو موسى الأشعري معاوية "بأمين الله" [2]. ولقّب الخليفة عبد الملك بن مروان نفسه بأمين الله [3]. إنّ الأمانة هي إحدى الصفات الإلهيّة وإسناد هذا اللّقب للخلفاء الأمويّين يكسبهم شرعيّة مستمدّة من الله. ومنح الخليفة هشام بن عبد الملك لنفسه وللخلفاء الأمويّين لقب "خزّان الله في بلاده وأمناؤه على عباده، فإذا أذن أعطينا، ومنع أبينا" [4]. طوّر الخليفة هشام بن عبد الملك الألقاب المسندة للخلفاء الأمويّين بإضافته للقب "خزّان الله". يندرج ذكر هذا اللّقب في إطار خدمة مصالح الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد تباطأ هذا الأخير وتمنّع في منح ثلاثة آلاف دينار لرجل من قريش لكنّه أعطاها له في ما بعد. وجعل الخليفة هشام نفسه خازنا لله لا يوزّع الأموال إلاّ بعد أن يأمره الله بذلك.

ويهدف هذا الخطاب للتمويه على الناس بينما استأثر الخلفاء الأمويّون في الحقيقة بالأموال وكانوا يعطونها لمن يريدون. وذكرت المصادر لقبا آخر منح لزياد بن أبي سفيان وهو لقب سيف الله [5]. ويرجع إسناد هذا اللّقب لزياد لقضائه على الثورات وتركيزه للملك والإيديولوجيا الأمويّة.

نلاحظ، أنّ الخلفاء الأمويّين وظّفوا المقدرة الإلهيّة بتلقيب أنفسهم بخلفاء الله. لكنّ هذا التّوظيف ناجع بصفة نسبيّة لأنّه يحيل على ضعف الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة. فإن استطاع الأمويّون كسب النّاس لصفّهم بفضل هذا الخطاب الإيديولوجي والتّمويه عليهم لمدّة سنوات، فإنّهم فشلوا. فقد أظهر هذا الخطاب ضعف الإسلامية

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 392-393.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 332.
محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 88.
3) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 134.
4) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 47.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 450.
محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 231.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 224.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 217.

الأمويّة. لكنّ هذا اللّقب لم يظهر إلاّ بصفة محتشمة في العهد الأموي ولن يتقوّى إلاّ في العهد العبّاسي [1]. وسيطوّر العبّاسيّون متأثّرين بالأمويّين ألقابا أكثر توظيفا للمقدرة الإلهيّة كلقب "ظلّ الله" [2]. ولم يقتصر الخلفاء الأمويّون على توظيف المقدرة الإلهيّة كأحد المقوّمات الإيديولوجيّة لدولتهم بل ركّزوا إيديولوجيا الجهاد.

6- إيديولوجيا الجهاد

ورد ذكر الجهاد في القرآن خمسا وعشرين مرّة (جاهداك، جاهدوا، تجاهدون، يجاهد، يجاهدوا، يجاهدون، جاهد، جاهدهم) [3]. وارتبط مفهوم الجهاد ارتباطا عضويّا بنشأة الإسلام دينا ودولة حيث ابتدأ الرسول حركة الجهاد ضدّ الكفّار في سبيل نشر الإسلام. ثمّ واصل الخلفاء الأوائل عمل الرسول حيث قضى الخليفة أبو بكر على حركة الردّة. وأطيح بالامبراطورية الفارسيّة وتوسّع العرب بالعراق وفارس وخراسان والشام في عهدي الخليفة عمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان [4].

وتوقّف الجهاد في فترة الفتنة ثمّ تواصل في عهد الخلفاء الأمويّين. فقد وظّف الأمويّون هذا المفهوم لتوسيع دار الإسلام والحفاظ عليها وللقضاء على الثّورات. فكان الشام مركز الخلافة الأمويّة ثغرا أساسيّا للدولة بما أنّهم كانوا ينظّمون حملات ضدّ البيزنطيّين. وذكرت المصادر أنّ مسلما بن عقبة المرّي -قائد مقاتلة الشام الذي بعثه الخليفة يزيد بن معاوية لقمع ثورة أهل المدينة- حرّض المقاتلة بالاعتماد على خطاب إيديولوجي معيّن [5].

ويتمثّل هذا الخطاب في أنّ الله أصبح راض على مقاتلة الشام لأنّهم يحمون الدين بينما سخط الله على أهل المدينة الثائرين على الخليفة. كما أنّ مسلما بن عقبة المرّي دعاهم إلى الجهاد للاستشهاد في سبيل الله [6]. فلا ينحصر الجهاد في قتال

---

1) Walker, **Idem**, p XXXVI

2) Goldziher (I), **Muslim Studies**, pp 66-67 ; Moshe Sharon, *Notes on the Question of the Legitimacy Government in Islam*, **Israel Oriental Studies** 1980, p 116-123.

3) محمّدفؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 182-183.

4) Muhammad Nazeer Kaka Khel, *Jihād and the projection and spread of Islam*, **Hamdard Islamicus**, Vol. VII, Number 4, Winter 1984, p 37-56.
Christian Décobert, **Le Mendiant et le Combattant l'Institution de l'Islam**, Paris 1991, p 65-66.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 490.

6) محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 389-390.

الكفّار بل يشمل أيضا الثائرين على الدولة الأمويّة والخارجين عن الطاعة. وتواصلت هذه الإيديولوجيا في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حيث دعا خالد بن عبد الله بن أسيد مقاتلة البصرة والكوفة للجهاد في سبيل الله [1]. وهو يقصد بالجهاد قتال الأزارقة لكونهم مارقين عن الدين. والدين الإسلامي يحميه الإمام أو الخليفة الأموي. كما اعتبر الحجّاج بن يوسف الثقفي قتال الخوارج بقيادة شبيب الخارجي جهادا [2].

وخاطب قتيبة بن مسلم الباهلي مقاتلة خراسان عند استعدادهم لقتال الترك بأنّ مهمّتهم تتمثّل في تكليف الله لهم حتّى "يعزّدينه" "ويذبّ بهم عن الحرمات" "ويزيد بهم المال استفاضة والعدوّ ذلاّ". وكّل الله حسب قتيبة هؤلاء المقاتلة لتركيز الإسلام ومبادئه ضدّ الكفّار. ويزداد هذا الخطاب الإيديولوجي قوّة وتأثيرا على المقاتلة عندما يذكر قتيبة سورة الصفّ آية عدد 9 (هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدين كلّه ولو كره المشركون) [3].

وأراد قتيبة بذلك إبراز الطابع العالمي للإسلام. ولم يتوقّف قتيبة عند هذا الحدّ بل ذكر أيضا آيات من سورة التوبة 120-121 ليبيّن للمقاتلة الثّواب الذي ينتظرهم من الله يوم الحساب (ذلك بأنّهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله) إلى قوله (أحسن ما كانوا يعملون). ويضيف قتيبة بن مسلم سورة آل عمران آية 169 (لا تحسبنّ الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربّهم يرزقون). "فالله تعالى يخبر عن الشهداء بأنّهم وإن قتلوا في هذه الدار فإنّ أرواحهم حيّة مرزوقة في دار القرار".

إنّ مجهودات قتيبة الرّامية لتعميق روح الجهاد لدى مقاتلة خراسان يندرج في إطار توجّه إيديولوجي للخلفاء الأمويّين. وهو يتمثّل في اعتبار خراسان ثغرا مركزيّا بالنسبة إلى اللدولة الأمويّة. وواصل الخلفاء والولاة الأمويّون تركيز إيديولوجيا الجهاد. فقد اعتبر أحد قادة مقاتلة الشام أنّ قمع ثورة يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك هي جهاد في سبيل الله [4].

---

1) خليفة والي العراق بشر بن مروان على البصرة.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 198.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 262-264.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 424.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 584.

كما ركّز أسد بن عبد الله القسري والي خراسان من قبل خالد بن عبد الله القسري – والي العراق وخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك– إيديولوجيا الجهاد بخراسان. فقد صمّم على قتال الترك بقوله "فإمّا ظفر وإمّا شهادة" [1]. وكبّر الخليفة هشام بن عبد الملك لمّا دخل عليه رسول أسد بن عبد الله القسري يكبّر. ولمّا أخبره الرسول بانتصار مقاتلة خراسان على الترك سجد الخليفة هشام بن عبد الملك سجدة الشكر [2].

دعّم الخلفاء والولاة الأمويّون الإيديولوجيا الأمويّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وتوجّهت هذه الإيديولوجيا ضدّ "الكفّار" وضدّ المعارضين هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى، لعب الأمويّون دورا جهاديّا تواصل وتكثّف من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد انتشر الأمويّون في مجال هامّ ألا وهو مجال إفريقيّة والمغرب والأندلس.

فمنذ عهد الخليفة معاوية، أسّس عقبة بن نافع القيروان قاعدة للانتشار بالمغرب. وتمكّن موسى بن نصير ومولاه طارق بن زياد من التوسّع بالأندلس في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك. وانتشر قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك ببلاد ما وراء النّهر. كما توسّع الأمويّون بالهند [3].

وقضوا على هجومات التّرك بالحدود الشمالية للدّولة [4]. ويرجع تواصل الدّور الجهادي للأمويّين إلى إحساسهم بأنّهم حماة الإسلام وبكونهم يحملون على عاتقهم رسالة عالميّة. لقد ركّز الأمويّون الإسلام بقتال "المشركين" وتوسيع رقعة الدولة الأمويّة (من الهند شرقا إلى الأندلس غربا). لكنّ الأمويّين بقوا يحسّون دائما بضعف شرعيّتهم التاريخيّة، فعتّموا على القرآن والسنّة.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 119.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 126.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 240.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 442-468.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 126.

7- التعتيم على القرآن والسنّة

عتّم الخلفاء والولاة الأمويّون على القرآن والسنّة لإخفاء نقص شرعيّتهم التاريخيّة. فقد عارض الناس إلحاق الخليفة معاوية بن أبي سفيان لزياد بن أبيه بنسبه وقيل له "يا معاوية قضى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بأنّ الولد للفراش وللعاهر الحجر، وإنّك قضيت بالولد للعاهر وجعلت للفراش الحجر" [1]. وإن كان هذا الادّعاء صحيحا فإنّ الخليفة معاوية قد تجاوز السنّة النبوية.

وقتل سمرة بن جندب الفزاري نائب زياد بن أبي سفيان بالبصرة سبعة وأربعين رجلا جمعوا القرآن [2]. وعلى هذا الأساس، فقد عتّم وغيّب سمرة بن جندب الظاهرة القرآنيّة بقتله لجمعة القرآن.

فرغم انتماء سمرة للصحابة، فإنّه دعّم أحد المقوّمات الإيديولوجيّة للدولة الأمويّة. وتواصل هذا التعتيم على القرآن والسنّة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية. فقد قتل مسلم بن عقبة المرّي – قائد مقاتلة الشام الذين أرسلهم الخليفة يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة – رجلين من قريش بعد وقعة الحرّة لأنّهما بايعاه على كتاب الله وسنّة رسوله. إنّ الرجلين لم يبايعا للخليفة يزيد بن معاوية لذلك فقد استوجبا القتل حسب مسلم بن عقبة المرّي. لكن عتّم هذا الأخير على القرآن والسنّة. وعتّم الخلفاء السفيانيّون على الرسول حسب كرون Crone حيث لم يذكروه في خطبهم بينما ركّزوا إيديولوجيا خليفة الله [3].

ويرجع عدم ذكر الرسول من طرف السفيانيّين إلى إحساسهم بضعف شرعيّتهم التاريخيّة (ضعف سابقتهم وقدمتهم بالمقارنة مع عليّ مثلا). بينما ركّز الخلفاء المروانيّون الوحدانيّة وذكروا الرسول في نقودهم لكنّنا نعارض هذا الرأي لأنّ المصادر بيّنت أنّ الخلفاء المروانيّين عتّموا القرآن والسنّة. وكان الخليفة عبد الملك بن مروان أوّل من نهى عن الأمر بالمعروف [4].

وخطب خالد بن عبد الله القسري والي مكّة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك –على منبر مكّة خطابا يتميّز بطابع إيديولوجي – وهو يتمثّل في تفضيل الخليفة

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 193.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 295.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 237.
3) Crone (P) & Hinds (M), **God's Caliph**, p 28
4) السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 260.
محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 458-459.

الأموي الوليد بن عبد الملك والإنجاز الذي قام به وهو حفر بئر بالثنيّتين – ثنيّة طوى وثنيّة الحجون – على النبي ابراهيم وعين زمزم. كما أنّ خالدا بن عبد الله قال : "أيّهما أعظم؟ أخليفة الرجل على أهله أم رسوله إليهم؟ والله لو تعلموا فضل الخليفة" [1]. ويكمن الفرق في نوعيّة وجودة المياه. فماء بئر ابراهيم مالح أجاج وماء بئر الخليفة الوليد بن عبد الملك عذب.

إنّ هذا المسّ من النبيّ ابراهيم وبئر زمزم وتمجيد الخليفة الوليد بن عبد الملك وإنجازه المائي يتنزّل في إطار التعتيم على الرسول والرسل بصفة عامّة لتركيز إيديولوجيا خليفة الله [2]. وأحدث الخليفة عمر بن عبد العزيز تغييرا و"إخلالا" بإيديولوجيا التعتيم على القرآن والسنّة حيث اعتمد القرآن والسنّة في حكمه.

فقد أمر عمّاله أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر [3]. واتّبع الخليفة عمر بن عبد العزيز سنّة الرسول [4]. وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز عامل العراق عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطّاب أن يدعو الخوارج للعمل بكتاب الله وسنّة نبيّه [5]. ساهم الخليفة عمر بن عبد العزيز في إضعاف الشرعيّة التاريخيّة والإيديولوجيا الأمويّة لأنّه أظهر هشاشتها. واتّبع الخليفة هشام بن عبد الملك إيديولوجيا التعتيم على القرآن والسنّة. فقد سأل ابن شقي الحميري الخليفة هشام بن عبد الملك "يا أمير المؤمنين خليفتك في أهلك أكرم عليك أم رسولك ؟ فقال أمير المؤمنين بل خليفتي في أهلي" [6]. يتلقّى الرسول وحيا فقط بينما "ينوب" الخليفة الله على الأرض [7]. كما خطب ثابت قطنة في الناس فقال : "من يطع الله ورسوله فقد ضلّ" [8]. ضرب هذا العامل بعرض الحائط المفاهيم القرآنيّة من طاعة الله ورسوله وبالتالي عتّم على القرآن والسنّة.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 440.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 227.
2) Crone (P), **Idem**, p 28-29
3) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 143.
4) ابن عبد الحكم، **مصدر مذكور**، ص 40.
السيوطي، **مصدر مذكور**، ص 288.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 555.
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 258.
7) Crone (P), **Idem**, p 29
8) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 38.
نائب والي سمرقند الحسن بن أبي العمرطة الكندي والي سمرقند من قبل أسد بن عبد الله القسري والي خراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك.

نستنتج أنّ الخلفاء السفيانيين عتّموا على القرآن والسنّة. ووظّف الخلفاء المروانيّون القرآن والسنّة لخدمة إيديولوجيّتهم. لم يكن هذا الخطاب الإيديولوجي كافيا لأنّه أظهر ضعف الشرعيّة الدّينيّة للأمويّين. على هذا الأساس، فإنّ هذه الإيديولوجيا الأمويّة أي التّعتيم على القرآن والسنّة هي إيديولوجيا هشّة.

فهل حاول الخلفاء والولاة الأمويّون إخفاء هذا الضعف في إيديولوجيّتهم بخلق إيديولوجيا قويّة كإيديولوجيا توظيف القرآن؟

8- توظيف القرآن

وظّف الخلفاء والولاة الأمويّون القرآن حسب مصالحهم السياسيّة والإيديولوجيّة. فقد خاطب الخليفة يزيد بن معاوية عليّا بن الحسين بن عليّ الأصغر بعد كربلاء قائلا : "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير" [1]. يريد الخليفة يزيد بن معاوية أن يحمّل الحسين بن علي وأبناءه وأصحابه مسؤولية ثورتهم على الخليفة وكذلك مسؤولية قتلهم.

ووظّف الحجّاج القرآن توظيفا إيديولوجيّا حتّى يخوّف المقاتلة ويحملهم على قتال الخوارج مع المهلّب بن أبي صفرة [2].

ويهدف هذا الخطاب الإيديولوجي إلى الإبقاء على لحمة الجماعة المسلمة عن طريق الأمن وضرورة الإمام. فهو قد فضّل أن يرهب المقاتلة إذا لم يستجيبوا لأمره بتسليط عقاب الله عليهم على يد الحجّاج. وشجّع زائدة بن قدامة الثقفي – وهو القائد العسكري الذي كلّفه الحجّاج بقتال الأزارقة – المقاتلة على القتال بذكر الآية 7 من سورة محمّد "ياأيّها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبّت أقدامكم".

---

1) الشورى 42/ 30.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 461.
محمّد فؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 771.
الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت 1993، ج 2، ص 1273.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 204.
النحل 112-113 "مثلا قرية كانت آمنة مطمئنّة يأتيها رزقها رغدا من كلّ مكان فكفرت بأنعم الله، فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون".

إنّ قتال الخوارج هو نصرة للّه بما أنّهم (أي الخوارج) يعتبرون أعداء الله أو أعداء الدولة الأمويّة. كما وظّف قتيبة بن مسلم الباهلي – والي خراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك – القرآن توظيفا إيديولوجيّا عندما تمكّن من الانتشار على حساب سمرقند [1]. فقد ذكر قتيبة سورة النجم آية 50-51 "وأنّه أهلك عادا الأولى وثمود فما أبقى". يهدف هذا التذكير بعاد وثمود أساسا للتأكيد على عِصيانهم وعدم إيمانهم بالأنبياء، لذلك أهلكهم الله. كما يُعين الله (أو المقدرة الإلهيّة) الأمويّين لقيامهم بالجهاد في سبيله. واستشهد قتيبة بن مسلم بسورة الفتح آية 21 "وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها" عند استعداده لقتال السغد كما شبّه قتيبة خوارزم والسغد بالنضير وقريظة لغدرهما. فكما غدر اليهود الرسول محمّدغدر السغد بقتيبة. لذلك استوجب عقابهم بقتلهم قتلا مبرما [2]. ويشبه السغد اليهود بنكثهم أيضا [3].

إذن هناك استعمال للعنف وتبرير لهذا العنف. وقد تميّز الخليفة عمر بن عبد العزيز بعدم توظيفه القرآن لخدمة أغراضه الإيديولوجيّة مثل بقيّة الخلفاء الأمويّين نظرا لتديّنه وورعه [4]. ورجع الأمويّون في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك لتوظيف القرآن. فقد خاطب أسد بن عبد الله القسري دعاة بني العبّاس قائلا "عفا الله عمّا سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام" [5]. ينتقم الله من دعاة بني العبّاس إذا عادوا إلى ثورتهم ضدّ الحكم الأموي. يدافع الله عن الأمويّين لأنّهم خلفاؤه في الأرض.

وظّف الخلفاء والولاة الأمويّون القرآن حسب مصالحهم السياسيّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وكانوا يهدفون من وراء ذلك إلى إخفاء شرعيّتهم المنقوصة. لكن هذا التوظيف بيّن التناقضات التّي احتوت عليها مقوّماتهم الإيديولوجيّة.

فهل مكّنت إيديولوجيا عروبة الدولة من إخفاء هذا النقص في الشرعيّة التاريخيّة للدولة الأمويّة؟

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 478.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 473.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 473
الفتح48/ 10 "فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه".

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 573، السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، ص 287.

5) المائدة 95/5.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 107.

9- عروبة الدولة

استمدّ الخلفاء الأمويّون إيديولوجيا عروبة الدولة من واقعهم العربي [1]. فهم ينتمون لقريش أعرق القبائل العربيّة من حيث الشرف.

(أ) الانتماء لأشراف قريش

ركّز الخليفة معاوية إيديولوجيا الانتماء لقريش [2]. وهذا يرجع لجذوره القرشيّة، فهو ينتمي لأميّة وهي إحدى القبائل الشريفة بقريش وهم بيت قريش في الجاهلية [3].

وهدف الخليفة معاوية من وراء تركيز هذه الإيديولوجيا لإخفاء ضعف شرعيّته التاريخيّة أو إسلاميّته لأنّ الرسول وعليّا أيضا ينتميان لبني هاشم إحدى قبائل قريش. وذكرت المصادر أمثلة عديدة عن تركيز هذه الإيديولوجيا. فقد خاطب رجل من قريش معاوية قائلا : "لا تباعدنّ منّا ما قرّب الله" أي أنّ قريش ومن ورائها معاوية وبني أميّة هي القبيلة المختارة من الله [4].

اكتسبت هذه القبيلة حرمة منذ الجاهليّة وتدعّم دورها في الإسلام وفي الفترة الأمويّة. ومن هذا المنطلق، رفض عمرو بن سعيد بن العاص - والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن معاوية - محاربة أهل المدينة لتخليص بني أميّة ومواليهم والمناصرين لهم من قريش. على هذا الأساس، اختار الخليفة يزيد بن معاوية قائد المقاتلة من مرّة (أي أنّه لا ينتمي لقريش) لمعاقبة أهل المدينة [5]. كما قرّر الخليفة عبد الملك بن مروان أن يحارب بنفسه مصعبا بن الزّبير "لأنّه لا يقوم بهذا الأمر إلاّ قرشيّ له رأي" [6].

---

1) فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 467.

Hawting, **Idem**, pp 73-89

Christian Décobert, **Idem**, p 37

2) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 411

3) هشام جعيط، **في السيرة النبويّة عدد 2 تاريخيّة الدعوة المحمديّة في مكة**، بيروت 2007، ص 253.

4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 90-91.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 483.

6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 157.

أكّد الخليفة عبد الملك بن مروان بذلك على شرعيّته التاريخيّة والقانونيّة لانتمائه لقريش. وقد أكسبه هذا الانتماء خصلة استثنائية وهي الذكاء. لكنّ هذه الإيديولوجيا غير ناجعة لأنّها تبدو هشّة أمام الشرعيّة التاريخيّة لمصعب بن الزّبير – حفيد حواري الرسول – وابن الصّحابي الزبير بن العوّام.

وتواصلت إيديولوجيا الانتماء لقريش إلى عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد كان أحد أسباب عزله لخالد بن عبد الله تحقيره لأحد رجال بني أميّة ومنافسته للخليفة في المجد والثراء [1]. أبرزت إيديولوجيا الانتماء لقريش هشاشة المقوّمات والأدوات الإيديولوجيّة الأمويّة، فهي غير فاعلة في تأطير المقاتلة الذين أعطوا مكانة هامّة للسّابقة والقدمة أي للشّرف الإسلامي. كما استند الأمويّون على عنصر إيديولوجي آخر وهو الإقليميّة الشاميّة.

(ب) الإقليميّة الشاميّة

اعتمد الخلفاء الأمويّون على جند الشام للقضاء على الثورات في الولايات الأمويّة خلال الفترة الممتدّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ويرجع هذا الاعتماد على أهل الشام إلى فترة الخليفة معاوية. الذي سبق أن تولّى ولاية الشام للخليفة عمر بن الخطّاب ثمّ للخليفة عثمان بن عفّان [2]. فربط معاوية علاقات مع قبائل الشام. وساعده في ذلك حسّه السياسي كقرشي. واستند معاوية إلى أهل الشام في الفتنة وعند حربه مع عليّ إذ ناصروه للمطالبة بالقصاص للخليفة المظلوم [3]. وعندما تولّى معاوية الخلافة جعل منهم القاعدة الاجتماعيّة والعسكريّة لدولته لتميّزهم بالطاعة دون سائر المقاتلة.

وواصل الخلفاء الأمويّون الاعتماد على مقاتلة الشام لإخماد الثورات في الولايات الأخرى وأساسا العراق. وتطوّرت هذه الإقليميّة الشاميّة إلى حدّ الاحتلال العسكري لولايات أخرى. فقد أقرّ الحجّاج بن يوسف جند الشام بواسط التي بناها لتجريد الكوفة والبصرة من القوّة العسكرية ومراقبة أهل العراق بعد ثورة ابن الأشعث [4]. وواصل الأمويّون تعزيز القوّة العسكريّة الشاميّة بواسط إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 152.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 241-421.

3) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 225

4) Djaït (H), **Al-Kufa**, p 79

همّش الأمويّون بقيّة المقاتلة في الولايات الأخرى باعتمادهم على جند الشام فقط. فمصالحهم السياسيّة أجبرتهم على اختيار أهل الشام. لكنّ هذا الاختيار السّياسي والاستراتيجي كان يتعارض مع المبادئ الإسلامية من عدالة ومساواة. على هذا الأساس، ازدادت الشرعيّة الدينية الأمويّة ضعفا من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام. كما ستسقط الدولة الأمويّة بعد أن تخلّى جند الشام عن دعمها خلال الفتنة الثالثة. وتصرّف الخلفاء الأمويّون كأنّهم أسياد قبائل في الجاهليّة بتوظيفهم للتعصّب القبلي لخدمة مصالحهم السياسيّة أو توظيفهم لمفهوم أهل البيت لتركيز سلطتهم.

(ج) آليّات الحكم

تتمثّل آليّات الحكم الأموي في التعصّب القبلي للسلطة الأمويّة لقيس أو لليمن [1]. غلبت العصبيّة القبليّة على الفترة المروانيّة. وكانت هذه اللّعبة في صلب الدولة وهي لعبة بين قوى داخل الدولة. وكانت القيسيّة واليمنيّة بمثابة الأحزاب. وقد تميّزت القيسيّة بروحها التوسّعيّة بينما تميّزت اليمنيّة بتشجيعها لقوى الانصهار أي انصهار العرب والموالي [2]. فقد حافظت الدولة الأمويّة على وحدتها واستقطبت قوى التنافس والقوى السياسيّة. وهذا يرجع لكون القبيلة ذابت في آخر العهد الأموي، وأنّ المقاتلة صاروا قوّة شبه نظاميّة أي القادة كانوا قادة جيوش وليسوا رؤساء قبائل.

كما انحلّت طبقة الأشراف. وهكذا تكوّنت قوى في صفوف المقاتلة وهي قوى مهنيّة. وقد تجاوزت إطار القبليّة وإطار الشرف وصارت تنافس على الحكم. أخذ هذا التنافس العسكري-السياسي قالب التجمّعات الكبرى فوق القبليّة الجهويّة بين اليمن وقيس ومضر. أخذت هذه الصراعات هذه الأسماء لأنّ العرب في ماضيهم كانوا ينقسمون إلى عنصرين عنصر رحّل يتركّب من مضر وقيس وعنصر حضري يتركّب من اليمن بالجنوب. إنّ قبائل اليمن أصابها الانحطاط لكنّها تلاحمت مع القبائل الشماليّة من قضاعة في الفترة الإسلامية. كما أنّ قيسا ومضرا ربطت أنسابها بعضها ببعض وأوجدت لنفسها قرابة. إذن إنّ تطوّر القبيلة إلى ما فوق القبيلة إلى الجيش المهني هو الذي يفسّر حسب هشام جعيّط ظاهرة التعصّب القبلي.

---

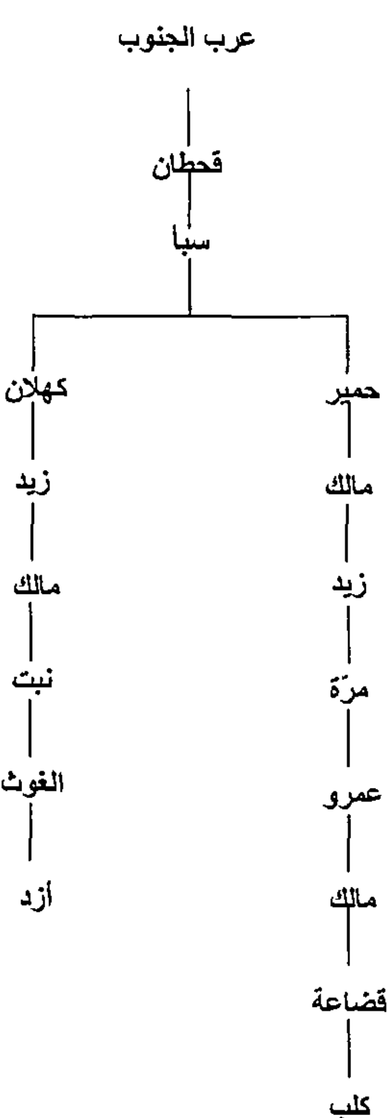
1) Watt (M), **Islamic Political Thought**, p 41

Hawting, **Idem**, pp 73-89.

Christian Décobert, **Idem**, p 37.

2) فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 335.

محمّد عبد الحي شعبان، **صدر الإسلام**، ص 155.



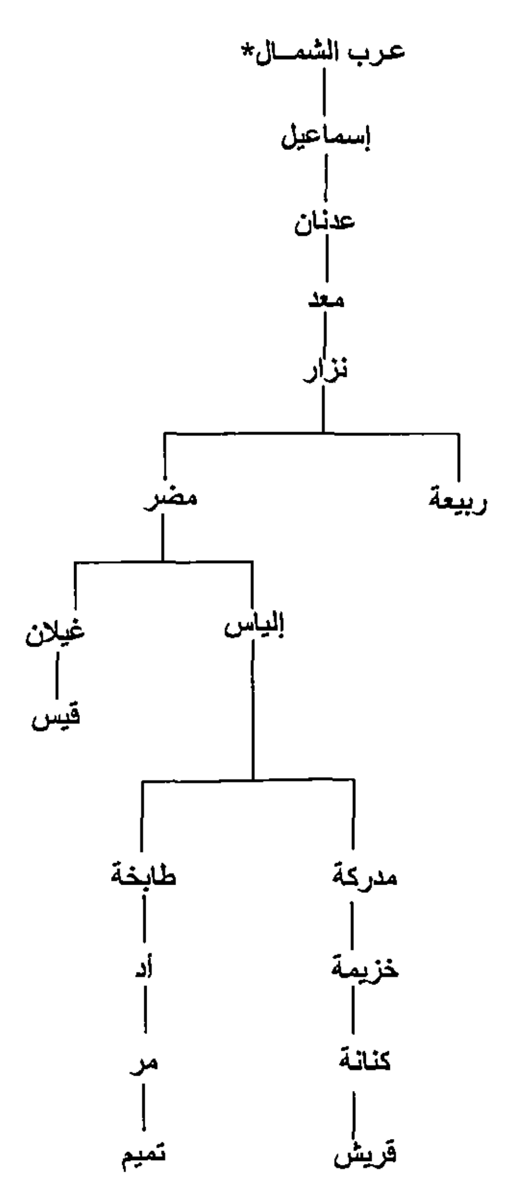
* Hawting, The First Dynasty of Islam, p VIII

- ✓ علاقة السلطة بقيس
- o علاقة الخليفة بقيس

ابتدأ التعصّب القبلي منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وفي ولاية الحجّاج بن يوسف الذي. يحسد آل المهّلب على نفوذهم وسلطتهم، فحاول الإيقاع بهم والتشدّد معهم وأساسا مع يزيد بن المهّلب [1]. واتّخذت هذه المنافسة القبليّة شكل تصفية

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 393-397.

حسابات داخل الدولة. وأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك عامله على الخراج بالعراق"أن يقتل آل أبي عقيل ويبسط عليهم العذاب" (1).



* Hawting, The First Dynasty of Islam, p Viii

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 506.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 252.

إنّ المقصود بآل أبي عقيل الحجّاج. كما حبس الخليفة سليمان بن عبد الملك يزيدا بن أبي مسلم أخا الحجّاج من الرضاعة وعامله على الخراج بالعراق. وبقي يزيد محبوسا طيلة خلافة سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وأخرجه الخليفة يزيد بن عبد الملك [1]. وكلّف الخليفة سليمان بن عبد الملك أبا بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم والي المدينة من قبله أن يقيم الحدّ على والي المدينة من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك عثمان بن حيّان المرّي. وقد كلّف أبو بكر الحدّاد بضرب الحديد في رجل هذا الأخير [2].

كان الخليفة سليمان بن عبد الملك يكره الحجّاج فانتقم من آله ومن عمّاله. لكنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز اتّبع سياسة استثنائية فكان يضرب القيسية واليمنيّة على السواء. وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز يرى أنّ الحلف أو التعصّب القبلي لمضر أو اليمن هو مدعاة للتفرّق ولإراقة الدماء. فالحلف هو ظاهرة جاهلية وقال الرسول "لا حلف في الإسلام". كما اعتمد الخليفة على الخطاب القرآني الذي أكّد على أخوّة المسلمين في الدين [3]. دعا الخليفة عمر بن عبد العزيز على عكس الخلفاء الأمويّين لأخوّة المسلمين وبالتالي لسياسة ذات طابع إسلامي. لكن هذا الطابع الإسلامي للخليفة عمر بن عبد العزيز سيضعف من إيديولوجيا الدولة الأمويّة لأنّه يتناقض مع هذه الإيديولوجيا.

وتولّى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكان منحازا للقيسيّة ورجحت في عهده الكفّة القيسيّة خلافا لعهد الخليفة سليمان [4]. فقد تزوّج يزيد أمّ الحجّاج بنت محمّد بن يوسف الثقفي – خ الحجّاج – وبالتالي فقد كانت له علاقة مصاهرة مع آل الحجّاج الموالي للقيسيّة [5]. وقد عذّب يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة الأزدي والي العراق في عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك آل الحجّاج.

---

1) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 51.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 505.
وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 141-142.
3) النور 24/ 55.
الحجرات 49/ 10.
المائدة 5/ 3.
ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 91-93.
4) محمّدعبد الحيّ شعبان، **صدر الإسلام**، ص 153.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 253.

وقد حبسه الخليفة عمر بن عبد العزيز لأنّه لم يرد أن يدفع الأموال المتخلّدة بذمّته. وعندما سمع يزيد بن المهلّب بمرض الخليفة عمر بن عبد العزيز، هرب من سجنه تخوّفا من انتقام الخليفة يزيد بن عبد الملك. بما أنّ يزيدا بن المهلّب قد عذّب أصهاره [1].

وقصد يزيد بن المهلّب البصرة في جمع كبير من مواليه وأهل بيته بعد أن تنحّى عنها والي البصرة وسارع يزيد بن المهلّب إلى إعلان الثورة على الخليفة يزيد بن عبد الملك خاصّة أنّه لم يكن من جند الشام لا في البصرة ولا في الكوفة العدد الكافي.

ويجوز أن يكون عمر بن عبد العزيز قد أعادهم إلى الشام من قبل [2]. وقد انضمّت إليه الأزد وربيعة وناس من الثغور وأرباع الكوفة وبالتالي تركّب أنصار يزيد بن المهلّب من المؤمنين من العرب على رأسهم القرّاء وعدد كبير من الموالي. بينما كانت قبائل تميم وقيس مع والي البصرة [3].

حدث انشطار إذن في العراق نتيجة التعصّب القبلي لقيس أو لليمن. لكنّ تميم وقيس التي كانت تزاحم اليمنيّة بالبصرة تراخت وتراجعت عن نصرة الوالي الأموي لبخله بينما كان يزيد بن المهلّب جوادا. فتفرّقت تميم وقيس عن الوالي. وكان الشعار الإيديولوجي ليزيد بن المهلّب هو اتباع كتاب الله وسنّة نبيّه "فوالله ما رأينا ذلك ولا رأيتموه منذ ولدتم إلاّ هذه الأيّام من إمارة عمر بن عبد العزيز" [4].

كما دعا إلى جهاد أهل الشام لأنّ جهادهم أعظم ثوابا من الترك والديلم" [5]. كان يزيد بن المهلّب مدركا لتعتيم الخلفاء الأمويّين للكتاب والسنّة، فاستغلّ هذا الشعار للإضعاف من شرعيّة الدولة الأمويّة. لكنّ ثورته تبقى ثورة متميّزة بالإقليميّة. وقد أرسل الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بن عبد الملك – الذي كان واليا على الجزيرة وأرمينية وكان يحارب البيزنطيّين ببسالة – فقضى على هذه الثورة وقتّل آل يزيد [6].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 564.
2) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 303.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 591–592.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 587.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 588.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 602.

بعد القضاء على هذه الثورة، برزت قيسا سنة 102 هـ وكأنّها سيّدة المشرق. لكن سلك الخليفة يزيد بن عبد الملك سياسة مخالفة بالشام حيث لم يحاب قضاعة وكلبا على قيس لأنّهما مثّلا مقاتلة الشام الذين قضوا على ثورة يزيد بن المهلّب بالعقر. كما طبّق الخليفة يزيد بن عبد الملك سياسة قيسيّة بسماحه لعثمان بن حيّان المرّي أن يتحصّل على القود من أبي بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم (والي المدينة من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك ثمّ من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز). كان الخليفة يزيد بن عبد الملك متعصّبا لقيس.

ولم يكن يترك فرصة لم يحاب فيها القيسيّة. ثمّ تولّى الخليفة هشام بن عبد الملك فاتّبع سياسة معتدلة فضّل فيها القيسيّة في بعض الحالات وأعطى امتيازات في حالات أخرى لليمنيّة [1]. كان الخليفة هشام بن عبد الملك ينفّذ نصائح حاشيته من القيسيّة. فقد أشارت عليه بأشخاص كعثمان بن عبد الله بن الشّخيّر ويحيى بن حضين بن المنذر الرقاشي ونصر بن سيّار اللّيثي وقطن بن قتيبة بن مسلم الباهلي والمجشّر بن مزاحم السلمي أحد بني حرام [2]. وقد اختار الخليفة هشام نصر بن سيّار كوال لخراسان [3]. كان الخلفاء الأمويّون وأساسا يزيد بن عبد الملك متعصّبين لقيس فسلكوا بذلك سياسة معادية لليمنيّة. ولم تقتصر هذه السياسة على الخلفاء بل شملت الولاة أيضا.

- **علاقة الولاة بقيس**

رفع سعيد بن عبد العزيز بن الحارث بن الحكم بن أبي العاص والي خراسان من قبل مسلمة بن عبد الملك - والي العراق وخراسان في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك - أنّ عبد العزيز بن عمرو بن الحجّاج الزبيدي والمنتجع عبد الرحمن الأزدي والقعقاع الأزدي - وهم عمّال يزيد بن المهلّب الذي ثار على الخليفة يزيد بن عبد الملك- أخذوا أموالا من فيء المسلمين. فحبسهم الوالي في قهندز مرو. ثمّ قيل له إنّهم

---

1) محمّدعبد الحي شعبان، **مرجع مذكور**، ص 155.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 335.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 156.
من قبائل بني شيبان بنو رقّاش (بنو ربيعة).
ابن دريد، **مصدر مذكور**، ص269-307-350.
بنوحرام بن سمّال من بنو سليم بن منصور (قبائل قيس).
باهلة : من قبائل سعد بن قيس.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 155.

لا يدفعون الأموال إلاّ بعد التعذيب. فدفعهم الوالي لعبد الحميد بن دثار والزبير بن نشيط مولى باهلة. فعذّباهم إلى أن قتل عبد العزيز بن عمرو والمنتجع وعذّبا القعقاع وقوما آخرين حتّى أشرفوا على الموت [1].

كان هذا الوالي الأموي متعصّبا لقيس لذلك سعى لتصفية عمّال يزيد بن المهلّب الذين ينتمون الأزد. كما أنّه سلّمهم لأعدائهم القيسيين ليعذّبوهم. واتّبع عمر بن هبيرة الفزاري والي العراق وخراسان في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك سياسة قيسيّة حيث أهان الأزد بخراسان [2]. لكن سيتّبع خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك سياسة مخالفة.

فقد كان خالد يكره مضرا كرها شديدا نظرا لانتمائه لليمن. وقد دفعه كرهه لمضر أن كلّف أخاه أسدا والي خراسان بأسر نصر بن سيّار اللّيثي أحد رجالات مضر بخراسان ونفر معه من مضر بعد أن ضربهم بالسياط [3]. كما كلّف خالد بن عبد الله صاحب شرطة البصرة مالكا بن المنذر بن الجارود أن يقتل عمرا بن يزيد الأسيدي (وهو من عبد القيس) نظرا لتخوّفه من منافسته على منصبه وكرهه له. فكاد صاحب الشرطة لعمر وضربه بالسياط حتّى قتله [4].

وعلى العكس من ذلك فإنّ الجنيد بن عبد الرحمن المرّي والي خراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كان متعصّبا لمضر فلم يعيّن إلاّ مضريّا [5]. وتواصل التعصّب لقيس ومضر في عهد يوسف بن عمر الثقفي والي العراق وخراسان في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك الذي كان "قيسيّا لحما ودما" وهو من أسرة الحجّاج [6]. فقد جمع هذا الوالي إليه ثقيفا ومضرا أول مجيئه للكوفة [7]. كما اتّخذ حاشية من قيس [8]. وألحّ يوسف بن عمر على الخليفة هشام في تعذيب خالد

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 606.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 45.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 47.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 46.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 69.
6) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 450
Hawting, Idem, p 83.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 149.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 156.

بن عبد الله القسري بدعوى أنّه كسر الخراج وذهب بالأموال [1]. بينما كان المحرك الأساسي ليوسف كرهه لليمنيّة [2].

واقترح يوسف بن عمر على الخليفة هشام بن عبد الملك أسماء رجال من قيس وبعث أسماءهم للخليفة ليعيّن أحدهم على خراسان وأقصى رجالات اليمن [3]. وأخيرا، كان نصر بن سيّار اللّيثي والي خراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك متعصّبا لمضر فلم يعيّن إلاّ مضريّا على أعمال خراسان [4]. وشمل التعصّب القبلي إفريقيّة. فقد عزل الخليفة هشام بن عبد الملك حنظلة بن صفوان الكلبي عن إفريقيّة وعيّن عبيدة بن عبد الرحمن السلمي فأضرّ بمن هناك من كلب وتعصّب عليهم [5]. كان الولاة الأمويّون على شاكلة الخلفاء الأمويّين متعصّبين لقيس على حساب اليمن. لكنّ هذا التعصّب لقيس عارضه تعصّب لليمن. وقد اكتسى هذا التّعصّب شكلا دمويّا سيضعف من إيديولوجيا الدولة.

- ✓ **علاقة السلطة باليمن**

- o **علاقة الخليفة باليمن**

انحاز الخليفة سليمان بن عبد الملك من غير سبب واضح لليمنيّة. فعيّن ولاة ينتمون لليمن كيزيد بن المهلّب [6]. واتّبع الخليفة هشام بن عبد الملك سياسة معتدلة مع ترجيح اليمنيّة. فقد كان أغلبية جند الشام أو المقاتلة في آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك من اليمنيّة [7]. وعندما تخلّى الخليفة الوليد بن يزيد عن اليمنيّة بالشام سيقتل وتحدث بذلك الفتنة الثالثة التي ستؤدّي لسقوط الدولة الأمويّة [8]. على هذا الأساس،

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 254.
2) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 344
Hawting, Idem, p 83.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 156.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 158.
5) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 142.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 524.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 6، القسم 2، ص 88-120.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 251.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 231.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 231.

اعتمد الخلفاء الأمويّون على أساس إيديولوجيّ ضعيف. كما عيّن الخليفة هشام بن عبد الملك خالدا بن عبد الله القسري على العراق وخراسان وهو ينتمي لليمن [1]. إنّ تعصّب الخلفاء الأمويّين لليمن رافقه أيضا تعصّب الولاة الأمويّين لليمن.

o علاقة الولاة باليمن

كان خالد بن عبد الله القسري متعصّبا لليمن [2]. كما كان أسد بن عبد الله القسري والي خراسان متعصّبا لليمن "وقلّ من يروم ما قبلي أو يترمرم وأمير المؤمنين خالي وخالد بن عبد الله أخي، ومعي اثنا عشر ألف سيف يمان" [3]. افتخر أسد بقرابته للخليفة وقرابته لخالد ومساندة عدد ضخم من المقاتلة اليمنيّين له. وسيكون هذا التعصّب القبلي بخراسان أحد أسباب سقوط الدولة الأمويّة.

نلاحظ أنّ الخلفاء والولاة الأمويّين تأرجحوا بين القيسيّة واليمنيّة ما عدا الخليفة عمرا بن عبد العزيز. وستؤدّي هذه اللّعبة الخطيرة إلى سقوط الدولة الأمويّة. وقد اعتمد الخلفاء الأمويّون على عنصر آخر لتدعيم إيديولوجيّتهم عروبة الدولة وهو إيديولوجيا أهل البيت.

(د) أهل البيت

إنّ مفهوم أهل البيت مفهوم جاهلي، وهو يعني القبائل ذات الشرف والنفوذ. وكان لكلّ قبيلة من قبائل العرب بيتا بارزا بقيامه بإنجاز هامّ من شجاعة أو كرم أو حلم [4]. فقد تحدّث ابن دريد عن بيت بقبيلة بني شيبان (من ربيعة) قائلا : "وهم أهل بيت شرف متّصلين بالجاهليّة" [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 26-28.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 316.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 27-48-49.
Hawting, **Idem**, p 82.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص ص 47.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 4، القسم 2، ص 185.
4) محمّدعبد الحي شعبان، **صدر الإسلام**، ص 103.
5) ابن دريد، **مصدر مذكور**، ص 351-358.

كما ذكر ابن حزم أنّ الخليفة الوليد بن عبد الملك ولّى خالدا بن برد بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس (من بني يربوع من غطفان) على جند دمشق [1]. منح هذا المنصب خالدا بن برد الشرف ورفع عشيرته "لرتبة" البيت وهذا مرتبط بانتمائه لبيت معروف بدمشق [2]. كما أطلق لفظ أهل البيت على البيزنطيّين حيث ذكر ابن عساكر أنّ السلالات الملكيّة البيزنطيّة كانت تنقسم إلى عشرة أهل بيت أو عشرة بيوتات [3]. كما ورد لفظ أهل البيت في القرآن أوّلا في سورة القصص الآية 12 "قالت هل أدلّكم على أهل بيت يكفلونه لكم" [4]. وقد وردت هذه الآية في إطار قصّة موسى مع فرعون والمقصود بأهل بيت العائلة.

وذكرت كلمة أهل البيت في سورة الأحزاب الآية 33 "إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم" [5]. إنّ المقصود بأهل البيت أهل بيت الرسول محمّد. وهذا ما دفع بالشيعة والعبّاسيّين فيما بعد بتلقيب أنفسهم بأهل البيت. كما ورد لفظ أهل البيت في القرآن ليعرّف أهل الكعبة [6].

على هذا الأساس، فإنّ هذا المفهوم هو مفهوم جاهلي ثمّ تواصل في عهد الرسول وبعده. وقد استخدم الخلفاء الأمويّون هذا اللّفظ ووظّفوه لخدمة مصالحهم. وأرجّح أنّهم قصدوا به أهل البيت بالمعنى الجاهلي أي أصحاب الشرف والعزّة. فهم ينتمون لقريش أشرف قبائل العرب. كما أنّهم أهل البيت الحاكم أو السلالة الحاكمة والماسكة بزمام السلطة. وقد كان الخلفاء الأمويّون يحسّون بضعف شرعيّتهم التاريخيّة بالمقارنة مع آل الرسول فاختفوا وراء مفهوم أهل البيت بالمعنى الجاهلي والملكي السلالي أي أهل البيت الأموي. وقد ورد هذا المفهوم مرّتين بالمصادر.

---

1) ابن حزم، **مصدر مذكور**، ص 250.

2) Moshe Sharon, *Ahl Al-Bayt People of the House*, in **JSAI** 8, 1986, p 169-184

3) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 13.

4) محمّدفؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 96.

Moshe Sharon, *Idem*, p 171.

5) محمّدفؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 96.

Moshe Sharon, *Idem*, p 171.

6) محمّدفؤاد عبد الباقي، **معجم مذكور**، ص 140.

Moshe Sharon, *Idem*, p 179.

أوّلا ذكر الخليفة معاوية بن أبي سفيان كلمة أهل البيت في الخطبة التي ادّعى فيها زياد [1]. إنّ ذكر أهل البيت الأمويّ في هذه الخطبة هو ضروري لتدعيم الشرعيّة التاريخيّة لنسب زياد. تجاوز الخليفة معاوية السنّة النبويّة بإلحاقه زيادا بنسبه [2]. فقد جعله أخاه ابن أبي سفيان من سميّة المومس بالطائف وبالتالي أصبح زياد بموجب قرار الخليفة معاوية أحد أفراد البيت الأموي. فهو يدافع عن مصالح هذا البيت ويؤكّد له الملك.

شجّع الأمويّون على تركيز هذه الفكرة "حين زعموا أنّ عائلتهم كسبت حقّ البيت بسبب نجاح معاوية البارز وحلمه ونتيجة لتنازل الحسن. لكنّ هذه الحجّة "ضعيفة" لأنّها تبيّن وجود البيت العلوي الذي يكتسب شرعيّة تنحدر من الرسول [3]. ثمّ ذكر مفهوم أهل البيت على لسان الخليفة الوليد بن يزيد في رسالة أرسلها إلى يوسف بن عمر - الي العراق بعد أن قرّر عزله. فقد ذكر الوليد بن يزيد توزيعه الأموال على أهل بيته بعد أن حرمهم هشام من ذلك "وما وصل به أهل بيته لطول جفوة هشام إيّاهم" [4].

إنّ ذكر "أهل البيت" في عهد الخليفة الوليد بن يزيد دليل على قدم هذا المفهوم. فهو لم يؤسّس في هذه الفترة بل في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وتواصل إلى آخر عهدي الخليفتين هشام بن عبد الملك والوليد بن يزيد. تركّز هذا العنصر من عناصر الإيديولوجيا الأمويّة وتقوّى شيئا فشيئا طيلة هذه الفترة لكنّه سينهار عندما قمع الخليفة الوليد بن يزيد أهل البيت الأموي وأساسا آل هشام بن عبد الملك وآل الوليد بن عبد الملك. وسيكون هذا السبب أحد الأسباب المؤدية لاندلاع الفتنة الثالثة.

استند الأمويّون على إيديولوجيا أهل البيت الأموي العربي الشريف والمالك لإكساب أنفسهم شرعيّة تاريخيّة وللتعتيم على أهل البيت النبوي ذوي السابقة والقدمة والقرابة من الرسول. ولا تقتصر عروبة الدولة على هذه العناصر بل تشمل التصوّر لجملة الدولة ودار الإسلام والفتح والعلاقة بالمفتوحين والنظرة العرقيّة.

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 129.
2) إنّ الرسول قال : "الولد للفراش وللعاهر الحجر".
3) محمّدعبد الحي شعبان، صدر الإسلام، ص 103.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 233.

فقد كان الأمويّون يحتقرون العجم الداخلين في الإسلام لإحساسهم بـ"نبل" انتمائهم للعنصر العربي. لذلك أساؤوا معاملة الموالي. كما أنّهم لم يشركوا العجم في الحكم ولم يوكّلوا لهم مناصب هامّة على عكس العبّاسيّين فيما بعد. وقد أدّى ارتكاز الأمويّين على هذه الإيديولوجيا لكره الموالي لهم. وبالتالي كان هذا الأساس الإيديولوجي غير ناجع.

اعتمد الخلفاء الأمويّون على إيديولوجيا مستمدّة من أصلهم العربي كالتعصّب القبلي لقيس أو لليمن ومفهوم أهل البيت الأموي. فالدولة الأمويّة كانت الدولة الإسلامية الوحيدة ذات الطابع العربي بالمقارنة مع الدولة العبّاسية وغيرها من الدول. خدمت هذه الإيديولوجيا مصالح الأمويّين إلى وقت معيّن لكنّها ساهمت في إضعاف الدولة الأمويّة نظرا لمحدوديّة الطابع العربي لهذه الإيديولوجيا وظهور قوى إسلامية جديدة. إنّ الدولة الأمويّة هي دولة إيديولوجيّة، وقد استعملت كلّ الوسائل لفرض إيديولوجيّتها. وكانت الدولة وقوّتها في خدمتها.

واستعمل الخلفاء والولاة الأمويّون خطابا إيديولوجيّا للإبقاء على لحمة الجماعة المسلمة عن طريق فرض الأمن والدعوة لضرورة الإمام. وقد توفّرت للدولة الأمويّة مقوّمات وأدوات إيديولوجيّة لكنّها لم تكن كافية ولا ناجعة. فقد اتّخذ الخلفاء الأمويّون مقوّمات إيديولوجيّة هشّة. وكانت شرعيّتهم التاريخيّة منقوصة نظرا لضعف سابقتهم وقدمتهم في الإسلام.

كما أنّهم تمسّكوا بالارتباط بذكرى عثمان وقضيّته كإمام شهيد. لكنّ هذا الأخير كان قد اتّبع سياسة محاباة لعشيرته وأثرى على حساب أموال المسلمين. ولعن الخلفاء الأمويّون عليّ بن أبي طالب ابن عمّ الرسول فأكثروا الصواهل حولهم وبيّنوا ضعف شرعيّتهم التاريخيّة بالمقارنة مع ابن عمّ الرسول وختنه. وقد أدّى ذلك لتقوية الشيعة. واتّخذ الخلفاء الأمويّون فلسفة مميّزة في الحكم ارتكزت على الملك. وكان هذا التجديد تكريسا للاستئثار بالسلطة والأموال والمجد واستقطاب الضمائر.

سيؤلّب هذا التفكير السياسي والفلسفي الجديد الناس ضدّ الأمويّين. ووظّف الخلفاء الأمويّون المقدرة الإلهيّة باتّخاذهم للقب خليفة الله نظرا لإحساسهم بضعف شرعيّتهم التاريخيّة. لكنّ هذا الضعف تزايد بتعتيم الخلفاء الأمويّين على القرآن والسنّة.

وزادت عروبة الدولة في هشاشة هذه المقوّمات الإيديولوجيّة. لكنّ رغم وجود جوانب هشّة في هذه المقوّمات، استطاع الخلفاء الأمويّون من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك فرض الطاعة ووحدة الجماعة أو الأمّة وتركيز الإسلام بواسطة إيديولوجيا الجهاد وتوظيف القرآن.

لكن هذه المقوّمات الإيديولوجيّة مصدر ضعف وانحلال للدولة لأنّ أدواتها ظلّت غير كافية. لذلك سقطت الدولة الأمويّة على يد العبّاسيّين الذين اكتسبوا شرعيّة تاريخيّة مستمدّة من قرابتهم للرسول ومقوّمات وأدوات إيديولوجيّة قويّة. فهل كانت المقوّمات الاجتماعيّة للدولة أكثر تماسكا من مقوّماتها الإيديولوجيّة؟

المقوّمـــات الاجتماعيّـــة

تسوس الدولة الأمويّة الأمّة. والقاعدة العامّة لهذه الأمّة هي صفتها العربيّة – الإسلامية. وتتوزّع هذه الجماعة بالأمصار على الكوفة والبصرة وما والاهما وأجناد الشام ومصر ووسط الجزيرة العربيّة وجنوبها إضافة للامبراطورية وما تجرّه من امتداد الفتوحات ودخول عناصر عرقيّة جديدة وقليلة العدد كالفرس والترك والهند والصقالبة في الدّين الجديد. ستسلم هذه العناصر الجديدة وتدخل في ولاء القبائل العربيّة. إنّ المقصود بكلمة تسوس أنّ هذه الدولة ترأست أمور الجماعة. وسترتبط بفئات اجتماعيّة مناصرة لها عن طريق علاقات مادية وإيديولوجيّة. وهذه الفئات هي العائلة الأمويّة والأشراف والفقهاء. وسترتبطها علاقات عدائيّة ومتوتّرة مع فئات أخرى وهي التيّارات السياسيّة–الدينية والموالي وأهل الذمّة.

1- العناصر الاجتماعيّة التي اعتمدت عليها الدولة الأمويّة

اعتمد الخلفاء الأمويّون على ثلاثة عناصر اجتماعيّة لتأكيد ملكهم أوّلا بنو أميّة وثانيا الأشراف وثالثا الفقهاء.

فكيف تفاعل الخلفاء مع كلّ عنصر من هذه العناصر الثلاثة؟

(أ) بنو أميّة

قرّب الخلفاء الأمويّون أفراد عشيرتهم ومنحوهم العديد من الامتيازات كتوليتهم المناصب السياسيّة ومنحهم امتيازات ماديّة.

- ✓ **تولية الأمويّين المناصب**

كان الخلفاء الأمويّون يعيّنون أبناء عشيرتهم في مناصب سياسية معيّنة. فقد كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يعيّن بني حرب وبني العاص ولاة بالحجاز [1]. لكن

---

1) ابن دريد، مصدر مذكور، ص 72.
مصعب الزبيري، مصدر مذكور، ص121-123-173-183.
الاصفهاني، مصدر مذكور، ج 1، ص 26.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 130.
Lammens (H), Etudes, p 31-32.
Arnold (T), Idem, p 25.

يكون هذا التعيين حسب تراتبية معيّنة خاضعة لتجربة الرجل من بني حرب أو من بني العاص. يعيّن في أوّل مرحلة على الطائف ثمّ ثاني مرحلة يعيّن على الطائف ومكّة. وإذا أحسن ولاية الطائف ومكّة يعيّن على كافّة الحجاز (أي على مكّة والطائف والمدينة) [1]. فالمدينة هي أصعب مرحلة من هذه السلسلة لأنّها لها طابع رمزي هامّ. حصر الخليفة معاوية بن أبي سفيان تعيين بني أميّة بالحجاز فقط وذلك لأنّه أراد أن يقضي على طموحاتهم السياسيّة.

كما كان الخليفة معاوية يحدّ من هذه الطموحات بعدم إبقاء الأمويّين وقتا طويلا. كما لم يكتسب الأمويّون طاعة زياد [2]. فقد عيّن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أخاه عنبسة بن أبي سفيان وأمّه عاتكة بنت أبي أزيهر الدوسي على الطائف ثمّ عزله وعيّن عتبة بن أبي سفيان وأمّه هند بنت عتبة ولمّا سأله عنبسة عن سبب عزله وهو لم يخنه ولم يكن ضعيفا أجابه الخليفة أنّه عيّن عتبة لأنّه ابن هند [3]. حابى الخليفة معاوية أخاه من أبي سفيان وهند على حساب عنبسة أخيه لأبيه. كما كان الخليفة معاوية يعيّن مروانا بن الحكم بن أبي العاص على المدينة ثمّ يعزله ويعيّن سعيد بن العاص بن سعيدا بن العاص بن أميّة [4].

وعيّن الخليفة معاوية عبد الملك بن مروان على ديوان المدينة بطلب من مروان بن الحكم [5]. ولام سعيد بن عثمان بن عفّان الخليفة معاوية على عدم توليته في منصب بالدولة بعد أن تخلّى له هو وإخوته عن حقّهم في الحكم. فولاّه الخليفة معاوية على خراسان [6]. وغضب سعيد لتعيين الخليفة معاوية ابنه يزيدا وليّا للعهد [7]. اعتبر سعيد أنّه أحقّ بولاية العهد من يزيد لأنّ أباه هو الخليفة المظلوم عثمان.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 296.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 39.
Lammens (H), Etudes, p 37 .
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 171.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 232-338.
ابن دريد، مصدر مذكور، ص 160-176.
ابن حزم، مصدر مذكور، ص 80.
ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 30-35.
5) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 160.
6) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 116.
ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 6، ص 157.
7 البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 118.

لكنّ الخليفة تجاهل هذه المطالب. ولم يعيّن معاوية أقاربه على ولايات هامّة كولاية العراق ما عدا ابن أخته عبد الرحمن بن أمّ الحكم الثقفي الذي عيّنه بعد موت زياد وطرده أهل الكوفة لسوء سيرته فيهم [1]. كان معاوية ربّما متخوّفا من تعيين أقاربه على هذه الولاية الهامّة حتّى لا يحتفظوا بأموال الخراج ويستقلّوا على حسابه. واتّبع الخليفة يزيد بن معاوية نفس سياسة أبيه في تعيين أفراد عشيرته على ولاية المدينة حيث عيّن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ثمّ عزله وعيّن عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق [2]. كما واصل تدعيم سياسة أبيه فلم يعيّن أفراد عشيرته أو قبيلته على ولاية العراق. تواصل هذا التوجّه السياسي السفياني في عهد المروانيّين.

فقد عيّن الخليفة عبد الملك بن مروان على ولاية المدينة أشخاصا ينتمون للبيت الأموي كطارق بن عمرو مولى عثمان بن عفّان ويحيى بن الحكم بن أبي العاص وأبان بن عثمان بن عفّان [3]. وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يحبّ أميّة بن عبد الله بن خالد بن أسيد ويعتبره أحد ولده. على هذا الأساس، عيّنه على خراسان [4]. وعيّن الخليفة عبد الملك خالد بن عبد الله على البصرة [5]. لكن توفّي بشر بعد مدّة قصيرة.

إنّ هذا المثال هو مثال استثنائي بما أنّ الخليفة عبد الملك لم يعيّن شخصا آخر من بني أميّة على هذه الولاية سوى الحجّاج بن يوسف الذي ينتمي لثقيف. على هذا الأساس، قلّد الخليفة عبد الملك الخلفاء السفيانيّين بعدم تكليفه للأمويّين بمهامّ حسّاسة كولاية العراق. وعيّن الخليفة عبد الملك بن مروان أخاه عبد العزيز بن مروان على مصر مستجيبا لوصيّة أبيه. فقد اشترط عليه مروان بن الحكم أن يبقي عبد العزيز على ولاية مصر طيلة حياته ولا يعزله [6]. كان الخليفة عبد الملك مدركا أنّ ولاية مصر ليس لها بعد سياسي واستراتيجي كولاية العراق لذلك أبقى أخاه في هذا المنصب.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 312.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 343.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 178-202-209-256.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 200.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 475.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 194.
6) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 149-158-159.

واتّبع الخليفة الوليد بن عبد الملك نفس سياسة أبيه لمّا عيّن عمرا بن عبد العزيز على ولاية المدينة [1]. وعيّن الخليفة سليمان بن عبد الملك والخليفة عمر بن عبد العزيز والخليفة يزيد بن عبد الملك عبد العزيز بن عبد الله بن خالد بن أسد بن أبي العيص بن أميّة على ولاية مكّة [2]. وكافأ الخليفة يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة بعد قضائه على ثورة يزيد بن المهلّب فجمع له ولاية العراق وخراسان [3]. لكن سرعان ما عزله الخليفة يزيد بن عبد الملك لاحتفاظه بأموال الخراج.

وعيّن الخليفة هشام بن عبد الملك خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم بن العاص على ولاية المدينة [4]. كان الخلفاء الأمويّون السفيانيّون والمروانيّون يعيّنون أقاربهم على مناصب رمزيّة - كولاية المدينة أو الحجاز - ليس لها وزن مالي وحربي. لكنّهم لم يشركوهم فعليّا في السلطة بما أنّهم تحاشوا تعيينهم على ولاية العراق (وإن عيّنوا البعض منهم بصفة استثنائية على هذه الولاية ولمدّة قصيرة). كان الخلفاء الأمويّون متخوّفين من احتفاظ أقاربهم بأموال الخراج ومنافستهم على السلطة. لكن لم يمنع هذا الإقصاء لأقاربهم من الأمويّين الخلفاء الأمويّين من منحهم امتيازات ماديّة.

✓ ثراء الأمويّين

منح الخلفاء الأمويّون الأموال والقطائع لأقاربهم. فقد أقطع الخليفة يزيد بن معاوية عبد الملك بن مروان أرضا كان يملكها الخليفة معاوية. وقد اشتراها من بعض اليهود وهي بوادي القرى [5]. فقد بدأت سياسة توزيع الأراضي منذ عهد الخليفة عثمان بن عفّان ثم أكملها الخليفة معاوية بن أبي سفيان حيث منح قطائع من أراضي الصوافي لبني أميّة [6]. تتمثل أراضي الصّوافي في أراضي كسرى والأرستقراطيّة الفارسيّة التي توفّي عنها أصحابها وفد اتخذها معاوية ملكا له.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 427-438.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 529-554-589.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 605.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 90-92.
5) البلاذري، فتوح، ص 48.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1162.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 67.
6) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج2، ص265-278.

فقد منح الخليفة معاوية قطيعة هي قرية السطح قرب دمشق لعتبة بن أبي سفيان وورثها ابنه عمرو [1]. وأقطع يزيد خاله سعيد بن مالك بن بحدل إقليم بيت الأبار. من الأرجح أنّ هذا الإقليم يقع في مجال قبيلة كلب بالبقاع والجولان – كما أقطع يزيد عبد الملك بن مروان أرضا كان يملكها الخليفة معاوية. وقد اشتراها من بعض اليهود وهي بوادي القرى.

وكانت الصفوانيّة من نواحي دمشق لخالد بن يزيد وكان المرج ملكا لعبد الله بن معاوية. ولعلّ المقصود بالمرج هو مرج راهط وهو موضع شمال دمشق. وكانت قرية تنهج لعبّاد بن زياد بن سفيان.

لعلّ هذه القرية موجودة بحوارين حيث كان منزله هناك حسب البلاذري. فقد ذكر هذا الأخير قدوم عبّاد بن زياد لمساعدة مروان بن الحكم في مرج راهط [2].

وامتلك أبان بن مروان بن الحكم أرض أبان. ولم يحدّد موقع هذه الأرض ومن أسندها له أمروان بن الحكم أو عبد الملك من بعده. كما امتلك داود بن مروان بن الحكم الدواديّة قرب دمشق [3] .

وكان لحرب بن عبد الرحمن بن الحكم بن أبي العاص قطيعة بالبصرة [4]. ولم يذكر البلاذري الخليفة الأموي الذي منحها له. وكان لخالد بن عبد الله ابن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أميّة قطيعة خالدان بالبصرة [5]. ولم يذكر البلاذري من هو الخليفة الذي منحه هذه القطيعة. وكان مسلمة بن عبد الملك يملك أرضا بغراس وعين السلّور [6]. وقد وقّف مسلمة أرضا بغراس لذوي الحاجة الفقراء والمساكين واليتامى [7].

---

1) عبد العزيز الدوري، *العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الاسلام*، **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام**، الجامعة الأردنية 1972، ص30.

2) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج5، ص 136.

الدوري **مقال مذكور**، ص 31، حوارين : هو مكان على منتصف الطريق من دمشق إلى تدمر وحمص.

3) الدوري، **مقال مذكور**، ص31.

4) البلاذري، **فتوح**، ص 511.

5) البلاذري، **فتوح**، ص 507.

6) مدينة قريبة من أنطاكية بالشام

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 467.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 178.

7) البلاذري، **فتوح**، ص 202.

ولم يذكر البلاذري من هو الخليفة الذي منحه هذه الأراضي. كما ذكر أيضا أنّ البثوق انبثقت أيّام الحجّاج الذي كتب إلى الخليفة الوليد بن عبد الملك يعلمه أنّه قدّر لسدّها ثلاثة آلاف ألف درهم. فاستكثرها الوليد فقال له مسلمة بن عبد الملك بأنّه ينفق عليها على أساس أن يقطعه الأراضي المنخفضة التّي يبقى فيها الماء بعد إنفاق ثلاثة آلاف ألف درهم الذي سيتكفّل بإنفاقها الحجّاج. فوافق الوليد وتحصّل مسلمة بن عبد الملك على ضياع كثيرة [1].

مثّل مسلمة بن عبد الملك قوّة مالية داخل الدولة الأمويّة بما أنّه اكتسب ثروات بإمكانها أن تساعد الخليفة نفسه. فهو قد سلّم الأموال للقيام بهذا المشروع مقابل إقطاعه هذه الطّساسيج. وأقطع أحد الخلفاء الأمويّين سعيدا بن عبد الملك نهره التي على الفرات فعمّرها فهي نهر سعيدا [2]. وأمر الخليفة سليمان بن عبد الملك لعنبسة بن سعيد بن العاص بعشرين ألف دينار لكنّه لم يقبضها.

وقد توفّي الخليفة سليمان قبل أن يتحصّل على هذا المال. فرفض الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يعطيه هذا المال على أساس أنّه يغني أربعة آلاف بيت من المسلمين. لكنّ عمرا كان صديقا لعنبسة بن سعيد. فقال له بأن يحتفظ بالصكّ لعلّ شخصا آخر أجرأ منه يستطيع أن يعطيه هذا المال وقد منحه له الخليفة يزيد بن عبد الملك فيما بعد [3]. وأقرّ عمر بن عبد العزيز القطائع التي تلقّاها أهل بيته [4]. كما أقطع الخليفة يزيد بن عبد الملك عنبسة بن سعيد بن العاص دار الروميين بالكوفة وكانت مزبلة لأهل الكوفة تطرح فيها القمامات [5]. وحابى الخليفة هشام بن عبد الملك ابنته عائشة فأقطعها قطيعة برأس كيفا [6]. كما منح الخليفة هشام أبناءه قطائع بالبصرة [7].

---

1) البلاذري، فتوح، ص 413.
ابن جعفر، مصدر مذكور، ص 169-170.
2) ابن سلاّم، مصدر مذكور، ص 284.
3) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 55-56.
4) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 50-51.
السيوطي، مصدر مذكور، ص 277.
اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 367.
5) البلاذري، فتوح، ص 395.
6) من ديار مضر بالجزيرة قرب حرّان.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 3، ص 15.
7) البلاذري، فتوح، ص 512-513.

وكان الوليد بن يزيد وليّ العهد في فترة الخليفة هشام بن عبد الملك يملك ضيعة بناحية من نواحي دمشق [1]. ولم يقتصر منح الثروات العقّارية والأموال للبيت الأموي على الخلفاء الأمويّين بل شمل كذلك الولاة الأمويّين. فقد منح عبد العزيز بن مروان والي مصر من قبل الخليفة عبد الملك بن مروان قصرا بالفسطاط لأخيه عمر بن مروان [2].

كان الأمويّون يملكون ثروات متنوّعة تتمثّل في الأموال والقطائع الضيعات والقصور. وقد منح الخلفاء الأمويّون أقاربهم هذه الثروات منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ويهدف الخلفاء الأمويّون بمنح هذه الثروات لأقاربهم إلى ربط علاقات وطيدة مع أحد الدعائم الاجتماعيّة للدولة الأمويّة. وقد أصبح الأمويّون يضاهون في ثرائهم الخليفة نفسه. ولم يتوقّف الخلفاء الأمويّون على منح أقاربهم مناصب سياسيّة وثروات بل صاهروهم.

✓ **علاقات التصاهر بين الخلفاء وأقاربهم**

وجد الخلفاء الأمويّون وسيلة أخرى لتدعيم علاقتهم ببني أميّة. فقد تزوّج عبد الله بن عامر بن كريز هندا ابنة الخليفة معاوية بن أبي سفيان [3]. وتزوّج الخليفة يزيد بن معاوية ابنتي عبد الله بن عامر بن كريز هند وأمّ كلثوم [4]. وكان الخليفة مروان بن الحكم متزوّجا من ابنة الخليفة عثمان بن عفّان عائشة [5]. وصاهر الخليفة عبد الملك بن مروان الخلفاء السفيانيين بتزوّجه لعاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان [6]، فأحدث بذلك تواصلا بين الفرع السفياني والفرع المرواني. كما تزوّج الخليفة عبد الملك بن مروان أمّ أيّوب بنت عمرو بن عثمان بن عفّان [7].

---

1) ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 451.
2) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 98.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 6.
ابن دريد، **مصدر مذكور**، ص 81.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 465-500.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 86.
5 الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 485.
مصعب الزبيري، **مصدر مذكور**، ص 104.
6 الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 419-420.
7 الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 419-420.

تتنـــزّل هذه المصـاهرة في إطار ربط علاقات بأبناء الخليفة المظلوم عثمان الذي يمثّل أحد المقوّمات الإيديولوجيّة الأمويّة الأساسيّة. وتزوّج الخليفة الوليد بن عبد الملك أمّ البنين ابنة عبد العزيز بن مروان أي ابنة عمّه [1]. كما كان الخليفة هشام بن عبد الملك متزوّجا لأمّ حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص [2].

تصاهر الخلفاء الأمويّون مع أقاربهم الأمويّين لإحساسهم بالاشتراك في المصالح ورغم أنّ الخلفاء الأمويّين ربطوا علاقات وطيدة مع أقاربهم فإنّهم كانوا يتخاصمون.

✓ **الصراعات بين الأمويّين**

كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يحسد سعيد بن العاص ومروان بن الحكم على إنجابهما العديد من الذكور بالمقارنة مع قلّة نسل الخليفة من الذكور. على هذا الأساس، كان الخليفة معاوية يؤرّش بين سعيد ومروان ويأمر كلّ واحد منهما أن يفتكّ أموال الآخر ويهدم داره إلى أن تفطّنا إليه، فلاماه على إدخال القطيعة والشحناء بينهما. وذكّراه باجتماعهم على نصرة الخليفة المظلوم وبالرحم والقرابة. فتراجع الخليفة معاوية عن هذه الممارسات [3].

كما كان الخليفة معاوية يؤرّش بين عبد الله بن عامر بن كريز ومروان بن الحكم [4]. كان الخليفة معاوية متخوّفا من مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر لاكتسابهما الكثير من الأبناء الذكور وبالتالي من افتكاكهم السلطة من يديه فسعى لتلهيتهم ببثّ النزاعات بينهم. كما كان مروان بن الحكم يحرّض عمرا بن عثمان بن عفّان صهر الخليفة معاوية على النهوض بطلب حقّه في الملك لأنّ آل العاص أكثر من آل حرب ولأنّه ابن الخليفة المظلوم [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 498.
مصعب الزبيري، **مصدر مذكور**، ص 115.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 210.
مصعب الزبيري، **مصدر مذكور**، ص 159-173.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 249-295-338.
البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 38-46-49-65.
فلهاوزن **مرجع مذكور**، ص 130.
Lammens (H), **Etudes sur le Règne**, p 41.
4) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 43.
5) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 46-58.

ربّما كان مروان بن الحكم يحسد الخليفة معاوية على تحصّله على الملك والسلطة. لم يتطوّر هذا الحسد إلى غضب على الخليفة معاوية بعدما عيّن ابنه يزيد وليّا للعهد. قصد مروان بن الحكم الخليفة معاوية في أهل بيته وأخواله من بني كنانة ودخل عليه فأغلظ له القول ووبّخه لأنّه أمّر الصبيان أي يزيدا عوضا عن أن يعيّنه هو – أي مروان – فصيّره الخليفة معاوية وليّ عهد بعد يزيد لكنّه لم يف له بما وعده [1].

إنّ هذه الرواية بعيدة عن الواقع لأنّ مروان كان يحسد الخليفة معاوية لكنّه احترم القرابة والرحم. كما أنّه لم يصل إلى حدّ المطالبة بحقّه في الخلافة. وتواصلت هذه الصراعات في عهد الخليفة يزيد بن معاوية بين العنابس والأعياص. فقد كان بين الخليفة يزيد بن معاوية وعبد الملك بن مروان حزازات لكون زعم أنّه سيلي الخلافة بعد يزيد [2]. ولم تذكر المصادر الأخرى طموحات عبد الملك للخلافة في عهد يزيد بن معاوية.

غذّى هذه المنافسة مروان بن الحكم في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان لأنّ مروان كان يفخر بابنه عبد الملك ويحقّر من شأن يزيد. وتواصل الصراع بين العنابس والأعياص في عهد الخليفة مروان بن الحكم. فقد كان مروان متخوّفا من طموحات خالد للخلافة خاصّة أنّه الوريث الوحيد للسلالة السفيانيّة وجعل وليّا للعهد بندوة الجابية [3]. وقد أدّى هذا الصراع لقتل الخليفة مروان بن الحكم من طرف زوجته أمّ خالد بن يزيد بعد تحريض من هذا الأخير. وانتقلت الصراعات داخل البيت المرواني نفسه. فقد كان الخليفة عبد الملك بن مروان يحسد أخاه محمّدا بن مروان لشجاعته. لذلك كان ينقص من قيمته وأرسله لقتال مصعب بن الزبير فقتله وقتل ابراهيم بن الأشتر.

لكنّ الخليفة عبد الملك واصل اتّباع طريقة التّجاهل نفسها مع أخيه. فقرّر محمّد أن يرحل للجهاد بأرمينيّة حتّى لا يذلّ ولا يهان. فأقسم الخليفة عبد الملك عندها بأنّه لن يسيء إليه أبدا وعيّنه على الموصل والجزيرة وأرمينية [4]. لم يكن محمّد بن مروان مرشّحا للخلافة لأنّ أمّه أمّ ولد. إنّ الجذور الأعجميّة لأمّ محمّد حرمته من

---

1) المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 28-29.
2) البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1162.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 537-611.
4) البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 185-186.

الخلافة، بينما كانت أمّ عبد الملك عربيّة فاستحقّ الخلافة. وهذا يرجع للإيديولوجيا الأمويّة التي تحصر الحكم في العنصر العربي القرشي. على هذا الأساس، فإنّه لن ينافس الخليفة عبد الملك بن مروان على الخلافة.

لكن عبد الملك أراد أن يكون مركز العالم. وهذا ما دفعه للتحقير من شأن أخيه. وقد غلب الرحم والقرابة في النهاية. وطلب الخليفة الوليد بن عبد الملك من عبد الله بن عبد الملك والي مصر من قبله بعد أن مرض أن يكتب إليه بأمواله. فربّما قال عبد الله لكتّابه بأن يكتبوها له. وغضب عبد الله على الوليد ثمّ توفّي بعد ذلك. فقال الوليد بأنّه جعله في حلّ من هذه الأموال [1]. أراد الخليفة الوليد بن عبد الملك مقاسمة أخيه عامل مصر ممّا خلق توتّرا في علاقتهما لم ينته إلاّ بموت عبد الله.

وذكر الطبري أنّ الخليفة سليمان بن عبد الملك كان سينفي العبّاس بن الوليد بن عبد الملك. ولم يذكر الطبري ما هو السبب الذي دفع الخليفة سليمان بن عبد الملك لاتّخاذ هذا القرار [2]. ربّما حدث خلاف بينه وبين ابن أخيه أو ربّما أراد أن ينفيه حتّى لا يتضلّع بمسؤوليّات هامّة. مع العلم أنّ أمّ العبّاس كانت روميّة وبالتالي فهو لا يستطيع أن يتولّى الخلافة.

نلاحظ أنّ الخلفاء الأمويّين السفيانيّين والمروانيّين علاقات متوتّرة مع الأمويّين. وهذا التوتّر يرجع للتنافس على الحكم والسلطة ولأسباب أخرى. لكنّ هذه الصراعات لم تتّخذ شكلا خطيرا إلاّ في آخر العهد الأموي. ستفقد الفئة الأمويّة الحاكمة أحد ركائزها الاجتماعيّة لتنافسها على الحكم بصفة جدّية وسيساهم هذا الانشقاق في سقوط الدولة الأمويّة.

إنّ علاقة الخلفاء الأمويّين بأقاربهم متميّزة بما أنّ الخلفاء أشركوهم نسبيّا في السلطة ومنحوهم الثروات وصاهروهم. لكنّهم بقوا حذرين في التعامل معهم.

فهل أنّ علاقة الخلفاء الأمويّين بالأشراف اكتسبت نفس الطابع؟

---

1) البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 1160-1161.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 592.

(ب) الأشراف

يؤكّد ابن خلدون على ضرورة وجود أربعة أجداد في الحسب هم النخب القبليّة وأصحاب النفوذ (1). ونستنتج من هذا أنّ هذا المفهوم جاهلي، فالشرف يورث عن طريق الآباء (2). كما أنّ توفّر أربعة أجداد في النسب ضروري ليصبح هذا الشرف ذا قيمة. وتتمثّل السيادة في الجاهلية في رئاسة أربعة آباء للقبيلة (3). والقبيلة هي مجموعة تربطها رابطة دمويّة وتعرف بأنّها تجمع كلّ النسل المنتمي أو المتأتّي من تسلسل أبوي انطلاقا من جدّ مشترك. وهي تنقسم إلى بطون وأفخاذ. وعند ظهور الإسلام، أبقى الرسول على مفهوم القبيلة بل كانت سياسته مستمدّة أساسا من الموروث الجاهلي مع إدخال النظم الإسلامية الجديدة. فالتغيير الجذري لم يكن ممكنا في مجتمع يرتبط فيه الجزء بالجزء الآخر. وستبقى وحدة القبيلة مهيمنة في عهد الخلفاء الأوائل والعهد الأموي.

لكن سيتغيّر هذا المفهوم للشرف والسيادة في الفترة الإسلامية إذ سيركّز الخليفة عمر بن الخطّاب ديوان العطاء على نوع من التراتبيّة المبنيّة على المساهمة في تركيز الإسلام. فأصبحت السابقة في الإسلام المعطى الأساسي للشرف (أو شرف العطاء) وليست الأحساب (4).

لكنّ الخليفة معاوية بن أبي سفيان سيحدث قطيعة في هذا المفهوم. وحصلت هذه القطيعة حسب هـشام جعيّط منذ عهد الخليفة عثمان وهي تتمثّل في إسلام "أرستقراطي" أي أنّ معاوية سيعتمد تقاليد الشرف الجاهلي العربي مع المحافظة على طابع إسلامي (5).

---

1) محمّد الجوادي، *الأشراف في المشرق الاسلامي خلال القرن الأول للهجرة : إشكالية مفهوم الشرف وعلاقات الأشراف بالدولة وبالشرف الاسلامي*، ص33-49 **أشغال الملتقى الدولي الثالث حول النسب والشرف في العالم العربي الاسلامي والبلاد المتوسطية** تونس ديسمبر 2004 جمع النصوص وأشرف على نشرها راضي دغفوس بمشاركة خالد كشير. المجلة التونسية للعلوم الاجتماعيّة عدد 133 السنة 2007، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعيّة.
ابن خلدون، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 183.
E.I², tIII 1 *Ha sab wa Na sab.*
.**E.I², tIV** *Shari.f*

2) طبيعة المجتمع الجاهلي هو مجتمع أبوي.

3) حديث النعمان ملك الحيرة مع الملك الفارسي
ابن خلدون، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 184.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 613.

Djaït (H), La Grande Discorde, p 410 (5

وقد جدّدت الدولة الأمويّة في هذا المجال فأصبحت تعيّن سيّد القبيلة بعد ما كانت القبيلة تنتخب من يرأسها وبالتالي يعتقد هــشام جعيّط أنّ وجود السيّد لا يمنع تعدّد الأشراف في نفس القبيلة. وقد أورد البلاذري مثالا على ذلك في الشام حيث عيّن الخليفة معاوية بن أبي سفيان أحد السكّونيين – وهو مالك بن هبيرة – سيّدا على قبيلته مكافأة له لحسن جوابه وتحليله للأوضاع السياسيّة بالحجاز [1].

كما اتّبع زياد بن أبي سفيان نفس الأسلوب بالبصرة حيث فرض لخمسمائة شيخ كانوا يتلقّون عطاء يتراوح بين ثلاثمائة وثمانمائة درهم [2]. وارتبط الخلفاء الأمويّون ارتباطا شديدا بأشراف الشام.

✓ أشراف الشام

كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان شديد التعلّق بأشراف الشام نظرا لتولّيه منصب والي الشام في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب وكذلك تواجد عاصمة الخلافة الأمويّة دمشق في الشام. وقد ذهب معاوية إلى ربط علاقات تصاهر مع قبيلة كلب التي تمثّل أهمّ فرع في قضاعة فتزوّج بنت بحدل الكلبية التي ولدت له ابنه يزيد (وليّ عهده) [3].

إنّ هذا الدور الذي لعبته كلب في عهد معاوية بن أبي سفيان ثمّ في أوّل العهد المرواني خاصّة هو دور متأخر لا نجد له ذكرا بصفّين وزمن الفتنة. فالعناصر المذكورة هي كندة وعكّ والأشاعرة [4]. فكلب تنسب لقضاعة التي يعتبر انتماؤها لليمنية مشكوكا فيه. وقد مكّنتها الظروف الجديدة للدولة الأمويّة، التي شجّعت على ظهور وتقوّي التحالفات القبليّة التقليديّة، على الانصهار في المجموعة اليمنيّة القحّة

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 16.
2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 149.
Lammens (H), **Etudes**, p 139.
3) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 149.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 127.
E.I², tIII *Kalb*.
Hawting (GR), **The First Dynasty**, p 38.
Patricia Crone, **Slaves On Horses**, p 26-30.
4) Djaït (H), *Les Yamanites à Kûfa*, p 164

شيئا فشيئا [1]. فمكّنتها كلّ هذه العوامل من تبوّء المكانة الأولى في الدولة الأمويّة وبالتالي من التحالف السياسي مع معاوية. وقد كان هذا التحالف لصالح قبائل اليمن بصفة عامّة على حساب قبائل قيس وذلك على مدى العهد السفياني. وقد ذكرت المصادر في عدّة مواضع تعلّق الخليفة معاوية بالأشراف اليمنيّين.

وظهر ذلك من خلال حادثة وقعت بينه وبين مالك بن هبيرة السكّوني الذي طلب منه أن يسلّمه قريبه حجرا بن عدي الكندي [2]. لكنّ معاوية رفض هذا الطلب لأنّ حجرا معارض خطير للدولة، فغضب مالك واعتبر ذلك جحودا من معاوية الذي بذل كلّ ما في وسعه للمحافظة على ولاء مالك بن هبيرة لمّا منحه مائة ألف درهم ولاطفه [3]. تخوّف الخليفة معاوية من نفور مالك منه لأنّ ذلك قد يؤدّي إلى إفلات قبيلة بأكملها من سيطرته. فمالك هو سيّد قبيلته وهو يؤطّرها لصالح الخليفة. إضافة لمنح الأموال والعطايا للأشراف والأسياد الشاميّين، فكان الخليفة معاوية يمنحهم أعطيات مميّزة حيث يبلغ العطاء الواحد ألفي درهم بالنسبة إلى اللأشراف القيسيين [4].

ولم تذكر المصادر إن منح الخليفة معاوية بن أبي سفيان الأسياد والأشراف اليمنيّين أعطيات أكثر أهميّة من أعطيات الأسياد والأشراف القيسيّين.

كما كان الخليفة معاوية بن أبي سفيان يمنح الأسياد والأشراف اليمنيّين والقيسيّين القطيفة (وهي دثار مخمّل). وتهدف هذه العادة البيزنطيّة لتشريف النبلاء دون سائر الفئات الاجتماعيّة الأخرى بمنحهم هذا القماش الفاخر الذي يلبسه الأباطرة البيزنطيّين. على هذا الأساس، تأثّر الخليفة معاوية بن أبي سفيان بالتقاليد البيزنطيّة التي تمنح النبلاء امتيازات على مستوى اللّباس.

ولم تقتصر الامتيازات الذي منحها الخليفة معاوية بن أبي سفيان للأسياد والأشراف الشاميّين واليمنيّين خاصّة على الأموال والأعطيات المميّزة والقطيفة بل شملت كذلك القطائع. فقد أقطع الخليفة معاوية بن أبي سفيان حسّان بن مالك بن بحدل

---

1) المجموعة اليمنيّة القحّة هي حمير وهمدان.

Djaït (H), *Idem*, p 156-157

2) قاد هذا الأخير ثورة شيعيّة ضدّ معاوية فسجنه ثم قتله.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 274-278.

4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 537.

البلاذري، مصدر مذكور، ج 5، ص 136.

سيّد أهل فلسطين قصر العبادلة بدمشق [1]. وأقطع معاوية قرية النمرانية بالغوطة لنمران بن يزيد المذحجي أحد أشراف مذحج الشام [2].

كما حافظ الخليفة يزيد بن معاوية على نفس العلاقة بينه وبين الأشراف اليمنيّين الشاميّين لمّا تزوّج من كلب وقرّب خاله حسّانا بن مالك بن بحدل حتّى أنّ بعض شعراء كلب ذهب إلى تعييره بنيل المجد بميسون لا بابن بحدل [3].

أقطع الخليفة يزيد بن معاوية سعيدا بن مالك بن بحدل الكلبي إقليم بيت الأبّار وهي قرية يضاف إليها كورة من غوطة دمشق فيها عدّة قرى [4]. وأبقى الخليفة يزيد خاله حسّانا على منصب والي جند فلسطين [5]. وعيّن حميدا بن حريث بن بحدل الكلبي – وهو من أشراف دمشق وفرسان قحطان – على شرطته [6].

وتواصلت هذه العلاقة بين أشراف اليمن والخليفة مروان بن الحكم. فقد كان لآل بحدل في مؤتمر الجابية نظرة كلّية لبني أميّة على أساس أنّهم ينتمون لأشراف قريش وكذلك لتولّيهم الحكم أو الملك سابقا وبالتالي لديهم شرعيّة قانونيّة. وللقضاء على الفتنة التي قادها ابن الزّبير، بايع آل بحدل مروان بن الحكم [7]. واشترط حسّان بن مالك بن بحدل الكلبي شروطا لكلب مثلما كانت لهم في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد وحفيده معاوية بن يزيد. وتتمثّل هذه الشروط في فرض الخليفة مروان لألفين منهم ألفين [8].

ويتمثّل الشرط الثاني في كونه إن مات قام ابنه أو ابن عمّه مكانه. والشرط الثالث أن يكون لهم – أي لسيّد كلب حسّان بن مالك وأشرافها – الأمر والنهي وصدر

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 148.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 531.

2) عبد العزيز الدوري، **العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام**، الجامعة الأردنية، 25 نيسان 1974، ص 28 ؛ ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 4، ص 219.

3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 149.

4) ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 519.
عبد العزيز الدوري، *العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام*، ص 28.

5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 531.

6) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 4، ص 463.

7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 533.

8) المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 86.

المجلس وأن يستشيرهم الخليفة في كلّ حلّ وعقد. وإن لم يستجب لهم يبايعون غيره من قريش. وقد رضي مروان بذلك.

على هذا الأساس، تبوّأ سيّد كلب وأشرافها مكانة هامّة في العهد السفياني وفي عهد الخليفة مروان بن الحكم. كما أنّ الانتماء لأشراف قريش هو من المقوّمات الاجتماعيّة والإيديولوجيّة الأساسيّة لبني أميّة. كما منح الخليفة مروان الحصين بن نمير السكّوني – وهو أحد أشراف السكّون – مكافأة لقبيلته كندة بالشام البلقاء مأكلة لهم [1].

إنّ هذه المكافأة لقبيلة كندة ترجع لمساندة الحصين بن نمير الكندي ودفاعه عن على فكرة استخلاف مروان بن الحكم في مؤتمر الجابية تجاه المناصرين لاستخلاف خالد بن يزيد بن معاوية كمالك بن هبيرة السكّوني [2]. كما ساند أشراف اليمن (كلب والسكّون والسكاسك وغسان) الخليفة مروان بن الحكم حتّى قضى على ثورة الضحّاك بن قيس الفهري بالشام الذي ثار لصالح ابن الزبير [3].

انحلّت طبقة الأشراف بالشام من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وقد فسّرت كرون Crone هذا الانحلال بأنّه ارتبط بتطوّر النظام العسكري. فقد أصبح المقاتلة يمثّلون قوّة شبه نظاميّة أي أنّ القادة كانوا قادة جيوش وليسوا رؤساء قبائل. ونتج عن ذلك أنّ القبيلة ذابت. ساند أسياد القبائل وأشرافها بالشام، خاصّة منهم اليمنيّين، الخلفاء السفيانيّين والخليفة مروان بن الحكم لتقوية الحكم والسلطة الأمويّة وكانوا يلعبون دور الواسطة بين الخليفة وبين رجال القبائل [4]. ومقابل ذلك منحهم الخلفاء الأمويّون الأموال والقطائع والمناصب السياسيّة [5].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 544.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص 489 "البلقاء كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى قصبتها عمّان".

C.E Bosworth, *Raja Ibn Haywa Al Kindi and the Umayyad Caliphs*, **The Islamic Quaterly**, Vol. XV, Number 1 and 2, January-June 1972, p 36-80.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 544.

3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 530-535-537-541.

4) Crone (P), **Idem**, p 31.

5) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 410.

Arnold, **Idem**, p 24.

لكنّ هذه الفئة الاجتماعيّة ستضعف في العهد المرواني ليعوّضها قادة المقاتلة [1]. ولم يقتصر وجود الأشراف على عاصمة الخلافة بل شمل كذلك الولايات كولاية العراق.

- ✓ **أشراف العراق**

ربط الخلفاء الأمويّون السفيانيّون علاقات وطيدة مع أشراف العراق أي أشراف الكوفة وأشراف البصرة.

- o **أشراف الكوفة**

كلّف الخليفة معاوية بن أبي سفيان أشراف الكوفة بالقضاء على ثورة المستورد بن علفّة الخارجي في ولاية المغيرة بن شعبة فاستجاب الأشراف له وقضوا على الثورة [2]. كما تهدّد زياد بن أبي سفيان والي العراق وخراسان من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان أشراف الكوفة ومن بينهم محمّد بن الأشعث الكندي وهو سيّد كندة بقطع كلّ نخيله وهدم منازله وتقطيعه هو إذا لم يحضر له حجرا بن عدي الكندي [3].

كان أشراف الكوفة موالين للوالي الأموي لكنّ عشائرهم وقبائلهم كانت مناصرة لهذا الثائر الشيعي. وقد أمرهم زياد بتأطير عشائرهم وقبائلهم الموالين لحجر. وتخوّف الأسياد والأشراف الكوفيون من ضياع امتيازاتهم الماديّة والسياسيّة، فسارعوا لتأطير عشائرهم. ففشلت الثورة بعد أن وقّع الأشراف على شهادة باتّهام حجر بن عدي وأصحابه بأنّهم خلعوا طاعة الخليفة ودعوا للحرب والفتنة [4]. وتواصل دور أشراف الكوفة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية. فقد التفّ الأشراف حول والي العراق عبيد الله بن زياد عندما أراد القضاء على ثورة الحسين بن علي.

---

1) Crone (P), Idem, p 37

محمّد الجوّادي، **الأشراف من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الأوّل للهجرة**، بحث لنيل شهادة الدكتوراه إشراف د.راضي دغفوس، الجامعة التونسية جامعة تونس الأولى كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة سنة 2002، ص200-504-508 و513-519.

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 188-189.

3) إنّ حجر بن عدي الكندي قام بثورة شيعيّة بالكوفة.

الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 257-258-263-264.

البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 271.

4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 264-268.

فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 119.

ووجد عبيد الله بن زياد نفسه منعزلا بالقصر هو والأشراف وأهل بيته ومواليه والحشم والشرط بعد أن بايع الناس الحسين بن عليّ [1]. لكنّ الأشراف نجحوا فيما بعد في إقناع قبائلهم وعشائرهم بضرورة التحالف مع الوالي الأموي والتخلّي عن الحسين بن علي. ومن بين هؤلاء الأشراف سيّد كندة محمّد بن الأشعث رئيس ربع كندة [2].

وقد كافأ الخليفة يزيد بن معاوية أحد هؤلاء الأشراف. وهو كثير بن شهاب بن الحصين بن ذي الغصّة الحارثي من مذحج - بإقطاعه ضياعا بالجبل وبتعيينه على ماسبذان ومهرجان قذف وحلوان والماهين [3].

اعتمد الخلفاء وولاة الكوفة في العهد السفياني على الأشراف ليؤطّروا عشائرهم وقبائلهم خاصّة منهم أشراف وأسيادها القبائل اليمنيّة [4]. لكن ستندثر هذه الفئة الاجتماعيّة في العهد المرواني لتفسح المجال لفئة جديدة وهي فئة قادة المقاتلة.

لقد ضعفت طبقة الأشراف بالكوفة بعد ثورة بن الأشعث لمساهمة الكثير منهم الأشراف في الثّورة مع ابن الأشعث ممّا جعل الحجّاج يقتّلهم بعد انتصاره على هذا الثّائر [5]. اكتسب الأشراف قدرة كبيرة على تأطير قبائلهم وعشائرهم. وتمكّنوا بفضل هذه المقدرة من تأليب النّاس على الحجّاج، وكانت ثورة هدّدت أركان الدولة الأمويّة بالعراق. وقضى الحجّاج على الدور العسكري للكوفة والبصرة بتأسيسه لواسط. وأقرّ بها مقاتلة شاميّين - أي قوّة احتلال - ستمنع الأشراف وأهل العراق من الثورة على الحكم الأموي. وعوّل الخلفاء السفيانيّون على أشراف البصرة.

- **أشراف البصرة**

سعى الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى ضمان أشراف البصرة الذين كانوا متشيّعين لعليّ بن أبي طالب كالأحنف بن قيس سيّد تميم بالبصرة وجارية بن قدامة

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 368-369.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 305-369-371.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 6، ص 59.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 31.
3) البلاذري، فتوح، ص 432.
ياقوت الحموي، معجم مذكور، ج 2، ص 99.
4) Crone (P), Idem, p 109-123
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 374-381.

السعدي [1]. فقد أغدق معاوية عليهم الأموال لشراء ضمائرهم [2]. وأجلس معاوية البعض منهم على سريره كالأحنف بن قيس الذي كان الخليفة معاوية يقدّره لحكمته [3].

وكان أشراف البصرة يرافقون زيادا عندما يفد على الخليفة معاوية [4]. وكانت فئة الأشراف مرتبطة ارتباطا عضويّا بالفئة الحاكمة حيث صاهر زياد شريفين من أشراف البصرة ينتميان لتميم وهما محمّد بن عمير بن زرارة بن أدس الدارمي والقعقاع بن معبد [5].

وبقي الأشراف بالبصرة موالين للخلافة الأمويّة في عهد الخليفة يزيد بن معاوية. فقد بلّغ المنذر بن الجارود – وهو من عبد القيس وهو كذلك على رأس خمس بالبصرة – عبيد الله بن زياد والي العراق في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، بلّغه الكتاب الذي بعثه الحسين بن علي له ولبقيّة الأشراف يدعوهم فيه لنصرته على حساب الحكم الأموي [6]. والَى هذا الشريف الإيديولوجيا الأمويّة وحرص على إخبار الوالي بكلّ حركات التمرّد والثورة بالبصرة والعراق. واصطحب عبيد الله بن زياد إلى الكوفة عندما عيّن على ولاية العراق أشراف البصرة [7].

إنّ أهميّة دور هذه الفئة الاجتماعيّة في الدولة الأمويّة دفع بالخليفة يزيد بن معاوية – على غرار الخليفة معاوية – لتعيين رؤساء أو أسياد القبائل. فقد أمر الخليفة يزيد واليه على العراق عبيد الله بن زياد أن يرئس أشيم بن شقيق بكرا بن وائل بالبصرة [8]. أصبح منصب سيّد القبيلة منصبا إداريّا في عهد الخلفاء السفيانيّين.

---

1) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 7، ص 56-93.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 242-243 ؛ البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 30.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 316-317.
البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 30.
4) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 206.
5) Crone (P), Idem, p 122
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 357.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 358.
8) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 515.

وارتبطت فئة الأشراف بالفئة الحاكمة عن طريق المصاهرة لمّا تزوّج عبيد الله مثلا ابنة المنذر بن الجارود [1]. واندثرت فئة الأشراف بالبصرة في العهد المرواني. وبرزت فئة جديدة وهي فئة القادة العسكريّين. ورغم قلّة حبّ أشراف العراق للخلفاء والولاة الأمويّين فإنهم ساعدوهم على القضاء على الثورات الشيعيّة بتأطير قبائلهم وعشائرهم.

ولم ينحصر وجود الأشراف بالشام والعراق فقط بل شمل كذلك خراسان.

✓ **أشراف خراسان**

لم تذكر المصادر إلاّ شريفا واحدا في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وهو حضين بن المنذر الرقاشي من شيبان [2]. وكان الخليفة معاوية يحترمه لعقله. ولا تمكّننا المصادر من تكوين فكرة والقيام بالإستنتاجات عن فئة الأشراف بخراسان في العهد السفياني.

✓ **أشراف الحجاز**

لم تذكر المصادر إلاّ أشراف المدينة. فقد أكرم الخليفة يزيد بن معاوية أشراف المدينة عندما وفدوا عليه. فمنح عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر مائة ألف درهم وأعطى كلّ فرد من أبنائه الثمانية عشرة آلاف درهم. كما منحهم كسوتهم وحملانهم ومنح المنذر بن الزبير مائة ألف درهم [3]. أغدق الخليفة يزيد بن معاوية الأموال والعطايا على أشراف المدينة لأنّهم ينتمون أساسا لقريش - قبيلته الأمّ - لكنّ هؤلاء الأشراف سيثورون على الخليفة يزيد بن معاوية بعد رجوعهم للمدينة ويتّهمونه بالمجون والفسق. واصل الخليفة يزيد بن معاوية تدعيم العلاقة التي ربطها أبوه بأشراف المدينة. كما دعّم الخلفاء السفيانيّون علاقتهم بأشراف مصر.

✓ **أشراف مصر**

أكرم الخليفة معاوية أشراف مصر بمنحهم الدّور كعمير بن وهب بن عمير [4]. ورافق الأشراف عتبة بن أبي سفيان والي مصر عند وفوده على الخليفة

---

1) Crone (P), Idem, p 110.

2) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 27.
ابن دريد، مصدر مذكور، ص 282-350.

3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 480-481-495.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 4، ص 103.

4) ابن عبد الحكم، فتوح، ص 108.
المقريزي، الخطط، ج 1، ص 97.

معاوية [1]. وواصل الخليفة مروان بن الحكم الاعتماد على الأشراف فأوصى ابنه عبد العزيز بن مروان والي مصر أن يحسّس كلّ رئيس من رؤساء الأشراف بمصر أنّه خاصّته دون غيره حتّى يكون عينًا له – أي للوالي – على غيره وينقاد قومه إليه [2].

ونفّذ عبد العزيز بن مروان نصيحة أبيه فكان الأشراف والأسياد يرافقونه في الجهاد بالإسكندرية [3]. وكان كريب بن أبرهة بن الصبّاح – وهو سيّد يمني – يخرج من مجلس عبد العزيز بن مروان وتحت ركابه خمسمائة رجل من حمير [4]. كان هذا السيّد يؤطّر قبائله وعشائره لصالح الوالي الأموي.

على هذا الأساس، اعتمد الخلفاء والولاة السفيانيّون والخليفة مروان بن الحكم وابنه عبد العزيز بن مروان على أسياد مصر وأشرافها ليلعبوا بينهم وبين قبائلهم وعشائرهم دور الوساطة. لكن ستنقرض هذه الفئة الاجتماعيّة في العهد المرواني خلال الفترة الممتدّة من عهد الخليفة عبد الملك بن مروان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك.

وهكذا، اتّخذ الخلفاء الأمويّون السفيانيّون أشراف وأسياد القبائل كأحد المقوّمات الاجتماعيّة لدولتهم. وهذا يرجع لانتماء الأمويّين أنفسهم لفئة الأسياد والأشراف بقريش وبالتالي استعمل الأمويّون النظام الاجتماعي والتراتبي الجاهلي.

وقد نجح السفيانيّون نسبيًا وإلى حين في تأطير القبائل بفضل مساعدة الأسياد والأشراف. لكن سينحلّ هذا النظام الاجتماعي النخبوي ويعوّض بنظام آخر ذي طابع عسكري.

كما أوجد الخلفاء المروانيون عنصرا اجتماعيًا جديدا استندوا إليه وهو عنصر الفقهاء.

(ج) الفقهاء

إنّ الفقيه هو الشخص القادر على استنباط أحكام جديدة انطلاقا من القرآن والسنّة [5]. لم يكن الفقهاء مرتبطين بالسلطة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان

---

1) الكندي، ولاة، ص 58.
2) الكندي، ولاة، ص 69.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 42.
3) الكندي، ولاة، ص 74.
4) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 113.
5) **E.I², tII** *Fiqh*.

إلى آخر عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك. لكن لمّا تولّى الخليفة عمر بن عبد العزيز استقدم من فقهاء المدينة من رضي المجيء إليه.

درس عمر بن عبد العزيز بالمدينة على كبار علمائها كعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود وسعيد بن المسيّب وعروة بن أذينة وأبي سلمة بن عبد الرحمن وسالم بن عبد الله بن عمر والقاسم بن محمّد بن أبي بكر الصدّيق والزّهري [1]. ويعدّه أصحاب طبقات الفقهاء ورجالات علوم الحديث والسنّة بين فقهاء التابعين [2].

واستعان الخليفة عمر بن عبد العزيز بالعديد من الفقهاء. فقد أرسل عمر عند تولّيه الخلافة للحسن بن الحسن البصري ولمطرّف بن عبد الله الشخير ليعظاه، فردّا عليه يعظانه بالتمسّك بحبل الله ونصحاه بالحذر من غواية الدنيا [3]. كان الحسن البصري (21-110 هـ) من أكبر فقهاء البصرة في العهد الأموي. وهو ينتمي لفئة التابعين.

كما أنّه من الموالي وقد عرف بصدقه واستقامته وبكتاباته التي دعا فيها الناس لعدم ارتكاب المحرّمات ولتنظيم حياتهم [4]. كما كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز لسالم بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب أن يكتب له بسيرة الخليفة عمر بن الخطّاب ليسير بها في الناس. فأجابه سالم بن عبد الله بأنّه ليس في زمان عمر وليس لديه رجال مثل رجال عمر [5].

أراد الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يحيي سياسة أحد الخلفاء "الأوائل" وهو الخليفة عمر بن الخطّاب. لكن نبّهه هذا الفقيه حفيد عمر لاختلاف الفترة التي يحكم فيها عن فترة عمر بن الخطّاب وعدم توفّر رجال متديّنين ومتحمّسين لتطبيق مبادئ الدين كرجال عمر بن الخطّاب.

---

1) ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 257.
2) رضوان السيّد، *الخلافة والملك : دراسة في الرؤية الأمويّة للسلطة*، ص 137.
3) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 128.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 34-35.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 114-133.
E.I², tIII1, *Al-Hassan Al-Basri.*
4) **E.I²**, tIII1, *Al-Hassan Al-Basri*
5) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 107.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 149-155.

حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز على التأكّد من أمور الدين ليعلم بذلك عمّاله. وغيّر عمر التقاليد الأمويّة بجمعه كلّ ليلة بمجلسه الفقهاء كعراك بن مالك وبسر بن سعيد وابن أبي الزنّاد ليتحدّثوا عن الموت والقيامة ثمّ يبكون كأنّهم في جنازة [1].

لم يسند عمر أهميّة لأخبار ملوك العجم والعرب في سمره كبقيّة الخلفاء الأمويّين بل كان همّه التعمّق في الدين بمساعدة الفقهاء. وقد أعان الخليفة عمر بن عبد العزيز الفقهاء لتفرّغهم لشؤون الدين حيث كتب لعمّاله على حمص أن يعطوا الفقهاء المعتكفين بالمسجد كلّ رجل منهم مائة دينار يستعينون بها.

وقد منحهم هذا المال من بيت مال المسلمين [2]. كما حرص الخليفة عمر بن عبد العزيز أن يعيّن بنفسه الفقهاء القائمين "بالتعليم الديني" بالمساجد خلافا لبقيّة الخلفاء الأمويّين. فقد كلّف عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأنصاري الظفري المدني بأن يجلس في مسجد دمشق ويحدّث الناس عن المغازي ومناقب الصحابة.

وذكر له أنّ الخلفاء الأمويّين كانوا يكرهون ذلك وينهون عنه. فجلس هذا الفقيه وحدّث الناس [3]. عتّم الخلفاء والولاة الأمويّون على السنّة لأنّهم كانوا يخافون أن تضعف شرعيّتهم التاريخيّة الهشّة. بينما أحيى الخليفة عمر بن عبد العزيز السنّة لأنّه لا يشعر بهذا الضعف في شرعيّته التاريخيّة بل بالعكس استمدّ هذه الشرعيّة من الدين.

وعيّن الخليفة عمر بن عبد العزيز البعض من هؤلاء الفقهاء على القضاء، أي أصبح الفقهاء يتبوّؤون مناصب هامّة وحسّاسة في الدولة الأمويّة بعد أن كانوا مهمّشين عن السلطة.

كما كان الفقهاء يضغطون على أحد زملائهم إذا رفض تولّي منصب القاضي. فقد جمع عبد الواحد بن عبد الله النضري والي المدينة من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك فقهاء المدينة كسعد بن ابراهيم وأبي سلمة بن عبد الرحمن ومحمّد بن مصعب

---

1) ابن سعد، مصدر مذكور، ج 5، ص 196-214-215-414-415
السيوطي، مصدر مذكور، ص 284.
رضوان السيّد، *الخلافة والملك : دراسة في الرؤية الأمويّة للسلطة*، ص 137.
2) ابن الجوزي، مصدر مذكور، ص 115.
3) ابن عساكر، مصدر مذكور، ج 7، ص 130 "كان هذا الفقيه له رواية للعلم وعلم بالسيرة ومغازي رسول الله. وكان ثقة كثير الحديث عالما".

ومحمّد بن صفوان وأثّر عليهم حتّى يؤثّروا على سعيد. فقال هؤلاء الفقهاء بأنّ قضاء يوم لحقّ أفضل من صلاته عمره، فتولّى القضاء [1].

أصبح للفقهاء دور هامّ في الدولة بما أنّهم يساعدون الوالي في تعيينه للقضاة بالتأثير على المعنيّين بالأمر. كما كان هذا الوالي "لايقطع أمرا" إلاّ استشار فيه القاسم بن محمّد بن أبي بكر وسالما بن عبد الله بن عمر بن الخطّاب [2]. لذلك كان محبوبا من طرف أهل المدينة. أصبح الفقهاء يكتسبون دورا استشاريّا بما أنّهم يشيرون على الوالي في القرارات التي يجب أن يتّخذها.

وثبّط الحسن البصري الناس بالبصرة عن الدخول في الفتنة بقبولهم لدعوة يزيد بن المهلّب. فقد دعا يزيد إلى تطبيق سنّة العمرين في سبيل جلب الناس إليه. لكنّ هذا الشعار ليس إلاّ تكتيكا سياسيّا لأنّ يزيدا هو عامل الأمويّين وكان يضرب أعناق الناس في سبيل إرضائهم. كما أنّ الحسن البصري لعن أهل الشام (أو الخلفاء الأمويّين) لأنّهم انتهكوا حرمة الرسول بإباحتهم المدينة ثلاثة أيّام للنّهب في واقعة الحرّة [3].

كان هذا الفقيه مناصرا للخليفة عمر بن عبد العزيز لكنّه لم يخف سخطه على الأمويّين الذين استخفّوا بالحرمات في سبيل تحقيق أغراضهم السياسيّة والإيديولوجيّة. إنّ هذا الموقف لم يمنع عمرا بن هبيرة الفزّاري من استدعاء الحسن البصري وغيره من الفقهاء كمحمّد بن سيرين وأبي الزناد لينصحوه [4].

وتواصل هذا الدّور الديني والاستشاري للفقهاء في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد حجّ ابراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي - والي المدينة - بالناس، فأرسل لعطاء بن أبي رباح يستشيره ويسأله متى سيخطب بمكّة فأجابه عطاء بن أبي

---

1) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 167.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 120
ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 82.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 14.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 142-147.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 588-594.
4) وكيع، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 352.
ابن عبد ربّه، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 58-59.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 143.
المسعودي، **مصدر مذكور**، ج 3، ص 201.

رباح [1]. وكتب الخليفة هشام بن عبد الملك إلى أبي الزنّاد قبل أن يدخل إلى المدينة أن يكتب له سنن الحجّ فكتبها له أبو الزنّاد [2]. واصل الخليفة هشام بن عبد الملك الدور الذي قام به الخليفة عمر بن عبد العزيز في ضبطه لقواعد الدين. كما قرّب الخليفة هشام الزهري - وهو محدّث - ووكّله بتعليم أبنائه القرآن والحديث. لكن خدم الزّهري المصالح السياسيّة للأمويّين ولم يكن نزيها [3].

وهكذا، صار الفقهاء فئة كبيرة وبدأت تتكوّن لهم تقاليد دفعت عمرا بن عبد العزيز وهشاما بن عبد الملك إلى الاعتراف بهم وإشراكهم في وظائف الدولة [4]. كما مثّل الفقهاء قوّة روحيّة لها وزنها، لكنّ الخلفاء الأمويّين لميعترفوا بهم قبل الخليفة عمر والخليفة هشام لإحساسهم بنقص في شرعيّتهم التاريخيّة تجاه تطوّر وتعمّق الظّاهرة القرآنية والسنّة.

مكّنت الفئات الاجتماعيّة الموالية للدولة كبني أميّة والأشراف والفقهاء الخلفاء الأمويّين من سند إيديولوجي واجتماعي وسياسي هامّ. لكن ستواجه الدولة معارضة فئات اجتماعيّة أخرى كالتيّارات السياسيّة-الدينية والموالي وأهل الذمّة.

اعتمد الخلفاء الأمويّون على فئات اجتماعيّة ذكرناها آنفا وهي الأسرة الأمويّة والأشراف والفقهاء. وقد ساعدت هذه الفئات على تركيز الحكم الأموي والإيديولوجيا الأمويّة. لكن شهد تاريخ الدولة الأمويّة تطوّر فئات اجتماعيّة كالموالي وأهل الذمّة وتيارات سياسيّة دينيّة سعت للإضعاف من الشرعيّة التاريخيّة والإيديولوجيا الأمويّة.

2- الفئات الاجتماعيّة المعارضة للدولة

✓ **التيّارات السياسيّة - الدينيّة**

خلقت الفتنة الكبرى التيّارات السياسيّة-الدينيّة في الإسلام كشيعة علي بن أبي طالب والخوارج. إنّ هذين التيّارين سيتطوّران في فترة الخلافة الأمويّة. يدلّ تعدّد

---

1) هو فقيه مكيّ.
الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 26.
ابن سعد، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 20-22.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 253.
3) I. Goldziher, **Muslim Studies**, p 44-47.
E.I², tIV 2 *Al-Zuhri* .
4) رضوان السيّد، **التدوين والفقه والدولة**، ص 109.

هذه الثّورات على ضعف المقوّمات الاجتماعيّة. فقد اعتمد الأمويّون على مقوّمات اجتماعيّة وإيديولوجيّة نخبويّة إذ حابوا الأسرة الأمويّة والأشراف أي العنصر العربي في حين تجاهلوا العناصر الاجتماعيّة الأخرى. وهذا ما سيولّد ثورات متعدّدة ضدّ الحكم الأموي.

- الشيعة

إنّ شيعة عليّ هم أنصاره في حربه ضدّ معاوية بن أبي سفيان. ثمّ تطوّر هذا المفهوم في العهد الأموي، فأصبح يعني أنصار علي وأهل بيته. وقد أخذنا بعين الاعتبار في دراسة هذا العنصر ثورات الشيعة وكذلك ثورات بني هاشم أي آل عليّ أنفسهم. اندلعت أوّل ثورة شيعيّة في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان وفي ولاية زياد للعراق.

وقد قاد حجر بن عديّ الكندي هذه الثورة بالكوفة سنة 51 هـ ضدّ الأمويّين لأنّهم كانوا يلعنون عليّا صهر الرسول، ولأنّهم قد جاروا في الحكم وعملوا بغير الحقّ مثلهم في ذلك مثل عثمان بن عفّان[1]. فقتل الخليفة معاوية حجرا وقتل أصحابه.

هدّد حجر الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة وعنصرين من عناصر الإيديولوجيا الأمويّة وهي الارتباط بذكرى عثمان وقضيّته كإمام شهيد والطاعة. فهو قد أضعف من الشرعيّة التاريخيّة للخليفة معاوية بالمقارنة مع عليّ وبيّن أنّ الأمويّين استندوا إلى إيديولوجيا الارتباط بذكرى عثمان بينما كان عثمان جائرا. كما أنّ حجرا لعن معاوية عوضا عن عليّ وخرج عن الطاعة بعدم امتثاله للخطاب الإيديولوجي الأموي.

واندلعت الثورة الشيعيّة الثانية على يد الحسين بن علي وبعد تولّي الخليفة يزيد بن معاوية سنة 60 هـ. إنّ الحسين بن عليّ هو حفيد الرسول وابن عليّ بن أبي طالب ابن عمّ الرسول. وعلى هذا الأساس، فقد كان يعتقد أنّ لديه شرعيّة دينيّة تفوق شرعيّة يزيد الماجن الفاسق.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 275.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 119.
محمّد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام، ص 101.

وبيّن في خطابه الإيديولوجي أنّ الخلافة افتكّت منه ودعا لكتاب الله وسنّة رسوله لأنّها قد أميتت وأحييت البدعة [1]. وقد قضى عبيد الله بن زياد والي العراق على هذه الثورة واستأصل الحسين وآله [2].

تضعف مطالبة الحسين بن علي بالحكم من الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة الهشّة. فالأمويّون هم من الطلقاء بينما ينتمي الحسين بن عليّ لآل بيت الرسول. كما أنّ تعتيم الأمويّين على الكتاب والسنّة كأحد عناصر الإيديولوجيا الأمويّة، كانت العناصر الهامّة في الخطاب الإيديولوجي للحسين بن عليّ وبالتالي ستضعف الإيديولوجيا الأمويّة نتيجة هذه الثورة. كما أنّ قتل الأمويّين للحسين بن عليّ وآله سيغذّي ضدّ دولتهم أحقاد الشيعة الذين سيثورون مطالبين بدم الحسين بن عليّ وبالرجوع للكتاب والسنّة. ولقّب هؤلاء الشيعة أنفسهم بالتوابين. وقد ترأسهم سليمان بن صرد الخزاعي [3].

وقد ثار التوّابون بعد موت الخليفة يزيد بن معاوية. وتواصلت ثورتهم خلال فترة خلافة مروان بن الحكم وأول خلافة عبد الملك بن مروان. أضعف الخطاب الإيديولوجي للتوّابين من الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة رغم قضاء الأمويّين على هذه الثورة.

كما ثار المختار بن أبي عبيد الثقفي في نفس فترة ثورة التوّابين بالكوفة.

ونادى المختار الناس إلى نفسه بوصفه وزير محمّد بن الحنفيّة (ابن علي بن أبي طالب) الذي أمره بقتال الملحدين الأمويّين والمطالبة بدماء أهل البيت أي الحسين بن عليّ وآله [4]. وقد توصّل المختار إلى قتل عبيد الله بن زياد قاتل الحسين بن عليّ5. ساهم هذا الخطاب الإيديولوجي في إضعاف الإيديولوجيا الأمويّة وأساسا

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 357.
2) محمّدعبد الحيّ شعبان، صدر الإسلام، ص 103
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 144.
Montgomery Watt (W), *Shi'ism Under the Umayyads*, **JRAS**, p 3 & 4, 1960, p 158-172.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 585.
محمّد عبد الحيّ شعبان، صدر الإسلام، ص 107.
Hawting, **The First Dynasty**, p 51.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 570.
Watt, *Shiism*, pp 162-166.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 88.
Hawting, **The First Dynasty**, p 51.

الشرعيّة التاريخيّة الأمويّة. واندلعت آخر ثورة شيعيّة في الفترة التي نعنى بها سنة 121 هـ في خلافة هشام بن عبد الملك وولاية يوسف بن عمر الثقفي. فقد ثار زيد بن علي بن أبي طالب بالكوفة داعيا "إلى كتاب الله وسنّة نبيّه وجهاد الظالمين ونصرنا أهل البيت على من نصب لنا وجهل حقّنا" (1). لكن قضي على هذه الثورة بقتل زيد بن علي وأصحابه.

نجح الخلفاء الأمويّون في إخماد كلّ هذه الثورات الشيعيّة من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. لكنّ هذه الثورات أضعفت من الإيديولوجيا الأمويّة وساهمت في سقوط الدولة الأمويّة. ولم تقتصر الأحزاب السياسيّة-الدينية على الشيعة بل شملت الخوارج.

- **الخوارج**

تأسّست حركة الخوارج عند التحكيم بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان. وقد انشقّ الخوارج عن عليّ داعين بشعار "لا حكم إلاّ لله" (2) بعد أن رفضوا نتائج التحكيم (مخادعة عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعري – صاحب علي –).

واستأنف الخوارج ثوراتهم في العهد الأموي. فقد ثار المستورد بن علفّة بالكوفة في ولاية المغيرة بن شعبة سنة 43 هـ (فترة خلافة معاوية بن أبي سفيان) ودعا المستورد "إلى كتاب الله وسنّة رسوله وولاية أبي بكر وعمر والبراءة من عثمان وعليّ لإحداثهما في الدين" (3). وقد يهدّد هذا الخطاب الإيديولوجي الخارجي الإيديولوجيا الأمويّة خاصّة القصاص للخليفة المظلوم والتعتيم على الكتاب والسنّة. وقد قضى الوالي الأموي على هذه الثورة. كما قضى زياد بن أبي سفيان على ثورة قريب وزحّاف بالبصرة وقتل من الخوارج الكثيرسنة 50 هـ (4).

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 7، ص 172.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 325-326.
2) Djaït (H), **La Grande Discorde**, p 267.
3) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 191.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 110-111.
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 238.

وثار الخوارج الأزارقة بعد وفاة الخليفة يزيد بن معاوية وكان زعيمهم نافع بن الأزرق يدعو إلى البراءة من الأمويّين لأنّهم مشركون [1]. وتوالت ثورة الخوارج الأزارقة في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان كثورة قطريّ سنة 72 هـ [2]. كما ثار الخوارج الصفريّة وهم أنصار عبد الله بن صفّار بقيادة صالح بن مسرّح على الحجّاج سنة 76 هـ [3]. وتمثّل خطابهم الإيديولوجي في استنكار ما قام به عثمان من استئثار بالفيء وتعطيل للحدود وجور في الحكم [4].

وقد أضعف هذا الخطاب من إيديولوجيا الارتباط بذكرى عثمان. وأكمل شبيب الخارجي سنة 76 هـ مهمّة صالح بن مسرّح الذي توفيّ. ولم يتمكّن الحجّاج من القضاء على ثورته إلاّ بصعوبة [5]. وكان للخليفة عمر بن عبد العزيز موقف مخلف من الخوارج فقد طلب من بسطام (قائد الخوارج) أن يتناظرا فإن كان الحقّ بيد الخليفة دخل بسطام في الجماعة وإن كان في يد بسطام راجع الخليفة الإيديولوجيا والمنهج السياسي الأموي [6].

وأخيرا، أحرق خالد بن عبد الله القسري جماعة من الخوارج [7]. ساهم الخوارج في إضعاف الإيديولوجيا الأمويّة لكنّ هذا الإضعاف كان نسبيّا بالمقارنة مع الشيعة والعبّاسيّين.

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 5، ص 567-568.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 169.
لطيفة البكاي، حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132 ﻫ)، بيروت 2001، ص 144.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 255.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 217.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 222.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 255.
محمّد عبد الحي شعبان، صدر الإسلام، ص 121.
6) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 556.
7) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 129.

o العبّاسيّون

ابتدأت الدعوة العبّاسية منذ عهد الخليفة سليمان بن عبد الملك على يد محمّد بن علي بن عبد الله العبّاسي [1]. ويتمثّل شعار العبّاسيّين في "رضينا بالله ربّا وبالإسلام دينا، وبمحمّد صلّى الله عليه وسلّم نبيّا" [2].

إنّ العبّاسيّين هم أحفاد العبّاس بن عبد المطّلب عمّ النبي. فهم من أهل البيت. ولكن لم يبرز العبّاس كثيرا في خدمة الإسلام بل إنّه لم يعتنق الإسلام إلاّ متأخّرا وعند فتح مكّة سنة 8 هـــ. وقد اشتهر ابنه عبد الله بالعلم والفقه، وكان ذا رأي محترم في شؤون الدين. وقد أيّد في البداية ابن عمّه عليّا لكنّه انسحب وعاد للحجاز بعد معركة صفّين. ورفض مبايعة ابن الزبير خلال الفتنة الثّانية، فأمر به أن ينفى إلى الطّائف. وكان ابنه عليّ قد اشتهر مثله بالتفقّه بشؤون الدين والتشريع لكنّه تعرّض لغضب الخليفة الوليد بن عبد الملك لأنّه ارتاب في معارضته لبني أميّة فحبسه ثمّ أطلق سراحه على أن يقيم في الحميمة، وهي قرية في فلسطين على الطريق بين الشام والحجاز حيث مات سنة 118 هـــ. وظلّ ابنه محمّد بن علي بن عبد الله العبّاسي في هذه القرية بعد وفاة أبيه. وانتقلت إليه زعامة المعارضة ومعها زعامة عدد من الشّيعة وعدد آخر من جماعة سرّية تطلق على نفسها اسم الهاشميّة.

انتقلت كلّها إلى محمّد بن علي سنة 98 هـــ. نشأت الهاشميّة بالكوفة، وكانت تضمّ ثلاثين شخصا من العرب والموالي المشتغلين بالتجارة بين خراسان والعراق والشام والحجاز. وقد استطاع محمّد بن عليّ أن يجعل من هذه المنظمّة الصّغيرة أداة الحزب العبّاسي. فاتّخذ من خراسان مقرّ آنطلاق لنشاط الهاشميّة نظرا لتأزّم الأوضاع بها بسبب سخط الناس على الأمويّين وفشلت الثورات بالكوفة والعراق لوجود جند الشام بواسط. وأرسل محمّد بن عليّ الدّعاة إلى خراسان. وقد نجحت الدّعوة العبّاسية بخراسان لطابعها السرّي. وكان يقوم بها دعاة من العرب المستقرّين بخراسان. وانتقلت هذه الدّعوة من الطابع السرّي إلى الطابع العلني بعد وفاة الخليفة هشام بن عبد الملك وانحلال الدولة الأمويّة [3].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 562.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 51.
3) شعبان، الثّورة العبّاسية، ص 239-241.

فقد انضمّ إلى العبّاسيّين عدد هامّ من عرب مرو الذين استقرّوا بها "وتفرسنوا". وكانوا ساخطين على الحكم الأمويّ لأنّه لم يشركهم في الامتيازات التي تمنح للعرب وأبقاهم تحت سيطرة الدهّاقين (أي طبقة البورجوازيّة الفارسيّة) [1]. وعلى هذا الأساس، فإنّ استناد العبّاسيّين على شرعيّة تاريخيّة قويّة وهي الانتماء لأهل بيت الرسول مكّنتهم من تقويض الحكم الأمويّ الذي يستند على شرعيّة دينيّة ضعيفة.

بالإضافة إلى هذه الثّورات ذات الطابع السياسي- الديني، اندلعت ثورة عبد الله بن الزبير بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان. فقد رفض عبد الله بن الزّبير أن يبايع ليزيد بن معاوية. كان عبد الله بن الزّبير يمثّل مصالح القرشيّين، الذين رأوا أنّ معاوية والنّظام الجديد الذي يمثّله لا يخدم مصالحهم. لذلك حاول القرشيّون استعادة مكانتهم. وقد اختاروا عبد الله بن الزبير ليمثّل مصالحهم لا سيّما أنّ أباه ثار على علي لنفس هذه الأسباب [2].

وكانت هذه الثّورة خطيرة خاصّة بعد موت الخليفة يزيد إذ توسّع ابن الزّبير على حساب العراق ومصر. ولم يستطع الأمويّون القضاء على هذه الثّورة إلاّ في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان بعد أن تواصلت من سنة 60 إلى سنة 73 هـ. كما ثار أهل المدينة على الخليفة يزيد مساندين ابن الزبير. فقد رفضوا البيعة للخليفة يزيد لأنّه لا شرعيّة دينيّة له. تلك الشرعيّة التي تمثّل السّبب الرّئيسي في الوصول إلى الحكم. وكان قادة هذه الثّورة هم الأرستقراطيّة الحجازيّة من قريش والأنصار، الذين وجدوا أنفسهم مهمّشين عن السّلطة [3]. وأجبر يزيد على إخضاعهم بالقوّة العسكريّة لجند الشام في واقعة الحرّة [4]. وأدّى ضعف المقوّمات الاجتماعيّة لحدوث ثورة أخرى وهي ثورة ابن الأشعث. فقد أراد الحجّاج أن يتخلّص من العناصر المثيرة للبلبلة

---

1) شعبان، مرجع مذكور، ص 247-248.
2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 383.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 180.
شعبان، صدر الإسلام، ص 104-111.
3) فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 161-162.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 383.
البلاذري، مصدر مذكور، ج 1، ص 1168.
المسعودي، مصدر مذكور، ج 3، ص 68.
فلهاوزن، مرجع مذكور، ص 180.
Kister (MJ), *The Battle of the Harra some Socio-Economic Aspects*, in **Studies in Memory of Gaston Wiet**, The Hebrew University of Jerusalem 1977, p 33-49.

بالكوفة والبصرة، فجنّد جيشا يتركّب من أربعين ألف مقاتل. كما سعى الحجّاج للتّخفيف من الضغط الديمغرافي بهذا التجنيد. وأرسل هذا الجيش الذي لقّب بـ"جيش الطّواويس" لاحتوائه أسيادا وأشرافا معتدّين بانتمائهم القبلي، أرسلهم لزابلستان.

وقد أخفى الحجّاج نواياه الحقيقيّة وهي عدم السماح لهذا الجيش بالرجوع في الخريف بعد القيام بحملة في الرّبيع أو الصّيف. عندها ثار الجيش على الحجّاج، وانضمّ إليه أهل الكوفة والبصرة.

وأطردوا جيش الشام والحجّاج. وتعرّض الحكم الأمويّ لهزّة قويّة بالعراق، كادت أن تقضي عليه لولا إرسال الخليفة عبد الملك بن مروان لأمداد عسكريّة شاميّة. وأدّت هذه الثورة إلى احتلال شامي دائم للعراق حيث أسّس الحجّاج واسط وجرّد الكوفة والبصرة من السّلاح وأزال المعسكرات [1].

كما ظهر ضعف المقوّمات الاجتماعيّة الأمويّة في ثورة قتيبة بن مسلم الباهلي - والي خراسان من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك - على الخليفة سليمان بن عبد الملك. فقد كان قتيبة أحد أنصار الحجّاج. وعندما علم بوفاة الوليد تخوّف من العزل فأعلن ثورة. لكن فشلت هذه الثورة لأنّ المقاتلة من العرب والموالي تعبوا وملّوا القيام بالجهاد المتواصل إلى جانب قتيبة، فقتلوه [2].

وازداد ضعف المقوّمات الاجتماعيّة والإيديولوجيّة الأمويّة بإعلان يزيد بن المهلّب بن أبي صفرة عن ثورة مسلّحة في وجه الحكم الأموي زمن خلافة يزيد بن عبد الملك. فقد كانت هذه الثورة تهدف إلى تخليص العراق من "الاحتلال الشامي". لكنّه فشلت بعد أن تمكّن مسلمة بن عبد الملك من القضاء عليها وتعزيز التواجد العسكري الشامي بالعراق.

يعكس تعدّد هذه الثورات هشاشة المقوّمات الاجتماعيّة الأمويّة حيث ارتكز الأمويّون على فئات اجتماعيّة نخبويّة كبني أميّة والأشراف والأسياد والفقهاء. كما استند الأمويّون إلى تنظيم إداري - عسكري تبوّأ فيه الشاميّون الصّدارة. وتزايد دور فئة اجتماعيّة جديدة ومهمّشة من طرف الأمويّين وهم الموالي.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 357.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 241.
شعبان، **صدر الإسلام**، ص 124-125.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 507-508-516-517.
شعبان، **مرجع مذكور**، ص 144.

✓ **الموالي**

إنّ المولى هو عبد يعتق ويدخل في ولاء من أعتقه. وقد تطوّر عدد هذه الفئة الاجتماعيّة شيئا فشيئا من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان. كان الولاء موجودا في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان لكن بصفة محدودة في بلاط الخليفة أو لدى زياد بن أبي سفيان بالعراق [1]. وكان الموالي يعملون كتّابا لدى الخليفة أو الوالي. ونقل الخليفة معاوية بن أبي سفيان جماعة من فرس بعلبك وحمص وأنطاكية إلى سواحل الأردن وصور وعكّا سنة 42 هـ [2].

كما نقل معاوية قوما من الفرس إلى جبيل وصيدا وبيروت [3]. ونقل من أساورة البصرة وفرس بعلبك وحمص إلى أنطاكية في سنة 42 هـ أو قبلها [4]. ونقل الخليفة معاوية في سنة 49 أو 50 هـ إلى السواحل قوما من زطّ البصرة والسيابجة وأنزل بعضهم أنطاكية [5]. ثم نقل الخليفة الوليد بن عبد الملك جماعة من الزطّ السند إلى أنطاكية ممّن حملهم محمّد بن القاسم الثقفي إلى الحجّاج الذي بعث الذي بهم إلى الشام.

قام الخليفة معاوية والخليفة الوليد بن عبد الملك بنقل مقاتلة من الموالي أي من العجم الفرس وهم الزطّ والأساورة والسيابجة. ولم تذكر المصادر ما هي الجذور الجغرافية للفرس الموجودين بالشام. جمع الخليفة معاوية والخليفة الوليد هؤلاء الموالي من الفرس والموالي من أصل بيزنطي والعرب من بلاد الشام – أساسا

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 179.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 160-161.
ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 1، ص147-266-268-453، ج 2، 302-305، ج 3، ص 433، ج 4، ص 143-144.
3) اليعقوبي، كتاب البلدان، ص 337.
عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبّادي، **تاريخ البحرية الإسلامية في مصر والشام**، ج 1، بيروت 1993، ص 20.
4) البلاذري، **فتوح**، ص 160-161.
سالم والعبادي، **مرجع مذكور**، ج 1، ص 20.
العلي، **التنظيمات**، ص 69-71 .
K. Athamina, *Arab Settlement*, p 200.
5) البلاذري، **فتوح**، ص 221-222.
العلي، **التنظيمات**، ص 70-72.

اليمنيّون والأقباط من مصر واليهود لغرض استراتيجي وهو حماية الثغور الشاميّة من الغارات البيزنطيّة [1].

على هذا الأساس، كان للمقاتلة بالشام العديد من الاختصاصات ومن بين هذه الاختصاصات البحرية. شارك هؤلاء العرب والموالي في العمليات العسكريّة البحريّة الإسلامية أو العمليات العسكريّة البيزنطيّة قبل أن يصبحوا موالي وبالتالي لديهم خبرة عسكرية في البحريّة [2]. ويرجع تكوين الأسطول البحري بالشام لمعاوية بن أبي سفيان والي الشام في عهد الخليفة عثمان بن عفّان.

فقد استحضر الأخشاب من غابات الأرز بـــ"لبنان" وأرسلها في السفن إلى دار الصناعة بالإسكندرية [3]. وكان الهدف من إعداد الأسطول البحري التوسّع على حساب طرابلس من جهة والجزر المواجهة لساحل الشام كأرواد وقبرص ورودس، ويتّخذها مراكز أماميّة لتوجيه التوسّع البحري إلى بيزنطة من جهة ثانية.

واهتمّ الخليفة معاوية فيما بعد بإصلاح دار صناعة عكّا وإعدادها للعمل من جديد بعد أن كانت معطّلة. فجمع الصنّاع والنجّارين ورتّبهم على السواحل. ولم تزل السفن تصنع في الشام بعكّا حتى انتقلت الخلافة للمروانيّين فنقل الخليفة هشام بن عبد الملك دار الصناعة من عكّا إلى صور [4].

ولم تذكر المصادر معلومات حول مراحل تطوّر أو تصعيد في هذه المؤسّسة من عهد الخليفة معاوية إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما أنّها لم تذكر تنظيم هذه المؤسّسة وترتيب المقاتلة والتقنيّات المستعملة ما عدا أنّ الأقباط كانوا يعملون كبحّارة بالسفن البيزنطيّة [5]. كان التأثير البيزنطي واضحا في هذه المؤسّسة نظرا لكون بيزنطة كانت محتلّة للشام. وظهر الموالي في ثورة المختار الثقفي 66-67 هـــ لمّا تحمّسوا للقضيّة الشيعيّة، وانضمّوا لجيش المختار [6].

---

1) سالم والعبادي، **مرجع مذكور**، ج 1، ص 20.

2) العلي، **التنظيمات**، ص 71.

K. Athamina, *Arab Settlement*, p 200.

3) ع سالم وأم العبادي، **مرجع مذكور**، ج 1، ص 20.

4) البلاذري، **فتوح**، ص 161.

ياقوت الحموي، **معجم مذكور**، ج 3، ص 433.

5) شعبان، **صدر الإسلام**، ص 93.

Bréhier (L), Les Institutions, Tome 1, p 326.

6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 83 بلغ عددهم ثلاثة آلاف والعرب سبعمائة رجل فقط.

وساهمت الكوفة كمركز غليان إيديولوجي في إحساسهم بوضعهم. ثمّ كوّنوا مشكلة للحجّاج بن يوسف حيث أرسل له عمّاله ليذكروا له انكسار الخراج بعد أن أسلم أهل الذمّة بالسّواد والتحاقهم بالأمصار. كما انكسر الخراج نتيجة ثورات الخوارج. فأعاد الحجّاج هؤلاء الموالي إلى بلدانهم ورساتيقهم وفرض عليهم الجزية أو الخراج من جديد حتّى لا تتراجع مداخيل الدولة [1].

لم يرد الحجّاج أنْ يقبل التطوّر التاريخي الذي يمثّل في دخول أهل الذمّة للإسلام، بل كان منغلقا ومتشدّدا وحريصا على عدم تراجع المداخيل الماليّة لولاية العراق.

وردّ الحجّاج أراضي بالفرات أسلم أهلها إلى الخراج بعد أن أصبحت عشريّة. لكن ردّها الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الصدقة ثمّ ردّها عمر بن هبيرة إلى الخراج. فلمّا ولي الخليفة هشام بن عبد الملك ردّ بعضها إلى الصّدقة [2].

اختلفت سياسة الأمويّين تجاه الموالي بأراضي الفرات، فقد تجاوزوا القوانين القرآنيّة بتوظيفهم للخراج على هذه الأراضي ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز ونسبيّا الخليفة هشام بن عبد الملك. وأرسل الخليفة عبد الملك بن مروان لعبد العزيز بن مروان واليه على مصر يأمره أن يأخذ الجزية ممّن أسلم من أهل الذمّة [3]. لكنّ ابن حجيرة عتّمه وقال له بأنّ أهل الذمّة لا يتحمّلون ذلك، فتراجع الوالي عن هذا القرار.

والمقصود بأهل الذمّة في هذا المصدر هم الموالي. حرص الخليفة عبد الملك على تطبيق سياسة مطابقة لسياسة الحجّاج مع الموالي بالسّواد. وقد طبّقت هذه السياسة بمصر فيما بعد، بما أنّ الخليفة عمر بن عبد العزيز سيرفع الجزية عمّن أسلم من أهل مصر ويلحقهم بالديوان [4].

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 381-617.
الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 57.
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 156.
Dennett Daniel, **Conversion and the Poll Tax in Early Islam**, Cambridge 1950, p 40.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 512.
3) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 78.
4) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 77.

أساء الأمويّون ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز للموالي. فقد ذكر الطبري كلمتي جزية وخراج. إنّ كلمة جزية قرآنيّة وتشير إلى ما يلزم فرضه على غير المسلمين، ويمكن الافتراض بأنّها تعود على ما يؤخذ منهم [1].

وقد استعملت في حياة الرسول من السنّة 9 هـ لتدلّ على ضريبة الرأس التي تفرض على كلّ ذمّي في اليمن والبحرين وهجر وجرش، أو لتعني جزية مشتركة أو مجموع ما يفرض على جماعة مثلما فرض على تيماء وأيلة ونجران. ولم تفرض على أهل الذمّة ضريبة أخرى. وفي فترة الخلفاء "الأوائل"، وردت الجزية في "العهود" بمعنى ضريبة الرأس مثلما هو الحال في "العهود" مع الريّ وقومس وأذربيجان وجرجان وبهزادان. أمّا في أوراق البردي في مصر، فاستعملت الجزية لتدلّ على مجموع الوارد من القرى التي كانت تتولّى مجالسها جمع ضرائبها. وهو استعمال محلي موروث.

أمّا المصادر فقد ربطت الجزية بالأرض في حالات متّصلة بالخليفة عمر بن عبد العزيز. فهناك رسالة إلى عامله بالكوفة وردت فيها كلمة جزية لتدلّ على ضريبة الأرض كما وردت في يحيى بن آدم [2]. أمّا كلمة الخراج أي ضريبة الأرض فقد وردت في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب حيث فرض ضريبة الخراج على الأراضي المفتوحة كما في السّواد [3]. وبقيت وضعيّة الموالي كما حدّدها الحجّاج بن يوسف إلى عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز. فقد زار وفد من خراسان الخليفة واشتكى رجل من الموالي من بني ضبّة يكنّى أبا الصيداء، كان حاضرا بالوفد للخليفة من مشاركة عشرين ألفا من الموالي في الجهاد بدون أن يأخذوا عطاء ولا رزقا كالمقاتلة العرب المسلمين. أي أنّهم لم يسجّلوا في الديوان.

كما ذكر هذا المولى للخليفة أنّ أهل الذمّة الذين أسلموا كانوا يدفعون الخراج [4]. فأمر الخليفة عمر بن بعد العزيز الجرّاح بن عبد الله الحكمي والي

1) التوبة 9/ 29.
E.I², tII *Djizya.*
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 569.
يحيى بن آدم، **كتاب الخراج**، القاهرة 1347 هـ، ص 21.
ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 154.
3) عبد العزيز الدوري، *نظام الضّرائب في صدر الإسلام*، **مجلّة مجمع اللّغة العربيّة بدمشق**، أبريل 1974، ج 2، المجلّد 49، ص 44-60 .
E.I², tIII *Kharadj.*
4) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 559.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 362.

خراسان من قبله أن يضع الجزية عن كلّ من يصلّي إلى القبلة. أحدث الخليفة عمر بن عبد العزيز باتّخاذه هذا القرار ثورة على سياسة الحجّاج ذات الطابع العربي الضيّق [1].

كما رفع سليمان بن أبي السريّ عامل سمرقند من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز الخراج أو الجزية عن الموالي بسمرقند [2]. ووضع الخليفة عمر بن عبد العزيز الجزية عمّن أسلم من أهل الذمّة من أهل مصر، وألحق في الديوان صلح من أسلم منهم في عشائر من أسلموا على يديه [3]. كما ألغى الخليفة عمر وظيفة الخراج التي وظّفها محمّد بن يوسف الثقفي عامل الحجّاج على أهل اليمن.

وأمر واليه أن يقتصر على العشر أي الصدقة والزكاة التي يدفعها المسلمون للدولة [4]. كما أسلم بقيّة البربر بإفريقية في عهد اسماعيل بن أبي المهاجر والي إفريقية من قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز. فقد دعاهم الوالي إلى ذلك، وكان معه عشرة من التابعين علّموهم دينهم [5]. أصلح الخليفة عمر بن عبد العزيز وضعيّة الموالي بخراسان والعراق ومصر وإفريقية واليمن. وهذا يرجع لإرادته تطبيق المبادئ القرآنيّة.

لكنّ هذه الوضعيّة تغيّرت في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك فقد اتّبع يزيد بن أبي مسلم والي إفريقية من قبل الخليفة يزيد بن عبد الملك نفس السياسة الجبائية المجحفة التي اتّبعها الحجّاج بن يوسف مع أهل الذمّة الذين أسلموا. فقد وظّف عليهم الجزية فثار عليه أهل إفريقيّة وقتلوه [6].

---

1) Gibb (H.A.R), *The Fiscal Rescprit of Umar II*, **Arabica** 1955, T II, p 1-16

2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 567-568.

3) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 155.

4) اللاذري، **فتوح**، ص 99-100

E.I², tIV *Ushr*.

Denett, **Conversion**, p 38.

5) ابن عذاري، **مصدر مذكور**، ج 1، ص 48.

ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 65.

6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 617.

الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 57.

اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 376.

ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 214.

Dennett (D.C), **Conversion**, p 98.

وأقرّ الخليفة يزيد بن عبد الملك تعيين أهل إفريقية لمحمّد بن يزيد مولى الأنصار واليا عليها بعد قتلهم ليزيد بن أبي مسلم [1]. كما أعاد الخليفة يزيد بن عبد الملك توظيف الخراج على أهل اليمن [2]. وواصل الأمويّون اتباع هذه السياسة مع الموالي في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. فقد كلّف أشرس بن عبد الله السلمي والي خراسان صالحا بن طريف مولى بني ضبّة بدعوة هل ما وراء النّهر إلى الإسلام, واشترط أبو الصيداء على الوالي أن يأخذ الجزية ممّن أسلم فأجابه الوالي إلى ما اشترط [3].

لكنّ تراجع موارد الخراج دفع بالوالي لتوظيف الجزية أو الخراج على من أسلم من أهل سمرقند. دفعت هذه الوضعيّة المجحفة بالموالي للتحالف مع السغد في ثورتهم على الوالي. وقد أصلح نصر بن سيّار الليثي والي خراسان من قبل يوسف بن عمر الثقفي نظام الخراج بخراسان. وبالتالي انعكس ذلك على وضعيّة الموالي بخراسان.

فقد حدّد نصر بن سيّار أنّ الخراج لا يُقبل إلاّ من أهل الذمّة. ورفع الجزية عن رؤوس ثلاثين ألف مسلم وحولّها لثمانين ألف رجل من المشركين [4]. جاء هذا الإصلاح متأخّرا لأنّ حقد الموالي بخراسان أساسا تراكم على الأمويّين لظلمهم لهم وعدم الاعتراف بهم كفئة اجتماعيّة فاعلة في تركيز الإسلام والدولة الأمويّة. وهذا ما دفعهم للانضمام للدعوة العبّاسية [5]. كما ثار مسلمو البربر بعد أن أراد اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب والي طنجة من قبل أبيه عبيد الله بن الحبحاب والي إفريقيّة والأندلس في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أن يخمّسهم رغم أنّهم فيء المسلمين [6].

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 617.
2) البلاذري، فتوح، ص 99-100.
ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 67-68.
3) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 54-56.
4) الطبري، مصدر مذكور، ج 7، ص 173.
Dennett, Idem, p 124-128.
5) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 562.
6) ابن الأثير، مصدر مذكور، ج 5، ص 191.
ابن عذاري، مصدر مذكور، ج 1، ص 52.
E.I², tIII *Fay*.

كان الخلفاء والولاة الأمويّون ما عدا الخليفة عمر بن عبد العزيز ونصر بن سيّار اللّيثي متعصّبين للعرب وحريصين على عدم تراجع الموارد المالية للدولة. ويرجع هذا التصرّف لاكتساب الأمويّين نظرة عرقيّة لدار الإسلام وبالتالي اعتبار فالعنصر العربي هو العنصر المسلم الوحيد، ولا اعتبار للعناصر الأعجميّة. كما تجاهل الأمويّون هذه الجدليّة التاريخيّة التي أدّت إلى إسلام عدد هامّ من أهل الذمّة.

✓ أهل الذمّة

إنّ أهل الذمّة هم أهل العهد الذين يؤدّون الجزية من المشركين كلّهم وأهل الكتاب. وقد تنوّعت علاقات الأمويّين بأهل الذمّة إذ شملت علاقات الأمويّين بأهل الذمّة بالشام وعلاقة الأمويّين بأهل الذمّة في الولايات.

o **علاقة الخلفاء الأمويّين بأهل الذمّة بالشام**

سلك الخليفة معاوية سياسة متسامحة مع نصارى الشام حيث ترك لهم القيام بطقوسهم. وكانت نتيجة هذه التصرّفات المتسامحة أن بقي معاوية حاضرا في الأذهان رغم مرور عدّة سنوات على موته فقد تواصل ذكره حتّى في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان [1]. وضع الخليفة يزيد بن معاوية الخراج على أراضي السامرة – وهم يهود – بالأردن. وجعل على رأس كلّ امرئ منهم خمسة دنانير وقد صالحهم عبيدة ابن الجرّاح على جزية رؤوسهم وأطعمهم أرضهم [2]. وأضاف الخليفة يزيد بن معاوية مداخيل خراج جديدة لخزينة الدولة بتوظيفه للخراج. تميّز هذا التصرّف بنوع من التسلّط تجاه هؤلاء اليهود بما أنّه غيّر محتوى المعاهدة الأولى معهم. واشتكى مسيحيّو دمشق للخليفة عمر بن عبد العزيز هدم الخليفة الوليد بن عبد الملك كنيستهم وبناء المسجد–الجامع بدمشق على أنقاضها. فقد انتظر المسيحيّون ولم يردّوا الفعل طيلة فترة الخليفة الوليد بن عبد الملك وفترة الخليفة سليمان بن عبد الملك.

ولم يطالبوا بحقّهم إلاّ في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز لأنّه كان مستعدّا لحلّ الكثير من التجاوزات التي قام بها الخلفاء الأمويّون. واقترح عليهم الخليفة عمر أن يردّ لهم الكنيسة ويهدم كنيسة توما لأنّها فتحت عنوة، وتبنى هذه الكنيسة

---

1) البلاذري، مصدر مذكور، القسم 4، ج 1، ص 82.
2) البلاذري، فتوح، ص 216.

مسجدا [1]. عندها طلب المسيحيّون أن تبقى لهم كنيسة توما على حالها ويبقوا على المسجد-الجامع الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك [2]. كان الخليفة عمر بن عبد العزيز حريصا على إرجاع حقوق نصارى دمشق بعد أن سلبهم الخليفة الوليد حقوقهم.

ويتنزّل هذا التصرّف من قبل الخليفة عمر في إطار تطبيق المبادئ القرآنيّة من عدل بين الناس سواء كانوا مسلمين أو أهل ذمّة من نصارى ويهود. وأرسل الوليد بن هشام المعيطي والي قنسرين للخليفة عمر بن عبد العزيز يخبره أنّ أهل الذمّة شكوا إليه المسلمين الذين نزلوا منازلهم، فكتب إليه الخليفة عمر أن يخرج المسلمين الذين سكنوا منازل أهل الذمّة. وقد صالح أهل الذمّة على هذه المنازل. لكنّ الوالي وجد أنّ عدد هؤلاء المسلمين قليل فكفّ عن ذلك [3].

كان الخليفة حريصا على إرجاع حقوق أهل الذمّة بقنسرين. كما اتّبع الخليفة عمر سياسة صارمة مع النصارى بالشام وبغيرها من الولايات. فقد أمر أن يأخذ السلاح من بيوت النصارى إذا وجد بها [4]. كان الخليفة عمر متخوّفا من تغلّب النصارى على المسلمين. فحرص على إعطاء حقوق أهل الذمّة لكنّه كان أشدّ حرصا على حماية المسلمين والإسلام. وأمر الخليفة عمر أن يلبس النصارى بالشام وبغيرها من الولايات لباسا خاصّا [5]. أراد الخليفة عمر أن يميّز النصارى على المسلمين وبالتالي فهو قد اتّبع نوعا من "التمييز العنصري" مع النّصارى. وقد أوردت المصادر معلومات قليلة حول علاقة الخلفاء الأمويّين بأهل الذمّة بالشام. كما أنّها ذكرت معلومات قليلة حول الخراج الذي يدفعه أهل الذمّة بالشام. فالمصدر الوحيد الذي ذكر مقادير الخراج بالشام في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، هو اليعقوبي.

---

1) إنّ كلّ ما كان خارجا من المدينة افتتح عنوة.

2) الطبري، مصدر مذكور، ج 6، ص 466.

3) ابن سلاّم، مصدر مذكور، ص 153.

4) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 140.

5) ابن عبد الحكم، سيرة عمر، ص 140.

سلوى بالحاج صالح – العايب، المسيحيّة العربيّة وتطوّراتها من نشأتها إلى القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، بيروت 1997، ص 208.

خراج الشام في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [1]

خراج فلسطين	خراج الأردن	خراج دمشق	خراج حمص	خراج قنسرين والعواصم
أربعمائة وخمسون ألف دينار	مائة وثمانون ألف دينار	أربعمائة ألف وخمسون ألف دينار	ثلاثمائة وخمسون ألف دينار	أربعمائة ألف وخمسون ألف دينار

بلغ مجموع خراج الشام في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان مليونا وثمانين ألف دينار، وهو مقدار هامّ نسبيّا. لكنّنا لا نستطيع أن نقارنه بفترات أخرى من التاريخ الأموي ومن معرفة تطوّر مقادير الخراج بالشام من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. ويبدو من خلال هذه الأرقام أنّ خراج دمشق وخراج قنسرين والعواصم هما أكثر من خراج الأجناد الأخرى. وهذا يرجع لثراء هذين الجندين بالمقارنة مع الأجناد الأخرى. كانت للخلفاء الأمويّين علاقة خاصّة بأهل الذمّة بالشام. فقد تركوهم يمارسون طقوسهم الدينيّة بكل حرّية، لكنّهم عاملوهم على أساس نظرة عرقيّة. وهذه النظرة مرتبطة بالمقوّمات الاجتماعيّة والإيديولوجيّة للدّولة حيث حابى الأمويّون أشراف قريش والقبائل على حساب أهل الذمّة. فما هي علاقة الأمويّين بأهل الذمّة في الولايات؟

- **علاقة الأمويّين بأهل الذمّة في الولايات**

+ **علاقة الأمويّين بأهل الذمّة في العراق**

♣ **علاقة الأمويّين بأهل الذمّة في الكوفة**

اشتكى النجرانيّة بالكوفة للخليفة معاوية بن أبي سفيان والخليفة يزيد بن معاوية تفرّقهم وموت من مات وإسلام من أسلم منهم وأحضروا له كتاب عثمان بن عفّان بما حطّهم من الحلل [2]. وقالوا له بأنّهم ازدادوا نقصانا وضعفا، فرقّ معاوية وابنه يزيد لحالهم. واتّبعا الخليفة عثمان بن عفّان في إنقاص الخراج عنهم (مائتي حلّة).

1) اليعقوبي، مصدر مذكور، ج 2، ص 277-278.
2) البلاذري، فتوح، ص 91.
ابن جعفر، مصدر مذكور، ص 273-247.
ابن سلاّم، مصدر مذكور، ص 144.

لكن الحجاج بن يوسف اتّهمهم بالانضمام لثورة ابن الأشعث، فوظّف عليهم خراجا أو جزية مرتفعة بلغت ألف وثمانمائة حلّة بالإضافة إلى اشتراطه الحلل الوشي [1]. فلمّا ولّي الخليفة عمر بن عبد العزيز شكوا إليه فناءهم ونقصانهم وإغارة الأعراب عليهم وظلم الحجّاج لهم، فأحصاهم الخليفة عمر واعتبر أنّ الصلح معهم هو جزية على رؤوسهم وليس بصلح على أراضيهم. كما أنّ جزية الميّت والمسلم ساقطة. وفرض عليهم الخليفة عمر بن عبد العزيز مائتي حلّة قيمتها ثمانية ألف درهم [2]. كان الخليفة معاوية أو الخليفة يزيد متساهلين ومرنين في علاقتهما بالنجرانيّة أي نصارى نجران. بينما تشدّد الحجّاج معهم بدافع سياسي.

فقد أراد تجميع الأموال وتعويض تراجع المداخيل الماليّة للعراق. لكن الخليفة عمر بن عبد العزيز خفّف من الضّرائب الموظّفة عليهم بدافع تطبيق المبادئ القرآنيّة [3]. وأراد الخليفة الوليد بن عبد الملك أن يجعل أهل السواد فيئا، فأخبره أحد الفقهاء أنّ الخليفة عمرا بن الخطّاب جعلهم ذمّة تؤخذ منهم الجزية ومن أرضهم الخراج وهم ذمّة لا رقّ عليهم. أراد الخليفة الوليد بن عبد الملك أن يستأثر بالسواد لتوفير موارد ماليّة جديدة، لكنّه تراجع عن ارتكاب هذا الخطإ الفادح في حقّ أهل الذمّة بالسواد [4]. وأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز واليه على الكوفة أن يقوّي أهل الذمّة بمنحهم ما فضل من المال بعد منح المقاتلة أعطياتهم، ومنح من كان لديه دينا ولم يقدر على تسديده.

كما أعفى الخليفة عمر بن عبد العزيز أهل الذمّة بالسّواد من الجزية لمدّة سنتين [5]. لم يكن عمر يبالي بالجانب المادي كالحجّاج لأنّ الأهمّ بالنّسبة إليه هو إرجاع حقوق أهل الذمّة. وبنى خالد بن عبد الله القسري والي العراق وخراسان في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك لأمّه بيعة بالكوفة، وقد كانت أمّه نصرانيّة [6]. إنّ

---

1) البلاذري، **فتوح**، ص 91.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 91.
3) تحول الجزية إلى ضريبة على الرؤوس في عهد عمر بن عبد العزيز بعد ان كانت ضريبة على الرؤوس والأرض معا.
سلوى بالحاج صالح – العايب، **مرجع مذكور**، ص 194.
4) البلاذري، **فتوح**، ص 371.
5) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 63.
6) البلاذري، **فتوح**، ص 402.
البلاذري، **مصدر مذكور**، ج 6، القسم 2، ص 160.
فلهاوزن، **مرجع مذكور**، ص 319.

خالدا بن عبد الله كان متسامحا مع النصارى لأنّ أمّه نصرانيّة. وقد كان هذا التّسامح مع النصارى أحد التهم التي وجّهها له أعداؤه. كما خطب خالد خطبة في أهل العراق ذكر فيها أنّه جمع الخراج بدون أن يظلم مسلما أو معاهدا [1]. فهل يمكن أن نثق في هذا الاعتراف الذي قام به خالد بن عبد الله (خاصّة أنّ المصادر لم تذكر معلومات مطابقة لهذه)؟

كانت علاقة الخلفاء والولاة الأمويّين بأهل الذمّة بالكوفة مختلفة ومتباينة. فقد عامل الخليفة معاوية وابنه يزيد أهل الذمّة برفق وكذلك الخليفة عمر بن عبد العزيز وخالد بن عبد الله القسري. لكنّ الحجّاج تشدّد معهم ممّا سيغذّي حقد هذه الفئة الاجتماعيّة على الخلفاء والولاة الأمويّين. كان الحجّاج شديد الحرص على تركيز الإيديولوجيا الأمويّة ومتعصّبا للعرب على حساب العجم. وقد أدّى ذلك إلى تغذية حقد أهل الذمّة على الأمويّين.

فكيف كانت علاقة الأمويّين بأهل الذمّة بالبصرة؟

♣ علاقة الأمويّين بأهل الذمّة بالبصرة

كتب عديّ بن أرطاة عامل الخليفة عمر بن عبد العزيز على البصرة أنّ أناسا من قبله لا يؤدّون الخراج إلاّ تحت العذاب [2]. فأرسل إليه الخليفة عمر يحذّره من تعذيبهم، ويأمره بالكفّ عنهم لأن لا يلقى الله بعذابهم. تعوّد عديّ بن أرطاة بسياسة الولاة والخلفاء الأمويّين الصارمة مع أهل الذمّة. لكن غيّر الخليفة عمر بن عبد العزيز هذه السياسة بأخرى ليّنة.

إنّ المصادر شحيحة فيما يخصّ علاقة الخلفاء والولاة الأمويّين بأهل الذمّة بالبصرة. كان أهل الذمّة بالعراق يدفعون الجزية على رؤوسهم والخراج على الأرض. وقد ذكرت المصادر مقادير الخراج بالعراق. فقد جبى زياد من كور البصرة أو سواد البصرة وهي دستميسان والأهواز وفارس ستّين ألف ألف درهم. وجبى من سواد الكوفة وهو كسكر والزاب وحلوان والقادسيّة أربعين ألف ألف [3]. أي أنّ جباية العراق بلغت في عهد زياد مائة ألف ألف درهم. وكان خراج السواد في عهد

---

1) ابن عساكر، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 71.
2) أبو يوسف، **كتاب الخراج**، القاهرة 1302 هـ، ص 122.
3) البلاذري، **مصدر مذكور**، القسم 4، ج 1، ص 218-219.

الحجّاج أربعين ألف ألف درهم أو ثمانية عشر ألف ألف درهم أو خمسة وعشرين ألف ألف درهم [1].

تراجع الخراج بالعراق في عهد الخليفة معاوية وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان والخليفة الوليد بن عبد الملك بالمقارنة مع عهد الخليفة عمر بن الخطّاب. فقد كان الخراج في السّواد في عهد عمر يبلغ مائة ألف ألف درهم [2]. وقد يفسّر هذا التّراجع بتعدّد الثورات التي نشرت الفوضى، واستئثار الخلفاء منذ عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان بأراضي الصوافي. وارتفعت جباية السّواد في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى مائة ألف ألف وأربعة وعشرين ألف ألف درهم [3]. إنّ أرقام الجباية التي أوردتها المصادر لم تذكر أرقام الجباية خلال الفترة الأمويّة كلّها بل هي متفرّقة. كما أنّها لم تحدّد بدقّة أبواب الجباية ومصادرها وهل اقتصرت على الخراج أم شملت ما يجبى من أراضي العشر والجزية والتجارات والمكوس والهدايا وغيرها [4]. وقد كلّف الأمويّون الدهّاقين – وهم رؤساء القرى وأعضاء طبقة النبلاء الصغار والإقطاعيّين بالدولة الساسانيّة – بجمع الجباية أو الخراج [5].

ويرجع استعمال الدهّاقين لعبيد الله بن زياد والي البصرة من قبل الخليفة معاوية بن أبي سفيان. ويعود هذا التوظيف للدهّاقين بعد استعماله عمّالا من العرب كسروا الخراج [6]. وتواصل استعمال الدهّاقين لجمع الجباية بالعراق في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان والى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [7]. حافظ الخلفاء والولاة الأمويّون على أعوان النظام الساساني في جمع الضّرائب أو الخراج بالعراق الذين تشدّدوا في أخذ الخراج من أهل الذمّة.

---

1) البلاذري، **فتوح**، ص 377-378.
المقدّسي، **مصدر مذكور**، ص 133.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 349 .
المسعودي، **التنبيه**، ص 317.
2) البلاذري، **فتوح**، ص 377-378.
3) المقدّسي، **مصدر مذكور**، ص 133.
4) أحمد صالح العلي، **الخراج في العراق في العهود الإسلامية الأولى**، بغداد 1990، ص 315.
5) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 257
.E.I², tII 1 *Dihkan.*
6) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 5، ص 522-523.
7) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 257.
اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 388.

فهل تعرّض أهل الذمّة بخراسان لنفس هذه المعاملات؟

- **علاقة الأمويّين بأهل الذمّة بخراسان**

طلب قتيبة بن مسلم الباهلي والي خراسان من قبل الحجّاج والي العراق والمشرق في عهد الوليد بن عبد الملك من أخيه بعد أن استخلفه على سمرقند عند فتحها أن لا يترك مشركا يدخل في أبواب سمرقند إلاّ مختوم اليد [1]. يعبّر هذا التصرّف عن تصلّب هذا الوالي "تلميذ" الحجّاج مع أهل الذمّة. وقد تغيّرت هذه السياسة في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إذ أمر عامله على الحرب والصلاة بخراسان أن لا يهدم كنيسة ولا بيعة صولحوا عليها [2]. تميّز الخليفة عمر بن عبد العزيز بتسامحه مع النصارى واليهود. ولم تذكر المصادر ما هي علاقة الأمويّين بأهل الذمّة بخراسان من عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. كما لم تذكر المصادر مقادير الجباية أو الخراج بخراسان. اتّبع الأمويّون نفس السّياسة التي اتّبعوها مع أهل الذمّة بالشام وبالولايات. وهي تتمثّل في تركيز المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة.

فهل كانت المصادر أكثر إطالة في الحديث عن علاقة الأمويّين بأهل الذمّة باليمن؟

- **علاقة الأمويّين بأهل الذمّة باليمن**

أرسل الخليفة عمر بن عبد العزيز لعروة بن محمّد عامله على اليمن يأمره بأن يتسامح مع أهل الذمّة حتّى لو أنّ المداخيل المتأتّية من اليمن لصالح الخليفة كانت بسيطة [3]. اتّبع الخليفة عمر بن عبد العزيز سياسة ليّنة مع أهل الذمّة في جباية الخراج أو الجزية. فلم تكن تهمّه الموارد الماليّة الهامّة مثلما كانت تهمّ الحجّاج والخلفاء الأمويّين الآخرين. ولم تذكر المصادر ما هي علاقة الخلفاء الأمويّين الآخرين بأهل الذمّة باليمن ما عدا رقما أورده اليعقوبي عن الخراج باليمن في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان [4]. وقد بلغ مقدار الخراج باليمن ألف ألف ومائتي ألف دينار وربّما تسعمائة ألف دينار. إنّ هذا الرقم يبقى غير واضح لأنّنا لا نستطيع أن نقارنه بأرقام أخرى. إنّ قلّة المعلومات بالمصادر تجعل دراسة هذا العنصر منقوصة.

---

1) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 480.
2) الطبري، **مصدر مذكور**، ج 6، ص 572.
3) ابن عبد الحكم، **سيرة عمر**، ص 108.
4) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 278.

فهل أنّ هذه الاستنتاجات تنطبق على دراسة علاقة الأمويّين بأهل الذمّة بمصر؟

- علاقة الأمويّين بأهل الذمّة بمصر

كتب الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى وردان عامله على خراج مصر أن يزيد على كلّ رجل منهم قيراطا (والمقصود بهم الأقباط) (1). فكتب وردان إلى الخليفة معاوية "كيف تزيد عليهم وفي عهدهم أن لا يزاد عليهم شيء". ويرى ابن سلاّم أنّ معاوية اعتقد أنّ الأقباط يزاد عليهم لأنّ أرضهم فتحت عنوة فلهذا استجاز الزيادة. وكانت عند وردان صلحا فكره الزيادة. وعلى هذا الأساس، اختلفا ولم تذكر المصادر إن وقعت هذه الزيادة أم لا. أراد الخليفة معاوية بن أبي سفيان اكتساب موارد إضافيّة من الخراج بمصر. وهذا التصرّف ربّما يضرّ بأهل الذمّة أو الأقباط. سمح مسلمة بن مخلّد الأنصاري والي مصر والمغرب في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ببناء أوّل كنيسة بفسطاط مصر. ممّا أثار ضدّه غضب المقاتلة لكنّه فسّر لهم أنّها خارجة عن قيروان المقاتلة فسكتوا (2). كان مسلمة بن مخلّد منفتحا على النصارى وتركهم يمارسون دينهم في هذا المجتمع العربي الإسلامي بمصر.

وتميّزت سياسة أسامة بن زيد التنوخي عامل الخراج على مصر من قبل الخليفة سليمان بن عبد الملك بإجحافها. فقد كان متشدّدا وصارما في استخلاص الخراج من الأقباط أو أهل الذمّة بصفة عامّة (3). وتواصلت نفس هذه السياسة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. وقد ذكر الكندي أنّ عبيد الله بن الحبحاب صاحب خراج مصر في ولاية الحرّ بن يوسف بن أبي العاص كتب للخليفة هشام بن عبد الملك بأنّ أراضي مصر تحتمل الزيادة. فزاد على كلّ دينار قيراطا فثار عليه الأقباط وبعث إليهم الوالي بالمقاتلة فحاربهم وقتلوا منهم الكثير وهي أوّل ثورة للقبط سنة 107 هـ (4). حمّل عبيد الله بن الحبحاب القبط أكثر من طاقتهم بفرض هذه الضرائب عليهم. وعلى هذا الأساس، سخط الأقباط على الأمويّين وثاروا عليهم.

---

1) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 86.
البلاذري، **فتوح**، ص 305.
ابن سلاّم، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 144.
2) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 132.
3) الجهشياري، **مصدر مذكور**، ص 51-52.
4) الكندي، **ولاة**، ص 95.

وخرج الوليد بن رفاعة والي مصر من قبل الخليفة هشام بن عبد الملك ليحصي أهلها وينظر في تعديل الخراج عليهم. فلم يحصي فيها في أصغر قرية منها، أقلّ من خمسمائة رجل يفرض عليهم الجزية [1]. فأهل الذمّة قلّ عددهم لأنّ أغلبهم دخل الإسلام. وقد حاول الوليد بن رفاعة أن ينصفهم بعد أن أساء إليهم عبيد الله بن الحبحاب. لكن جاءت هذه المحاولة متأخّرة لأنّ الأقباط لم يعودوا يحتملون ظلم الأمويّين. كما أذن الوليد بن رفاعة للنصارى في ابتناء كنيسة. وهذا يبيّن أنّه متسامح معهم [2].

واتّصف الأمويّون باتباع سياسة استغلاليّة مع أهل الذمّة بمصر من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك ما عدا فترة الخليفة عمر بن عبد العزيز. وقد استخلص الأمويّون الخراج الذي بلغ مقداره في عهد الخليفة معاوية ثلاثة آلاف ألف دينار [3].

وانخفض هذا المقدار في الفترات الأخرى من الحكم الأموي إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك إذ كان الخراج دائما دون الثلاثة آلاف ألف [4]. ويرجع هذا النقص إلى الثورات التي خرّبت الأراضي. وبلغت جزية الإسكندريّة ثمانية عشر ألف دينار، ولم يذكر في أيّ عهد وصلت قيمة الخراج هذا الحدّ.

وارتفعت هذه الجزية لستّة وثلاثين ألف دينار في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك [5]. إنّ عدم دقّة هذه الأرقام تجعل هذه الدراسة منقوصة. فقد اتّبع ولاة مصر سياسة متباينة مع أهل الذمّة، فمن ناحية كانوا متسامحين معهم ومن ناحية أخرى ركّزوا المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة للدّولة الأمويّة على أساس التعصّب للعنصر العربي على حساب العجم.

لقد قامت الدولة الأمويّة على فئات اجتماعيّة متنوّعة كبني أميّة والأشراف والفقهاء. واستعملت معهم وسائل ماديّة ومعنويّة لكسبهم كإكرامهم وشراء ضمائرهم بالأموال ومنحهم المناصب السياسيّة. لكنّ كل هذه الفئات كانت دعامة اجتماعيّة هشّة لأنّها فئات نخبويّة. بينما همّشت فئات أخرى عن المسار التاريخي، استعملت ضدّها العنف والقهر والقتل والاستغلال الاقتصادي.

---

1) ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 156.
2) الكندي، **ولاة**، ص 99.
3) اليعقوبي، **مصدر مذكور**، ج 2، ص 277.
4) المقريزي، **الخطط**، ج 1، ص 98-99.
5) البلاذري، **فتوح**، ص 313.

الخاتمـــة

حاولنا في هذه الكتاب دراسة الدولة الأمويّة خلال خمس وثمانين سنة. فقمنا بتعريف هيكل الدولة أي مؤسّساتها من جهة ومقوّماتها الإيديولوجيّة والاجتماعيّة من جهة ثانية. وقد توخّينا الموضوعيّة بقدر الإمكان علّنا نبتعد عن التقييم المتطرّف سواء السلبي منه ممثّلا في معاداة بعض المصادر الإسلامية (كالمصادر الشيعيّة) أو الإيجابي ممثّلا في تمجيد المستشرقين (كفلهاوزن ولامنس)، وذلك بمحاولة الوقوف على مواطن القوّة في تلك الدولة ومكامن الضعف فيها. فاتّضح لنا أنّ الدولة الأمويّة حافظت على طابع بسيط رغم التعقيد الذي بدأ يظهر على هيكلها ويبدو هذا الطابع البسيط في مظاهر السلطة كالتشريفات والتاج والخاتم والنقود والعمارة.

فقد تطورت كل هذه المظاهر لكنّها بقيت بسيطة مقارنة مع مظاهر السلطة في العهد العبّاسي. فرغم هذا الطابع البسيط، فقد أصبحت الدولة الأمويّة على درجة كبيرة من التّراتبيّة. ولم يحتفظ الأمويّون بمؤسّسات دولة الرسول والخلفاء الأوائل فقط. بل أسّسوا مؤسّسات جديدة كديوان الرسائل والخاتم والبريد والطراز. وظهر الفقه وتطوّر في إطار المنصب الإداري للقاضي. وكان هذا التطوّر على المستوى الأفقي. كما كان هذا التطوّر ثنائيًا بعاصمة الخلافة أي على المستوى المركزي وبالولايات. أمّا على المستوى العمودي، فكان الخليفة الأموي ممركزا للسّلطة السياسيّة والدينيّة وإليه يرجع الولاة بالنّظر.

ثبّت الخلفاء والولاة الأمويّون مبدأ الدولة بكلّ ما يحمله من مظاهر الأبّهة والفخامة والوراثة والتراتبيّة [1]. فاستحدثوا عملة خاصّة (أي عملة ذات طابع عربي اسلامي) وشيّدوا مساجد وقصورا ضخمة كالمسجد الجامع الذي بناه الخليفة الوليد بن عبد الملك بدمشق وقصر الحير الغربي الذي بناه الخليفة هشام بن عبد الملك. كما استنبطوا تشريفات خاصّة بهم كالإبعاد بين الخليفة والناس او "البروتوكول". وأسّسوا الحكم السلالي أو الأسروي، فتوارثوا بذلك الحكم من عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان إلى آخر عهد الخليفة هشام بن عبد الملك أي من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني (انحصر الملك في الفرع المرواني في أبناء الخليفة عبد الملك بن مروان). وكانت نتيجة ذلك كلّه أيّام الأمويّين تعميق الإحساس بـــ"السّياسي" والمقصود بالسّياسي

---

1) الفضل شلق، الجماعة والدولة، ص 38.

هو تدعيم المؤسّسات ومظاهر الملك التي تقوّي الدولة كهيكل وتزيد من سلطة الخليفة كما كانت عليه الحال أيّام البيزنطيّين والساسانيّين [1].

لكن لم يتعارض تركيزهم للسياسي مع دعمهم للدين. فقد دعّم الأمويّون الإسلام بتعميقهم لإيديولوجيا الجهاد وهذه الإيديولوجيا قائمة بطبيعة الدولة الإسلامية والدين الاسلامي الذي يحرّض على نشر الإسلام بين الأمم، فحافظوا على دار الإسلام ووسّعوها حيث امتدّت رقعة الدولة الأمويّة إلى بلاد ما وراء النّهر وحدود الصين شرقا والأندلس غربا. على هذا الأساس، تعتبر الدولة الأمويّة الدولة الإسلامية الوحيدة التي حقّقت حركة انتشار هامّة ولم تتمكّن الدولة اللاحقة خاصّة الدولة العبّاسية من تحقيق حركات انتشار مماثلة للأمويين وعرّب الأمويّون النّقود والدّواوين، فحقّقوا استقلالا عن البيزنطيّين والساسانيّين.

وأكّدوا الهويّة العربيّة الإسلامية. وشيّد الأمويّون المساجد حتّى يتعالى فيها ذكر الله. وحافظ الأمويّون على الأمّة من الفرقة والتشتّت والفتنة بفضل تعميق إيديولوجيا الطاعة ولزوم الجماعة ويتنزّل في هذا الإطار القضاء على ثورات الخوارج والشيعة وثورة ابن الأشعث وثورة يزيد بن المهلّب.

أنجز الأمويّون إنجازات دينيّة وسياسيّة وإيديولوجيّة وحضاريّة هامّة لم يحقّقها الخلفاء العبّاسيّون فيما بعد. ومع ذلك، لم تخل الدولة الأمويّة من عدّة سلبيّات أو نقاط ضعف. فقد كانت الشرعيّة التاريخيّة أو الدينيّة للأمويّين منقوصة، فقد كان الأمويّون من "الطلقاء"حيث أسلموا بعد فتح مكة سنة 8هـ وبالتالي فإن إسلامهم بالمقارنة مع الصحابة وذوي السابقة والقدمة في الإسلام منقوص. فرغم الاعتراف بضرورتها ورغم الدّعوة الدّائمة لطاعتها والرّضوخ لمشيئتها كانت الدولة الأمويّة تفتقر لاعتراف كامل بشرعيّتها [2]. يرجع هذا النّقص في "الإسلامية" للإقليميّة الشاميّة حيث أخضع الأمويّون الثّائرون خاصّة بولاية العراق بتوظيف الهيمنة العسكريّة الشاميّة (بناء واسط). كما همّش الأمويّون بقيّة المقاتلة بالولايات الأمويّة، ولم يعتمدوا إلاّ على جند الشام الذي أصبح جيش الدولة.

كما يتمثّل هذا النّقص في "الإسلامية" في الاستحواذ على الأمر أي حصر الملك في سلالة. فقد توارث الأمويّون الحكم مخترقين "التّقاليد الإسلامية" في الحكم

1) إيرا لابيدوس، **مقال مذكور**، ص 120.
2) الفضل شلق، **مقال مذكور**، ص 38.

كالشّورى والسّابقة (فقد عيّن أبو بكر الصدّيق وعمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب خلفاء حسب السابقة بينما انتخب عثمان بن عفان خليفة عن طريق مجلس الشورى الذي عيّنه الخليفة عمر بن الخطاب. ويتكوّن هذا المجلس من علي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وعبد الرحمان بن عوف وسعد بن أبي وقّاص والزبير بن العوّام وطلحة بن عبيد الله وهؤلاء الأشخاص هم من الصحابة أي أصحاب السابقة والقدمة) [1]. كما أنّ شتم الأمويّين لابن عمّ الرسول وختنه عليّا، ساهم في انتقاص شرعيّتهم عوضا عن تقويتها. كما بيّن هذا الشتم غيرة الأمويّين من علي وقلّة إحساسهم بالثقة في أنفسهم رغم نجاحهم "السياسي" النسبي. واستند الأمويّون على إيديولوجيا الارتباط بذكرى عثمان وقضيّته كإمام شهيد فقد اعتبر معاوية بن أبي سفيان والي الشام لدى الخليفة عثمان بن عفان أنّ عثمانا وليّه وقد قتل مظلوما وبالتالي طالب بدمه من باب القصاص القرآني. لكنّ هذا العنصر الإيديولوجي بدا ضعيفا تجاه الانتقادات اللاّذعة والهجومات العنيفة على عثمان من طرف المعارضة الخارجيّة والشيعيّة.

فقد وصفت هذه المعارضة عثمانا بالجائر والمحابي لذوي قرابته والمسرف في صرف الأموال لخدمة مصالحه الخاصّة على حساب المسلمين أو مجموع الأمّة. وعتّم الأمويّون على القرآن والسّنة، فقد غيّبوا ذكر الرسول في خطبهم، فساهموا في إضعاف شرعيّتهم التاريخيّة المنقوصة. وكان للأمويّين نظرة عرقيّة لدار الإسلام حفاظا على إيديولوجيا عروبة الدولة. وهذا يمثّل امتدادا لانتمائهم لأشراف قريش (أي أشرف قبائل العرب). كما استند الأمويّون على فئات اجتماعيّة نخبويّة على حساب مجموع الأمّة أو المقاتلة. فقد قرّبوا أبناء عشيرتهم من بني أميّة وأغدقوا عليهم الأموال وبوّؤوهم المناصب السياسيّة. كما اعتمدوا على الأسياد والأشراف لتأطير القبائل. وقرّبوا "فئة الفقهاء" التي احتكرت العلم والفقه. فغيّب الأمويّون فئات فاعلة في المجتمع الأموي وهي فئة الموالي وأهل الذمّة.

إنّ تجاهل الأمويّين لهذه الحركيّة التاريخيّة سيساهم في سقوط دولتهم. كما أنّ الثّورات تعدّدت خاصّة بالعراق نتيجة ضعف المقوّمات الاجتماعيّة للدّولة الأمويّة فقد ثار الشيعة والخوارج كما ثار ابن الأشعث ويزيد بن المهلّب. على هذا الأساس، فإنّ الركائز أو الأسس الإيديولوجيّة للأمويّين كانت واهية ممّا أدّى إلى سقوط دولتهم. ويعتقد رضوان السيّد أنّ الدولة الأمويّة سقطت لتفاقم آختلال التّوازن المفروض توفّره

---

1) الطبري، مصدر مذكور، ج4، ص228-240.

بين "السياسي" و"الديني" في الدولة وذلك في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك. حيث ظهرت "فئة الفقهاء" و"فئة أهل الحديث" وهما من حملة العلم، فكسبتا "المرجعيّة الإسلامية" على حساب السّلطة [1]. فقد شجّع الخلفاء الأمويّون منذ عهد الخلفية عبد الملك بن مروان على التعمّق في الدين والفقه فتطوّر الاجتهاد لكن سبّب هذا التطوّر تفاقم ضعف الشّرعيّة التاريخيّة الأمويّة. وقد استغل العبّاسيّون سقوط العالم الإيديولوجي الأموي وانعدام المعادلة بين الدين والسياسة في الدولة الأمويّة للقيام بثورة كلّلت بالنّجاح لاستنادها على شرعيّة دينيّة قويّة. (فهم من آل بيت الرسول – العبّاس هو عم الرسول). وحقّق العبّاسيّون "كونيّة الإسلام" حيث صهروا العنصر العربي والعنصر الأعجمي (أي الموالي من الفرس والترك والصقالبة).

ونجح العبّاسيّون في إقامة سلطة أقوى وأشمل وأعمق من السّلطة الأمويّة. لكن العبّاسيّون ورثوا المؤسّسات الأمويّة بحذافيرها، وبالغوا في اتّخاذ مظاهر الأبّهة والفخامة حتّى أنّ الخليفة أصبح محجوبا عن أنظار النّاس. وقد عاب العبّاسيّون على الأمويّين مجونهم وفسقهم لكنّهم أغرقوا في الملذّات بعد أن وصلوا إلى الحكم. وعلى الرّغم من سقوط الدولة الأمويّة، فإنّها تركت بصماتها في المجتمع العربي والإسلامي وبالذّات لدى العبّاسيّين الذين خلفوهم في سدّة الحكم. وكانوا منبهرين بإتقان معاوية بن أبي سفيان للسّياسة وبقدرة هشام بن عبد الملك التنظيميّة. وكانوا يغبطون أسلافهم في الحكم بأن رزقوا سياسيين مهرة كزياد والحجّاج من بعده.

ونرجو أن يساهم هذا البحث المتواضع في إعادة إعطاء الدولة الأمويّة المكانة التي تستحقها في مسار التاريخ الإسلامي.

---

1) رضوان السيّد، **الكاتب والسلطان**، ص 29.



المصادر والمراجع

➢ المصادر

- ابن آدم (يحيى)، **كتاب الخراج**، القاهرة، 1347.
- ابن أنس (مالك أبو عبد الله 95-179 هـ)، **الموطّأ**، بيروت، 1994.
- ابن الأبّار، **كتاب الحلّة السّيراء**، (658هـ/1260م)، القاهرة، 1963.
- ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، بيروت، 1982، ج 3-4-5.
- ابن الجوزي القرشي البغدادي (الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن 510-597 هـ)، **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز الخليفة الزاهد**، بيروت، 1984.
- ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، القاهرة، 1973، ج1.
- ابن القوطيّة القرطبي، **تاريخ افتتاح الأندلس**، بيروت، 1957.
- ابن الكلبي (هشام أبو المنذر بن محمّد بن السّائب ت 204 هـ)، **جمهرة النسب**، دمشق، 1986 ج 1-2-3.
- ابن النديم، **الفهرست**، مكتبة خيّاط، بيروت، 1978.
- ابن جعفر (قدامة بن قدامة بن زياد البغدادي تـ 329 هـ)، **الخراج وصناعة الكتابة**، بغداد، 1981
- ابن حبيب (أبو جعفر محمّدابن أميّة ابن عمر والهاشمي البغدادي 245 هـ)، **كتاب المحبّر**، بيروت، د.ت.
- ابن حزم الأندلسي (أبو محمّدعلي بن أحمد بن سعيد 384-456 هـ)، **جمهرة أنساب العرب**، بيروت، 1983.
- ابن خرداذبه (أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله)، **المسالك والممالك**، ليدن، 1889.
- ابن خلدون (عبد الرحمن -وليّ الدين- بن محمّد بن محمّد بن أبي بكر محمّد بن الحسن بن محمّد بن جابر بن محمّد بن ابراهيم بن عبد الرحمن 732-808 هـ)، **المقدّمة**، تونس، 1984، ج 1-2.
- ابن خيّاط (أبو عمرو خليفة)، **كتاب الطبقات**، بيروت، 1993.
- ابن خيّاط العصفري البصري (أبو عمرو خليفة ت 240 هـ)، **تاريخ خليفة بن خيّاط**، بيروت، 1993.
- ابن دريد (أبو بكر محمّد بن الحسن)، **الاشتقاق**، بيروت، 1991.

- ابن رسته (أبي عليّ أحمد بن عمر 310 هـ/922 م)، **كتاب الأعلاق النفيسة**، ليدن، 1967، ج 7.
- ابن سعد (محمّد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري)، **الطبقات الكبرى**، بيروت، 1990، ج4-5-6-7.
- ابن سلاّم (أبو عبيد القاسم)، **كتاب الأموال**، بيروت، 1988.
- ابن شبّة (أبو زيد عمر بن شبّة النميري البصري 173-262 هـ)، **تاريخ المدينة المنوّرة**، مكّة، 1979، ج 1.
- ابن عبد الحكم (أبو محمّد عبد الله 214 هـ)، **سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه**، بيروت، 1984.
- ابن عبد الحكم، **فتوح مصر وأخبارها**، ليدن 1920.
- ابن عبد ربّه (شهاب الدين المرواني الأندلسي 328 هـ/950 م)، **العقد الفريد**، بيروت، 1965، ج 1-2-4-5.
- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب**، بيروت، د.ت، ج 1-2-3-4.
- ابن عساكر (ثقة الدين أبو القاسم عليّ بن الحسين بن هبة الله الشافعي 571 هـ)، **تهذيب تاريخ دمشق الكبير**، بيروت 1987، ج 1-7.
- ابن قتيبة الدينوري (أبي محمّد عبد الله بن مسلم 213-276 هـ)، **الإمامة والسياسة**، القاهرة، 1968، ج 1-2.
- ابن كثير (أبو الفداء الحافظ تـ 774 هـ)، **البداية والنهاية**، بيروت، 1981، ج 8-9.
- ابن منظور (محمّد بن مكرم بن عليّ بن أحمد الإنصاري الإفريقي ثمّ المصري جمال الدين أبو الفضل 711 هـ)، **لسان العرب المحيط**، بيروت د.ت، ج 1-2-3.
- ابن هشام (محمّد عبد الملك)، **سيرة النبي صلّى الله عليه وسلّم**، القاهرة 1937 ج 4.
- أبو العرب، **طبقات علماء إفريقيّة**، الجزائر، 1914.
- أبو يوسف (يعقوب ابن ابراهيم 113-182 هـ)، **كتاب الخراج**، القاهرة، 1302 هـ.
- أسلم بن سهل الرزّاز الواسطي المعروف ببحشل 292 هـ/905 م، **تاريخ واسط**، بغداد، 1967.

- الاصطخري -المعروف بالكرخي- (ابن إسحاق ابراهيم بن محمّدالفارسي النصف الأوّل من القرن الرابع الهجري)، **المسالك والممالك**، القاهرة، 1961.
- الاصفهاني أبو الفرج، **الأغاني**، بيــروت، 1983، ج 1-2-3-4-5-6-7-8-9-10-11-13-15-16-17-20-22-23.
- الأزرقي (أبي الوليد محمّد بن عبد الله بن أحمد)، **أخبار مكّة وما جاء فيهــا مــن الآثار**، بيروت، 1385 هـ، ج 2.
- البكري، **معجم ماستعجم من أسماء البلاد والمواضع**، القاهرة، 1945، ج 1.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي 289 هـ/ 892 م)، **فتــوح البلــدان**، بيروت، 1987.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي 289 هـ/ 892 م)، **أنساب الأشراف**، بيروت، 1979، القسم 4، ج 1.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي 289 هـ/ 892 م)، **أنساب الأشراف**، القدس 1936، ج 5.
- البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر البغدادي 289 هـ/ 892 م)، **أنساب الأشراف**، أورشليم القدس، 1993، ج 6، القسم 2.
- البلاذري، **أنساب الأشــراف** أمر عبد الملك بن مروان وما قيل فــي عبــد الملــك وأخباره بعد مقتل ابن الزبير رضي الله تعالى عنه، مخطوط، Süleymaniya 6, Kütüphanesi, Reïsül Küttap 597، ج 1.
- البلاذري، **أنساب الأشراف**، بيروت، 1996،ج5-6-7-8.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر 255 هـ/868 م)، **كتاب العثمانيّــة**، بيــروت، 1991.
- الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر 255 هـ)، **كتاب البغال**، بيروت، 1991.
- الجاحظ، **البيان والتبيين**، منشورات دار و مكتبة الهلال، بيروت، 1992، ج 1-2.
- الجاحظ، **رسائل الجاحظ**، مكتبة الخانجي مصر، القاهرة، 1979، ج 2.
- الجاحظ، رسالة **في بني أميّة** وردت في المقريزي، كتاب النّزاع والتخاصــم فيمــا بين بني أميّة وبني هاشم، ترجمها وعلّق عليها بوسوورث، القاهرة، 1988.
- الجاحظ، **كتاب التّاج في أخلاق الملوك**، القاهرة، 1914.
- الجهشياري (أبو عبد الله محمّد بن عبدوس 331 هـ/942 م)، **كتــاب الــوزراء والكتّاب**، القاهرة 1938.

- الدينوري (أبي حنيفة أحمد بن داود 282 هـ)، **كتاب الأخبار الطوال**، بيروت، د.ت.
- الرّقيق (أبو آسحاق ابراهيم بن القاسم 440 هـ)، **تاريخ إفريقيّة والمغرب**، بيروت، 1990
- الزبيري (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله)، **كتاب نسب قريش**، القاهرة، 1982.
- السيوطي (الإمام الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر)، **تاريخ الخلفاء**، بيروت، 1988.
- السيوطي (الحافظ جلال الدّين 849-911 هـ) ، **الإتقان في علوم القرآن**، بيروت، 1993، ج 1-2.
- الشيباني محمّد بن الحسن، **الآثار**، مخطوط عدد 249 بدار الكتب الوطنية، تونس.
- الصّابي (هلال)، **رسوم دار الخلافة**، بيروت، 1977.
- الطبري (أبو جعفر محمّد بن جرير 224-310 هـ)، **تاريخ الرسل والملوك**، القاهرة، 1979، ج 5-6-7.
- **القرآن الكريم**، تونس، 1978.
- الكندي (أبي عمر محمّد بن يوسف)، **كتاب الولاة وكتاب القضاة**، بيروت، 1908، ج 1-2.
- الكندي (محمّد بن يوسف)، **ولاة مصر**، بيروت، د.ت.
- المالكي، **رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقيّة وزهّادهم ونسّاكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم**، بيروت، 1983، ج 1.
- الماوردي (أبو الحسن عليّ بن محمّد بن حبيب البصري البغدادي)، **الأحكام السلطانيّة والولايات الدينية**، بيروت، 1990.
- المراكشي (عبد الواحد)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، القاهرة 1949.
- المسعودي (أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ 346 هـ/ 955 م)، **كتاب التنبيه والإشراف**، ليدن، 1967.
- المسعودي (أبي الحسن عليّ بن الحسين بن عليّ 346 هـ/ 955 م)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، بيروت، 1979، ج 3.
- المقدّسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ليدن، 1906.
- المقرّي التلمساني (أحمد بن محمّد)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرّطيب**، بيروت، 1968،ج1.

- المقريزي (تقيّ الدين)، **كتاب النّزاع والتّخاصم فيما بين بني أميّة وبني هاشم** (ذكر منسوبا للجاحظ)، القاهرة، 1988.
- المقريزي، **كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطـط والآثـار المعـروف بـالخطط المقريزيّة**، بيروت، د.ت، ج 1.
- الهمداني (أبو محمّد الحسن بن أحمد بن يعقوب) ، **الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير**، القاهرة، 1368، الكتاب العاشر.
- وكيع (محمّد بن خلف بن حيّان 306 هـ)، **أخبار القضـاة**، بيروت، د.ت، ج 1-2-3.
- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبي عبد الله)، **معجم البلدان**، بيروت، د.ت، ج 1-2-3-4-5.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ابن جعفر بن وهب بن واضح العبّاسي 284 هـ/ 897 م)، **تاريخ اليعقوبي**، ليدن وبريل، 1969، ج 2.
- اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب ابن جعفر بن وهب بن واضح العبّاسي284 هـ/ 897 م)، **كتاب البلدان**، النجف، د.ت.

➢ المراجع والمقالات باللغة العربيّة

- الاصبيعي (محمّد ابراهيم عمر)، **الشرطة في النظم الإسلامية**، مالطة، 1990.
- البكّاي (لطيفة)، **حركة الخوارج نشأتها وتطوّرها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ)**، بيروت، 2001.
- بالحاج صالح – العايب (سلوى)، **المسيحيّة العربيّة وتطوّراتها من نشأتها إلى القرن الرّابع الهجري / العاشر الميلادي**، بيروت، 1997.
- جعيط (هشام)، **أزمة الثقافة الإسلامية**، بيروت، 1999.
- جعيط (هشام)، في السّيرة النبويّة، ج1، **الوحي والقرآن والنبوّة**، بيروت، 1999.
- جعيط (هشام)، في السّيرة النبويّة، ج2، **تاريخيّة الدّعوة المحمّديّة في مكّة**، بيروت، 2007.
- الجدّي (حافظ)، **قبيلة همدان في القرن الأوّل وبداية القرن الثاني للهجرة**، شهادة الكفاءة في البحث تحت إشراف د. راضي دغفوس، الجامعة التونسية جامعة تونس الأولى كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، تونس، سبتمبر 1993.
- الجوّادي (محمّد)، *الأشراف في المشرق الإسلامي خلال القرن الأوّل للهجرة، إشكاليّة مفهوم الشّرف وعلاقات الأشراف بالدولة وبالشّرف الإسلامي*، ص33-49، **أشغال الملتقى الدولي الثالث حول النّسب والشّرف في العالم العربي الإسلامي والبلاد المتوسطيّة**، تونس ديسمبر 2004، جمع النصوص وأشرف على نشرها راضي دغفوس بمشاركة خالد كشير، المجلّة التونسيّة للعلوم الاجتماعيّة عدد 133 السنة 2007، مركز الدراسات والبحوث الاقتصاديّة والاجتماعيّة.
- الجوّادي (محمّد)، **الأشراف من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الأوّل للهجرة**، بحث لنيل شهادة الدكتوراه إشراف د. راضي دغفوس، الجامعة التونسية جامعة تونس الأولى كليّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة تونس، 2002.
- الجويلي (محمد)، **الزعيم السياسي في المخيال الإسلامي**، تونس، 1992.
- الحديثي (قحطان عبد الستّار)، **أرباع خراسان**، البصرة، 1990.
- حسن (محمد)، **القبائل والأرياف المغربيّة في العصر الوسيط**، تونس، 1986.
- الدوري (عبد العزيز)، *العرب والأرض في صدر الإسلام*، **المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام** الجامعة الأردنيّة، 25 نيسان 1974.
- الدوري (عبد العزيز)، *نظام الضّرائب في صدر الإسلام*، **مجلّة مجمع اللغة العربيّة بدمشق**، أبريل 1974، ج 2، المجلّد 49، ص 44-60.

- السّلمان (عبد الماجود أحمد)، **الموصل في العهدين الراشـــدي والأمـــوي**، بغـــداد، 1985.
- السيّد (رضوان)، *التدوين والفقه والدولة نظرات فـــي شـــؤون الفقـــه الإســـلامي*، **الاجتهاد** العدد 2، شتاء 1989، ص 91-113.
- السيّد (رضوان)، *الخلافة والملك دراسة في الرؤية الأمويّة للـــسلطة*، **بحـــث فـــي المؤتمر الدولي الرّابع لتاريخ بلاد الشام (بلاد الشام في العهد الأمـــوي 1987)، نشر بمحاضر الندوة الثالثة**، القسم العربي، ص 96-142.
- السيّد (رضوان)، *الكاتب والسلطان في ظهور كاتب الديوان في الدولة الإســـلامية*، **الاجتهاد**، العدد الرابع، صيف 1989، ص 13-51.
- العروي (عبد الله)، **مفهوم الإيديولوجيا**، بيروت، 1988.
- العروي (عبد الله)، **مفهوم الدولة**، بيروت، 1988.
- العلي (صالح أحمد)، "منطقة واسط دراسة طوبوغرافيّة مـــستندة علـــى المـــصادر الأدبيّة"، **سومر**، ج 1-2، المجلّد السادس والعشرون 1970، ص 237-262.
- العلي (صالح أحمد)، **التنظيمات الاجتماعيّة والاقتصادية في البصرة فـــي القـــرن الأوّل الهجري**، بغداد، 1953.
- العلي (صالح أحمد)، **الخراج في العراق في العهود الإســـلامية الأولـــى**، بغـــداد، *1990*.
- العلي (صالح أحمد)، **خطط البصرة ومنطقتها دراســـة فـــي أحوالهـــا العمرانيّـــة والماليّة في العهود الإسلامية الأولى**، بغداد، 1986.
- العلي (صالح أحمد)، **دراسات في الإدارة في العهود الإسلامية الأولـــى الأصـــول العربيّة الإسلامية وتقسيمات العراق الإدارية**، بغداد، 1989.
- دوزي (رينهارت)، **تكملة المعاجم العربيّة**، بغداد، 1981، ج 1-2-3.
- شاخت (يوسف)، **أصول الفقه**، بيروت، 1980.
- شخت (يوسف)، *ثلاث محاضرات في تاريخ الفقه الإسلامي*، **مجلّة المشرق**، المجلّد 33، 1935، ص 89-119.
- شعبان (محمّد عبد الحي)، **الثورة العبّاسية**، أبو ظبي، 1977.
- شعبان (محمّد عبد الحي)، **صدر الإسلام والدولة الأمويّة 600-750 هـ**، بيروت، 1987.
- شلق الفضل، *الجماعة والدولة جدليّات السلطة والأمّة في المجال العربي الإسلامي*، **الاجتهاد**، العدد 3، ربيع 1989، ص 15-100.

- عبد الباقي (محمّد فؤاد)، **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، بيروت، 1938.
- عبد الرازق (عليّ)، **الإسلام وأصول الحكم بحث في الخلافة والحكومة في الإسلام**، بيروت، 1966.
- غليون (برهان)، *أصل السلطة في الإسلام الخلافة والدولة*، **مجلّة الاجتهاد**، عدد 14، شتاء 1992، بيروت، ص 15-68.
- غليون (برهان)، **نقد السياسة الدولة والدين**، بيروت، 1991.
- فلهاوزن (يوليوس)، **تاريخ الدولة العربيّة**، القاهرة، 1958.
- كحالة (عمر رضا)، **معجم قبائل العرب القديمة والحديثة**، بيروت، 1968، ج 1-2-3.
- كريستنسن (أرثر)، **إيران في عهد الساسانيّين**، بيروت، د.ت.
- لابيدوس (إيرا)، *الدين والدولة والتطوّرات المبكّرة في الاجتماع الإسلامي الوسيط*، **الاجتهاد**، عدد 2، شتاء 1989، ص 115-151.
- مؤنس (حسين)، **أطلس تاريخ الإسلام**، القاهرة، 1978.
- نصّار (ناصيف)، **منطق السلطة مدخل إلى فلسفة الأمر**، بيروت، 1994.

Ouvrages et articles en Langues étrangères

- Abott (Nabia), *A New Papyrus and a Review of the Administration of Ubaïd Allah B. Al-Habhab*, **Arabic and Islamic Studies in Honor of Hamilton A.R Gibb**, Brill 1965, p 21-35.

- Arnold (Thomas), **The Caliphate**, London, 1967.

- Athamina (Khalil), *Arab settlement during the Umayyad Caliphate*, in **Jerusalem Studies in Arabic and Islam**, n° 8, p 185-207.

- Badie (Bertrand), **Les Deux Etats Pouvoir et Société en Occident en Terre d'Islam**, Paris, 1986.

- Bates (Michael L), *The Coinage of Syria Under the Umayyads, 692-750 A.D*, **The IVth International Conference on Bilad Al-Sham** 1987, II, Ed. by M. Adnan Bakhit and R. Schich, Amman, 1989, p 195-228.

- Bates (Michael L), *History Geography and Numismatic in the First Century of Islamic Coinage,* **Revue Suisse de Numismatique** 65, 1986, p 231-262

- Bates (Michael L), **Islamic Coins**, The American Numismatic Society, New York, 1982.

- Bligh-Abramski (Irit), *The Judiciary Qãdis as a Governmental-Administrative Tool in Early Islam*, In **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, Vol. XXXV, Part I, February 1992, p 40-71.

- Bosworth (C.E), *Raja Ibn Haywa al-Kindi And The Umayyad Caliphs*, **The Islamic Quaterly** volume XV, n° 1-2, January-June 1972, p 36-80.

- Bréhier (Louis), **Les Institutions de l'Empire Byzantin**, Paris, 1970, T 1-2.

- Broome (Michael), **A Handbook of Islamic Coins**, London, 1985.

- Burdeau (Georges), **L'Etat**, Paris, 1970.

- **Châteaux Omayyades de Syrie**, Collections du Musée National de Damas 16 Septembre 1990-17 Mars 1991, Institut du Monde Arabe Paris.

- Chidiac (Hana), *Châteaux Omayyades de Syrie*, **Archeologia** 262, Novembre 1990, p 34-41.

- Coulson (N.J), *Doctrine and Practise in Islamic Law one Aspect of the Problem*, in **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**, Vol. XVIII, Part 2, 1956, p 217-226.

- Crone (Patricia) & Hinds (Martin), **God's Caliph Religious Authority in the First Centuries of Islam**, Cambridge, 1986.

65-86/684-705, Londres, - Crone (Patricia) & Hinds (Martin), **Slaves on Horses the Evolution of the Islamic Polity**, Cambridge, 1980.

- Daghfous (Radhi), **Le Yaman Islamique des Origines jusqu'à l'avènement des Dynasties Autonomes (Ier - IIIème S / VIIème - VIIIème S)**, Tunis, 1995, T II.

- Décobert (Christian), **Le Mendiant et le Combattant l'Institution de l'Islam**, Paris, 1991.

- Dennett (Daniel), **Conversion and the Poll Tax in Early Islam**, Cambridge, 1950.

- Deshazo (A.S) and Bates (Michael), *The Umayyad Governors of Al-Iraq and the Changing Annulet Patterns on their Dirhams*, Reprinted from the **Numismatic Chronicle Seventh Series**, Vol. XIV 1974, p 110- 118.

- Dixon (A.A), **The Umayyad Caliphate** 1971.

- Djaït (Hichem), *La Wilaya d'Ifriqiya au II/VIII : Etude Institutionnelle*, in **Studia Islamica**, 1967-1968, 27, 77-122 ; 28, 79-108.

- Djaït (Hichem), *Les Yamanites à Kufa au Ier siècle de l'Hégire*, In **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, XIX 1976, 2, p 148-181.

- Djaït (Hichem), **Al-Kûfa Naissance de la Ville Islamique**, Paris, 1986.

- Djaït (Hichem), **La Grande Discorde**, Paris, 1989.

- Donner (Fred M),*The Shurta in early Umayyad Syria*, **The Fourth International Conference on Bilad Al-Sham**, Ed. M.A Bakhit and Schick, English Section, Amman, 1989, p 247-262.

- Duri (Abdel.Aziz), *Al-Zuhri A study of the beginning of History, writting in Islam*, **Bulletin of the School of Oriental and African Studies**, Vol XIX, 1957.

- Duri (Abdel Aziz), *Baït Al-Maqdis in Islam*, **Studies in the History and Archaelogy of Jordan**, I, Edited by Adnan Hadidi, Jordan, 1982, p 351-355.

- **Encyclopédie de l'Islam**, Leiden & Brill, 1978.

- Fariq (K.A), *A Remarkable Early Muslim Governor Ziad Ibn Abih,* **Islamic culture**, Vol. XXVI, n° 4, October 1952, p1-31.

- Fariq (K.A), **Ziad B. Abih**, Delhi, 1966.

- Gibb (H.A.R), *The Fiscal Rescprit of Umar II*, In **Arabica**, T II, 1955, p 1-16.

- Girard (René), **La Violence et le Sacré**, Paris, 1972.

- Goldziher (Ignaz), *Du Sens Propre des expressions Ombre de Dieu, Khalife de dieu pour désigner les Chefs dans l'Islam*, **Revue des Religions** (35), 1897

- Goldziher (Ignaz), **Muslim Studies Muhammedanische Studien**, London, 1971, V 2.

- Grabar (O), *Al-Mushatta, Baghdad and Wasit*, in the **World of Islam**, Studies in Honour of Philip Hitti, Londres, 1960, p 99-108.

- Grabar (O), *Islamic Art and Byzantium* in **Dumbarton Oaks Paper** 18 Washington D.C 1964, Publié dans un livre Studies in Medieval Islamic Art, London, 1976.

- Grabar (O), *What Makes Islamic Art Islamic*, **Art and Archaelogy Research Papers**, London, April 1970, p 1-2.

- Grabar (O), *The Umayyad Dome of the Rock in Jerusalem*, in **Ars Orientalis** 3, 1959, p 33-62.

- Grierson (Philip), *The Monetary Reforms of Abd-Al-Malik their Metrological Basis and their Financial Repercussions,* **Journal of the Economic and Social History of the Orient**, 1960, Vol. 3, p 241-264.

- Hawting (G.R), *The Umayyads and The Hijaz*, **Proceedings of the Seminar for Arabian Studies**, London, 70-73, V 1-3, p 39-46.

- Hawting (G.R), **The First Dynasty of Islam The Umayyad Caliphate AD 661-750**, London, 1986.

- Hold (Renata), Knustad (James), Trousdale (William), Grabar (Oleg), **City in the Desert Qasr Al-Hayr East**, Harvard Middle Eastern Monograph Series, Cambridge, 1978, T 2.

- Kessler (Christel), *Abd-Al-Malik's Inscription in the Dome of the Rock : A Reconsideration*, **Journal of the Royal Asiatic Society** 1, 1970, p 214.

- Khel (Muhammad Nazeer Kaka), *Jihad and the projection and Spread of Islam*, **Hamdard Islamicus**, Vol. VII, n° 4, Winter 1984, p 37-56.

- Kister (M.J), *The Battle of the Harra Some Socio-Economic Aspects*, in **Studies in Memory of Gaston Wiet**, The Hebrew University of Jerusalem, 1977, p 33-49.

- Lambert (Elie), *Les Origines de la Mosquée et l'Architecture religieuse des Omeiyades*, **Studia Islamica**, VI, 1955-56, p 5-18.

- Lammens (Henri), **Etudes sur le Régne du Calife Omaiyade Mo'awia 1er**, Beyrouth, 1906.

- Lammens (Henri), **Etudes sur le Siècle des Omaiyades**, Beyrouth, 1930.

- Lammens (Henri), **L'Avènement des Marwanides et le Califat de Marwan 1er**, Mélanges de l'Université de Saint-Joseph - Beyrouth, T XII, Fascicule 2, Beyrouth, 1927.

- Lammens (Henri), **Le Califat de Yazid Ier**, Beyrouth, 1921.

- Lecoq (Anne-Marie), *La Symbolique de l'Etat Les images de la monarchie des premiers Valois à Louis XIV*, in **Les Lieux de Mémoire**, ouvrage collectif publié sous la direction de Pierre Nora, Paris, 1993, p 145-191.

- Levi-Provençal (E) , **Histoire de l'Espagne Musulmane**, Paris, 1944, T 1.

- Miles (Georges C), *A Unique Umayyad Dinar of 91 H/709 A.D*, **Revue Numismatique**, 6 E Série XIV, 1972, p 264-268.

- Miles (Georges C), *Rare Islamic Coins*, Numismatic Notes and Monographs n°118, **The American Numismatic Society** 1950.

- Morrisson (Cécile), *Le Monnayage Omeyyade et l'Histoire Administrative et Economique de la Syrie*, Tiré à part de **la Syrie de Byzance A l'Islam VII - VIII Siècles, Actes du colloque International Lyon-Maison de l'Orient Méditerranéen**, Paris Institut du Monde Arabe, Damas, 1992, p 309-317.

- Oseni (Z.I), *A Reconsideration of the Demeanour of a prominent Umayyad Governor, Al-Hajjaj Ibn Yusuf Al-Thaqafi*, **Islamic Culture**, Vol. LX, n° 4, Octobre 1986, p 30-45.

- Ostrogorsky (Georges), **Histoire de l'Etat Byzantin**, Paris, 1983.

- Périer (Jean), **Vie d'Al-Hadjdjadj Ibn Youssof**, Paris, 1904.

- Pommier (Edouard), *Versailles, L'Image du Souverain*, in **Les Lieux de Mémoire**, ouvrage collectif publié sous la direction de Pierre Nora, Paris, 1993, p 193-233.

- Ragib (Yusuf), *Lettres Nouvelles de Qurra B. Sarik*, Arabic and Islamic Studies in Honor of Nabia Abbott, **Journal of Near Eastern Studies**, Vol. 40, 1981, p 173-186.

- Rosenthal (E.I.J), **Political Thought in Medieval Islam An Introductory Outline**, Cambridge, 1968.

- Schacht (Joseph), **An Introdution to Islamic Law**, London, 1964.

- Shahid (Irfan), *Heraclius and the theme system : New Light From the Arabic*, **Byzantion** Revue Internationale des Etudes Byzantines LVII, 1987, p 391-401.

- Shahid (Irfan), *Heraclius and the theme System : Further Observations*, **Byzantion**, Revue Internationale des Etudes Byzantines, LIX, 1989, p 208-243.

- Sharon (M), *The Development of the Debate Around the Legitimacy of Authority in Early Islam*, **Jerusalem Studies in Arabic and Islam**, 5, 1984, p 121-141.

- Sharon (Moshe), *Ahl Al-Bayt People of the House*, in **Jerusalem Studies in Arabic and Islam**, 8, 1986, p 169-184.

- Sharon (Moshe), *Notes on the Question of the Legitimacy of Government in Islam,* in **Israel Oriental Studies,** X 1980, TelAviv, p 116-123.

- Sourdel (Dominique), **le Vizirat Abbasside de 749 à 936** (132 à 324 de l'Hégire) Damas, 1959, T1.

- Tritton (A.S), *Note on Muslim System of Pensions*, **Bulletin of the School of Oriental Studies**, 1954, 16, p 170-173.

- Tyan (E), **Institutions du droit public musulman, Le Califat**, Paris, 1954, Vol. I, p 202.

- Tyan (Emile), **Histoire de l'Organisation Judiciaire en Pays d'Islam,** Paris, 1938, T 1.

- Walker (John), **A Catalogue of the Arab-Byzantine and Post Reform Umaiyad Coins**, London, 1956.

- Watt (Montgomery W), *Shi ism Under The Umayyads*, **Journal of the Royal Asiatic Society**, Parts 3 & 4, 1960, p 158-172.

- Watt (Montgomery W), **Islamic Political Thought The Basis Concepts,** Edinburgh 1968.

- Watt (Montgomery W), **Mahomet à Médine**, Paris, 1989.

- Watt (Montgomery W), *The Conception of the charismatic Community in Islam*, in **Numen**,Vol. VII, 1960.

- Watt (Montgomery W), *God's Caliph Quranic Interpretations and Umayyad Claims*, in **Iran and Islam Memory of the late Vladimir Minorsky,** Edinburg, 1971.

- Weber (Max), **Economie et Société**, Paris, 1971, T 1.

فهرس المواضيع

الباب الثّاني :

المقوّمات الإيديولوجيّة والاجتماعيّة للدولة الأمويّة

أصل هذا الكتاب أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط أنجزت تحت إشراف الدكتور هشام جعيّط بجامعة تونس الأولى وتمّت مناقشتها في شهر جوان من سنة 1997 وتكوّنت اللجنة من الأستاذ راضي دغفوس رئيسا والأستاذ هشام جعيّط مشرفا، والأستاذة منيرة شابوتو - الرمادي والأستاذ محمد حسن عضوين. وتحصّلت عليها المترشّحة بملاحظة مشرف جدا.